جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزءان

١٥ - ١٦

دار الفكر

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الخامس عشر

دار الفكر

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الخامس

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر
بيروت
لبنان
المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً: فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء الخامس عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

فهارس

الجزء الخامس عشر من جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

٢ ــ فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

٣ – فهرس القوافى

(١٧) سورة الإسراء مكية
وآياتها إحدى عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : يعني تعالى ذكره بقوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا ، وأن له صاحبة وولدا . وعلوا له وتعظيما عما أضافوه إليه ، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم .

وقد بيّنت فيما مضى قبل ، أن قوله : سبحان : اسم وُضع موضع المصدر ، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقد كان بعضهم يقول : نصب لأنه غير موصوف ، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها . فمنها الصلاة ، كان كثير من أهل التأويل يتأوّلون قول الله (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) : فلولا أنه كان من المصلين . ومنها الاستثناء ، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) : لولا تستثنون ، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن ، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله (إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ) قال : (قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) فذكرهم تركهم الاستثناء . ومنها النور ، وكان بعضهم يتأوّل في الخبر الذي رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا ذلكَ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما أَدْرَكَتْ مِنْ شَيْءٍ » أنه عني بقوله سبحات وجهه : نور وجهه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ) ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم «أنه سُئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سُبْحانَ اللهِ، قال: إنْزَاهُ اللهِ عَنِ السُّوءِ».

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عبدة بن سليمان، عن الحسن بن صالح، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: سبحان الله: قال: إنكاف لله. وقد ذكرنا من الآثار فى ذلك مافيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل. والإسراء والسُّرى: سير الليل. فمن قال: أَسْرى، قال: يُسْرى إسراء؛ ومن قال: سرى، قال: يَسْرى سرى، كما قال الشاعر:

ولَيْلَةٍ ذَاتِ دُجًى سَرَيْتُ وَلَمْ يَلِتْنِي عَنْ سُراها لَيْتُ[1]

ويروى: ذات ندى سَرَيْتُ.

ويعنى بقوله (لَيْلاً) من الليل. وكذلك كان حُذيفة بن اليمان يقرؤها.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسرى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له: لاتجىء بمثل عاصم ولا زر، قال: قرأ حُذيفة (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى) وكذا قرأ عبد الله.

وأما قوله (مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ) فإنه اختُلف فيه وفى معناه، فقال بعضهم: يعنى من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد. وقد بيّنا ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا. وقال: وقد ذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ليلة أُسرى به إلى المسجد الأقصى كان نائما فى بيت أمّ هانئ ابنة أبى طالب.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنى محمد بن السائب، عن أبى صالح بن باذام عن أمّ هانئ بنت أبى طالب، فى مسرى النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: ما أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر، أهبّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أُمَّ هانئٍ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرَةَ كَمَا رأيْتِ بِهَذَا الوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَمَا تَرَيْنَ».

(١) البيتان فى (اللسان: ليت) شاهدا على أن لاته عن وجهه يليته ويلوته ليتا: حبسه عن وجهه وصرفه قال الراجز: «وليلة ذات سرى سريت» .... الخ. وقيل معنى هذا: لم يلتنى عن سراها أن أتندم فأقول: ليتنى ما سريتها. وقيل معناه: لم يصرفنى عن سراها صارف، أى لم يلتنى لائت، فوضع المصدر موضع الاسم. وفى التهذيب: أن لم يلتنى عنها نقص ولا عجز. وكذلك ألاته عن وجهه: فعل وأفعل: بمعنى. اهـ. و (فى اللسان: سرى) السرى: سير الليل: عامته، وقيل السرى: سير الليل كله، تذكره العرب وتؤنثه. وسريت سرى ومسرى، وأسريت: بمعنى: إذا سرت ليلا. بالألف: لغة أهل الحجاز. وجاء القرآن العزيز بهما جميعا. اهـ. وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت. وقال السهيلى فى الروض الأنف (١ : ٢٤٢) اتفقت الرواة على تسميته إسراء، ولم يسمه أحد منهم سرى، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سرى، وأسرى بمعنى واحد، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا فى العبارة .. إلى أن قال: لايجوز أن يقال: سرى بعبده، بوجه من الوجوه؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد فى هذه القصة. اهـ.

وقال آخرون : بل أُسرى به من المسجد ، وفيه كان حين أسرى به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنامحمد بن جعفر بن عدى ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، وهو رجل من قومه قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنا أنا عِنْدَ البَيْتِ بينَ النائِم واليَقْظان ، إذْ سَمِعْتُ قائلاً يَقُولُ أحَدُ الثلاثَةِ ، فأُتِيتُ بطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فيها مِنْ ماءِ زَمْزَمَ ، فَشَرَحَ صَدْرِى إلى كَذَا وكَذَا ، قال قتادة : قلت : مايعنى به ؟ قال : إلى أسفل بطنه ؛ قال : فاسْتَخْرَجَ قَلْبِى فغُسِلَ بِماءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكانَهُ ، ثُمَّ حُشِىَ إيمانا وحِكْمَةً ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أبْيَضَ » ، وفى رواية أخرى : « بِدَابَّةٍ بَيْضاءَ يُقالُ لَهُ البُراقُ ، فَوْقَ الحمارِ ودُونَ البَغْلِ ، يَقَعُ خَطْوُهُ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فحُمِلْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقْنا حتى أتَيْنا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بالنَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ إماما ، ثُمَّ عُرِجَ بِى إلى السَّماءِ الدُّنْيا » . . . فذكر الحديث .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا خالد بن الحرث ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ، يعنى ابن صعصعة رجل من قومه ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن مالك ابن صعصعة رجل من قومه ، قال : قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : ثنى عمرو بن عبد الرحمن ، عن الحسن ابن أبى الحسن ، قال : قال رسول الله : « بَيْنا أنا نائِمٌ فى الحِجْرِ جاءَنِى جِبْرِيلُ فَهَمَزَنِى بِقَدَمِهِ ، فجَلَسْتُ فلَمْ أرَ شَيْئا ، فعُدْتُ لِمَضْجَعِى ، فجاءَنِى الثَّانِيَةَ فَهَمَزَنِى بقَدَمِهِ ، فجَلَسْتُ فلَمْ أرَ شَيْئا ، فعُدْتُ لِمَضْجَعِى ، فجاءَنِى الثَّالِثَةَ فَهَمَزَنِى بقَدَمِهِ ، فجَلَسْتُ ، فأخَذَ بعَضُدِى فَقُمْتُ مَعَهُ ، فخَرَجَ بِى إلى بابِ المَسْجِدِ ، فإذَا دابَّةٌ بَيْضاءُ بينَ الحِمارِ والبَغْلِ ، لَهُ فى فَخِذَيْهِ جَناحانِ يَحْفِزُ بِهِما رِجْلَيْهِ ، يَضَعُ يَدَهُ فى مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فحَمَلَنى عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مَعِى ، لايَفُوتُنِى ولا أفُوتُهُ » .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبى نمر (١) ، قال : سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ قال : أوسطهم هو خيرهم ، فقال

(١) قال النووى فى شرحه لصحيح مسلم (المطبعة المصرية ٢ : ٢١٠) ذكر البخارى رحمه الله رواية شريك هذه عن أنس فى صحيحه وأتى بالحديث مطولا . قال الحافظ عبد الحق رحمه الله فى كتابه (الجمع بين الصحيحين) بعد ذكر هذه الرواية : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة . وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ، كابن شهاب ، وثابت البنانى وقتادة (يعنى عن أنس) فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث . وانظر أيضا ما قاله الشهاب الخفاجى فى (نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض ٢ : ٢٤٣ - ٢٤٤) فى نقده لرواية شريك بن أبى نمر سندا ومتنا)

أحدهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة ؛ فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه ؛ والنبيّ صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ، ولاينام قلبه . وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام ، فشقّ ما بين نحره إلى لبَّته ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور محشوّ إيمانا وحكمة ، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده[1] ، ثم أطبقه ثم ركب البراق ، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنَّبيين والمرسلين إماما ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فضرب بابا من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ قال : هذا جبرئيل ، قيل : من معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بُعث إليه[2] ؟ قال : نعم ، قالوا : فرحبا به وأهلا ، فيستبشر به أهل السماء ، لايعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يُعلمهم ، فوجد فى السماء الدنيا آدم ، فقال له جبرئيل : هذا أبوك ، فسلّم عليه ، فردّ عليه ، فقال : مرحبا بك وأهلا بابنى ، فنعم الابن أنت ، ثم مضى به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قد أُرسل إليه ، فقيل : مرحبا به وأهلا ، ففُتح لهما ؛ فلما صعد فيها فإذا هو بنهرين يجريان ، فقال : ما هذان النهران ياجبرئيل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما[3] ؛ ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بُعث إليه[2] ؟ قال : نعم قد بُعث إليه ، قيل : مرحبا به وأهلا ، ففُتح له فاذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، وغير ذلك مما لايعلمه إلا الله ، فذهب يشمّ ترابه ، فإذا هو مسك أذفر ، فقال : ياجبرئيل ما هذا النهر ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك فى الآخرة ؛ ثم عرج به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى السادسة ، فقالوا له مثل ذلك ؛ ثم عرج به إلى السابعة ، فقالوا له مثل ذلك ، وكلّ سماء فيها أنبياء قد سماهم أنس ، فوعيت منهم إدريس فى الثانية ، وهارون فى الرابعة ؛ وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم فى السادسة ، وموسى فى السابعة بتفضيل كلامه الله ؛ فقال موسى : رب لم أظنّ أن يرفع علىّ أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا باب الجبَّار ربّ العزّة ، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ماشاء ، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه ، فقال : يامحمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلىّ خمسين صلاة على أمتى كل يوم وليلة ؛ قال : إن أمتك لاتستطيع ذلك ، فارجع فليخفف عنك وعنهم ، فالتفتَ إلى جبرئيل كأنه يستشيره فى ذلك ، فأشار إليه أن نعم ، فعاد به جبرئيل حتى أتى الجبَّار عزّ وجلّ وهو مكانه ، فقال : ربّ خفف عنا ، فإن أمتى لاتستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ؛ ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه ، فلم يزل يردّده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس

(١) فى البخارى (باب التوحيد) : فحشا به صدره ولغاديده ، يعنى عروق حلقه .

(٢) فى البخارى (طبعة الحلبى ٩ : ١٨٣) : « وقد بعث » . وقد أبقينا رواية المؤلف كما هى ، لاختلاف نسخ البخارى فى

(٣) كذا فى البخارى أيضا .

صلوات، ثم احتبسه عند الخمس، فقال: يامحمد قد والله راودتُ بنى إسرائيل على أدنى من هذه الخمس. فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت إلى جبرئيل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبرئيل، فرفعه عند الخمس، فقال: يا ربّ إن أمتى ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فخفف عنا، قال الجبّار جلّ جلاله: يامحمد، قال: لبّيك وسعديك، فقال: إنى لايُبدّل القول لدىّ كما كتبت عليك فى أمّ الكتاب، ولك بكلّ حسنة عشر أمثالها، وهى خمسون فى أمّ الكتاب، وهى خمس عليك؛ فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفّف عنى، أعطانا بكلّ حسنة عشر أمثالها. قال: قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا، قال: ياموسى قد والله استحييت من ربى مما أختلف إليه، قال: فاهبط باسم الله، فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام.

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذى يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه. وقوله (إلى المَسْجِدِ الأقْصَى) يعنى: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التى تزار، ويُبتَغى فى زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيها لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجلّ عنه جلّ جلاله، الذى سار بعبده ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى.

ثم اختلف أهل العلم فى صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلا على البُراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سُلطانه، فجمعت له به الأنبياء، فصلى بهم هُنالك، وعَرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحى ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته، فصلى به صلاة الصبح.

ذكر من قال ذلك، وذكر بعض الروايات التى رُويت عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم بتصحيحه

حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرنى ابن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسرى به على البُراق، وهى دابّة إبراهيم التى كان يزورعليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها، قال: فمرّت بعير من عيرات قريش بواد من تلك الأودية، فنفرت العير، وفيها بعير عليه غرارتان: سوداء، وزرقاء، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء فأتى بقدحين: قدح خمر، وقدح لبن، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن، فقال له جبرئيل: هُديت إلى الفطرة، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك. قال ابن شهاب: فأخبرنى ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى هناك إبراهيم وموسى وعيسى، فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «فأمَّا مُوسَى فَضَرْبٌ رَجِلُ الرأسِ كأنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وأمَّا عِيسَى فَرَجُلٌ أحْمَرُ كأنَّما خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ، فأشْبَهُ مَنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ

ابنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيُّ ؛ وأمَّا إبْرَاهِيمُ فأنا أشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ ؛ فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدّث قريشا أنه أُسرى به ، قال عبد الله : فارتدّ ناس كثير بعد ما أسلموا ، قال أبو سلمة : فأتى أبو بكر الصدّيق ، فقيل له : هل لك فى صاحبك ، يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس ثم رجع فى ليلة واحدة ، قال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا : أفتشهد أنه جاء الشام فى ليلة واحدة ، قال : إنى أصدّقه بأبعد من ذلك ، أصدّقه بخبر السماء » قال أبو سلمة : سمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فَمَثَّلَ اللهُ لى بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وأنا أنْظُرُ إلَيْهِ ».

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ، عن أنس بن مالك ، قال : لما جاء جبرئيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكأنها ضربت بذنبها ، فقال لها جبرئيل : مه يابراق ، فوالله إن ركبك مثله ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو بعجوز ناء عن الطريق : أى على جنب الطريق .

قال أبو جعفر : ينبغى أن يقال : نائية ، ولكن أسقط منها التأنيث .

فقال : «ما هذه ياجبرئيل ؟ قال : سر يامحمد ، فسار ما شاء الله أن يسير ، فإذا شىء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول : هلمّ يامحمد ، قال جبرئيل : سر يامحمد ، فسار ماشاء الله أن يسير ؛ قال : ثم لقيه خلق من الخلائق ، فقال أحدهم : السلام عليك يا أوّل ، والسلام عليك يا آخر ، والسلام عليك يا حاشر ، فقال له جبرئيل : اردد السلام يا محمد ، قال : فردّ السلام ، ثم لقيه الثانى ، فقال له مثل مقالة الأوّلين[1] حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء واللبن والخمر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبرئيل : أصبت يامحمد الفطرة ، ولوشربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولوشربت الخمر لغويت وغوت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبرئيل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا بقدر ما بقى من عمر تلك العجوز ، وأما الذى أراد أن تميل إليه ، فذاك عدوّ الله إبليس ، أراد أن تميل إليه ؛ وأما الذين سلّموا عليك ، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى » .

حدثنى علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هريرة أوغيره « شكّ أبو جعفر » فى قول الله عزّ وجلّ (سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) قال : « جاء جبرئيل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل ، فقال جبرئيل لميكائيل : ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، وأشرح له صدره ، قال : فشقّ عن

(١) نص العبارة فى الدر المنثور للسيوطى (٤ : ١٣٩) ثم بقية الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم الثالثة كذلك . ولعل فى الكلام سقطا .

بطنه ، فغسله ثلاث مرّات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غلّ ، وملأه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوّة ، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كلّ خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره ، قال : فسار وسار معه جبرئيل عليه السلام ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ياجِبْرَئيلُ ما هَذَا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تُضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ؛ ثم أتى على قوم تُرضخ رءوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، لايفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هؤلاء ياجِبْرَئِيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ؛ ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ، ويأكلون الضريع والزقّوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال : ما هَؤُلاء يا جِبْرَئيلُ ؟ قال : هؤلاء الذين لايؤدّون صدقات أموالهم ، وما ظلمهم الله شيئا ، وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور ، ولحم آخر نيء قذر خبيث ، فجعلوا يأكلون من النيء ، ويدعون النضيج الطيّب ، فقال : ما هَؤُلاءِ يا جِبْرَئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل من أمتك ، تكون عنده المرأة الحلال الطيّب ، فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا ، فتأتى رجلا خبيثا ، فتبيت معه حتى تصبح ؛ قال : ثم أتى على خشبة فى الطريق لايمرّ بها ثوب إلا شقّته ، ولا شيء إلا خرقته ، قال : ما هَذَا يا جِبْرَئِيلُ ؟ قال : هذا مثَل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . ثم قرأ (وَلاتَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ) . . . الآية . ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لايستطيع حملها ، وهو يزيد عليها ، فقال : ما هذا ياجِبْرَئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لايقدر على أدائها ، وهو يزيد عليها ، ويريد أن يحملها ، فلا يستطيع ذلك ؛ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت لايفتر عنهم من ذلك شيء ، قال : ما هؤلاء ياجِبْرَئِيلُ ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لايفعلون ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هَذَا ياجِبْرَئِيلُ ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها ، ثم أتى على واد ، فوجد ريحا طيبة باردة ، وفيه ريح المسك ، وسمع صوتا ، فقال : يا جِبْرَئِيلُ ما هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ البارِدَةُ وَهذِهِ الرَّائِحَةُ الَّتى كَرِيحِ المِسْكِ ، وَما هَذَا الصَّوْتُ ؟ قال : هذا صوت الجنة تقول : يا ربّ آتنى ما وعدتنى ، فقد كثرت غرفى وإستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ، ولؤلؤى ومرجانى ، وفضتى وذهبى ، وأكوابى وصحافى وأباريقى ، وفواكهى ونخلى ورمانى ، ولبنى وخمرى ، فآتنى ما وعدتنى ، فقال : لكِ كلّ مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى ، وعمل صالحا ولم يُشرك بى ، ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى أعطيته ، ومن أقرضنى جزيته ، ومن توكّل علىّ كفيته ، إنى أنا الله لاإله إلا أنا لاأخلف الميعاد ، وقد

أفلح المؤمنون . وتبارك الله أحسن الخالقين . قالت : قد رضيت ؛ ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ، ووجد ريحا منتنة ، فقال : ما هَذِهِ الرِّيحُ يا جَبْرَئِيلُ وَمَا هَذَا الصَّوْتُ ؟ قال : هذا صوت جهنم، تقول : يا ربِّ آتني ماوعدتني ، فقد كثرت سلاسلى وأغلالى ، وسعيرى وجحيمى ، وضريعى وغساقى ، وعذابى وعقابى ، وقد بعُد قعرى واشتدّ حرّى ، فآتني ماوعدتني ، قال : لك كلّ مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكلّ خبيث وخبيثة ، وكلّ جبّار لايؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت ؛ قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس ، فنزل فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ؛ فلما قُضيت الصلاة . قالوا : يا جبرئيل من هذا معك ؟ قال : محمد ، فقالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ؛ قال : ثم لقى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ؛ فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمَّة قانتا لله يؤتمّ بى ، وأنقذنى من النار ، وجعلها علىّ بردا وسلاما ؛ ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلَّمنى تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى ، وجعل من أمّتى قوما يهدون بالحقّ وبه يعدلون ؛ ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلَّمنى الزّبور ، وألان لى الحديد ، وسخّر لى الجبال يسبحن والطير ، وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب ؛ ثم إن سليمان أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى سخَّر لى الرياح ، وسخَّر لى الشياطين ، يعملون لى ماشئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلَّمنى منطق الطير ، وآتانى من كلّ شيء فضلا ، وسخَّر لى جنود الشياطين والإنس والطير ، وفضَّلنى على كثير من عباده المؤمنين ، وآتانى ملكا عظيما لاينبغى لأحد من بعدى ، وجعل ملكى ملكا طيبا ليس علىّ فيه حساب ؛ ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه ، فقال : الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا باذن الله ، وجعلنى أبرئ الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى باذن الله ، ورفعنى وطهرنى ، وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان علينا سبيل ؛ قال : ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه ، فقال : كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ ، وأنا مُثْنٍ عَلَى رَبِّى ، فقال : الحَمْدُ لِلهِ الذى أَرْسَلَنِى رَحْمَةً للعالَمِينَ ، وكافةً للناس بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَأَنْزَلَ عَلَىَّ الفُرْقَانَ فيه تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَعَلَ أُمَّتِى خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ ، وَجَعَلَ أُمَّتِى وَسَطا ، وَجَعَلَ أُمَّتِى هُمُ الأَوَّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ ، وَشَرَحَ لى صَدْرِى ، وَوَضَعَ عَنى وِزْرِى وَرَفَعَ لى ذِكْرِى ، وَجَعَلَنِى فاتحا خاتما ، قال إبراهيم بهذا فضلكم محمد . — قال أبو جعفر : وهو الرازى : خاتم النبوّة ، وفاتح بالشفاعة يوم القيامة — ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها ، فأتى باناء منها فيه ماء ، فقيل : اشرب ، فشرب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن ، فقيل له : اشرب ، فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر ، فقيل له : اشرب ، فقال : لاأريده قد رويت ، فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم : أما إنها

ستُحرَّم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل. ثم عَرَج به إلى سماء الدنيا ، فاستفتح جبرئيل بابا من أبوابها، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل، قيل : ومن معك ؟ فقال : محمد، قالوا : أوقد أُرسل إليه ، قال: نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجىء جاء، فدخل فإذا هو برجل تامّ الخلق لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذى عن يمنه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذى عن شماله بكى وحزن، فقلت : ياجَبْرَئيلَ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التَّامُ الخَلْقِ الَّذِى لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ ، وَما هَذَانِ البابانِ ؟ قال : هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة ، إذا نظر إلى من يدخله من ذرّيته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شماله باب جهنم ، إذا نظر إلى من يدخله من ذرّيته بكى وحزن ؛ ثم صعد به جبرئيل صلى الله عليه وسلم إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد رسول الله، فقالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجىء جاء ، قال : فإذا هو بشابين ، فقال : يا جَبْرَئيلُ مَنْ هَذَانِ الشابَّانِ ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة ، قال : فصعد به إلى السماء الثالثة ، فاستفتح، فقالوا : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىء جاء ، قال : فدخل فاذا هو برجل قد فَضَل على الناس كلهم فى الحُسن، كما فُضّل القمرُ ليلة البدر على سائر الكواكب، قال : مَنْ هَذَا يا جَبْرَئيلُ الَّذِى فَضَلَ على النَّاسِ فى الحُسْنِ ؟ قال : هذا أخوك يوسف ؛ ثم صعد به إلى السماء الرابعة ، فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىء جاء، قال : فدخل فإذا هو برجل، قال : مَنْ هَذَا يا جَبْرَئيلُ ؟ قال : هذا إدريس رفعه الله مكانا عليًّا . ثم صعد به إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : من هذا ؟ فقال: جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىء جاء ، ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم ، قال : مَنْ هَذَا ياجَبْرَئيلُ وَمَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ ؟ قال : هذا هارون المحبب فى قومه ، وهؤلاء بنو إسرائيل ؛ ثم صعد به إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له : من هذا ؟ قال : جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىء جاء ، فإذا هو برجل جالس ، فجاوزه ، فبكى الرجل ، فقال : يا جَبْرَئيلُ مَنْ هَذَا ؟ قال: موسى ، قال : فَمَا بالُهُ يَبْكِى؟ قال : تزعم بنو إسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله ، وهذا رجل من بنى آدم قد خلفنى فى دنيا ، وأنا فى أخرى ، فلو أنه بنفسه لم أبال ، ولكن مع كلّ نبيّ أمته؛ ثم صَعَد به إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل : من هذا ؟ قال :

جبرئيل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أو قد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيَّاه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي ، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه ، أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شيء ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر ، فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم ، فقال : يا جِبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا الأشْمَطُ ، ثُمَّ مَنْ هَؤُلاءِ البِيضُ وُجُوهُهُمْ ، وَمَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَا هَذِهِ الأنهَارُ الَّتِي دَخَلُوا ، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أوّل من شمط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه : فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فتابوا ، فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار : فأولها رحمة الله ، وثانيها : نعمة الله ، والثالث : سقاهم ربهم شرابا طهورا ؛ قال : ثم انتهى إلى السِّدرة ، فقيل له : هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك ، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذّة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفًّى ، وهي شجرة يسير الراكب في ظلّها سبعين عاما لا يقطعها ، والورقة منها مغطية للأمة كلها ، قال : فغشيها نور الخلاّق عزّ وجلّ ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة ، قال : فكلمه عند ذلك ، فقال له : سل ، فقال : اتخذتَ إبراهيم خليلا ، وأعطيته مُلكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما ، وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكا عظيما ، وسخرت له الجنّ والإنس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل ، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله ، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل . فقال له ربه : قد اتخذتك حبيبا وخليلا ، وهو مكتوب في التوراة : حبيب الله ؛ وأرسلتك إلى الناس كافّة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأوّلون والآخرون ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة ، حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أوّل النَّبيين خلْقا ، وآخرهم بعْثا ، وأوّلهم يُقْضَى له ، وأعطيتك سبعا من المثاني ، لم يُعطها نبيّ قبلك ، وأعطيتك الكوثر ، وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة ، والجهاد ، والصدقة ، والصلاة ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجعلتك فاتحا وخاتما ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فَضَّلَنِي رَبِّي بِسِتّ : أعْطَانِي فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ ، وَجَوَامِعَ الحَدِيثِ ، وأرْسَلَنِي إلى النَّاسِ كافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِ عَدُوِّي الرُّعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي ، وَجُعِلَتْ لِي الأرْضُ كُلُّها طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، قال : وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً ؛ فلما رجع

إلى موسى ، قال : بم أُمرت يامحمد، قال : بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، فقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، ثم رجع إلى موسى ، فقال : بكم أُمرت ؟ قال : بأربعين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيتُ من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه ، فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أُمرت ؟ قال : أُمِرْتُ بثلاثين ، فقال له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشرين ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بعشر ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بنى إسرائيل شدة ، قال : فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف ، فوضع عنه خمسا ، فرجع إلى موسى ، فقال : بكم أمرت ؟ قال : بخمس ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيتُ من بنى إسرائيل شدة ، قال : قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبّى حتى اسْتَحْيَيْتُ فمَا أنا رَاجِعٌ إليَيْهِ ، فقيل له : أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة ، فإن كلّ حسنة بعشر أمثالها ، قال : فرضى محمد صلى الله عليه وسلم كلّ الرضا » فكان موسى أشدهم عليه حين مرّ به ، وخيرهم له حين رجع إليه .

حدثنى محمد بن عبيد الله ، قال : أخبرنا أبوالنضر هاشم بن القاسم ، قال : ثنا أبوجعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية أو غيره « شكّ أبو جعفر » ، عن أبى هريرة فى قوله (سُبْحانَ الَّذِى أسْرَى بِعَبْدِهِ) . . . إلى قوله (إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) قال : جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث علىّ بن سهل ، عن حجاج ، إلا أنه قال : جاء جبرئيل ومعه ميكائيل ، وقال فيه : وإذا بقوم يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ، وقال فى كل موضع قال علىّ ما هؤلاء ، من هؤلاء ياجبرئيل ، وقال فى موضع تقرض ألسنتهم تقص ألسنتهم ، وقال أيضا فى موضع قال علىّ فيه : ونعم الخليفة . قال فى ذكر الخمر ، فقال : لا أريده قد رويت ، قال : جبرئيل : قد أصبت الفطرة يامحمد ، إنها ستحرم على أمتك ، وقال فى سدرة المنتهى أيضا : هذه السدرة المنتهى ، إليها ينتهى كلّ أحد خلا على سبيلك من أمتك ؛ وقال أيضا فى الورقة منها تظلّ الخلق كلهم ، تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة ، من حُبّ الله عزّ وجلّ وسائر الحديث مثل حديث علىّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبى هارون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرى ؛ وحدثنى الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : ثنا معمر ، قال : أخبرنا أبوهارون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرى ، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى ، فى قوله (سُبْحانَ الَّذِى

أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأقْصَى) قال : ثنا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ليلة أُسرى به فقال نبيّ الله : « أُتيتُ بِدَابَّةٍ هِيَ أشْبَهُ الدَّوَابِّ بالبَغْلِ ، لَهُ أُذُنانِ مُضْطَرِبَتانِ وَهُوَ البُرَاقُ ، وَهُوَ الَّذِي كانَ تَرْكَبُهُ الأنْبياءُ قَبْلِي ، فَرَكِبْتُهُ ، فانْطَلَقَ بِي يَضَعُ يَدَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ ، فَسَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَمِينِي : يا مُحَمَّدُ عَلَى رِسْلِكَ أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ سَمِعْتُ نِداءً عَنْ شِمالي : يا مُحَمَّدُ عَلَى رِسْلِكَ أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأةٌ فِي الطَّرِيقِ ، فَرَأيْتُ عَلَيْها مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيا رَافِعَةً يَدَها ، تَقُولُ : يا مُحَمَّدُ على رِسْلِكَ أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْها ، ثُمَّ أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ ، أوْ قالَ المَسْجِدَ الأقْصَى ، فَنَزَلْتُ عَنِ الدَّابَّةِ فَأوْثَقْتُها بالحَلْقَةِ الَّتِي كانَتِ الأنْبِياءُ تُوثِقُ بِها ، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، فقالَ لِي جَبْرَئِيلُ : ماذَا رَأيْتَ فِي وَجْهِكَ ، فَقُلْتُ : سَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَمِينِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلَى رِسْلِكَ أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْهِ ، قالَ : ذَاكَ داعِي اليَهُودِ ، أمَا لَوْ أنَّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ ، قال : ثُمَّ سَمِعْتُ نِداءً عَنْ يَسارِي أنْ يا مُحَمَّدُ عَلَى رِسْلِكَ أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرِّجْ عَلَيْهِ ، قال : ذَاكَ داعِي النَّصارَى ، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأةٌ عَلَيْها مِنْ كُلِّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيا رَافِعَةً يَدَها تَقُولُ عَلَى رِسْلِكَ ، أسألُكَ ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أُعَرِّجْ عَلَيْها ، قال : تِلْكَ الدُّنْيا تَزَيَّنَتْ لَكَ ، أمَا إنَّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْها لاخْتارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيا على الآخِرَةِ ، ثُمَّ أُتِيتُ بإناءَيْنِ أحَدُهُما فِيهِ لَبَنٌ ، والآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ ، فَقِيلَ لِي : اشْرَبْ أيَّهُما شِئْتَ ، فَأخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ ، قال : أصَبْتَ الفِطْرَةَ أوْ قالَ : أخَذْتَ الفِطْرَةَ » .

قال معمر : وأخبرني الزهري ، عن ابن المسيب أنه قيل له : أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك .

قال أبو هارون في حديث أبي سعيد : « ثُمَّ جِيءَ بالمِعْرَاجِ الَّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فإذَا هُوَ أحْسَنُ مارأيْتُ أَلَمْ تَرَ إلى المَيِّتِ كَيْفَ يُحِدُّ بَصَرَهُ إلَيْهِ فَعُرِجَ بِنا فِيهِ حتى انْتَهَيْنا إلى بابِ السَّماءِ الدُّنْيا ، فاسْتَفْتَحَ جَبْرَئِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قالَ جَبْرَئِيلُ ؟ قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : أوَ قَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ ؟ قال : نَعَمْ ، فَفَتَحُوا وَسَلَّمُوا عَلَيَّ وَإذَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ يَحْرُسُ السَّماءَ يُقالُ لَهُ إسْماعِيلُ ، مَعَهُ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِئَةُ ألْفٍ ، ثم قرأ (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ) وَإذَا أنا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ ، فإذَا هُوَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أرْوَاحُ ذُرِّيَّتِهِ ، فإذَا كانَتْ رُوحَ مُؤْمِنٍ ، قالَ : رُوحٌ طَيِّبَةٌ ، وَرِيحٌ طَيِّبَةٌ ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي عِلِّيِّينَ ؛ وَإذَا كانَ رُوحَ كافِرٍ قالَ : رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي سِجِّيلٍ ، فَقُلْتُ : يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قال : أبُوكَ آدَمُ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَدَعا لِي بِخَيْرٍ وَقال : مَرْحَبًا بالنَّبِيِّ

الصَّالِحِ والوَلَدِ الصَّالِحِ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ مَشَافِرُ كَمَشَافِرِ الإبِلِ ، وقَدْ وُكِّلَ بِهِمْ مَنْ يَأْخُذُ بِمَشَافِرِهِمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُ فِى أفْوَاهِهِمْ صَخْرًا مِنْ نارٍ يَخْرُجُ مِنْ أسافِلِهِمْ ، قُلْتُ : ياجِبْرِئِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ ؟ قال : هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أمْوَالَ اليَتامَى ظُلْمًا ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ يُحْذَى مِنْ جُلُودِهِمْ ويُرَدُّ فِى أفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ يُقالُ : كُلُوا كَمَا أكَلْتُمْ ، فإذَا أكْرَهُ ما خَلَقَ اللهُ لَهُمْ ذلكَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِئِيلُ ؟ قال : هَؤُلاءِ الهَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ الذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، ويَقَعُونَ فِى أعْرَاضِهِمْ بالسَّبِّ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ عَلَى مائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوِىٌّ كأحْسَنِ ما رأيْتُ مِنَ اللَّحْمِ ، وإذَا حَوْلَهُمْ جِيَفٌ ، فَجَعَلُوا يَمِيلُونَ عَلَى الجِيَفِ يَأكُلُونَ مِنْها ويَدَعُونَ ذلكَ اللَّحْمَ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ ياجِبْرَئِيلُ ؟ قالَ : هَؤُلاءِ الزُّنَاةُ عَمَدُوا إلى ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، وتَرَكُوا ما أحَلَّ اللهُ لَهُمْ ، ثُمَّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ بُطُونٌ كأنَّها البُيُوتُ وَهِىَ عَلى سابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ ، فإذَا مَرَّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثارُوا ، فَيَمِيلُ بأحَدِهِمْ بَطْنُهُ فَيَقَعُ ، فَيَتَوَطَّئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بأرْجُلِهِمْ ، وَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلى النارِ غُدُوًّا وعَشِيًّا ؛ قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ ياجِبْرَئِيلُ ؟ قالَ : هَؤُلاءِ أكَلَةُ الرِّبا ، رِبا فِى بُطُونِهِمْ ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ ؛ ثُمَّ نَظَرْتُ ، فإذَا أنا بِنِساءٍ مُعَلَّقاتٍ بِثُدُيِّهِنَّ ، ونِساءٌ مُنَكَّساتٌ بأرْجُلِهِنَّ ، قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرَئِيلُ ؟ قالَ : هُنَّ اللاتِى يَزْنِينَ ويَقْتُلْنَ أوْلادَهُنَّ قالَ : ثُمَّ صَعِدْنا إلى السَّماءِ الثَّانِيَةِ ، فإذَا أنا بِيُوسُفَ وحَوْلَهُ تَبَعٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، ووَجْهُهُ كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، فَسَلَّمَ عَلَىَّ ورَحَّبَ بِى ، ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الثَّالِثَةِ ، فإذا أنا بابْنَى الخالَةِ يَحْيَى وعِيسَى ، يُشْبِهُ أحَدُهُما صاحِبَهُ ، ثِيابُهُما وشَعْرُهُما ، فَسَلَّما عَلَىَّ ، ورَحَّبا بِى ، ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الرَّابِعَةِ ، فإذا أنا بإدْرِيسَ ، فَسَلَّمَ عَلَىَّ ورَحَّبَ وقَدْ قالَ اللهُ (وَرَفَعْناه مَكانا عَلِيًّا) ؛ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ الخامِسَةِ ، فإذَا أنا بِهارُونَ المُحَبَّبِ فِى قَوْمِهِ ، حَوْلَهُ تَبَعٌ كَثِيرٌ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَصَفَهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : طَوِيلُ اللِّحْيَةِ تَكادُ لِحْيَتُهُ تَمَسُّ سُرَّتَهُ ، فَسَلَّمَ عَلَىَّ ورَحَّبَ ؛ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ السَّادِسَةِ فإذَا أنا بِمُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ ، فَوَصَفَهُ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ : كَثِيرُ الشَّعْرِ لَوْ كانَ عَلَيْهِ قَمِيصانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُما ؛ قالَ مُوسَى : تَزْعُمُ النَّاسُ أنِّى أكْرَمُ الخَلْقِ عَلَى اللهِ ، فَهَذَا أكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنِّى ، ولَوْ كانَ وَحْدَهُ لَمْ أكُنْ أُبالِى ، ولَكِنْ كُلُّ نَبِىٍّ ومَنْ تَبِعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ ؛ ثُمَّ مَضَيْنا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ ، فإذَا أنا بإبْرَاهِيمَ وهُوَ جالِسٌ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ إلى البَيْتِ المَعْمُورِ فَسَلَّمَ عَلَىَّ وقالَ : مَرْحَبا بالنَّبِىِّ الصَّالِحِ والوَلَدِ الصَّالِحِ ، فَقِيلَ : هذَا مَكانُكَ ومَكانُ أُمَّتِكَ ، ثُمَّ تَلا (إنَّ أوْلَى النَّاسِ بإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهَذَا النَّبِىُّ والَّذِينَ آمَنُوا ، واللهُ وَلِىُّ المُؤْمِنِينَ) ثُمَّ دَخَلْتُ البَيْتَ المَعْمُورَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ ، وإذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ

أَلْفَ مَلَكٍ لايَعُودُونَ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ؛ ثُمَّ نَظَرْتُ فإذا أنا بِشَجَرَةٍ إنْ كانَتِ الوَرَقَةُ مِنْها لَمُغَطِّيَةٌ هذهِ الأُمَّةَ ، فإذا في أصْلِها عَيْنٌ تَجْري قَدْ تَشَعَّبَتْ شُعْبَتَيْنِ ، فَقُلْتُ : ما هذا يا جِبْرِئيلُ ؟ قال : أمَّا هذا : فَهُوَ نَهْرُ الرَّحْمَةِ ، وأمَّا هذا : فَهُوَ الكَوْثَرُ الذي أعْطاكَهُ اللهُ ، فاغْتَسَلْتُ في نَهْرِ الرَّحْمَةِ فَغُفِرَ لي ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَما تأخَّرَ ، ثُمَّ أخَذْتُ عَلى الكَوْثَرِ حتى دَخَلْتُ الجَنَّةَ ، فاذا فيها ما لاعَيْنٌ رأتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَإذا فيها رُمَّانٌ كأنَّهُ جُلُودُ الإبِلِ المُقَتَّبَةُ ، وإذا فيها طَيْرٌ كأنَّها البُخْتُ ، فقالَ أبُو بَكْرٍ : إنَّ تِلكَ الطَّيْرَ لَناعِمَةٌ ، قالَ : أكَلَتُها أنْعَمُ مِنْها يا أبا بَكْرٍ ، وإنّي لأرْجُو أنْ تأكُلَ مِنْها ، ورأيْتُ فيها جارِيَةً ، فَسألْتُها : لِمَنْ أنْتِ ؟ فَقالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حارِثَةَ ، فَبَشَّرَ بِها رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلَّمَ زَيْدًا ؛ قالَ : ثُمَّ إنَّ اللهَ أمَرَني بأمْرِهِ ، وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً ، فَمَرَرْتُ عَلى مُوسَى ، فقالَ : بِمَ أمَرَكَ رَبُّكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً ، قالَ : ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَأسألْهُ التَّخْفِيفَ ، فإنَّ أُمَّتَكَ لَنْ يَقُومُوا بِهذا ، فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي فَسألْتُهُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى مُوسَى ، فَلَمْ أزَلْ أرْجِعُ إلى رَبِّي إذا مَرَرْتُ بِمُوسَى حتى فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ، فَقالَ مُوسَى : ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسألْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حتى اسْتَحْيَيْتُ ، أوْ قالَ : قُلْتُ : ما أنا بِراجِعٍ ، فَقِيلَ لي : إنَّ لَكَ بِهذهِ الخَمْسِ صَلَوَاتٍ خَمْسِينَ صَلاةً ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمْثالِها ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، وَمَنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَم يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فانْ عَمِلَها كُتِبَتْ وَاحِدَةً » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني روح بن القاسم ، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : وثني أبوجعفر ، عن أبي هارون ، عن أبي سعيد ، قال : سمعت النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول : « لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كانَ في بَيْتِ المَقْدِسِ ، أُتِيَ بالمِعْراجِ ، وَلَمْ أرَ شَيْئًا قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إلَيْهِ مَيِّتُكُمْ عَيْنَيْهِ إذا حَضَرَ ، فأصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ حتى انْتَهَى إلى بابٍ مِنَ الأبْوَابِ يُقالُ لَهُ بابُ الحَفَظَةِ ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقالُ لَهُ إسْماعِيلُ ، تَحْتَ يَدَيْهِ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ ، تَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدّث هذا الحديث (ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ) ثم ذكر نحو حديث معمر ، عن أبي هارون إلا أنه قال : في حديثه قال : ثُمَّ دَخَلَ بِيَ الجَنَّةَ فَرَأيْتُ فيها جارِيَةً ، فَسألْتُها لِمَنْ أنْتِ ؟ وَقَدْ أعْجَبَتْنِي حِينَ رأيْتُها ، فَقالَتْ : لِزَيْدِ بْنِ حارِثَةَ ، فبشّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، ثم انتهى حديث ابن حميد عن سلمة إلى ههنا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن

المسيب ، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أُسرى به إبراهيمَ وموسى وعيسى فقال : أمَّا إبْرَاهِيمُ فَلَمْ أرَ رَجُلاً أشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ . وأمَّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمُ طِوَالٌ جَعْدٌ أقْنَى ، كأنَّه مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ . وأمَّا عيسَى فَرجُلٌ أحْمَرُ بينَ القَصِيرِ والطَّوِيلِ سَبِطُ الشَّعْرِ كَثيرُ خيلانِ الوَجْهِ ، كأنَّه خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ ماءً ، وَما بِهِ ماءٌ ، أشْبَهُ مِنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ولم يقل عن أبي هريرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أُتِي بالبراق ليلة أُسرى به مسرجا ملجما ليركبه ، فاستصعب عليه ، فقال له جبرئيل : ما يحملك على هذا ، فوالله ماركبك أحد قطّ أكرم على الله منه ، قال : فارفض عرقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، في قوله (سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ) أسرى بنبيّ الله عشاء من مكة إلى بيت المقدس، فصلى نبيّ الله فيه، فأراه الله من آياته وأمره بما شاء ليلة أسرى به، ثم أصبح بمكة . ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : حُمِلْتُ عَلى دابَّةٍ يُقالُ لَهَا البُرَاقُ ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فحدث نبيّ الله بذلك أهل مكة ، فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا : يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ، وأقبلت من ليلتك ، ثم أصبحت عندنا بمكة ، فما كنت تجيئنا به ، وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا ، فصدقه أبو بكر ، فسمّي أبو بكر الصدّيق من أجل ذلك .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شدّاد ، قال : لما كان ليلة أُسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بدابة يقال لها البراق ، دون البغل وفوق الحمار ، تضع حافرها عند منتهى ظفرها ؛ فلما أتى بيت المقدس أُتِي باناءين : إناء من لبن ، وإناء من خمر ، فشرب اللبن ، قال : فقال له جبرئيل : هديت وهديت أمتك .

وقال آخرون ممن قال : أسرى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أسرى به عليه السلام ، غير أنه لم يدخل بيت المقدس ، ولم يصلّ فيه ، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني عاصم بن بهدلة عن زرّ بن حبيش، عن حُذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية (سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى) قال : لم يصلّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه ، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : سمعت أبا بكر بن عياش، ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسرى بالنبيّ

صلى الله عليه وسلم ، فقال له : لاتجيء بمثل عاصم ولا زر ؛ قال : قال حذيفة لزرّ بن حبيش ؛ قال : وكان زر رجلا شريفا من أشراف العرب ، قال : قرأ حذيفة (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وكذا قرأ عبد الله ، قال : وهذا كما يقولون : إنه دخل المسجد فصلى فيه ، ثم دخل فربط دابته ، قال : قلت : والله قد دخله ،قال : من أنت فإنى أعرف وجهك ولا أدرى ما اسمك، قال : قلت : زر بن حبيش ، قال : ماعملك هذا ؟ قال : قلت : من قبل القرآن ، قال : من أخذ بالقرآن أفلح ، قال : فقلت (سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ) قال : فنظر إلىّ فقال : يا أصلع ، هل ترى دخله ؟ قال : قلت : لا والله ، قال حذيفة : أجل والله الذى لاإله إلا هو ما دخله ، ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه ،لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار ، وماأعدّ الله فى الآخرة أجمع ؛ وقال : تدرى ما البراق ؟ قال : دابة دون البغل وفوق الحمار ، خطوه مدّ البصر .

وقال آخرون : بل أسرى بروحه ، ولم يسر بجسده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبى سفيان ، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت رؤيا من الله صادقة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد ، قال : ثنى بعض آل أبى بكر ، أن عائشة كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال ابن إسحاق : فلم ينكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت (وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) ولقول الله فى الخبر عن إبراهيم ، إذ قال لابنه يابنىّ (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ماذا تَرَى) ثم مضى على ذلك ، فعرفت أن الوحى يأتى بالأنبياء من الله أيقاظا ونياما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَنامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظانُ » فالله أعلم أىّ ذلك كان قد جاءه وعاين فيه من أمر الله ما عاين على أىّ حالاته كان نائما أو يقظانا كلّ ذلك حقّ وصدق .

۞ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما أخبر الله عباده ، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الله حمله على البراق حين أتاه به ، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل ، فأراه ما أراه من الآيات ؛ ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده ، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا على نبوّته ، ولا حجة له على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من

أهل الشرك ، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكرا عندهم ، ولا عند أحد من ذوى الفطرة الصحيحة من بنى آدم أن يرى الرائى منهم فى المنام ما على مسيرة سنة ، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل ؟ وبعد ، فإن الله إنما أخبر فى كتابه أنه أسرى بعبده ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، وليس جائزا لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره . فان ظنّ ظانّ أن ذلك جائز ، إذ كانت العرب تفعل ذلك فى كلامها ، كما قال قائلهم :

حَسِبْتُ بُغامَ راحِلَتِى عَنَاقا وَما هِىَ وَيْبَ غيرِكِ بالْعَنَاقِ

يعنى : حسبت بغام راحلتى صوت عناق ، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق ، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام . فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلّم إلا ببيانه ، فإنها لا تحذف ذلك ، ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) أسرى بروح عبده ، بل الأدلة الواضحة ، والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق ، إذ كانت الدوابّ لا تحمل الا الأجسام . إلا أن يقول قائل : إن معنى قولنا : أسرى بروحه : رأى فى المنام أنه أسرى بجسده على البراق ، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التى رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن جبرئيل حمله على البراق ، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول ، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدوابّ ، ولم يحمل على البراق جسم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لم يكن النبىّ صلى الله عليه وسلم على قوله حُمل على البراق لا جسمه ، ولا شىء منه ، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين ، وذلك دفع لظاهر التنزيل ، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين .

وقوله (الَّذِى بَارَكْنا حَوْلَهُ) يقول تعالى ذكره : الذى جعلنا حوله البركة لسكانه فى معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم . وقوله (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) يقول تعالى ذكره : كى نرى عبدنا محمدا من آياتنا ، يقول : من عبرنا وأدلتنا وحججنا ، وذلك هو ما قد ذكرت فى الأخبار التى رويتها آنفا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه فى طريقه إلى بيت المقدس ، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا) ما أراه الله من الآيات والعبر فى طريق بيت المقدس .

وقوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : إن الذى أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة فى مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ، ولغير ذلك من

(١) البيت تقدم الاستشهاد به فى (٤ : ٩٢) من هذا التفسير . واستشهد به الفراء (فى معانى القرآن ١٧٩) ولكنه لم يبين موضع الشاهد فيه كما بينه المؤلف هنا ، وهو أن العرب قد تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه ، كما فى البيت ، إذ أنه يريد : حسبت بغام راحلتى صوت عناق .

قولهم وقول غيرهم. البصير بما يعملون من الأعمال ، لايخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه ، بل هو محيط بجميعه عالما ؛ ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد ، ليجزى جميعهم بما هم أهله .

وكان بعض البصريين يقول : كسرت « إن » من قوله (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) لأن معنى الكلام قل يا محمد : سبحان الذى أسرى بعبده ، وقل : إنه هو السميع البصير .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾

يقول تعالى ذكره : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى (وآتينا) وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب فى نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب ، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه . وعنى بالكتاب الذى أوتى موسى : التوراة (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول: وجعلنا الكتاب الذى هو التوراة بيانا للحقّ ، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه .

وقوله (أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (أَلاَّ تَتَّخِذُوا) بالتاء بمعنى : وآتينا موسى الكتاب بأن لاتتخذوا يا بنى إسرائيل (مِنْ دُونِي وَكِيلاً) . وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة (أَلاَّ يَتَّخِذُوا) بالياء على الخبر عن بنى إسرائيل، بمعنى : وجعلناه هدى لبنى إسرائيل، ألايتّخذ بنو إسرائيل من دونى وكيلا، وهما قراءتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين ؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أنى أوثر القراءة بالتاء، لأنها أشهر فى القراءة وأشدّ استفاضة فيهم من القراءة بالياء . ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ألاتتخذوا حفيظا لكم سواى . وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى . وكان مجاهد يقول : معناه فى هذا الموضع : الشريك.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَلاَّ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً) قال: شريكا. وكأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه شريكا منه له ، ووكيلا للذى أقامه مقام الله .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل هذه الآية ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَآتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) جعله الله لهم هدى ؛ يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وجعله رحمة لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى ذكره : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وآتينا

موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل ذريّة من حملنا مع نوح . وعنى بالذرية : جميع من احتجّ عليه جلّ ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بنى إسرائيل وغيرهم، وذلك أنّ كلّ من على الأرض من بنى آدم ، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح فى السفينة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ) والناس كلهم ذرّية من أنجى الله فى تلك السفينة ؛ وذُكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة ، وهم : سام ، وحام ، ويافث ؛ فأما سام : فأبو العرب ؛ وأما حام : فأبو الحبش[1] ؛ وأما يافث : فأبو الروم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ) قال : بنوه ثلاثة ونساؤهم ، ونوح وامرأته .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال مجاهد : بنوه ونساؤهم ونوح ، ولم تكن امرأته .

وقد بيّنا فى غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وقوله (إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً) يعنى بقوله تعالى ذكره : « إنه » إن نوحا ، والهاء من ذكر نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى سماه الله من أجله شكورا ، فقال بعضهم : سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدى ، قالا : ثنا سفيان ، عن التيمى ، عن أبى عثمان ، عن سلمان ، قال : كان نوح إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله ، فسمّى عبدا شكورا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن أبى حصين ، عن عبد الله بن سنان ، عن سعيد بن مسعود قال : ما لبس نوح جديدا قطّ ، ولا أكل طعاما قطّ إلا حمد الله فلذلك قال الله (عَبْداً شَكُوراً) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنى سفيان الثورى ، قال : ثنى أيوب ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان ، قال : إنما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان إذا لبس ثوبا حمد الله ، وإذا أكل طعاما حمد الله .

(١) الحبش : ليسوا حاميين ، وإنما هم فرع من الساميين جنسا ولغة . وأولاد حام هم الزنوج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) من بنى إسرائيل وغيرهم (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) قال : إنه لم يجدّد ثوبا قطّ إلا حمد الله ، ولم يبل ثوبا قطّ إلا حمد الله ، وإذا شرب شربة حمد الله ، قال : الحمد لله الذى سقانيها على شهوة ولذّة وصحة ، وليس فى تفسيرها ، وإذا شرب شربة قال هذا ، ولكن بلغنى ذا .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو فضالة ، عن النضر بن شفى ، عن عمران بن سليم : قال : إنما سمّى نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال : الحمد لله الذى أطعمنى ، ولو شاء أجاعنى وإذا شرب قال : الحمد لله الذى سقانى ، ولو شاء أظمأنى ، وإذا لبس ثوبا قال : الحمد لله الذى كسانى ، ولوشاء أعرانى ، وإذا لبس نعلا قال : الحمد لله الذى حذانى ، ولو شاء أحفانى ، وإذا قضى حاجة قال : الحمد لله الذى أخرج عنى أذاه ، ولوشاء حبسه .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى عبد الجبار بن عمر أن ابن أبى مريم حدّثه ، قال : إنما سمى الله نوحا عبدا شكورا ، أنه كان إذا خرج البراز منه قال : الحمد لله الذى سوّغنيك طيبا ، وأخرج عنى أذاك ، وأبقى منفعتك .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله لنوح (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قطّ إلا حمد الله ، وكان يأمر إذا استجدّ الرجل ثوبا أن يقول : الحمد لله الذى كسانى ما أتجمّل به ، وأوارى به عورتى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) قال : كان إذا لبس ثوبا قال : الحمد لله ، وإذا أخلقه قال : الحمد لله .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾

❁ وقد بيّنا فيما مضى قبل أن معنى القضاء : الفراغ من الشىء ، ثم يستعمل فى كلّ مفروغ منه . فتأويل الكلام فى هذا الموضع : وفرغ ربك إلى بنى إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم ، وإخباره لهم (لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) يقول : لتعصنّ الله يا معشر بنى إسرائيل ولتخالفنّ أمره فى بلاده مرّتين (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) يقول : ولتستكبرنّ على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: أعلمناهم.

حدثني عليّ بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) يقول: أعلمناهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بني إسرائيل في أمّ الكتاب، وسابق علمه.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قال: هو قضاء قضى عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) قضاء قضاه على القوم كما تسمعون.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخبرنا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) قال: أخبرنا بني إسرائيل.

وكلّ هذه الأقوال تعود معانيها إلى ماقلت في معنى قوله (وَقَضَيْنَا) وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لإجماع القرّاء على قراءة قوله (لَتُفْسِدُنَّ) بالتاء دون الياء، ولو كان معنى الكلام: وقضينا عليهم في الكتاب، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم، وقلنا لهم: كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة.

وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرّة الأولى ما حدثني به هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي صالح، وعن أبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) فكان أوّل الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يُدعى صحابين[1]، فبعث الجنود، وكانت أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيما مسكينا، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدوّنا ما قُذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، واشتدّ القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) ثم إن بني إسرائيل تجهزّوا، فغزوا النبط، فأصابوا

(١) في تاريخ الطبري (ج ٢ قسم أول ص ٦٥٧ طبعة أوربة): صيحانين، وفي بعض النسخ في هامشه: صحائين، وصيحابين، وسنحاريب، وفي ٦٥٦ منه: صيحون، وفي رواية بهامشه عدة صور للتكلة.

منهم واستنقذوا ما فى أيديهم ، فذلك قول الله (ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وأَمْدَدْناكُمْ بأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) يقول : عددا .

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد : كان إفسادهم الذى يفسدون فى الأرض مرتين : قتل زكريا ويحيى بن زكريا : سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس، من قتل زكريا ، وسلّط عليهم بختنصر من قتل يحيى .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثورى ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربعى بن حراش ، قال : سمعت حُذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ لَمَّا اعتَدَوْا وَعَلَوْا ، وَقَتَلُوا الأنْبِياءَ ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَلِكَ فارِسَ بُخْتَنَصَّر ، وكانَ اللهُ مَلَّكَهُ سَبْعَ مِئَةِ سَنَة ، فَسارَ إلَيْهِمْ حتى دَخَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ فَحاصَرَها وَفَتَحَها ، وَقَتَلَ عَلَى دَمِ زَكَرِيَّا سَبْعِينَ ألْفا ، ثُمَّ سَبَى أهْلَها وبَنِي الأنْبِياءِ ، وَسَلَبَ حُلِيَّ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهاسَبْعِينَ ألْفا وَمِئَةَ ألْفِ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيٍّ حتى أوْرَدَهُ بابِلَ » ، قال حُذيفة : فقلت : يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله ؟ قال : أجَلْ بَناهُ سُلَيْمانُ بْنُ داوُدَ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَياقُوت وَزَبَرْجَد ، وكانَ بَلاطُهُ بَلاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وبَلاطَةً مِنْ فِضَّةٍ ، وعُمُدُهُ ذَهَبا ، أعْطاهُ اللهُ ذلكَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الشَّياطِينَ يَأْتُونَهُ بِهذِهِ الأشْياءِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، فَسارَ بُخْتَنَصَّر بِهذِهِ الأشْياءِ حتى نَزَلَ بِها بابِلَ ، فَأقامَ بَنُو إسْرَائِيلَ فِي يَدَيْهِ مِئَةَ سَنَةٍ تُعَذِّبُهُمُ المَجُوسُ وأبْناءُ المَجُوسِ ، فِيهِمُ الأنْبِياءُ وأبْناءُ الأنْبِياءِ ، ثُمَّ إنَّ اللهَ رَحِمَهُمْ ، فأوْحَى إلى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فارِسَ يُقالُ لَهُ كُورَسُ ، وكانَ مُؤْمِنا ، أنْ سِرْ إلى بَقايا بَنِي إسْرَائِيلَ حتى تَسْتَنْقِذَهُمْ ، فَسارَ كُورَسُ بِبَنِي إسْرَائِيل وحُلِيِّ بَيْتِ المَقْدِسِ حتى رَدَّهُ إلَيْهِ ، فَأقامَ بَنُو إسْرَائِيلَ مُطِيعِينَ لله مِئَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ إنَّهُمْ عادُوا فى المَعاصِي ، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ابْطِيانْحُوس[1]، فَغَزَا بِأَبْناءِ مَنْ غَزَا مَعَ بُخْتَنَصَّر ، فَغَزَا بَنِي إسْرَائِيلَ حتى أتاهُمْ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَسَبَى أهْلَها ، وأحْرَقَ بَيْتَ المَقْدِسِ ، وَقالَ لَهُمْ : يا بَنِي إسْرَائِيلَ إنْ عُدْتُمْ فِي المَعاصِي عُدْنا عَلَيْكُمْ بالسِّباءِ ، فَعادُوا فِي المَعاصِي ، فَسَيَّرَ اللهُ عَلَيْهِمُ السِّباءَ الثَّالِثَ مَلِكَ رُومِيَّةَ ، يُقالُ لَهُ قاقِسُ بْنُ إسْبايُوس ، فَغَزَاهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ، فَسَباهُمْ وَسَبَى حُلِيَّ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وأحْرَقَ بَيْتَ المَقْدِسِ بالنِّيرانِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذَا مِنْ صَنْعَةِ حُلِيِّ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَيَرُدُّهُ المَهْدِيُّ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَهُوَ ألْفُ سَفِينَةٍ وَسَبْعُ مِئَةِ سَفِينَةٍ ، يُرْسَى بِها عَلَى يافا حتى تُنْقَلَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وبِها يَجْمَعُ اللهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : كان مما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى إسرائيل ، وفى أحداثهم ما هم فاعلون بعده ، فقال (وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ

(١) فى الدر المنثور للسيوطى : (٤ : ١٦٥) : أبطنانحوس .

لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) . . . إلى قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) فكانت بنو إسرائيل ، وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله فى ذلك متجاوزا عنهم ، متعطفا عليهم محسنا إليهم ، فكان مما أُنزل بهم فى ذنوبهم ماكان قدّم إليهم فى الخبر على لسان موسى مما أنزل بهم فى ذنوبهم . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ، أن ملكا منهم كان يُدعى صديقة ، وكان الله إذا ملّك الملِك عليهم ، بعث نبيا يسدّده ويرشده ، ويكون فيما بينه وبين الله ، ويحدث إليه فى أمرهم ، لاينزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التى فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ماتركوا من الطاعة ؛ فلما ملك ذلك الملك ، بعث الله معه شعياء بن أمُصيا (١) ، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء الذى بشّر بعيسى ومحمد ، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانا ؛ فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث ، وشعياء معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ، ومعه ستّ مئة ألف راية ، فأقبل سائرا حتى نزل نحو بيت المقدس ، والملك مريض فى ساقه قرحة ، فجاء النبىّ شعياء ، فقال له : يا ملك بنى إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده ستّ مئة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرّقوا منهم ، فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبىّ الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث ، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده ، فقال له النبىّ عليه السلام : لم يأتنى وحى أحدث إلىّ فى شأنك ، فبيناهم على ذلك ، أوحى الله إلى شعياء النبىّ : أن ائت ملك بنى إسرائيل ، فمره أن يوصى وصيته ، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته ، فأتى النبىّ شعياء ملك بنى إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلىّ أن آمرك أن توصى وصيتك ، وتستخلف من شئت على مُلكك من أهل بيتك ، فإنك ميت ؛ فلما قال ذلك شعياء لصديقة ، أقبل على القبلة ، فصلى وسبح ودعا وبكى ، فقال وهو يبكى ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص وتوكل وصبر وصدق وظنّ صادق ، اللهم ربّ الأرباب ، وإله الآلهة ، قدّوس المتقدسين ، يا رحمن يا رحيم ، المترحم الرءوف الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، اذكرنى بعملى وفعلى وحُسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى ؛ سرّى وعلانيتى لك ، وإن الرحمن استجاب له وكان عبدا صالحا ، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده ، فأتى شعياء النبىّ إلى ذلك الملك فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجدا وقال : يا إلهى وإله آبائى ، لك سجدت وسبّحت وكرمت وعظمت ، أنت الذى تعطى المُلك من تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ من تشاء ، وتذلّ من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرّين ، أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرّعى ؛ فلما رفع رأسه ، أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ، ويصبح وقد برأ ، ففعل ذلك فشفى ، وقال الملك لشعياء النبىّ : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدوّنا هذا ، قال : فقال الله لشعياء النبىّ : قل له : إنى قد كفيتك عدوّك ، وأنجيتك منه ،

(١) اسمه فى الكتاب المقدس : إشعياء بن آموص . وانظر خبر النبى شعياء فى تاريخ الطبرى (٢ قسم أول ٦٣٨) طبعة أوربة .

وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه ؛ فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم ، فصرخ على باب المدينة : ياملك بنى إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوّك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا ؛ فلما خرج الملك التمس سنحاريب ، فلم يُوجد فى الموتى ، فبعث الملك فى طلبه ، فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة من كتابه ، أحدهم بختنصر ؛ فجعلوهم فى الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل ؛ فلما رآهم خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته ، ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنحاريب له : قد أتانى خبر ربكم ، ونصره إياكم ، ورحمته التى رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى ، فلم أطع مرشدا ، ولم يلقنى فى الشقوة إلا قلة عقلى ، ولو سمعت أو عقلت ماغزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت علىّ وعلى من معى ، فقال ملك بنى إسرائيل : الحمد لله ربّ العزّة الذى كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يُبقك ومن معك لكرامة بك عليه ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شرّ لك ، لتزدادوا شقوة فى الدنيا ، وعذابا فى الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا ، ولتنذروا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم ، فلدمُك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لوقتلته. ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أمير حرسه ، فقذف فى رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا ، وكان يرزقهم فى كلّ يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل القتل خير مما يفعل بنا ، فافعل ما أمرت ، فنقل بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعياء النبىّ أن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم ؛ فبلّغ النبىّ شعياء الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهّانه وسحرته : يا ملك بابل قد كنا نقصّ عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ، ووحى الله إلى نبيهم ، فلم تطعنا ، وهى أمّة لايستطيعها أحد مع ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا ، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما مات سنحاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جدّه يعمل بعمله ، ويقضى بقضائه ، فلبث سبع عشرة سنة ، ثم قبض الله ملك بنى إسرائيل صديقة ؛ فمرج أمر بنى إسرائيل وتنافسوا المُلك ، حتى قتل بعضهم بعضا عليه ، ونبيهم شعياء معهم لايذعنون إليه ، ولا يقبلون منه ؛ فلما فعلوا ذلك ، قال الله فيما بلغنا لشعيا : قم فى قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام النبىّ أنطق الله لسانه بالوحى فقال : يا سماء استمعى ، ويا أرض أنصتى ، فإن الله يريد أن يقصّ شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطفاهم لنفسه ، وخصّهم بكرامته ، وفضّلهم على عباده ، وفضلهم بالكرامة ، وهم كالغنم الضائعة التى لاراعى لها ، فآوى شاردتها ، وجمع ضالّتها ، وجبر كسيرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمينها ؛ فلما فعل ذلك بطرت ، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا ، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الأمة الخاطئة ، وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لايدرون أين جاءهم الحين ، إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار

ربما يذكر الآرىّ الذى شبع عليه فيراجعه ، وإن الثور ربما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه ، وإن هؤلاء القوم لايدرون من حيث جاءهم الحين ، وهم أولو الألباب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير ؛ وإنى ضارب لهم مثلا فليسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت خواء زمانا ، خربة مواتا لاعمران فيها ، وكان لها ربّ حكيم قوىّ ، فأقبل عليها بالعمارة ، وكره أن تخرب أرضه وهو قوىّ ، أو يقال ضيع وهو حكيم ، فأحاط عليها جدارا ، وشيّد فيها قصرا ، وأنبط فيها نهرا ، وصفّ فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب ، وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأى وهمّة ، حفيظا قويا أمينا ، وتأنى طلعها وانتظرها ؛ فلما أطلعت جاء طلعها خروبا ، قالوا : بئست الأرض هذه ، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها ، ويدفن نهرها ، ويقبض قيمها ، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرّة ، خربة مواتا لاعمران فيها ، قال الله لهم : فإن الجدار ذمتى ، وإن القصر شريعتى ، وإن النهر كتابى ، وإن القيّم نبيى ، وإن الغراس هم ، وإن الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة ، وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثَل ضربه الله لهم يتقرّبون إلىّ بذبح البقر والغنم ، وليس ينالنى اللحم ولا آكله ، ويدّعون أن يتقرّبوا بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفس التى حرمتها ، فأيديهم مخضوبة منها ، وثيابهم متزملة بدمائها ، يشيدون لى البيوت مساجد ، ويطهرون أجوافها ، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها ، ويزوّقون لى البيوت والمساجد ويزينونها ، ويخرّبون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها ، فأىّ حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وأىّ حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها ، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها ، ولتكون معلما لمن أراد أن يصلى فيها ، يقولون : لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر على أن يفقّه قلوبنا لأفقهها ، فاعمد إلى عودين يابسين ، ثم ائت بهما ناديهما فى أجمع ما يكونون ، فقل للعودين : إن الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا ، فلما قال لهما ذلك ، اختلطا فصارا واحدا ، فقال الله : قل لهم : إنى قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولّف بينها ، فكيف لاأقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت ، أم كيف لاأقدر على أن أفقّه قلوبهم ، وأنا الذى صوّرتها ؛ يقولون : صمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلّينا فلم تنوّر صلاتنا ، وتصدّقنا فلم تزكّ صدقاتنا ، ودعونا بمثل حنين الحمام ، وبكينا بمثل عواء الذئب ، فى كلّ ذلك لانسمع ، ولا يُستجاب لنا ؛ قال الله : فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ، ألست أسمع السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المجيبين ، وأرحم الراحمين ؟ ألأنّ ذات يدى قلت ، كيف ويداى مبسوطتان بالخير ، أنفق كيف أشاء ، ومفاتيح الخزائن عندى لايفتحها ولا يغلقها غيرى ، ألا وإن رحمتى وسعت كلّ شىء ، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها ، أو لأن البخل يعترينى ، أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات ، أجود من أعطى ، وأكرم من سئل ؛ لو أنّ هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى نوّرت فى قلوبهم فنبذوها ، واشتروا بها الدنيا ، إذن لأبصروا من حيث أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم ، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ، ويتقوّون عليه بطعمة الحرام ، وكيف أنوّر صلاتهم ، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنى ويحادّنى ، وينتهك محارمى ، أم كيف تزكو عندى

صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ، وإنما أوجر عليها أهلها المغصوبين ، أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد ، وإنما أستجيب للداعي اللين . وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين ، وإن من علامة رضاى رضا المساكين ، فلو رحموا المساكين ، وقربوا الضعفاء ، وأنصفوا المظلوم ، ونصروا المغصوب ، وعدلوا للغائب ، وأدوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين ، وكل ذى حق حقه ، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم ، وإذن لكنت نور أبصارهم ، وسمع آذانهم ، ومعقول قلوبهم ، وإذن لدعمت أركانهم ، فكنت قوة أيديهم وأرجلهم ، وإذن لثبت ألسنتهم وعقولهم ، يقولون لما سمعوا كلامي ، وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، وأن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين طلعوا ، وكلهم يستخفى بالذى يقول ويسر ، وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم مايبدون وما يكتمون ، وإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسى ، وجعلت دونه أجلا مؤجلا ، لابد أنه واقع ، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب ، فليخبروك متى أنفذه ، أو فى أى زمان يكون ، وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون ، فليأتوا بمثل القدرة التى بها أمضيت ، فإنى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين ، فإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة فى الأجراء ، وأن أحول الملك فى الرعاء ، والعز فى الأذلاء ، والقوة فى الضعفاء ، والغنى فى الفقراء ، والثروة فى الأقلاء ، والمدائن فى الفلوات ، والآجام فى المفاوز ، والبردى فى الغيطان ، والعلم فى الجهلة ، والحكم فى الأميين ، فسلهم متى هذا ، ومن القائم بهذا ، وعلى يد من أسنه ، ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فإنى باعث لذلك نبيا أميا ، ليس أعمى من عميان ، ولا ضالا من ضالين ، وليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا ، أسدده لكل جميل ، أهب له كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والعرف خلقه ؛ والعدل والمعروف سيرته ، والحق شريعته ، والهدى إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهر به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغنى به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به قلوبا مختلفة ، وأهواء مشتتة ، وأمما متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، توحيدا لى ، وإيمانا وإخلاصا بى ، يصلون لى قياما وقعودا ، وركوعا وسجودا ، يقاتلون فى سبيلى صفوفا وزحوفا ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ، ألهمهم التكبير والتوحيد ، والتسبيح والحمد والمدحة ، والتمجيد لى فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ، يكبرون ويهللون ، ويقدسون على رءوس الأسواق ، ويطهرون لى الوجوه والأطراف ، ويعقدون الثياب فى الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم صدورهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار ،

ذلك فضلى أوتيه من أشاء ، وأنا ذو الفضل العظيم . فلما فرغ نبيهم شعياء إليهم من مقالته ، عدوا عليه فيما بلغنى ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت فدخل فيها ، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها ، وقطعوه فى وسطها .

قال أبو جعفر : فعلى القول الذى ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدى ، وقول ابن زيد ، كان إفساد بنى إسرائيل فى الأرض المرّة الأولى قتلهم زكريا نبىّ الله، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصى الله ، وعتوّهم على ربهم . وأما على قول ابن إسحاق الذى روينا عنه، فكان إفسادهم المرّة الأولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبىّ الله . وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يُقتل ، وأن المقتول إنما هو شعياء ، وأن بختنصر هو الذى سُلِّط على بنى إسرائيل فى المرّة الأولى بعد قتلهم شعياء . حدثنا بذلك ابن حميد ، عن سلمة عنه .

وأما إفسادهم فى الأرض المرّة الآخرة ، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا . وقد اختلفوا فى الذى سلّطه الله عليهم منتقما به منهم عند ذلك ، وأنا ذاكر اختلافهم فى ذلك إن شاء الله .

وأما قوله (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) فقد ذكرنا قول من قال : يعنى به : استكبارهم على الله بالجراءة عليه ، وخلافهم أمره .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ماحدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا) قال : ولتعلنّ الناس علوّا كبيرا .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسين ، قال: ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) يعنى : فإذا جاء وعد أولى المرّتين اللتين يفسدون بهما فى الأرض . كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) قال : إذا جاء وعد أولى تينك المرّتين اللتين قضينا إلى بنى إسرائيل (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) .

وقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يعنى تعالى ذكره بقوله (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) وجّهنا إليكم ، وأرسلنا عليكم (عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول : ذوى بطش فى الحروب شديد . وقوله (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) يقول : فتردّدوا بين الدور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا ، يقال فيه : جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد ، وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، رُوى الخبر عن ابن عباس .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) قال : مشوا. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول : معنى جاسوا: قتلوا ، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان :

وَمِنَّا الَّذِى لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجَاسَ بِهِ الأَعْدَاءَ عُرْضَ العَسَاكِرِ(١)

وجائز أن يكون معناه : فجاسوا خلال الديار ، فقتلوهم ذاهبين وجائين ، فيصح التأويلان جميعا . ويعنى بقوله (وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً)وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لامحالة ، لأنه لايخلف الميعاد .

ثم اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله بقوله (أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) فيما كان من فعلهم فى المرّة الأولى فى بنى إسرائيل حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم فى المرّة الآخرة ، وما كان من صنعهم بهم ، فقال بعضهم : كان الذى بعث الله عليهم فى المرّة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله(فَإِذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً) قال : بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم ، وضرب عليهم الخراج والذلّ ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يُقاتلون فى سبيل الله ، فبعث الله طالوت ، فقاتلوا جالوت ، فنصر الله بنى إسرائيل ، وقُتل جالوت بيدى داود ، ورجع الله إلى بنى إسرائيل ملكهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد،عن قتادة، قوله (فإِذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً) قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون ، فبعث عليهم فى الأولى جالوت الجزرى ، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله ، ثم رجع القوم على دخن فيهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال :أما المرّة الأولى فسلّط الله عليهم جالوت ، حتى بعث طالوت ومعه داود ، فقتله داود .

وقال آخرون : بل بعث عليهم فى المرّة الأولى سنحاريب ، وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى ونذكرماحضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، يقول فى قوله (بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : بعث الله تبارك وتعالى عليهم فى المرّة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى ، فسألت سعيدا عنها ، فزعم أنها الموصل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم بن

(١) البيت شاهد على أن جاس ، معناه : قتل . وقال فى (اللسان : جوس) الجوس : مصدر جاس جوسا وجوسانا : تردد . وفى التنزيل العزيز : « فجاسوا خلال الديار» : أى ترددوا بينها للغارة . وقال الفراء : قتلوكم بين بيوتكم . قال : وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد : يذهبون ويجيئون . وقال الزجاج : « فجاسوا خلال الديار » : فطافوا فى خلال الديار ، ينظرون : هل بقى أحد لم يقتلوه ؟ وفى الصحاح : « فجاسوا خلال الديار » : أى تخللوها ، فطلبوا ما فيها ، كما يجوس الرجل الأخبار : أى يطلبها .

سعيد بن جبير ، أنه سمعه يقول : كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ (بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) بكى وفاضت عيناه ، وطبق المصحف ، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان ، ثم قال : أى ربّ أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى إسرائيل على يديه ، فأرى فى المنام مسكينا ببابل ، يقال له بختنصر ، فانطلق بمال وأعبد له ، وكان رجلا موسرا ، فقيل له أين تريد ؟ قال : أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل ، فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو المساكين ويلطف[1] بهم حتى لم يبق أحد ، فقال : هل بقى مسكين غيركم ؟ قالوا : نعم ، مسكين بفجّ آل فلان مريض يقال له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا ، حتى أتاه ، فقال : ما اسمك ؟ قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه ، فنقله إليه ومرّضه حتى برأ ، فكساه وأعطاه نفقة ، ثم آذن الإسرائيلى بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلى : مايبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بى مافعلت ، ولا أجد شيئا أجزيك ، قال : بلى شيئا يسيرا ، إن ملكت أطعتنى ، فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بى ، ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله ، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به ، فبكى الإسرائيلى وقال : لقدعلمت ما يمنعك أن تعطينى ماسألتك ، إلاأن الله يريد أن ينفذ ماقد قضاه وكتب فى كتابه وضرب الدهر من ضربه ؛ فقال يوما صيحون ، وهو ملك فارس ببابل : لوأنا بعثنا طليعة إلى الشام ؟ قالوا : وما ضرّك لوفعلت ؟ قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلا وأعطاه مئة ألف ، وخرج بختنصر فى مطبخه ، لم يخرج إلا ليأكل فى مطبخه ؛ فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا ، فكسر ذلك فى ذرعه ، فلم يسأل[2] ، قال : فجعل بختنصر يجالس مجالس أهل الشام فيقول : مايمنعكم أن تغزوا بابل ، فلوغزوتموها مادون بيت مالها شيء ، قالوا : لا نُحسن القتال ، قال : فلوأنكم غزوتم ، قالوا : إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لودعانى الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان ؛ فرُفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر وقال : إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلا جلدا ، كبر ذلك فى روعه ولم يسألهم عن شيء ، وإنى لم أدع مجلسا بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، وقالوا لى كذا وكذا ، الذى ذكر سعيد ابن جبير أنه قال لهم ، قال الطليعة لبختنصر : إنك فضحتنى[3] لك مئة ألف وتنزع عما قلت ، قال : لوأعطيتنى بيت مال بابل ما نزعت ، ضرب الدهر من ضربه ؛ فقال الملك : لوبعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فان وجدوا مساغا ساغوا ، وإلا انثنوا ما قدروا عليه ، قالوا : ماضرّك لوفعلت ، قال : فمن ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى ما أخبرنى ، فدعا بختنصر وأرسله ، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا ، ومات صيحون الملك[4] قالوا : استخلفوا رجلا ، قالوا : على رسلكم حتى تأتى أصحابكم فإنهم فرسانكم ، لن ينقضوا عليكم شيئا ، أمهلوا ، فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه ، فقسمه فى الناس ، فقالوا : مارأينا أحدا أحق بالملك من هذا ، فملّكوه .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى سليمان بن بلال ، عن يحيى

(١) فى عرائس المجالس للثعلبى : ويتلطف بهم ، حتى لايأتيه أحد مسكين إلا أعطاه .
(٢) فى عرائس المجالس للثعلبى : فلم يسألهم عن شيء .
(٣) كذا فى تاريخ الطبرى طبع أوربة . وفى الأصل : إن صحبتنى . تحريف .
(٤) كذا فى عرائس المجالس للثعلبى ص ٣٣٦ طبعة الحلبى ، وفى الأصل : ورمى فى جنازة محمورا .

ابن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام ، فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق ، فوجد بها دما يغلي على كبا : أى كناسة ، فسألهم ما هذا الدم ؟ قالوا : أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر ، قال : فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم ، فسكن .

وقال آخرون : يعنى بذلك قوما من أهل فارس ، قالوا : ولم يكن فى المرّة الأولى قتال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ) قال : من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر ، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه ، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال ، ونُصرت عليهم بنو إسرائيل ، فهذا وعد الأولى .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ) قال : ذلك أى من جاءهم من فارس ، ثم ذكر نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى:

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يابنى إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جلّ ثناؤه أنه يبعثهم عليهم ، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم ، فيما ذكر السدىّ فى خبره أن بنى إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم ، واستنقذوا ما فى أيديهم منهم . وفى قول آخرين : إطلاق الملك الذى غزاهم ما فى يديه من أسراهم، وردّ ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال. وفى قول ابن عباس الذى رواه عطية عنه هى إدالة الله إياهم من عدوّهم جالوت حتى قتلوه ، وقد ذكرنا كلّ ذلك بأسانيده فيما مضى (وأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ) يقول : وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين .

وقوله (وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) يقول : وصيرناكم أكثر عددَ نافرٍ منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) : أى عددا ، وذلك فى زمن داود .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) يقول : عددا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) لبنى إسرائيل ، بعد أن كانت الهزيمة ، وانصرف الآخرون عنهم (وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا قال : جعلناكم بعد هذا أكثر عددا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) ثم رددت الكرّة لبنى إسرائيل .

حدثني محمد بن سنان القزّاز ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن سفيان ، فى قوله (وأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ) قال : أربعة آلاف .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره لبنى إسرائيل فيما قضى إليهم فى التوراة : (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) يا بنى إسرائيل ، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم ، ولزمتم أمره ونهيه (أَحْسَنْتُمْ) وفعلتم مافعلتم من ذلك (لِأَنْفُسِكُمْ) لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ماتفعلون من ذلك أنفسكم فىالدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا ، وينمى لكم أموالكم ، ويزيدكم إلى قوّتكم قوّة . وأما فى الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه (وإِنْ أَسَأْتُمْ) يقول : وإن عصيتم الله وركبتم مانهاكم عنه حينئذ ، فإلى أنفسكم تسيئون ، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم ، فيسلط عليكم فىالدنيا عدوّكم ، ويمكّن منكم من بغاكم سوءا ، ويخلدكم فىالآخرة فىالعذاب المهين . وقال جلّ ثناؤه (وَإِنْ أَسَأْتُمْ فلها) والمعنى : فإليها كما قال (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) والمعنى : أوحى إليها .

وقوله (فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) يقول : فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من مرّتى إفسادكم يا بنى إسرائيل فى الأرض (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) يقول : ليسوء مجىء ذلك الوعد للمرّة الآخرةوجوهكم فيقبّحها .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة قوله (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) بمعنى : ليسوء العباد أولو البأس الشديدالذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم ، واستشهد قارئوا ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله(وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ) وقالوا : ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله (لِيَسُوءُوا) ، وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة (لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ) على التوحيد وبالياء ، وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل ، أحدهما ما قد ذكرت ، والآخرمنهما : ليسوء الله

وجوهكم ، فمن وجّه تأويل ذلك إلى ليسوء مجيء الوعد وجوهكم . جعل جواب قوله فإذا محذوفا ، قد المستغنى بما ظهر عنه ، وذلك المحذوف «جاء» ، فيكون الكلام تأويله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء . ومن وجّه تأويله إلى : ليسوء الله وجوهكم ، كان أيضا في الكلام محذوف ، قد استغنى هنا عنه بما قد ظهر منه غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء» ، فيكون معنى الكلام حينئذ : فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله وجوهكم ، فيكون المضمر بعثناهم ، وذلك جواب إذا حينئذ . وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين (لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ) على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه .

وكان مجيء وعد المرّة الآخرة عند قتلهم يحيى .

ذكر الرواية بذلك ، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدّيّ في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلا من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم ، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت فضمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر لنا بها طعاما وشرابا ، فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا ، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال له : إني أُحبّ أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر ، فقال : أتسخر بي ؟ فقال : إني لا أسخر بك ، ولكن ماعليك أن تتخذ بها عندي يدا ، فكلمته أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ذلك وإلا لم ينقصك شيئا ، فكتب له أمانا ، فقال له : أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، فاجعل لي آية تعرفني بها قال : ترفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها ، فكساه وأعطاه . ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ، ويدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمرا دونه ، وأنه هوى أن يتزوّج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها ، فعمدت أمّ الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستها ثيابا رقاقا حمرا ، وطيّبتها وألبستها من الحُليّ ، وقيل : إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود ، وأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له نفسها ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست ، ففعلت ، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها ؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، فقال : ما الذي تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا ، فأوتى برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحك سليني غير هذا ، فقالت له : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما ألحّت عليه بعث إليه ، فأتى برأسه ، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول : لا يحلّ لك ذلك ؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقي عليه ، فرقي الدم فوق التراب يغلي ، فألقي عليه التراب أيضا ، فارتفع الدم فوقه ؛ فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة

وهو يغلى وبلغ صيحابين ، فثار فى الناس ، وأراد أن يبعث عليهم جيشا ، ويؤمّر عليهم رجلا ، فأتاه بختنصر وكلّمه وقال : إن الذى كنت أرسلته تلك المرّة ضعيف ، وإنى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها ، فابعثنى ، فبعثه ، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه فى مدائنهم ، فلم يطقهم ، فلما اشتدّ عليهم المقام وجاع أصحابه ، أرادوا الرجوع ، فخرجت إليهم عجوز من عجائز بنى إسرائيل فقالت : أين أمير الجند ، فأتى بها إليه ، فقالت له : إنه بلغنى أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة ، قال : نعم ، قد طال مقامى ، وجاع أصحابى ، فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى ، فقالت : أرأيتك إن فتحت لك المدينة أتعطينى ماسألتك ، وتقتل من أمرتك بقتله ، وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ ؟ قال : نعم ، قالت : إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كلّ زاوية ربعا ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا إنا نستفتحك يا ألله بدم يحيى بن زكريا ، فإنها سوف تساقط ، ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا من جوانبها ، فقالت له : اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة ؛ فلما سكن الدم قالت له : كفّ يدك ، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتل نبىّ لم يرض ، حتى يقتل من قتله ، ومن رضى قتله ، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكفّ عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة ، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى ، فلما خرّبه بختنصر ذهب معه بوجوه بنى إسرائيل وأشرافهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزاريا وميشائيل ، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت ؛ فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات ، فملك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدهم المجوس على ذلك ، فوشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لايعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم ، فقالوا : أجل إن لنا ربا نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بخدّ فخدّ لهم ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم ، فقال : انطلقوا فلنأكل ولنشرب ، فذهبوا فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ، ولم يخدش منهم أحدا ، ولم ينكأه شيئا ، ووجدوا معهم رجلا ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقالوا : ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة ، فخرج إليهم السابع ، وكان ملكا من الملائكة ، فلطمه لطمة فصار فى الوحش ، فكان فيهم سبع سنين ، لايراه وحشىّ إلا أتاه حتى ينكحه ، يقتصّ منه ما كان يصنع بالرجال ، ثم إنه رجع ورد الله عليه مُلكه ، فكانوا أكرم خلق الله عليه. ثم إن المجوس وَشَوا به ثانية ، فألقوا أسدا فى بئر قد ضَرِى ، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها ، فألقوا إليه دانيال ، فقام الأسد فى جانب ، وقام دانيال فى جانب لايمسه ، فأخرجوه ، وقد كان قبل ذلك خدّ لهم خدّا ، فأوقد فيه نارا ، حتى إذا أججها قذفهم فيها ، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شىء . ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك فى منامه صنما رأسه من ذهب ، وعنقه من شبه ، وصدره من حديد ، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير ، ورجلاه من فخار ؛ فبينا هو قائم ينظر ، إذ جاءت صخرة من السماء من قِبَل القبلة ، فكسرت الصنم فجعلته هشيما ، فاستيقظ فزعا

وأُنسيها ؛ فدعا السحرة والكهنة ، فسألهم؛ فقال : أخبرونى عما رأيت ، فقالوا له لا ، بل أنت أخبرنا ، ما رأيت فنعبره لك . قال : لاأدرى ، قالوا له : فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم ، فادعهم فاسألهم، فإن هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم ؟ قال : أقتلهم ، فأرسل إلى دانيال وأصحابه ، فدعاهم ، فقال لهم : أخبرونى ماذا رأيت ؟ فقال له دانيال : بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك ، قال : لاأدرى قد نسيتها ، فقال له دانيال : كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها ؟ فأمر البوّاب أن يقتلهم ؛ فقال دانيال للبوّاب : إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه ، فأخِّرنا ثلاثة أيام ، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا، فأجّلهم فدعوا الله . فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة، فأتوا البوّاب فأخبروه . فدخل على الملك فأخبره . فقال : أدخلهم علىّ ؛ وكان بختنصر لايعرف من رؤياه شيئا، إلا شيئا يذكرونه . فقالوا له : أنت رأيت كذا وكذا، فقصوها عليه ؛ فقال : صدقتم ، قالوا : نحن نعبرها لك . أما الصنم الذى رأيت رأسه من ذهب ؛ فإنه ملك حسن مثل الذهب ، وكان قد ملك الأرض كلها ؛ وأما العنق من الشبه ، فهو ملك ابنك بعد ، يملك فيكون ملكه حسنا ، ولا يكون مثل الذهب ؛ وأما صدره الذى من حديد ،فهو ملك أهل فارس، يملكون بعدك ابنك،فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد؛ وأما بطنه الأخلاط ، فانه يذهب ملك أهل فارس، ويتنازع الناس الملك فى كلّ قرية ، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين ، والشهر والشهرين ، ثم يُقتل ، فلا يكون للناس قوام على ذلك، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار ؛ فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب ، فأظهره على بقية مُلك أهل فارس ، وبقية مُلك ابنك وملكك ، فدمره وأهلكه حتى لايبقى منه شىء ، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم ، فعطف عليهم بختنصر فأحبهم ؛ ثم إن المجوس وشوا بدانيال ، فقالوا: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول ؛ وكان ذلك فيهم عارا ؛ فجعل لهم بختنصرطعاما ، فأكلوا وشربوا ، وقال للبوّاب : انظر أوّل من يخرج عليك يبول، فاضربه بالطبرزين ، وإن قال أنا بختنصر، فقل كذبت ، بختنصر أمرنى ، فحبس الله عن دانيال البول،وكان أوّل من قام من القوم يريد البول بختنصر ، فقام مدلا . وكان ذلك ليلا يسحب ثيابه ؛ فلما رآه البوّاب شدّ عليه ، فقال : أنا بختنصر، فقال : كذبت ، بختنصر أمرنى أن أقتل أوّل من يخرج ، فضربه فقتله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : بعث الله عليهم فى المرّة الأولى سنحاريب ، قال : فردّ الله لهم الكرّة عليهم كما قال ؛ قال : ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه ، فبعث عليهم فى المرّة الآخرة بختنصر ، فقتل المقاتلة ، وسبى الذرّية ، وأخذ ماوجد من الأموال ، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عزّ وجلّ (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا)دخلوه فتبروه وخرّبوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر ، فقال الله(عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) فرحمهم فردّ إليهم ملكهم

وخلص من كان فى أيديهم من ذرّية بنى إسرائيل ، وقال لهم : إن عدتم عدنا ، فقال أبو المعلى ، ولا أعلم ذلك ، إلا من هذا الحديث ، ولم يَعِدهم الرجعة إلى ملكهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخرَةِ لِيَسُوءُوا وُجوهَكُمْ) قال : بعث الله ملك فارس ببابل جيشا ، وأمر عليهم بختنصر ، فأتوا بنى إسرائيل ، فدمروهم ، فكانت هذه الآخرة ووعدها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه ، قال : ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش إلى خشبته ، فغزا الشام ، فذلك حين قتل وأخرج بيت المقدس ، ونزع حليته ، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور ، وخوانا يأكل عليه الخنازير ، وحمل التوراة معه ، ثم ألقاها فى النار ، وقدم فيما قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل ، فقال لإنسان : أصلح لى أجسام هؤلاء لعلى أختار منهم أربعة يخدمونى ، فقال دانيال لأصحابه : إنما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم ، لا تأكلوا لحم الخنزير ، ولا تشربوا الخمر ، فقالوا للذى يصلح أجسامهم : هل لك أن تطعمنا طعاما ، هو أهون عليك فى المئونة مما تطعم أصحابنا ، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيك ، قال : ماذا ؟ قال : خبز الشعير والكرّاث ، ففعل فسمنوا قبل أصحابهم ، فأخذهم بختنصر يخدمونه ، فبينما هم كذلك ، إذ رأى بختنصر رؤيا ، فجلس فنسيها ؛ فعاد فرقد فرآها ، فقام فنسيها ، ثم عاد فرقد فرآها ، فخرج إلى الحجرة ؛ فنسيها ؛ فلما أصبح دعا العلماء والكهّان ، فقال : أخبرونى بما رأيت البارحة ، وأوّلوا لى رؤياى ، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته ، موعدكم ثالثة ، فقالوا : هذا لو أخبرنا برؤياه ، وذكر كلاما لم أحفظه ، قال : وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول : لو دعانى الملك لأخبرته برؤياه ، ولأوّلتها له ، قال : فجعلوا يقولون : ما أحمق هذا الغلام الإسرائيلى إلى أن مرّ به كهل ، فقال له ذلك ، فرجع إليه فأخبره ، فدعاه فقال : ماذا رأيت ؟ قال : رأيت تمثالا ، قال إيه ، قال ورأسه من ذهب ، قال إيه ، قال : وعنقه من فضة ، قال إيه ، قال : وصدره من حديد ، قال إيه ، قال : وبطنه من صفر ، قال إيه ، قال : ورجلاه من آنك ، قال إيه ، قال : وقدماه من فخار ، قال : هذا الذى رأيت ؟ قال إيه ، قال : فجاءت حصاة فوقعت فى رأسه ، ثم فى عنقه ، ثم فى صدره ، ثم فى بطنه ، ثم فى رجليه ، ثم فى قدميه ، قال : فأهلكته قال : فما هذا ؟ قال : أما الذهب فإنه ملكك ، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك ، ثم ملك ابن ابنك ، قال : وأما الفخار فملك النساء ، فكساه جبة ترثون (١) ، وسوره وطاف به فى القرية ، وأجاز خاتمه ، فلما رأت ذلك فارس ، قالوا : ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلى ، فقالوا : ائتوه من نحو الفتية الثلاثة ، ولا تذكروا له دانيال ، فإنه لا يصدقكم عليه ، فأتوه ، فقالوا : إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك ، وآية ذلك أنك

(١) كذا فى الأصل . واللفظة محرفة . وفى الكتاب المقدس : سفر دانيال ، الإصحاح الخامس : « حينئذ أمر بلشاصر أن يلبسوا دانيال الأرجوان وقلادة من ذهب فى عنقه » .

إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا ؛ فأمر بحطب كثير فوضع ، ثم أرقاهم عليه، ثم أوقد فيه نارا . ثم خرج من آخر الليل يبول ، فإذا هم يتحدّثون ، وإذا معهم رابع يروح عليهم يصلي، قال : من هذا يادانيال ؟ قال : هذا جبريل، إنك ظلمتهم ، قال : ظلمتهم ، مر بهم ينزلوا ، فأمر بهم فنزلوا ، قال : ومسخ الله تعالى بختنصر من الدوابّ كلها ، فجعل من كلّ صنف من الدوابّ رأسه رأس سبع من السباع الأسد. ومن الطير النسر ، وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين ، ثم كتبت سطرين ؛ فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم فى ذلك علما ؛ فقالت له أمه : إنك لو أعدت إلى دانيال منزلته التى كانت له من أبيك أخبرك ؛ وكان قد جفاه فدعاه ؛ فقال : إنى معيد إليك منزلتك من أبى ، فأخبرنى ماهذان السطران ؟ قال : أما أن تعيد إلىّ منزلتى من أبيك ، فلا حاجة لى بها ؛ وأما هذان السطران فانك تقتل الليلة : فأخرج من فى القصر أجمعين ، وأمر بقفله ، فأقفلت الأبواب عليه، وأدخل معه آمن أهل القرية فى نفسه معه سيف ؛ فقال : من جاءك من خلق الله فاقتله ، وإن قال أنا فلان ، وبعث الله عليه البطن فجعل يمشى حتى كان شطر الليل ؛ فرقد ورقد صاحبه ، ثم نبهه البطن ، فذهب يمشى والآخر نائم، فرجع فاستيقظ به ، فقال له : أنا فلان ؛ فضربه بالسيف فقتله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ . وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ، فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) آخر العقوبتين (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما دخله عدوّهم قبل ذلك (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) فبعث الله عليهم فى الآخرة بختنصر المجوسى البابلى، أبغض خلق الله إليه ؛ فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس ، وسامهم سوء العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ؛ قال : ثنا محمد بن ثور ؛ عن معمر ، عن قتادة ، قال (فاذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ) من المرتين (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) قال : ليقبحوا وجوهكم (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) قال : يدمّروا ما علوا تدميرا ، قال : هو بختنصر ، بعثه الله عليهم فى المرّة الآخرة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فلما أفسدوا بعث الله عليهم فى المرّة الآخرة بختنصر ، فخرّب المساجد وتبر ما علوا تتبيرا .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : فيما بلغنى : استخلف الله على بنى إسرائيل بعد ذلك ، يعنى بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له : ناشة بن آموص ، فبعث الله الخضر نبيا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغنى يقول : « إِنَّمَا سُمِّىَ الخَضِرُ خَضِرًا ، لأنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ ، فَقَامَ عَنْهَا وَهِىَ تَهْتَزُّ خَضْرَاءَ » قال : واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل : أرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه ، قالا : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه . وحدثنا ابن حميد قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه اليمانى ، واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول : قال الله

تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبيا إلى بنى إسرائيل : يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدّستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهّرتك ، ومن قبل أن تبلغ السعى نبأتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اخترتك ، ولأمر عظيم اختبأتك ؛ فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل يسدّده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله ؛ قال : ثم عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل ، وركبوا المعاصى ، واستحلّوا المحارم ، ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم ، وما نجاهم من عدوّهم سنحاريب وجنوده . فأوحى الله تعالى إلى إرمياء : أن ائت قومك من بنى إسرائيل ، واقصص عليهم ما أمرك به ، وذكّرهم نعمتى عليهم ، وعرّفهم أحداثهم ، فقال إرمياء : إنى ضعيف إن لم تقوّنى ، وعاجز إن لم تبلّغنى ، ومخطئ إن لم تسدّدنى ، ومخذول إن لم تنصرنى ، وذليل إن لم تعزّنى ، قال الله تبارك وتعالى : أوَلم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتى ، وأن القلوب كلها والألسنة بيدى ، أقلبها كيف شئت ، فتطيعنى ، وإنى أنا الله الذى لاشىء مثلى ، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتى ، وأنا كلّمت البحار ، ففهمت قولى ، وأمرتها فعقلت أمرى ، وحدّدت عليها بالبطحاء فلا تعدّى حدّى ، تأتى بأمواج كالجبال ، حتى إذا بلغت حدّى ألبستها مذلّة طاعتى خوفاً واعترافاً لأمرى أنى معك ، ولن يصل إليك شىء معى ، وإنى بعثتك إلى خلق عظيم من خلقى ، لتبلغهم رسالاتى ولتستحقّ بذلك مثل أجر من تبعك منهم لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، وإن تقصّر عنها فلك مثل وزر من تركب فى عماه لاينقص ذلك من أوزارهم شيئا ، انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر لكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستتيبكم يامعشر الأبناء وسلهم كيف وجد آباؤهم مغبّة طاعتى ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتى ، وهل علموا أن أحدا قبلهم أطاعنى فشقى بطاعتى ، أو عصانى فسعد بمعصيتى ، فان الدّوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة ، فتنتابها ، وإن هؤلاء القوم قد رتعوا فى مروج الهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادى خوَلا ليعبدوهم دونى وتحكّموا فيهم بغير كتابى حتى أجهلوهم أمرى ، وأنسوهم ذكرى ، وغروهم منى . أما أمراؤهم وقاداتهم فبطروا نعمتى ، وأمنوا مكرى ، ونبذوا كتابى ، ونسوا عهدى ، وغيروا سنتى ، فادّان لهم عبادى بالطاعة التى لاتنبغى إلالى ، فهم يطيعونهم فى معصيتى ، ويتابعونهم على البدع التى يبتدعون فى دينى جراءة علىّ وغرّة وفرْية علىّ وعلى رسلى ، فسبحان جلالى وعلوّ مكانى ، وعظم شأنى ، فهل ينبغى لبشر أن يُطاع فى معصيتى ، وهل ينبغى لى أن أخلق عبادا أجعلهم أرباباً من دونى . وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون فى المساجد ، ويتزيّنون بعمارتها لغيرى ، لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقّهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء ، فمكثرون مقهورون مغيرون ، يخوضون مع الخائضين ، ويتمنّون علىّ مثل نُصرة آبائهم والكرامة التى أكرمتهم بها ، ويزعمون أن لاأحدَ أولى بذلك منهم منى بغير صدق ولا تفكر ولا تدبُّر ، ولا يذكرون كيف كان صبر آبائهم لى ، وكيف كان جِدّهم فى أمرى حين غير المغيرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدّقوا حتى عزّ أمرى ، وظهر دينى ، فتأنّيت بهؤلاء القوم لعلهم يستجيبون ،

فأطوّلت لهم، وصفحت عنهم، لعلهم يرجعون. فأكثرت ومددت لهم فى العمر لعلهم يتذكرون، فأعذرت، فى كل ذلك. أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية وأظهرهم على العدوّ فلا يزدادون إلا طغيانا وبعدا منى. فحتى متى هذا؟ أبى يتمرّسون أم إياى يخادعون؟ وإنى أحلف بعزّتى لأقيضنّ لهم فتنة يتحير فيها الحليم، ويضلّ فيها رأى ذى الرأى، وحكمة الحكيم، ثم لأسلطنّ عليهم جبارا قاسيا عاتيا، ألبسه الهيبة، وأنتزع من صدره الرأفة والرحمة والبيان، يتبعه عدد وسواد مثل سواد الليل المظلم، له عساكر مثل قطع السحاب، ومراكب أمثال العجاج، كأن خفيق راياته طيران النسور، وأن حملة فرسانه كوبر العقبان. ثم أوحى الله إلى إرميا: إنى مهلك بنى إسرائيل بيافث، ويافث أهل بابل، وهم من ولد يافث ابن نوح، ثم لما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشقّ ثيابه، ونبذ الرماد على رأسه وقال: ملعون يوم ولدت فيه، ويوم لقيت التوراة، ومن شرّ أيامى يوم ولدت فيه. فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو أشرّ علىّ: لو أراد بى خيرا ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل، فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك؛ فلما سمع الله تضرّع الخضر وبكاءه، وكيف يقول، ناداه: يا إرميا أشقّ ذلك عليك فيما أوحيت لك؟ قال: نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل مالا أسرّ به، فقال الله: وعزّتى العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك فى ذلك، ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه، وقال: لا، والذى بعث موسى وأنبياءه بالحقّ لا آمر ربى بهلاك بنى إسرائيل أبدا، ثم أتى ملك بنى إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح وقال: إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته، ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم؛ فقلّ الوحى حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها، فقال لهم ملكهم: يابنى إسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله، وقبل أن يبعث عليكم قوم لارحمة لهم بكم، وإن ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه، فأبوا عليه أن ينزعوا عن شىء مما هم عليه، وإن الله قد ألقى فى قلب بختنصر بن نجور زاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود ابن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذى حاجّه فى ربه، أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل، فخرج فى ستّ مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس؛ فلما فصل سائرا أتى ملك بنى إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر فى ذلك، فقال إرميا للملك: إن ربى لايخلف الميعاد وأنا به واثق؛ فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم، بعث الله ملكا من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاستفته، وأمره بالذى يستفتى فيه؛ فأقبل الملك إلى إرمياء، وكان قد تمثّل له رجلا من بنى إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بنى إسرائيل أستفتيك فى بعض أمرى، فأذن له، فقال له الملك: يا نبىّ الله أتيتك أستفتيك فى أهل رحمى، وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به، لم آت إليهم إلا حسنا، ولم آلهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتى

إياهم إلا إسخاطالى ، فأفتنى فيهم يا نبىّ الله ، فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصل ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير وانصرف عنه ، فمكث أياما ، ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الذى جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذى أتيتك أستفتيك فى شأن أهلى ، فقال له نبىّ الله : أو ما ظهرت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذى تحبّ ؟ فقال : يانبىّ الله ، والذى بعثك بالحقّ ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه إلا قد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك ، فقال النبىّ : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، أسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويجنبكم سخطه ، فقام المَلَك من عنده ، فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس ، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد ، ففزع منهم بنوإسرائيل فزعا شديدا، وشق ذلك على ملك بنى إسرائيل ، فدعا إرميا ، فقال : يا نبىّ الله أين ما وعدك الله ؟ فقال : إنى بربى واثق ، ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذى وعده ، فقعد بين يديه، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذى كنت أتيتك فى شأن أهلى مرّتين ، فقال له النبىّ : أو لم يأن لهم أن يمتنعوا من الذى هم فيه مقيمون عليه ؟ فقال له الملك : يانبىّ الله كلّ شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن مأربهم فى ذلك سخطى ؛ فلما أتيتهم اليوم رأيتهم فى عمل لايرضى الله ولا يحبه الله عزّ وجلّ ، فقال له نبىّ الله على أىّ عمل رأيتهم ؟ قال : يانبىّ الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتدّ عليهم غضبى ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكن غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإنى أسألك بالله الذى بعثك بالحقّ إلا مادعوت عليهم ربك أن يهلكهم ، فقال إرميا : يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لاترضاه فأهلكهم ، فما خرجت الكلمة من فى إرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس ، فالتهب مكان القربان ، وخسف بسبعة أبواب من أبوابها ؛ فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه وقال : يامالك السموات والأرض بيدك ملكوت كلّ شىء وأنت أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذى وعدتنى ، فنودى إرميا : إنهم لم يصبهم الذى أصابهم إلا بفتياك التى أفتيت بها رسولنا ، فاستيقن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التى أفتى بها ثلاث مرّات ، وأنه رسول ربه ، ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس ، أمر جنوده أن يملأ كلّ رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس ، فقذفوا فيه التراب حتى ملئوه ، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبايا بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كلّ صغير وكبير من بنى إسرائيل ، فاختار منهم سبعين ألف صبىّ ؛ فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل ، ففعل ، وأصاب كلّ رجل منهم أربعة أغلمة ، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفا

من سبط يوسف بن يعقوب ، وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالى بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ، ومن بقى من بنى إسرائيل ، وجعلهم بختنصر ثلاث فرق ، فثلثا أقرّ بالشام ، وثلثا سبى ، وثلثا قتل ، وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ، فكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزل الله ببنى إسرائيل باحداثهم وظلمهم ، فلما ولى بختنصر عنهم راجعا إلى بابل بمن معه من سبايا بنى إسرائيل ، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال ، وهلاك بختنصر ، ورجوع من بقى من بنى إسرائيل فى أيدى أصحاب بختنصر بعد هلاكه إلى الشام ، وعمارة بيت المقدس ، وأمر عُزَيرَ وكيف ردّ الله عليه التوراة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ، يعنى بعد مهلك عُزَيرَ ، ويعود الله عليهم ، ويبعث فيهم الرسل ، ففريقا يكذّبون ، وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن عمر بن عبد الله بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير أنه قال ، وهو يحدّث عن قتل يحيى بن زكريا قال : ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغىّ من بغايا بنى إسرائيل ؛ كان فيهم ملك ، وكان يحيى بن زكريا تحت يدى ذلك الملك ، فهمّت ابنة ذلك الملك بأبيها ، فقالت : لو أنى تزوّجت بأبى فاجتمع لى سلطانه دون النساء ، فقالت له : يا أبت تزوّجنى ودعته إلى نفسها ، فقال لها : يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا ، فقالت : من لى بيحيى بن زكريا ضيّق علىّ ، وحال بينى وبين أن أتزوّج بأبى ، فأغلب على ملكه ودنياه دون النساء ؛ قال : فأمرت اللعابين وحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا ، فقالت : ادخلوا عليه فالعبوا ، حتى إذا فرغتم فإنه سيحكّمكم ، فقولوا دم يحيى بن زكريا ولا تقبلوا غيره . وكان اسم الملك رواد ، واسم ابنته البغىّ ، وكان الملك فيهم إذا حدّث فكذب ، أو وعد فأخلف خلع فاستبدل به غيره ؛ فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم ، قال : سلونى أعطكم ، فقالوا له : نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إياه ؛ قال : ويحكم سلونى غير هذا ، فقالوا : لا نسألك شيئا غيره ؛ فخاف على ملكه إن هو أخلفهم أن يُستحلّ بذلك خلعه ، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس فى محرابه يصلى ، فذبحوه فى طست ثم حزّوا رأسه ، فاحتمله رجل فى يده والدم يحمل فى الطست معه ، قال : فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك ورأسه يقول فى يدى الذى يحمله لا يحلّ لك ذلك ، فقال رجل من بنى إسرائيل : أيها الملك لو أنك وهبت لى هذا الدم ؟ فقال : وما تصنع به ، قال : أطهر منه الأرض ، فإنه كان قد ضيقها علينا ، فقال : أعطوه هذا الدم ، فأخذه فجعله فى قلة ، ثم عمد به إلى بيت فى المذبح ، فوضع القلة فيه ، ثم أغلق عليه ، ففار فى القُلّة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذى

هو فيه ، فلما رأى الرجل ذلك ، قطع به ، فأخرجه فجعله فى فلاة من الأرض ، فجعل يفور ، وعظمت فيهم الأحداث ، ومنهم من يقول : أقرّ مكانه فى القربان ولم يحوّل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول : وقتلوا زكريا) ، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رءوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل ، فقال له : إنى قد كنت حلفت بإلهى لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى ، إلا أن لا أجد أحدا أقتله ، فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان ، فدخل بيت المقدس ، فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دما يغلى ، فسألهم فقال : يابنى إسرائيل ، ما شأن هذا الدم الذى يغلى ، أخبرونى خبره ولا تكتمونى شيئا من أمره ؟ فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قرّبناه فلم يُتقبل منا ، فلذلك هو يغلى كما تراه ، ولقد قرّبنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبِّل منا إلا هذا القربان ، قال : ما صدقتمونى الخبر ، قالوا له : لو كان كأوّل زماننا لقُبل منا ، ولكنه قد انقطع منا المُلك والنبوّة والوحى ، فلذلك لم يُتقبل منا ، فذبح منهم نبور زاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رءوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم ، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ ، فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم : ويلكم يابنى إسرائيل أصدقونى واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم فى الأرض ، تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار ، لا أنثى ولا ذكرا إلا قتلته ؛ فلما رأوا الجهد وشدّة القتل صدقوه الخبر ، فقالوا له : إن هذا دم نبىّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم ، فلم نصدّقه ، فقتلناه ، فهذا دمه ، فقال لهم نبور زاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، فقال : الآن صدقتمونى ، بمثل هذا ينتقم ربكم منكم ؛ فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خرّ ساجدا وقال لمن حوله : غلقوا الأبواب ، أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس وخلا فى بنى إسرائيل ثم قال : يا يحيى بن زكريا : قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قُتل منهم من أجلك ، فاهدأ باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله ، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال : آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقت وأيقنت أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح فتبارك وتقدّس ، وتسبح وتكبر وتعظم ، ملك الملوك الذى له ملك السموات السبع والأرض وما فيهنّ ، وما بينهما ، وهو على كل شىء قدير ، فله الحلم والعلم والعزّة والجبروت ، وهو الذى بسط الأرض وألقى فيها رواسى لئلا تزول ، فكذلك ينبغى لربى أن يكون ويكون مُلكه . فأوحى الله إلى رأس من رءوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حَبُور صدوق ، والحبور بالعبرانية : حديث الإيمان ، وإن نبور زاذان قال لبنى إسرائيل يابنى إسرائيل ، إن عدوّ الله خردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، وإنى لست أستطيع

أن أعصيه، قالوا له : افعل ما أُمرت به. فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل . فذبحها حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك ، فطُرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم ، فلم يظنّ خردوس إلا أن ما كان فى الخندق من بنى إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكره ، أرسل إلى نبوزراذان أن ارفع عنهم ، فقد بلغتنى دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد ، وهى الوقعة الآخرة التى أنزل الله ببنى إسرائيل. يقول الله عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرائِيلَ فِي الكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ ، وكانَ وَعْداً مَفْعُولاً ، ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ، وأمْدَدْناكُمْ بأمْوالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيرًا ، إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ ، وَإنْ أسأْتُمْ فَلَها، فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ ، وليُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا، عَسَى رَبُّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا، وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ للكافرينَ حَصِيرًا)وعسى من الله حقّ : فكانت الوقعة الأولى : بختنصرَ وجنوده ، ثم ردّ الله لكم الكرّة عليهم ، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده ، وهى كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم ، وقتل رجالهم ، وسبى ذراريهم ونسائهم . يقول الله تبارك وتعالى (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) ثم عاد الله عليهم ،فأكثر عددهم،ونشرهم فى بلادهم ، ثم بدّلوا وأحدثوا الأحداث ، واستبدلوا بكتابهم غيره ، وركبوا المعاصى ، واستحلوا المحارم وضيّعوا الحدود .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى عَتّاب رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ، ثم أسلم بعد ، فقرأ القرآن ، وفقه فى الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ، ثم عُمّر فى الإسلام أربعين سنة ، قال : كان آخر أنبياء بنى إسرائيل نبيا بعثه الله إليهم ، فقال لهم : يا بنى إسرائيل إن الله يقول لكم : إنى قد سلبت أصواتكم ، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم ، فهمّوا به ليقتلوه ، فقال الله تبارك وتعالى له : ائتهم واضرب لى ولهم مثلا ، فقل لهم : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : اقضوا بينى وبين كرمى . ألم أختر له البلاد ، وطيبت له المدرة ، وحظرته بالسياج ، وعرشته السويق والشوك والسياج والعوسج ، وأحطته بردائى ، ومنعته من العالم وفضّلته ، فلقينى بالشوك والجذوع ، وكل شجرة لاتؤكل ما لهذا اخترت البلدة ، ولاطيّبت المَدَرة ،ولا حَظَرته بالسِّياج ،ولا عرّشته السويق،ولا حُطته بردائى ، ولا منعته من العالم ، فضلتكم وأتممت عليكم نعمتى ، ثم استقبلتمونى بكلّ ما أكره من معصيتى وخلاف أمرى لمه إن الحمار ليعرف مذوده ، لمه إن البقرة لتعرف سيدها ، وقد حلفت بعزّتى العزيزة ، وبذراعى الشديد لآخذنّ ردائى ، ولأمرجنّ الحائط ، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم ، قال : فوثبوا على نبيهم فقتلوه ،

فضرب الله عليهم الذلّ ، ونزع منهم الملك ، ، فليسوا فى أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدّونها ، والملك فى غيرهم من الناس ، فان يزالوا كذلك أبدا ، ما كانوا على ماهم عليه .

قال : قال : فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بنى إسرائيل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ ، وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) قال : كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير ، قال : لأن الأولى كانت هزيمة فقط ، والآخرة كان التدمير ، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد ، وخرب المسجد .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا ، فى اثنى عشر من الحواريين يعلّمون الناس : قال : فكان فيما نهاهم عنه ، نكاح ابنة الأخ ، قال : وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك ، فقولى : حاجتى أن تذبح لى يحيى بن زكريا ؛ فلما دخلت عليه سألها حاجتها ، فقالت : حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا ، فقال : سلى غير هذا ، فقالت : ما أسألك إلا هذا ، قال : فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه ، فبدرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تزل تغلى حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فجاءته عجوز من بنى إسرائيل ، فدلّته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله فى نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفا منهم من سنّ واحد فسكن .

وقوله (وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : وليدخل عدوّكم الذى أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة ، كما دخلوه أوّل مرّة حين أفسدتم الفساد الأوّل فى الأرض .

وأما قوله (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) فإنه يقول : وليدمّروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا ، يقال منه : دمّرت البلد : إذا خرّبته وأهلكت أهله ، وتبرَ تبرْا وتبارا ، وتبّرته أتبّره تتبيرًا . ومنه قول الله تعالى ذكره (وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ تَبارًا) يعنى : هلاكا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) قال : تدميرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا) قال : يدمروا ما علوا تدميرا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : لعلّ ربكم يا بنى إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة ، فيستنقذكم من أيديهم ، وينتشلكم من الذلّ الذى يحله بكم ، ويرفعكم من الخمولة التى تصيرون إليها ، فيعزّكم بعد ذلك ، وعسى من الله : واجب . وفعل الله ذلك بهم ، فكثر عددهم بعد ذلك ، ورفع خساستهم ، وجعل منهم الملوك والأنبياء ، فقال جلّ ثناؤه لهم : وإن عدتم يامعشر بنى إسرائيل لمعصيتى وخلاف أمرى ، وقتل رسلى ، عدنا عليكم بالقتل والسباء ، وإحلال الذلّ والصّغار بكم ، فعادوا ، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن عمر بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) قال : عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد ، ثم عادوا فعاد . قال : فسلّط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس : سندباذان وشهرباذان وآخر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة : (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) قال : فعادوا فسلّط الله عليهم المؤمنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) قال : عاد القوم بشرّ ما يحضرهم ، فبعث الله عليهم ماشاء أن يبعث من نقمته وعقوبته ، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحىّ من العرب ، فهم فى عذاب منهم إلى يوم القيامة ؛ قال الله عزّ وجلّ فى آية أخرى (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) . . . الآية ، فبعث الله عليهم هذا الحىّ من العرب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا) فعادوا ، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله تعالى (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) قال بعد هذا (وَإِنْ عُدْتُمْ) لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء (عُدْنَا) إليكم بمثل هذا .

وقوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك : فقال بعضهم : وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن مَسْعدة ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : سجنا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : جعل الله مأواهم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : مَحْبِسا حَصُورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : سجنا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى (حَصِيرًا) قال : يحصرون فيها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) قال : يُحصرون فيها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) سجنا يسجنون فيها حصروا فيها .

حدثنا عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) يقول : سجنا .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن : الحصير : فِراش ومِهاد . وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عنى به الحصير الذى يُبْسط ويفترش ، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا ، فوجَّه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا ، كما قال (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) وهو وجه حسن وتأويل صحيح . وأما الآخرون ، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر الذى هو الحبس . وقد بيَّنت ذلك بشواهده في سورة البقرة ، وقد تسمى العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور : أى محجوب عن الناس ، كما قال لبيد :

وَمَقَامَةٍ غُلْبِ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى بابِ الحَصِيرِ قِيامُ [1]

(١) البيت في (ديوان لبيد ، طبع ليندن سنة ١٨٩١ ص ٣٩) . والرواية فيه : « لدى طرف الحصير » . وروايته في (مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٧١) وفي (لسان العرب : قوم) : كرواية المؤلف هنا . قالا : ويقال للملك حصير ، لأنه محجوب . والمقامة والمقام المجلس ، ومقامات الناس : مجالسهم . والمقامة : السادة . والغلب : جمع أغلب ، وصف من غلب غلبا (كفرح فرحا) : =

يعني بالحصير: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:

وَشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكَأْسِ نادَمَنِي لا بالحَصُورِ ولا فيها بِسَوَّارِ[١]

ويروى: بسآر. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذّر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع. وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه. فأما الحصيران: فالجنبان، كما قال الطرماح:

قَلِيلا تَتَلَّى حاجَةً ثُمَّ عُولِيَتْ عَلَى كُلِّ مَفْرُوشِ الحَصِيرَيْنِ بادِنِ[٢]

يعني بالحصيرين: الجنبين.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك: (وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيرًا) فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط. لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محصر، فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعيل، ومعناه مفعول به، ألا ترى بيت لبيد: لدى باب الحصير، فقال لدى باب الحصير. لأنه أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولا إلى فعيل. فأما فعيل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر، فذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجها يصحّ إلا بعيدا وهو أن يقال: جاء حصير بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملا في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد.

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به (لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث

= إذا غلظت رقبته. وفي (اللسان: حصر) ذكر هذا الشاهد كرواية المؤلف مع وضع لفظة «وقماقم» في مكان: «ومقامة» وأشار إلى الرواية الأخرى. ثم قال: والحصير المحبس، وفي التنزيل: «وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا»، قال القتيبي: هو من حصرته، أي حبسته. فهو محصور، وهذا حصيره، أي محبسه.

(١) تقدم شرح هذا الشاهد في الجزء الثالث من هذا التفسير (ص ٢٥٥).

(٢) البيت في ديوان الطرماح بن حكيم (طبع لندن سنة ١٩٢٧ ص ١٦٤). وتتلى الشيء: تتبعه. وتتلى أيضا: بقي بقية من دينه. وعوليت: ذهب بها إلى العالية، وهي نجد. والحصير: سفيفة تصنع من بردي وأسل ثم تفرش.

به أنبياءه وهو الإسلام ، يقول جلّ ثناؤه : فهذا القرآن يهدى عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التى ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إنَّ هَـٰذَا القُرآنَ يَهْدِى للَّتِى هِىَ أقْوَمُ) قال : للتى هى أصوب : هو الصواب وهو الحقّ ؛ قال : والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى (فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) قال : فيها الحقّ ليس فيها عوج . وقرأ (ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيِّما) يقول : قيما مستقيما

وقوله (وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ) يقول : ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون فى دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن (لَهُمْ أجْرًا) من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات (كَبِيرًا) يعنى ثوابا عظيما ، وجزاء جزيلا ، وذلك هو الجنة التى أعدّها الله تعالى لمن رضى عمله

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (أنَّ لَهُمْ أجْرًا كَبِيرًا) قال : الجنة ، وكلّ شىء فى القرآن أجر كبير ، أجر كريم ، ورزق كريم فهو الجنة ، وأن فى قوله (أنَّ لَهُمْ أجْرًا كَبِيرًا) نصب بوقوع البشارة عليها ، وأن الثانية معطوفة عليها .

وقوله (وأنَّ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) يقول تعالى ذكره: وأن الذين لايصدّقون بالمعاد إلى الله، ولايقرّون بالثواب والعقاب فى الدنيا ، فهم لذلك لايتحاشون من ركوب معاصى الله (أعْتَدنَا لَهُمْ) يقول : أعددنا لهم ، لقدومهم على ربهم يوم القيامة (عَذَابا ألِيما) يعنى موجعا ، وذلك عذاب جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ ، فيقول : اللهمّ أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير : يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده، يقول : فلو استجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له فى الخير هلك ، ولكن الله بفضله لايستجيب له فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشَّرِّ دعاءَه بالخَيْرِ، وكانَ الإنْسان عَجُولاً) يعنى قول الإنسان: اللهمّ العنه واغضب عليه ، فلو يُعَجل له ذلك كما يُعجل له الخير ، لهلك، قال : ويقال : هو (وإذَا مَسَّ الإنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ، أوْ قَاعِدًا أوْ قائما) أن يكشف ما به من ضرّ، يقول تبارك وتعالى، لو أنه ذكرنى وأطاعنى، واتبع أمرى عند الخير ، كما يدعونى عند البلاء ، كان خيرا له .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولا) يدعو على ماله ، فيلعن ماله وولده ، ولو استجاب الله له لأهلكه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ) قال : يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك ، وعلى خادمه ، أو على ماله .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ ، وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) قال : ذلك دعاء الإنسان بالشرّ على ولده وعلى امرأته . فيعجل : فيدعو عليه ، ولا يحب أن يصيبه .

واختلف فى تأويل قوله (وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) فقال مجاهد ومن ذكرت قوله : معناه : وكان الإنسان عجولا ، بالدعاء على مايكره ، أن يُستجاب له فيه .

وقال آخرون : عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجرى فى جميع جسده ، فرام النهوض ، فوصف ولده بالاستعجال ، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام ، قبل أن يتمّ خلقه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شُعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، أن سلمان الفارسىّ ، قال : أوّل ماخلق الله من آدم رأسه ، فجعل ينظر وهو يُخلق ، قال : وبقيت رجلاه ؛ فلما كان بعد العصر قال : يارب عجّل قبل الليل ، فذلك قوله (وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى رَوْق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما نفخ الله فى آدم من روحه أتت النفخة من قِبَل رأسه ، فجعل لايجرى شىء منها فى جسده ، إلا صار لحما ودما ؛ فلما انتهت النفخة إلى سرّته ، نظر إلى جسده ، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله تبارك وتعالى (وكانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً) قال : ضَجِرا لاصبر له على سرّاء ، ولا ضرّاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن نعمته عليكم أيها الناس ، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار ، باظلامه علامة الليل ، وإضاءته علامة النهار ، لتسكنوا فى هذا ، وتتصرّفوا فى ابتغاء رزق الله الذى قدره لكم بفضله فى هذا ، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها ، وابتداء دخولها ، وحساب ساعات النهار والليل

وأوقاتها (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا) يقول : وكلّ شيء بيناه بيانا شافيا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه ، وتخلصوا له العبادة ، دون الآلهة والأوثان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبى الطُّفيل ، قال : قال ابن الكَوّاء (١) لعلىّ : يا أمير المؤمنين ، ماهذه اللَّطْخة التى فى القمر ؟ فقال : وَيْحك أما تقرأ القرآن (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) ، فهذه محوه .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا طلق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علىّ بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا فقال : ما هذا السواد فى القمر ؟ فقال علىّ : (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) هُوَ المَحْوُ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن عمر ، قال كنت عند علىّ ، فسأله ابن الكَوّاء عن السواد الذى فى القمر ؟ فقال : ذاك آية الليل مُحِيت .

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زُريع ، قال : ثنا عمران بن حُدير ، عن رفيع بن أبى كثير قال : قال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : سَلُوا عما شئتم ، فقام ابن الكوّاء فقال : ما السواد الذى فى القمر ، فقال : قاتلك الله ، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ؟ قال : ذلك مَحْو الليل .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرىّ ، قال : ثنا ابن عُفَير ، قال : ثنا ابن لَهيعة ، عن حُيَىّ بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلا قال لعلىّ : ما السواد الذى فى القمر ؟ قال : إن الله يقول (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ ، فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال : هو السواد بالليل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان القمر يضىء كما تضىء الشمس ، والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، فمحونا آية الليل : السواد الذى فى القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ذكر ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ) قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) قال : السواد الذى فى القمر ، وكذلك خلقه الله .

(١) ابن الكواء : هو عبد الله بن الكواء الخارجى ، أحد الذين كانوا مع على فى صفين ، ثم فارقوه بعد التحكيم . فكان من زعماء الخوارج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَجَعَلْنا اللَّيْلَ والنهارَ آيتَيْنِ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك خلقهما الله. قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال (فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) قال : ظلمة الليل وسدفة النهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيتَيْنِ ، فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) : أى منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيتَيْنِ) قال : ليلا ونهارا ، كذلك جعلهما الله

واختلف أهل العربية في معنى قوله (وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً) فقال : بعض نحويى الكوفة معناها : مضيئة . وكذلك قوله (والنَّهار مُبْصِرًا) معناه : مضيئا ، كأنه ذهب إلى أنه قيل مبصرا ، لإضاءته للناس البصر . وقال آخرون : بل هو من أبصر النهار : إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر ، كقولهم : رجل مجبن : إذا كان أهله وأصحابه جبناء ، ورجل مضعف : إذا كانت رواته ضعفاء ، فكذلك النهار مبصرا : إذا كان أهله بصراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) قال : جعل لكم سبحا طويلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً) : أى بيّناه تبيينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وكلّ إنسان ألزمناه ماقضى له أنه عامله ، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله فى عنقه لا يفارقه . وإنما قوله (أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ) مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها ، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره فى عنقه نحسا كان ذلك الذى ألزمه من الطائر ، وشقاء يورده سعيرا ، أو كان سعدا يورده جنات عدن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنى أبي ، عن قتادة ، عن جابر بن عبد الله

أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاعَدْوَى وَلا طِيَرَةَ ، وَكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ »

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : الطائر : عمله ، قال : والطائر فى أشياء كثيرة ، فمنه التشاؤم الذى يتشاءم به الناس بعضهم من بعض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس ، قوله (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : عمله وما قدر عليه ، فهو ملازمه أينما كان ، فزائل معه أينما زال . قال ابن جريج : وقال : طائره : عمله . قال ابن جريج : وأخبرنى عبدالله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : عمله وما كتب الله له .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : طائره : عمله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو جميعا عن منصور ، عن مجاهد (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : عمله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عمرو الفقيمى ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قوله (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) قال : ما من مولود يولد إلا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقىّ أو سعيد . قال : وسمعته يقول : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ، قال : هو ماسبق.

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) : إى والله بسعادته وشقائه بعمله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : طائره : عمله .

فإن قال قائل : وكيف قال : ألزمناه طائره فى عنقه ، إن كان الأمر على ماوصفت ، ولم يقل : ألزمناه فى يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد ؟ قيل : لأن العنق هو موضع السمات ، وموضع القلائد والأطوقة ، وغير ذلك مما يزين أو يشين ، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بنى آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق ، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد ، فقالوا : ذلك بما كسبت يداه ، وإن كان الذى جرّ عليه لسانه أو فرجه ، فكذلك قوله (أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) فقرأه بعض أهل المدينة ومكة ، وهو نافع وابن كثير وعامة قرّاء العراق (ونُخْرِجُ) بالنون (لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاه مَنْشُورًا) بفتح الياء من يَلْقاه وتخفيف القاف منه ، بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة ردّا على قوله (أَلْزَمْناهُ) ، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا . وكان بعض قرّاء أهل الشام يوافق هؤلاء على

قراءة قوله (وَنُخْرِجُ) ويخالفهم فى قوله (يَلْقاهُ) فيقرؤه (يُلَقَّاهُ) بضم الياء وتشديد القاف . بمعنى : ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه ، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله ، فيقول : يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشورا .

وذُكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم عن حميد ، عن مجاهد أنه قرأها (وَيَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا) قال : يزيد : يعنى يخرج الطائر كتابا هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء ، وهى قراءة الحسن البصرى وابن محيصن ؛ وكأن من قرأ هذه القراءة وجّه تأويل الكلام إلى : ويخرج له الطائر الذى ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة ، فيصير كتابا يقرؤه منشورا . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (وَيُخْرَجُ لَهُ) بضم الياء على مذهب ما لم يسمّ فاعله ، وكأنه وجّه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا ، يريد : ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا ، إلا أنه نحاه نحو مالم يسمّ فاعله .

☼ وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه (وَنُخْرِجُ) بالنون وضمها (لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) بفتح الياء وتخفيف القاف ، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذى ألزم خلقه ما ألزم من ذلك ؛ فالصواب أن يكون الذى يليه خبرا عنه ، أنه هو الذى يخرجه لهم يوم القيامة ؛ أن يكون بالنون كما كان الخبر الذى قبله بالنون . وأما قوله (يَلْقاهُ) فإنّ فى إجماع الحجة من القرّاء على تصويب ما اخترنا من القراءة فى ذلك ، وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين : أعنى ضمّ الياء وفتحها فى ذلك ، وتشديد القاف وتخفيفها فيه ؛ فاذا كان الصواب فى القراءة هو ما اخترنا بالذى عليه دللنا ، فتأويل الكلام : وكلّ إنسان منكم يا معشر بنى آدم ، ألزمناه نحسه وسعده ، وشقاءه وسعادته ، بما سبق له فى علمنا أنه صائر إليه ، وعامل من الخير والشرّ فى عنقه ، فلا يجاوز فى شىء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله ، وما كتبنا له أنه صائر إليه ، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التى عملها فى الدنيا ، وبطائره الذى كتبنا له ، وألزمناه إياه فى عنقه ، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف فى الدنيا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) قال : هو عمله الذى عمل أحصى عليه ، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) : أى عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة (أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ

فى عُنُقِهِ) قال : عمله (ونُخرِجُ لَهُ) قال : نخرج ذلك العمل (كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) قال معمر : وتلا الحسن (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك . فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك . وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ماشئت ، أقلل أو أكثر ، حتى إذا متّ طُويت صحيفتك ، فجعلت فى عنقك معك فى قبرك ، حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (اقرأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : طائره : عمله ، ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا .

وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله (وكُلَّ إنْسانٍ ألْزَمْناهُ طائِرَهُ فى عُنُقِهِ) : أى حظه من قولهم : طار سهم فلان بكذا : إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء ، وذلك وإن كان قولا له وجه ، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت ، وغير جائز أن يتجاوز فى تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره ، على أن ماقاله هذا القائل ، إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة ، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم.

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ١٤

يقول تعالى ذكره (ونُخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاهُ مَنْشُورًا) فيقال له (اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) فترك ذكر قوله : فنقول له ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه . وعنى بقوله (اقْرَأْ كِتابَكَ) : اقرأ كتاب عملك الذى عملته فى الدنيا ، الذى كان كاتبانا يكتبانه ، ونحصيه عليك (كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) يقول : حسبك اليوم نفسك عليك حاسبا يحسب عليك أعمالك ، فيحصيها عليك ، لانبتغى عليك شاهدا غيرها ، ولا نطلب عليك محصيا سواها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا) سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ١٥

❊ يقول تعالى ذكره : من استقام على طريق الحقّ فاتبعه ، وذلك دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (فإنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) يقول : فليس ينفع بلزومه الاستقامة ، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه (وَمَنْ ضَلَّ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، فأخذ على غير هدى ، وكفر بالله وبمحمد

صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحقّ ، فليس يضرّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه ، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه . . وإنما عنى بقوله (فإنّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها ؛ وقوله (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يعني تعالى ذكره : ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام . وقال (وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) لأن معناها : ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه : وزرت كذا أزره وزرا ، والوزر : هو الإثم ، يجمع أوزارا ، كما قال تعالى (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) وكأن معنى الكلام : ولا تأثم آثمة إثم أخرى ، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره ، ولا يؤاخذ إلا بعمله .

وقوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل ، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا ، أو يأتيه من الله بيّنة وليس معذّبا أحدا إلا بذنبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أبي هريرة ، قال : إذا كان يوم القيامة ، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصمّ والأبكم ، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا ، ثم أرسل رسولا ، أن ادخلوا النار ، فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ، ثم يرسل إليهم ، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل ؛ قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة نحوه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) فقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق (أَمَرْنَا) بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، فإن الأغلب من تأويله : أمرنا مترفيها بالطاعة ، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله ، وخلافهم أمره ، كذلك تأوّله كثير ممن قرأه كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) قال : بطاعة الله ، فعصوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنا شريك ، عن سلمة أوغيره ، عن سعيد بن جبير ، قال : أمرنا بالطاعة فعصوا . وقد يحتمل أيضا إذا قرئ كذلك أن يكون معناه : جعلناهم أمراء ففسقوا فيها ، لأن العرب تقول : هو أمير غير مأمور . وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : قد يتوجَّه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها ، ويحتجّ لتصحيحه ذلك بالخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَيْرُ المَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أَوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ » ويقول : إن معنى قوله : مأمورة : كثيرة النسل. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قيله، ولا يجيزنا أمرنا ، بمعنى أكثرنا إلا بمدّ الألف من أمرنا . ويقول فى قوله « مهرة مأمورة » : إنما قيل ذلك على الاتباع لمجىء مأبورة بعدها ، كما قيل: « ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غيرَ مَأْجُورَاتٍ » فهمز مأزورات لهمز مأجورات ، وهى من وزرت إتباعا لبعض الكلام بعضا . وقرأ ذلك أبو عثمان (أَمَّرْنا) بتشديد الميم ، بمعنى : الإمارة .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال :ثنا هشيم عن عوف ، عن أبى عثمان النهدى أنه قرأ (أَمَّرْنا) مشدّدة من الإمارة . وقد تأوّل هذا الكلام على هذا التأويل ، جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَمَّرْنا مُتْرَفِيها) يقول : سلطنا أشرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب ، وهو قوله (وكَذلِكَ جَعَلْنا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : سمعت الكسائى يحدّث عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ابن أنس ، أنه قرأها (أَمَّرْنا) وقال : سلّطنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن أبى حفص ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : (أَمَّرْنا) مثقلة : جعلنا عليها مترفيها : مستكبريها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث قال : ثنا الحسن، قال :ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى (أَمَّرْنا مُتْرَفِيها) قال : بعثنا.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك (آمَرْنا) بمدّ الألف من أمرنا ، بمعنى : أكثرنا فسقتها . وقد وجّه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ، إلا أن الذين حدّثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات فى ذلك ، وكيف قرأ ذلك المتأوّلون ، إلا القايل منهم .

ذكر من تأوّل ذلك كذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) يقول : أكثرنا عددهم.

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) قال : أكثرناهم

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) قال : أكثرناهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) يقول : أكثرنا مترفيها : أي كبراءها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) يقول : أكثرنا مترفيها : أي جبابرتها ، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) وكان يقال : إذا أراد الله بقوم صلاحا ، بعث عليهم مصلحا ، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا ، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) قال : أكثرناهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول : « لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذَا ، وحلّق بين إبهامه والتي تليها ، قالت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) قال : ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا : أكثرنا. قال : والعرب تقول للشيء الكثير أمِرَ لكثرته . فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا ، فإنه يقال : أمر بنو فلان ، وأمر القوم يأمرون أمرا ، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم ، كما قال لبيد :

إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإِنْ أَمِرُوا يَوْمًا يَصِيرُوا لِلْقُلِّ وَالنَّفَدِ (١)

والأمر المصدر ، والاسم الإمر ، كما قال الله جلّ ثناؤه (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) قال : عظيما ، وحكي في مثل شرّ إمْر : أي كثير .

(١) البيت في ديوان لبيد طبع فينا سنة ١٨٨٠ رواية الطوسي ص ١٩ وفي روايته آخر البيت : « للهلك والنكد » في موضع : للقل والنفد في رواية المؤلف . وقال شارحه : يقول : إن غبطوا يوما فإنهم يموتون . ويهبطوا هاهنا يموتون . قال أبو الحسن : وهو قول أبي عمرو . ويروى : « إن يغبطوا : يموتون غبطة ، كأنهم يموتون من غير مرض . ويقال للناقة إذا ذبحت من غير علة : اعتبطت ، أخذه من العبيط . والعبيط : الطرى من كل شيء » اهـ . قلت : والقد النفد بمعنى القلة والفناء .

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ (أَمَرْنا مُتْرَفِيها) بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها ، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها دون غيرها . وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوّله : أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها ، فحقّ عليهم القول ، لأن الأغلب من معنى أمرنا : الأمر ، الذي هو خلاف النهي دون غيره ، وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه ، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره .

ومعنى قوله (فَفَسَقُوا فِيهَا) : فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته (فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ) يقول : فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها ، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله ، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج (فَدَمَّرْناها تَدْمِيرًا) يقول : فخرّبناها عند ذلك تخريبا ، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكا ، كما قال الفرزدق :

وكانَ لَهُمْ كَبَكْرِ ثَمُودَ لَمَّا رَغا ظُهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمارًا(١)

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذّبي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عماهم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام أنه محلّ بهم سخطه ، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله ، وتكذيب رسله سبيلهم ، يقول الله تعالى ذكره : وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به ، وتكذيب رسله ، على مثل الذي أنتم عليه ، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم ، لأنه لامناسبة بين أحد وبين الله جلّ ثناؤه ، فيعذّب قوما بما لايعذّب به آخرين ، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين ؛ يقول جلّ ثناؤه : فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولا ينبهكم على حججنا عليكم ، ويوقظكم من غفلتكم ، ولم نكن لنعذّب قوما حتى نبعث إليهم رسولا منبها لهم على حجج الله ، وأنتم على فسوقكم مقيمون ، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرا : يقول : وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما ، فإنه لايخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء ، ولا أفعال

(١) البيت للفرزدق (ديوانه ٤٤٣) استشهد به المؤلف على أن قوله تعالى : « فدمرناها تدميرا » معناه : خربناها تخريبا . والبيت من قصيدة ناقض بها الفرزدق قصيدة جرير التي مطلعها :

أَلا حَيِّ الدِّيارَ بِسُعْدَ إِنِّي أُحِبُّ لِحُبِّ فاطِمَةَ الدِّيارا

والضمير في قوله « وكان لهم كبكر ثمود » راجع إلى جرير المذكور في البيت قبله وهو :

جَرَّ المُخْزِياتِ عَلَى كُلَيْبٍ جَرِيرٌ ثُمَّ ما مَنَعَ الذِّمارا

وبكر ثمود: ولد ناقة صالح . ورغا : صوت . والرغاء : صوت ذوات الخف .

غيرهم من خلقه ، هو بجميع ذلك عالم خابر بصير ، يقول : يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

وقد اختلف فى مبلغ مدة القرن ؛ فحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن أبى محمد بن عبد الله بن أبى أوفى ، قال : القرن : عشرون ومئة سنة ، فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوّل قرن كان ، وآخرهم يزيد بن معاوية .

وقال آخرون : بل هو مئة سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حسان بن محمد بن عبد الرحمن الحمصى أبو الصلت الطائى ، قال : ثنا سلامة بن حواس ، عن محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن بسر المازنى ، قال : وضع النبىّ صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال : « سَيَعِيشُ هذَا الغُلام قَرْنا ، قلت : كم القرن ؟ قال : مِئَةُ سَنَةٍ » .

حدثنا حسان بن محمد ، قال : ثنا سلامة بن حواس ، عن محمد بن القاسم ، قال : مازلنا نعدّ له حتى تمّت مئة سنة ثم مات : قال أبو الصلت : أخبرنى سلامة أن محمد بن القاسم هذا كان ختن عبد الله بن بسر .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ، قال : أخبرنا عمر بن شاكر ، عن ابن سيرين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القَرْنُ أرْبَعُونَ سَنَةً » .

وقوله (وكَفَى بِرَبِّكَ) أدخلت الباء فى قوله (بِرَبِّكَ) وهو فى محلّ رفع ، لأن معنى الكلام : وكفاك ربك ، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا ، دلالة على المدح ، وكذلك تفعل العرب فى كلّ كلام كان بمعنى المدح أو الذمّ ، تدخل فى الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء فى موضع رفع لتدلّ بدخولها على المدح أو الذمّ كقولهم : أكرم به رجلا ، وناهيك به رجلا ، وجاد بثوبك ثوبا ، وطاب بطعامكم طعاما ، وما أشبه ذلك من الكلام ، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت ، لأنها فى محلّ رفع ، كما قال الشاعر :

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غائبِ المَرْءِ هَدْيُهُ كَفَى الهَدْىُ عَمّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرا(١)

فأما إذا لم يكن فى الكلام مدح أو ذمّ فلا يدخلون فى الاسم الباء ؛ لايجوز أن يقال : قام بأخيك ، وأنت تريد : قام أخوك ، إلا أن تريد : قام رجل آخر به ، وذلك معنى غير المعنى الأوّل .

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٨) قال : « وكل ما فى القرآن من قوله : « وكفى بربك) ، و (كفى بالله) و (كفى بنفسك اليوم) : فلو ألقيت الباء ، كان الحرف مرفوعا ، كما قال الشاعر : « ويخبرنى . . . البيت » . وإنما يجوز دخول الباء فى المرفوع إذا كان يمدح به صاحبه ؛ ألا ترى أنك تقول : كفاك به ، ونهاك به ، وأكرم به رجلا ، وبئس به رجلا ، ونعم به رجلا ، وطاب بطعامك طعاما ، وجاد بثوبك ثوبا . ولو لم يكن مدحا أو ذما لم يجز دخولها ؛ ألا ترى أن الذى يقول : قام أخوك . أو قعد أخوك ، لايجوز له أن يقول : قام بأخيك ، ولا قعد بأخيك ؛ إلا أن تريد قام به غيره وقعد به . اه . وقد اغترف المؤلف من كلام الفراء ما شاء ، غير أنه لم يعزه إلى قائله فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى ، وإياها يبتغى ، لايوقن بمعاد ، ولا يرجو ثوابا ولاعقابا من ربه على عمله (عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول : يعجل الله له فى الدنيا مايشاء من بسط الدنيا عليه ، أوتقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به ، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته (ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها) يقول : ثم أصليناه عند مقدمه علينا فى الآخرة جهنم ، (مَذْمُوما) على قلة شكره إيانا ، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده فى الدنيا (مَدْحُورًا) يقول : مبعدا : مقصى فى النار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها مانَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) يقول : من كانت الدنيا همّه وسدمه وطلبته ونيته ، عجّل الله له فيها مايشاء، ثم اضطرّه إلى جهنم، قال (ثم جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً) مذموما فى نعمة الله مدحورا فى نقمة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة ، أنه سمع أبا إسحاق الفزارى يقول : (عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) قال : لمن نريد هلكته .

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (مَذْمُوما) يقول : ملوما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) قال : العاجلة : الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : من أراد الآخرة وإياها طلب ، ولها عمل عملها ، الذى هو طاعة الله ومايرضيه عنه ، وأضاف السعى إلى الهاء والألف ، وهى كناية عن الآخرة ، فقال : وسعى للآخرة سعى الآخرة ، ومعناه : وعمل لها عملها لمعرفة السامعين بمعنى ذلك ، وأن معناه : وسعى لها سعيه لها وهومؤمن ، يقول : هومؤمن مصدّق

بثواب الله . وعظيم جزائه على سعيه لها . غير مكذّب به تكذيب من أراد العاجلة . يقول الله جلّ ثناؤه : (فَأُولَئِكَ) يعني : فمن فعل ذلك (كَانَ سَعْيُهُمْ) يعني عملهم بطاعة الله (مَشْكُورًا) وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة ، وتجاوزه لهم عن سيئها برحمته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ . فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) شكر الله لهم حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : يمدّ ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدى العاجلة ، ومريدى الآخرة ، الساعى لها سعيها وهو مؤمن فى هذه الدنيا من عطائه ، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد ، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما ، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات ، وتفترق بهما بعد الورود المصادر ، ففريق مريدى العاجلة إلى جهنم مصدرهم ، وفريق مريدى الآخرة إلى الجنة مآبهم (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) يقول : وما كان عطاء ربك الذى يؤتيه من يشاء من خلقه فى الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك ، وقد آتاه الله إياه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) : أى منقوصا ، وإن الله عزّ وجل قسم الدنيا بين البرّ والفاجر ، والآخرة خصوصا عند ربك للمتقين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) قال : منقوصا .

حدثنا محمد بن عبد الله المخرمى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سهل بن أبى الصلت السراج ، قال : سمعت الحسن يقول (كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) قال : كلا نعطى من الدنيا البرّ والفاجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ) . . . الآية (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ) ... ثم قال (كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) قال ابن عباس : فيرزق من أراد الدنيا ، ويرزق من أراد الآخرة . قال ابن جريج (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) قال : ممنوعا .

حدثنا بشر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ) أهل الدنيا وأهل الآخرة (مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ ، وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) قال : ممنوعا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ) أهل الدنيا وأهل الآخرة (مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً) من برّ ولا فاجر ، قال : والمحظور : الممنوع ، وقرأ (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وللآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ ، وأكْبَرُ تَفْضِيلاً) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يامحمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة ، وإياها يطلب ، ولها يعمل ؛ والآخر الذى يريد الدار الآخرة ، ولها يسعى موقنا بثواب الله على سعيه ، كيف فضّلنا أحد الفريقين على الآخر ، بأن بصرّنا هذا رشده ، وهديناه للسبيل التى هى أقوم ، ويسرناه للذى هو أهدى وأرشد ، وخذلنا هذا الآخر ، فأضللناه عن طريق الحقّ ، وأغشينا بصره عن سبيل الرشد (وَلَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ) يقول : وفريق مريد الآخرة أكبر فى الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم فى الجنة وأكبر تفضيلا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين فى الدنيا فيما بسطنا لهم فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ) : أى فى الدنيا (وَلَلآخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْضِيلاً) وإن للمؤمنين فى الجنة منازل ، وإن لهم فضائل بأعمالهم ، وذكرلنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ بينَ أعْلَى أهْلِ الجَنَّةِ وأسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كالنَّجْمِ يُرَى فى مَشارِقِ الأرْضِ ومَغارِبِها » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لا تجعل يامحمد مع الله شريكا فى ألوهته وعبادته ، ولكن أخلص له العبادة ، وأفرد له الألوهة ، فإنه لا إله غيره ، فإنك إن تجعل معه إلها غيره ، وتعبد معه سواه ، تقعد مذموما : يقول : تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه ، وتصييرك الشكر لغير من أولاك المعروف ، وفى إشراكك فى الحمد من لم يشركه فى النعمة عليك غيره ،

مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا ، وإذا أسلمك ربك الذى هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولىّ ينصرك ويدفع عنك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً) يقول : مذموما فى نعمة الله . وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فهو معنىّ به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلّ وعزّ .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾

يعنى بذلك تعالى ذكره حكم ربك يامحمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله ، فإنه لاينبغى أن يعبد غيره . وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله (وَقَضَى رَبُّكَ) وإن كان معنى جميعهم فى ذلك واحدا .

ذكر ما قالوا فى ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاه) يقول : أمر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا زكريا بن سلام ، قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : إنه طلق امرأته ثلاثا ، فقال : إنك عصيتَ ربك ، وبانت منك امرأتك ، فقال الرجل : قضى الله ذلك علىّ ، قال الحسن ، وكان فصيحا : ما قضى الله: أى ما أمر الله ، وقرأ هذه الآية (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) فقال الناس : تكلم الحسن فى القدر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) : أى أمر ربك فى ألا تعبدوا إلا إياه ، فهذا قضاء الله العاجل ، وكان يُقال فى بعض الحكمة : من أرضى والديه : أرضى خالقه ، ومن أسخط والديه ، فقد أسخط ربه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، وفى حرف ابن مسعود (وَصَّى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، قال : ثنا نصير بن أبى الأشعث ، قال : ثنى ابن حبيب ابن أبى ثابت ، عن أبيه ، قال : أعطانى ابن عباس مصحفا ، فقال : هذا على قراءة أبىّ بن كعب ، قال أبوكريب : قال يحيى : رأيت المصحف عند نصير فيه (وَوَصَّى رَبُّكَ) يعنى : وقضى ربك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) قال : وأوصى ربك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ) قال : أمر ألا تعبدوا إلا إياه .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى إسحاق الكوفى ، عن الضحاك بن مزاحم ، أنه قرأها (وَوَصَّى رَبُّكَ) وقال : إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا .

وقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) يقول : وأمركم بالوالدين إحسانا أن تحسنوا إليهما وتبرّوهما . ومعنى الكلام : وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين ؛ فلما حذفت « أن » تعلق القضاء بالإحسان ، كما يقال فى الكلام : آمرك به خيرا ، وأوصيك به خيرا ، بمعنى : آمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف « أن » فيتعلق الأمر والوصية بالخير ، كما قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذْ تَشْكُونا ومِنْ أبى دَهْماءَ إذْ يُوصِينا
خَيْرًا بها كأننا جافُونا[1]

وعمل يوصينا فى الخير .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفيين (إِمَّا يَبْلُغَنَّ) على التوحيد على توجيه ذلك إلى أحدهما لأن أحدهما واحد ، فوحدوا (يَبْلُغَنَّ) لتوحيده ، وجعلوا قوله (أَوْ كِلَاهُمَا) معطوفا على الأحد . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (إما يَبْلُغانّ) على التثنية وكسر النون وتشديدها ، وقالوا : قد ذكر الوالدان قبل ، وقوله (يَبْلُغانّ) خبر عنهما بعد ما قدّم أسماءهما ، قالوا : والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فيه دليل على أنه خبر عن اثنين أو جماعة . قالوا : والدليل على أنه خبر عن اثنين فى الفعل المستقبل الألف والنون . قالوا : وقوله (أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) كلام مستأنف ، كما قيل : (فَعَمُوا وَصَمُّوا ثم تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ، ثم عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ) وكقوله (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) ثم ابتدأ فقال (الَّذِينَ ظَلَمُوا) .

❊ وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك ، قراءة من قرأه (إما يَبْلُغَنَّ) على التوحيد على أنه خبر عن أحدهما ، لأن الخبر عن الأمر بالإحسان فى الوالدين ، قد تناهى عند قوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ثم ابتدأ قوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) .

وقوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) يقول : فلا تؤفف من شىء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذّى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب فى الأجر صبرك عليه منهما ، كما صبرا عليك فى صغرك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز . وهى من شواهد الفراء فى (معانى القرآن ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به خيرا ، وآمرك به خيرا ، وكأن معناه : آمرك أن تفعل به خيرا ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخير بالوصية وبالأمر ، قال الشاعر : « عجبت . . . الأبيات » .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبب ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) قال : إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن ، فلا تقل لهما أف تقذرهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد إما يبلغان عندك الكبر فلا تقل لهما أف حين ترى الأذى ، وتميط عنهما الخلاء والبول ، كما كانا يميطانه عنك صغيرا ، ولا تؤذهما .

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى « أفّ » ، فقال بعضهم : معناه : كلّ ما غلظ من الكلام وقبح . وقال آخرون : الأفّ : وسخ الأظفار والتف كلّ ما رفعت بيدك من الأرض من شىء حقير . وللعرب فى « أفّ » لغات ست رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها ، فمن خفض ذلك بالتنوين ، وهى قراءة عامة أهل المدينة ، شبهها بالأصوات التى لا معنى لها ، كقولهم فى حكاية الصوت غاق غاق ، فخفضوا القاف ونوّنوها ، وكان حكمها السكون ، فإنه لا شىء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف ، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين ، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون ، وذلك الكسر ، لأن المجزوم إذا حرّك ، فإنما يحرّك إلى الكسر . وأما الذين خفضوا بغير تنوين ، وهى قراءة عامة قرّاء الكوفيين والبصريين ، فإنهم قالوا : إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا ، كالذى يأتى على حرفين مثل مه وصه وبخ ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنية الأسماء . قالوا : وأفّ تامّ لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره ، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف . قالوا : وإنما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين . وأما من ضمّ ونوّن ، فإنه قال : هو اسم كسائر الأسماء التى تعرب وليس بصوت ، وعدل به عن الأصوات . وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين ، فإنه قال : ليس هو باسم متمكن فيعرب بإعراب الأسماء المتمكنة ، وقالوا : نضمه كما نضمّ قوله (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) ؛ وكما نضمّ الاسم فى النداء المفرد ، فنقول : يا زيد . ومن نصبه بغير تنوين ، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم : مدّ يا هذا وردّ . ومن نصب بالتنوين ، فإنه أعمل الفعل فيه ، وجعله اسما صحيحا ، فيقول : ما قلت له : أفا ولا تفا . وكان بعض نحويى البصرة يقول : قرئت : أفّ ، وأفا لغة جعلوها مثل نعتها . وقرأ بعضهم « أُفُّ » ، وذلك أن بعض العرب يقول : « أفّ لك » على الحكاية : أى لا تقل لهما هذا القول . قال : والرفع قبيح ، لأنه لم يجئ بعده بلام ، والذين قالوا : « أُفِّ » فكسروا كثير ، وهو أجود . وكسر بعضهم ونوّن . وقال بعضهم : « أفى » ، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه ، فقال : أفى هذا لكما ، والمكسور من هذا منوّن وغير منوّن على أنه اسم غير متمكن ، نحو أمس وما أشبهه ، والمفتوح بغير تنوين كذلك . وقال بعض أهل العربية : كل هذه الحركات الستّ تدخل فى « أفّ » حكاية تشبه بالاسم مرّة وبالصوت أخرى . قال : وأكثر ما تكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ . وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت

بالأدوات « أفّ » مثل : ليت ومدّ ، وأُفّ مثل مُدّ يُشبه بالأدوات ١ .وإذا قال أَفّ مثل صَهّ . وقالوا سمعت مضٍ يا هذا ومِضُ . وحُكي عن الكسائى أنه قال : سمعت « ما علمك أهلك إلا مِضّ ومِضُ » ، وهذا كأفّ وأفُّ . ومن قال : « أُفًّا » جعله مثل سُحْقا وبُعدا .

والذى هو أولى بالصحة عندى فى قراءة ذلك ، قراءة من قرأه (فلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ) بكسر الفاء بغير تنوين لعلّتين : إحداهما : أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب ؛ والثانية : أن حظّ كلّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون ؛ فلما كان ذلك كذلك . وكانت الفاء فى أفّ حظها الوقوف ، ثم لم يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه . وكان حكم الساكن إذا حُرّك أن يحرّك إلى الكسر حرّكت إلى الكسر ، كما قيل : مُدّ وشُدّ ورُدّ الباب .

وقوله (وَلا تَنْهَرْهُما) يقول جلّ ثناؤه : ولا تزجُرهما .

كما حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمَسى ، قالَ : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا واصل الرّقاشىّ ، عن عطاء ابن أبى رَباح ، فى قوله (وَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما) قال : لاتنفض يدك على والديك ، يقال منه : نَهَره يَنْهره نَهْرا ، وانتهره ينتهره انتهارا .

وأما قوله (وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما) فإنه يقول جلّ ثناؤه : وقل لهما قولا جميلا حسنا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَقُلْ لَهُما قَوْلا كَرِيما) قال : أحسن ما تجد من القول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب (قَوْلا كَرِيما) قالا : لاتمتنع من شىء يريدانه .

قال أبو جعفر : وهذا الحديث خطأ ، أعنى حديث هشام بن عُروة ، إنما هو عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، ليس فيه عمر ، حدّث عن ابن عُلَية وغيره ، عن عبد الله بن المختار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُلْ لَهُما قَوْلا كَرِيما) : أى قولا ليِّنا سهلا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى حَرْملة بن عمران ، عن أبى الهدّاج التُّجيبى ، قال قلت لسعيد بن المسيب : كلّ ما ذكر الله عزّ وجلّ فى القرآن من برّ الوالدين ، فقد عرفته ، إلا قوله (وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما) ما هذا القول الكريم ؟ فقال ابن المسيب : قولُ العبد المذنب للسيد الفظّ

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ ٢٤

(١) ليس كلام المؤلف فى تخريج اللغات الست فى كلمة « أف » واضحا ، وقد بينته المعاجم (اللسان : أفف) ، انظر معانى القرآن للفراء (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٧٩) ففيه ما يوضح هذا الموضع من كلام المؤلف ، وهو كثير لم نرد أن نطول به ذيول الكتاب .

يقول تعالى ذكره : وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية ، ولا تخالفهما فيما أحبا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فى قوله (وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لاتمتنع من شىء يحبانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعى ، قال : سمعت هشام بن عروة ، عن أبيه، فى قوله (وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن تلين لهما حتى لاتمتنع من شىء أحباه .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا الثورى ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، فى قوله (وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : لاتمتنع من شىء أحباه.

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن عبد الله بن المختار ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فى قوله (وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : هو أن لاتمتنع من شىء يريدانه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المقرئ أبو عبد الرحمن ، عن حرملة بن عمران ، عن أبى الهداج ، قال : قلت لسعيد بن المسيب : ما قوله (وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ . والذُّلّ بضم الذال والذِّلّة مصدران من الذليل ، وذلك أن يتذلل ، وليس بذليل فى الخلقة من قول القائل : قد ذَلَلت لك أذل ذلة وذلا ، وذلك نظير القل والقلة ، إذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الذُّل ، والقاف من القُل ، وإذا أثبتت الهاء كسرت الذال من الذِّلة ، والقاف من القِلَّة ، لما قال الأعشى :

وَمَا كُنْتُ قُلًّا قبلَ ذلكَ أزْيَبَا[1]

يريد : القلة . وأما الذِّل بكسر الذال وإسقاط الهاء فإنه مصدر من الذَّلول من قولهم : دابة ذَلول : بينة الذل ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة . ومنه قول الله جل ثناؤه (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً) يجمع ذلك ذُلُلا ، كما قال جل ثناؤه (فاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) . وكان مجاهد يتأول ذلك أنه لايتوعَّر عليها مكان سلكته .

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١١٥) من قصيدة يهجو بها عمرو بن المنذر بن عبدان ، ويعاتب بنى سعد بن قيس . وصدره : « فأرضوه أن أعطوه منى ظلامة » . وقال فى (لسان العرب : زيب) الأزيب : الدعى ؛ قال الأعشى يذكر رجلا من قيس عيلان ، كان جارا لعمرو بن المنذر ، وكان اتهم هداجا قائد الأعشى بأنه سرق راحلة له ، لأنه وجد بعض لحمها فى بيته ، فأخذ هداج وضرب والأعشى جالس ؛ فقام ناس منهم فأخذوا من الأعشى قيمة الراحلة ، فقال الأعشى :

دَعا رَهْطَهُ حَوْلى فجاءُوا لِنَصْرِهِ ... ونادَيْتُ حَيًّا بالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا
فأَعْطَوْهُ مِنِّى النِّصْفَ أوْ أضْعَفُوا لهُ ... وَما كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلكَ أزْيَبَا

أى كنت غريبا فى ذلك الموضع ، لاناصر لى . والنصف : النصفة . يقول : أرضوه وأعطوه النصف أو فوقه . والقل من الرجال الخسيس ، ومنه قول الأعشى اهـ .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق والشام (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) بضمّ الذال على أنه مصدر من الذليل. وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجحدرىّ (جَنَاحَ الذِّلِّ) بكسر الذال .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا بهز بن أسد ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولا .

حدثنا نصر بن علىّ ، قال : أخبرنى عمر بن شقيق ، قال : سمعت عاصما الجحدرى يقرأ (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قال : كن لهما ذليلا ، ولا تكن لهما ذلولا.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عمر بن شقيق ، عن عاصم ، مثله .

قال أبو جعفر : وعلى هذا التأويل الذى تأوّله عاصم كان ينبغى أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها وبكسرها .

حدثنا نصر وابن بشار ، وحُدثت عن الفراء ، قال : ثنى هشيم ، عن أبى بشر جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ) قال الفرّاء : وأخبرنى الحكم بن ظهير ، عن عاصم بن أبى النَّجود ، أنه قرأها الذّلّ أيضا ، فسألت أبا بكر فقال : الذُّلّ قرأها عاصم .

وأما قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فإنه يقول : ادع الله لوالديك بالرحمة ، وقل ربّ ارحمهما ، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك ، كما تعطّفا علىّ فى صغرى ، فرحمانى وربيانى صغيرا ، حتى استقللت بنفسى ، واستغنيت عنهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) هكذا عُلّمتم ، وبهذا أمرتم ، خذوا تعليم الله وأدبه ، ذُكر لنا « أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو مادّ يديه رافع صوته يقول : مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذلكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ وأَسْحَقَهُ ». ولكن كانوا يرون أنه من برّ والديه ، وكان فيه أدنى تُقى ، فإن ذلك مُبْلغه جسيم الخير . وقال جماعة من أهل العلم : إن قول الله جلّ ثناؤه (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) منسوخ بقوله (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) ثم أنزل الله عزّ وجلّ بعد هذا (ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولِى قُرْبَى) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، قال

فى سورة بنى إسرائيل (إِمَّا يَبْلُغَانَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) . . . إلى قوله (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) فنسختها الآية التى فى براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا) . . . الآية ، قال : نسختها الآية التى فى براءة (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ) . . . الآية . وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامًّا فى كل الآباء بغير معنى النسخ ، بأن يكون تأويلها على الخصوص ، فيكون معنى الكلام : وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين ، كما ربيانى صغيرا ، فتكون مرادا بها الخصوص على ماقلنا غير منسوخ منها شىء . وعنى بقوله ربيانى : نميانى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ ٢٥

يقول تعالى ذكره (رَبُّكُمْ) أيها الناس (أَعْلَمُ) منكم (بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم ، والبر بهم ، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم ، والعقوق لهم ، وغير ذلك من ضمائر صدوركم ، لايخفى عليه شىء من ذلك ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه ، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءا ، وتعقدوا لهم عقوقا . وقوله (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) يقول : إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم ، وأطعتم الله فيما أمركم به من البر بهم ، والقيام بحقوقهم عليكم ، بعد هفوة كانت منكم ، أو زلة فى واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمكم فى غير ذلك من فرائضه ، فإنه كان للأوابين بعد الزلة ، والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى وعمى عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد ابن جبير (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) قال : البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لايريد بذلك إلا الخير ، فقال (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنى أبى ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن حبيب بن أبى ثابت ، فى قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) قال : هو الرجل تكون منه البادرة إلى ابويه وفى نيته وقلبه أنه لايؤاخذ به.

واختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) فقال بعضهم : هم المسبحون.

ذكر من قال ذلك

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبوكدينة ؛ وحدثنى ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبوكدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فإنَّهُ كانَ للأوَّابينَ غَفُورًا) قال : المسبحين .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا أبوخيثمة زهير ، قال : ثنا أبوإسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عمرو بن شرحبيل ، قال : الأوّاب : المسبح .

وقال آخرون : هم المطيعون المحسنون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) يقول : للمطيعين المحسنين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) قال : هم المطيعون ، وأهل الصلاة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فإنه كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) قال : للمطيعين المصلين .

وقال آخرون : بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن أبى صخر حميد بن زياد ، عن ابن المنكدر يرفعه (فإنَّهُ كان للأَوَّابينَ غَفُورًا) قال : الصلاة بين المغرب والعشاء .

وقال آخرون : هم الذين يصلُّون الضُّحَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا رباح أبوسليمان الرقاء ، قال : سمعت عونا العُقَيْلىّ يقول فى هذه الآية (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) قال : الذين يصلون صلاة الضحى .

وقال آخرون : بل هو الراجع من ذنبه ، التائب منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشىّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال فى هذه الآية (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) قال : الذى يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سليمان بن داود ، عن شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب فى هذه الآية (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غَفُورًا) .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، أنه سمع سعيد بن المسيب يُسأل عن هذه الآية (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غفُوراً) قال : هو الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن سعيد بن المسيب ، بنحوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غفُوراً) قال : هو العبد يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول ، فذكر مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا الثّورىّ ومعمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن المسيب ، قال : الأوّاب : الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (فإنَّهُ كانَ للأَوَّابينَ غفُوراً) قال : الراجعين إلى الخير .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام ، عن شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ؛ وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، جميعا عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير (فإنَّهُ كان للأوَّابين غفُوراً) قال : الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء ، فيستغفر الله منها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الأوّاب : الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، أنه قال فى هذه الآية (إنَّهُ كان للأوَّابين غفُوراً) قال : الذى يذكر ذنبه ثم يتوب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله جلّ ثناؤه (للأوَّابين غفُوراً) قال : الأوّابون : الراجعون التائبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قوله (فإنَّهُ كان للأوَّابين غفُوراً) قال : الذى يتذكر ذنوبه ، فيستغفر الله لها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن شريح ، عن عقبة بن مسلم ، عن عطاء ابن يسار ، أنه قال فى قوله (فإنَّهُ كان للأوَّابِين غَفُورًا) يذنب العبد ثم يتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب فيتوب ، فيتوب الله عليه ؛ ثم يذنب الثالثة ، فإن تاب ، تاب الله عليه توبة لا تُمْحَى .

وقد رُوى عن عبيد بن عمير ، غير القول الذى ذكرنا عن مجاهد ، وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، فى قوله (فإنَّهُ كان للأوَّابِين غَفُورًا) قال : كنا نَعُدُّ الأوَّاب : الحفيظ ، أن يقول : اللهمَّ اغفر لى ما أصبت فى مجلسى هذا .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : الأوّاب : هو التائب من الذنب ، الراجع من معصية الله إلى طاعته ، ومما يكرهه إلى مايرضاه ، لأن الأوّاب إنما هو فعّال ، من قول القائل : آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله ، أو من حال إلى حال ، كما قال عَبيد بن الأبرص :

وكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَئُوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ[1]

فهو يئوب أوبا ، وهو رجل آئب من سفره ، وأوّاب من ذنوبه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (وآتِ ذَا القُرْبَى) فقال بعضهم : عَنَى به : قرابة الميت من قِبل أبيه وأمه ، أمراً الله جلّ ثناؤه عباده بصلتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرانُ بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حبيب المعلم ، قال : سأل رجل الحسن ، قال : أُعْطِى قرابتى زكاة مالى فقال : إن لهم فى ذلك لحقا سوى الزكاة ، ثم تلا هذه الآية (وآت ذا القُرْبَى حَقَّهُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) قال : صلته التى تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الشاعر الجاهلى (ديوانه ص ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٣) من قصيدته التى مطلعها : « أقفر من أهله ملحوب » . يقول : كل غائب تنتظر أوبته ، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا . والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع ، الذى يرجع إلى التوبة والطاعة ، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان : أوب) . وفيه أيضا : قال أبو بكر فى قولهم : رجل أواب ، سبعة أقوال : الراحم ، والتائب ، والمسبح ، والذى يرجع إلى التوبة ثم يذنب ثم يتوب ، والمطيع ، والذى يذكر ذنبه فى الخلاء ، فيستغفر الله منه . اهـ . وكل هذه المعانى راجعة إلى المعنى اللغوى ، وهو الرجوع عن الشىء إلى غيره .

قوله (وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ ، وَالمِسْكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : هو أن تصل ذا القرابة والمسكين وتحسن إلى ابن السبيل .

وقال آخرون : بل عنى به قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان : قال : ثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السُّدي ، عن أبي الديلم ، قال ، قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : أفما قرأت في بني إسرائيل (وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) قال : وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ، قال : نعم .

❊ وأولى التأويلين عندي بالصواب ، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم ، وذلك أن الله عز وجل عَقَّب ذلك عقيب حَضّه عباده على بر الآباء والأمهات ، فالواجب أن يكون ذلك حَضًّا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه ، وبرك به ، والعطف عليه . وخرج ذلك مَخْرَج الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله ، يدل على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جل ثناؤه (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا) فوجَّه الخطاب بقوله (وَقَضَى رَبُّكَ) إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال (أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ) فرجع بالخطاب به إلى الجميع ، ثم صرف الخطاب بقوله (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ) إلى إفراده به . والمعنيّ بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عز وجل ، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عم به هو وجميع أمته .

وقوله (وَالمِسْكِينَ) وهو الذلة من أهل الحاجة . وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله (وَابْنَ السَّبِيلِ) يعني : المسافر المنقطع به ، يقول تعالى : وصِلْ قرابتك ، فأعطه حقه من صلتك إياه ، والمسكين ذا الحاجة ، والمجتاز بك المنقطع به ، فأعنه ، وقوه على قطع سفره . وقد قيل : إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام .

❊ والقول الأول عندي أولى بالصواب ، لأن الله تعالى لم يخصص من حقوقه شيئا دون شيء في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، فذلك عام في كل حق له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو معونة على سفره .

وقوله (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) يقول : ولا تفرق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقا . وأصل التبذير : التفريق في السَّرَف ؛ ومنه قول الشاعر :

أُنَاسٌ أَجَارُونَا فَكَانَ جِوَارُهُمْ أَعَاصِيرَ مِنْ فِسْقِ العِرَاقِ المُبَذَّرِ[1]

(١) لم أقف على قائله . ويقال : أجار فلان فلانا : إذا خفره ومنعه أن يظلمه ظالم . وجوارهم هنا بمعنى إجارتهم . والأعاصير جمع إعصار ، وهو الريح التي تستدير وتحمل ما على الأرض من تراب وغيره . والفسق : الخروج عن الطاعة أو عن جميل الأخلاق .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن أبى العبيدين ، قال : قال عبد الله فى قوله (وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) قال : التبذير فى غير الحقّ ، وهو الإسراف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن أبى العبيدين ، قال : سُئل عبد الله عن المبذّر فقال : الإنفاق فى غير حقّ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت يحيى ابن الجزار يحدّث عن أبى العُبيدين (١) ضرير البصر ، أنه سئل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) قال : إنفاق المال فى غير حقه .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن الحكم ، عن يحيى ابن الجزار ، عن أبى العُبيدين ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين كان ضرير البصر ، سأل ابن مسعود فقال : ما التبذير؟ فقال : إنفاق المال فى غير حقه .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا المسعودى ، قال : أخبرنا سلمة بن كُهيل ، عن أبى العُبيدين ، وكانت به زَمانة ، وكان عبد الله يعرف له ذلك ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما التبذير؟ فذكر مثله .

حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، قال : ثنا أبو الجوَاب ، عن عمار بن زُريق ، عن أبى إسحاق ، عن حارثة بن مُضرِب ، عن أبى العُبيدين ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن التبذير : النفقة فى غير حقه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن كثير العنبرى ، قال : ثنا شعبة ، قال : كنت أمشى مع أبى إسحاق فى طريق الكوفة ، فأتى على دار تُبْنى بجصّ وآجر ، فقال : هذا التبذير فى قول عبد الله : إنفاق المال فى غير حقه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) قال : المبذّر : المنفق فى غير حقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : المبذّر : المنفق فى غير حقه .

=والمبذر : اسم مفعول من التبذير ، وهو تفريق المال ونحوه وإفساده بالإسراف . قال فى (اللسان : بذر) : والتبذير : إفساد المال وإنفاقه فى السرف . وقيل : التبذير : أن ينفق المال فى المعاصى . اهـ وعلى هذا المعنى استشهد المؤلف بالبيت .

(١) هو معاوية بن سبرة السوائى ، أبو العبيدين : مصغر عبدين ، الأعمى الكوفى . مات سنة ٩٨ هـ . (عن خلاصة الخزرجى) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : لاتنفق فى الباطل . فإن المبذّر : هو المسرف فى غير حقّ .

قال ابن جريج وقال مجاهد : لوأنفق إنسان ماله كله فى الحقّ ما كان تبذيرا . ولوأنفق مدّا فى باطل كان تبذيرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) قال : التبذير : النفقة فى معصية الله ، وفى غير الحقّ وفى الفساد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) قال : بدأ بالوالدين قبل هذا ، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ، ذكر هؤلاء وقال (لاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) : لاتعط فى معاصى الله .

وأما قوله (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) فإنه يعنى : إنّ المفرّقين أموالهم فى معاصى الله المنفقيها فى غير طاعته أولياء الشياطين ، وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم : هو أخوهم (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) يقول : وكان الشيطان لنعمة ربه التى أنعمها عليه جحودا لايشكره عليها ، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله ، وركوبه معصيته ، فكذلك إخوانه من بنى آدم المبذّرون أموالهم فى معاصى الله ، لايشكرون الله على نعمه عليهم ، ولكنهم يخالفون أمره ويعصُونه ، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التى خوّلهموها وجل عزّ سنته من ترك الشكر عليها ، وتلقّيها بالكُفران .

كالذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ) : إن المنفقين فى معاصى الله (كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وإن تعرض يامحمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك ، ما لاتجد إليه سبيلا ، حياء منهم ورحمة لهم (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ) يقول : انتظار رزق تنتظره من عند ربك ، وترجو تيسير الله إياه لك ، فلا تؤيسهم ، ولكن قل لهم قولا ميسورا : يقول : ولكن عدهم وعدا جميلا ، بأن تقول : سيرزق الله فأعطيكم ، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ ، كما قال جلّ ثناؤه (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ) .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ

عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها) قال : انتظار الرزق (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) قال : لينا تعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ) قال : رزق (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ) .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا عمارة ، عن عكرمة ، فى قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها) قال : انتظار رزق من الله يأتيك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها) قال : إن سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره ترجوه (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) قال : عدهم عدة حسنة ، إذا كان ذلك ، إذا جاءنا ذلك فعلنا ، أعطيناكم ، فهو القول الميسور .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : إن سألوك فلم يكن عندك ما تعطيهم ، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة ، قال : رزق تنتظره (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ) قال : انتظار رزق الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى الضُّحَى ، عن عبيدة فى قوله (ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها) قال : ابتغاء الرزق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد (وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها) قال : أى رزق تنتظره (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُوراً) أى معروفا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) قال : عدهم خيرا . وقال الحسن : قل لهم قولا لينا سهلا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ) يقول : لانجد شيئا تعطيهم (ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ) يقول : انتظار الرزق من ربك ، نزلت فيمن كان يسأل النبىّ صلى الله عليه وسلم من المساكين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى حرمى بن عمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنى عمارة ، عن عكرمة فى قول الله (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) قال : الرزق .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ) عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم (ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجوها) إذا خشيت إن أعطيتهم ، أن يتقوّوا بها على معاصى الله عزّ وجلّ ، ويستعينوا بها عليها ، فرأيت أن تمنعهم

خيرا ، فإذا سألوك (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا) قولا جميلا : رزقك الله ، بارك الله فيك .

وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل فى تأويل هذه الآية . بعيد المعنى ، مما يدلّ عليه ظاهرها ، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه (قَوْلاً مَيْسُورًا) وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة ، لن يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه ، فيكون معنى الكلام كما قلناه ، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم . وخلاف قوله ؛ أو يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أُمر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه فى معاصى الله ، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صَرْف ما أُعْطى من نفقة ليتقوّى بها على طاعة الله فى معاصيه ، أخوف من رجاء رحمته له ، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته ، لا لأهل معاصيه ، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ماسألوه ، لينيبوا من معاصى الله ، ويتوبوا بمنعه إياهم مأسألوه ، فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية ، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾

وهذا مثلٌ ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق فى الحقوق التى أوجبها فى أموال ذوى الأموال ، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه ، الذى لايقدر على الأخذ بها والإعطاء .

وإنما معنى الكلام : ولا تمسك يامحمد يدك بخلا عن النفقة فى حقوق الله ، فلا تنفق فيها شيئا إمساك المغلولة يده إلى عنقه ، الذى لايستطيع بسطها (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) يقول : ولاتبسطها بالعطية كلّ البسط ، فتبقى لاشىء عندك ، ولا تجد إذا سئلت شيئا تعطيه سائلك (فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) يقول : فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك ، وتلومك نفسك على الإسراع فى مالك وذهابه ، محسورا : يقول : مَعِيبا ، قد انقَطِع بك ، لاشىء عندك تنفقه . وأصله من قولهم للدابة التى قد سير عليها حتى انقَطَع سيرها ، وكلّت ورَزَحَت من السير ، بأنه حَسِير ، يقال منه : حَسَرْتُ الدابة فأنا أحسِرُها ، وأحسُرها حَسْرا ، وذلك إذا أنضيته بالسير ، وحَسَرته بالمسألة إذا سألته فألحفت ، وحَسَرَ البصرُ فهو يَحْسِر ، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكَلّ . ومنه قوله عزّ وجلّ (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) وكذلك ذلك فى كلّ شىء كَلّ وأزحف حتى يَضْنَى .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هودة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَلَا تَجْعَلْ

يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) قال : لاتجعلها مغاولة عن النفقة (وَلا تَبْسُطْها) : تبذّر بسرف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يوسف بن بهز ، قال : ثنا حوشب ، قال : كان الحسن إذا تلا هذه الآية (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مَحْسُورًا) يقول : لاتطفّف برزقى عن غير رضاى ، ولا تضعه فى سُخطى فأسلبك ما فى يديك ، فتكون حسيرا ليس فى يديك منه شىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلُوما مَحْسُورًا) يقول هذا فى النفقة ، يقول (لا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) يقول : لاتبسطها بالخير (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ) يعنى التبذير (فَتَقْعُدَ مَلُوما) يقول : يلوم نفسه على ما فات من ماله (مَحْسُورًا) يعنى : ذهب ماله كله فهو محسور .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) يعنى بذلك البخل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) : أى لاتمسكها عن طاعة الله ، ولا عن حقه (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ) يقول : لاتنفقها فى معصية الله ، ولا فيما يصلح لك ، ولاينبغى لك ، وهو الإسراف . قوله (فَتَقْعُدَ مَلُوما مَحْسُورًا) قال : ملوما فى عباد الله ، محسورا على ماسلف من دهره وفرّط .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) قال : فى النفقة ، يقول : لاتمسك عن النفقة (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ) يقول : لاتبذر تبذيرا (فَتَقْعُدَ مَلُوما) فى عباد الله (مَحْسُورًا) يقول : نادما على مافرط منك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لاتمسك عن النفقة فيما أمرتك به من الحق (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ) فيما نهيتك (فَتَقْعُدَ مَلُوما) قال : مذنبا (مَحْسُورًا) قال : منقطعا بك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ) قال : مغاولة لاتبسطها بخير ولا بعطية (وَلا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ) فى الحق والباطل ، فينفد ما معك ، وما فى يديك ، فيأتيك من يريد أن تعطيه فيحسر بك ، فيلومك حين أعطيت هؤلاء ، ولم تعطهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يامحمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده ، فيوسع عليه ، ويقدر على من يشاء ، يقول : ويُقتّر على من يشاء منهم ، فيضيّق عليه (إنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا) : يقول : إن ربك ذو خبرة بعباده ، ومن الذى تصلحه السعة فى الرزق وتفسده ، ومن الذى يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه . (بصيرا) : يقول : يقول : هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم ، يقول : فانته يامحمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه ، وفيمن تبسطها له ، ومن كفها عمن تكفها عنه ، وتكفها فيه ، فنحن أعلم بمصالح العباد منك ، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم .

كالذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع ، فقال : (إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) قال : يقدر : يقلّ ، وكل شىء فى القرآن يقدر كذلك ؛ ثم أخبر عباده أنه لايرزؤه ولايئوده أن لو بسط عليهم ، ولكن نظرا لهم منه ، فقال (وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشَاءُ ، إنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) قال : والعرب إذا كان الخصب وبُسط عليهم أشروا ، وقتل بعضهم بعضا ، وجاء الفساد ، فإذا كان السنة شُغلوا عن ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره (وَقَضَى رَبُّكَ) يامحمد (أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إحْسَانا) ، (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ) فموضع تقتلوا نُصب عطفا على ألا تعبدوا .

ويعنى بقوله (خَشْيَةَ إمْلاقٍ) خوف إقتار وفقر . وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى ، وذكرنا الرواية فيه . وإنما قال جلّ ثناؤه ذلك للعرب ، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ) : أى خشية الفاقة ، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة ، فوعظهم الله فى ذلك ، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله ، فقال (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيَّاكُمْ ، إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خَشْيَةَ إمْلاقٍ) قال : كانوا يقتلون البنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) قال : الفاقة والفقر .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) يقول : الفقر .

وأما قوله (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) فإن القراء اختلفت فى قراءته ؛ فقرأته عامّة قراء أهل المدينة والعراق (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) بكسر الخاء من الخطإ وسكون الطاء . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كان له وجهان من التأويل : أحدهما أن يكون اسما من قول القائل : خَطِئت فأنا أَخْطَأ ، بمعنى : أذنبت وأثمت . ويُحكى عن العرب : خَطِئتُ : إذا أذنبتَ عمدا ، وأخطأت : إذا وقع منك الذنب خَطَأ على غير عمد منك له . والثانى : أن يكون بمعنى خَطَأ بفتح الخاء والطاء ، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء ، كما قيل : قِتْب وقتب وحِذَر وحِذْر ، ونجِس ونَجَس . والخطء بالكسر اسم ، والخطأ بالفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم : خَطِئ الرجل ، وقد يكون اسما من قولهم : أخطأ . فأما المصدر منه فالإخطاء . وقد قيل : خَطِئ ، بمعنى أخطأ ، كما قال الشاعر :

يا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلا[١]

بمعنى : أخطأن . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خَطَأً) بفتح الخاء والطاء مقصورا على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم : أخطأ فلان خطأ . وقرأه بعض قراء أهل مكة (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطَاءً) بفتح الخَاء والطاء ، ومدّ الخَطَاء بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء ، غير أنه يخالفه فى مدّ الحرف .

وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخِطْء والخطأ بمعنى واحد ، إلا أن بعضهم زعم أن الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء فى القراءة أكثر ، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء فى كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء : فى شىء من كلامهم وأشعارهم ، إلا فى بيت أنشده لبعض الشعراء :

الخِطْءُ فاحِشَةٌ والبِرُّ نافِلَةٌ   كعَجْوَةٍ غُرِسَتْ فِى الأَرْضِ تُؤْتَبَرُ[٢]

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ينسب إلى امرئ القيس بن حجر الكندى ، من مقطوعة تسعة أبيات ، (مختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ١٠٥) قالها حين بلغه أن بنى أسد قتلت أباه . ومعنى يالهف : ياأسف أو ياحسرة . وهند أخته . وخطئن : يعنى الخيل ، أى أخطأن . وكان قد طلب بنى كاهل من بنى أسد ليلا ، فأوقع بين كنانة خطأ ، وهرب منه بنو كاهل . وهذا البيت هو أول الأبيات فى الأغانى والعقد الثمين لوليم ألورد . ومحل الشاهد فى البيت أن خطئ خطأ ، وأخطأ إخطاء : لغتان بمعنى واحد إذا عمل شيئا وأخطأ فيه عن غير تعمد كما فى البيت والخطء ، بكسر الخاء وسكون الطاء اسم مصدر بمعنى المصدر وبعض اللغويين يقول : إن خطئ خطأ معناه وقع فى الإثم عن تعمد ، بخلاف أخطأ ، فإنه عن غير تعمد .

(٢) استشهد المؤلف بهذا البيت على أن بعضهم زعم أن الخطء (بكسر الخاء وسكون الطاء) فى القراءة أكثر ، وأن الخطأ (بفتح الخاء وسكون الطاء فى كلام الناس أفشى ، وأنه لم يسمع بكسر الخاء وسكون الطاء فى شىء من كلامهم وأشعارهم إلا فى بيت أنشده لبعض الشعراء : الخطء فاحشة . . . الخ البيت) . ولم أقف على البيت ولا قائله فى معانى القرآن للفراء ، ولا فى مجاز القرآن لأبى عبيدة . غير أن الفراء قال : قرأ الحسن : خطاء كبيرا بالمد ، وقرأ أبو جعفر المدنى : خطأ كبيرا ، قصر و همز ، وكل صواب . وكأن الخطاء الاثم ، وقد يكون فى معنى خطأ بالقصر ، كما قالوا : قتب وقتب وحذر وحذر ونجس ونجس . ومثله قراءة من قرأ : (هم أولاء على أثرى)

وقد ذكرت الفرق بين الخطء بكسر الخاء وسكون الطاء وفتحهما .

وأولى القراءات فى ذلك عندنا بالصواب ، القراءة التى عليها قراء أهل العراق ، وعامة أهل الحجاز ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وشذوذ ما عداها . وإن معنى ذلك كان إثما وخطيئة ، لا خَطَأً من الفعل ، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدا لا خطأ ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم ، وتقدم إليهم بالنهى عنه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (خِطْئًا كَبِيرًا) قال : أى خطيئة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (إنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْئًا كَبِيرًا) قال : خطيئة . قال ابن جريج ، وقال ابن عباس : خِطأً : أى خطيئة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ٣٢

يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن (لاتَقْرَبُوا) أيها الناس (الزِّنا إنَّهُ كانَ فاحِشَةً) يقول : إن الزّنا كان فاحشة (وَساءَ سَبِيلاً) يقول : وساء طريق الزنا طريقا ، لأنه طريق أهل معصية الله ، والمخالفين أمره ، فأسوئ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ ٣٣

يقول جل ثناؤه : وقضى أيضا أن (لاتَقْتُلُوا) أيها الناس (النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ) قتلها (إلاَّ بالحَقّ) وحقها أن لاتقتل إلا بكفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قود بنفس ، وإن كانت كافرة لم يتقدّم كفرها إسلام ، فأن لايكون تقدم قتلها لها عهد وأمان .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ) وإنا والله ما نعلم بحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، إلا رجلا قتل متعمدا ، فعليه القَوَد ، أو زنى بعد إحصانه فعليه الرجم ؛ أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن الزهرىّ ، عن عُروة أو غيره ، قال : قيل لأبى بكر :

= وإثرى . والنافلة : مايكون زيادة على الفرض . والعجوة : أجود تمر المدينة ، كما فى اللسان . وتؤتبر : تصلح بالإبار ، ليجود ثمرها .

أتقتل من يرى أن لايؤدى الزكاة ، قال : لو منعونى شيئا مما أقروا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم فقيل لأبى بكر : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يَقُولُوا : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، فإذَا قالُوها عَصَمُوا مِنِّى دِماءَهُمْ وأمْوالَهُم إلاَّ بِحَقِّها ، وحِسابُهُمْ عَلَى اللهِ » فقال أبو بكر : هذا من حقها .

حدثنى موسى بن سهل ، قال : ثنا عمرو بن هاشم ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يقولُوا لاإلَهَ إلاَّ اللهُ ، فإذَا قالُوها عَصَمُوا مِنِّى دِماءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّها وحِسابُهُمْ عَلَى اللهِ ؛ قيل : وما حقها ؟ قال : زِناً بَعْدَ إحْصانٍ ، وكُفْرٌ بَعْدَ إيمَانٍ ، وقَتْلُ نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِها » .

وقوله (ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوما) يقول : ومن قتل بغير المعانى التى ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلا بحق (فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) يقول : فقد جعلنا لولىّ المقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه ، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه ، وإن شاء عفا عنه ، وإن شاء أخذ الدية .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى السلطان الذى جُعل لولىّ المقتول ، فقال بعضهم فى ذلك ، نحو الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ ، ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) قال : بيِّنة من الله عزّ وجلّ أنزلها يطلبها ولىّ المقتول ، العَقْل ، أو القَوَد ، وذلك السلطان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن جُوَيبر ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) قال : إن شاء عفا ، وإن شاء أخذ الدية .

وقال آخرون : بل ذلك السلطان : هو القتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) وهو القَوَد الذى جعله الله تعالى .

❊ وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك تأويل من تأول ذلك : أن السلطان الذى ذكر الله تعالى فى هذا الموضع ما قاله ابن عباس ، من أن لولىّ القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء العفو ، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة : « ألا ومَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بين أنْ يَقْتُلَ أوْ يأْخُذَ الدِّيَةَ » . وقد بيَّنت الحكم فى ذلك فى كتابنا : كتاب الجراح .

وقوله (فَلا يُسْرِفْ فى القَتْلِ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (فَلا تُسْرِفْ) بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به هو والأئمة من بعده ، يقول : فلا

تقتل بالمقتول ظُلْما غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلا عمد وليّ القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل . فقتله بوليه ، وترك القاتل ، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك عباده ، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام : قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف ، فلا تقتل به غير قاتله ، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثّل به . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة (فَلَا يُسْرِفْ) بالياء ، بمعنى فلا يسرف وليّ المقتول . فيقتل غير قاتل وليه . وقد قيل : عنى به : فلا يسرف القاتل الأول لا ولي المقتول .

والصواب من القول في ذلك عندي ، أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهي في أحكام الدين ، قضاء منه بذلك على جميع عباده ، وكذلك أمره ونهيه بعضهم ، أمر منه ونهي جميعهم ، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض؛ فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيّنا في كتابنا [كتاب البيان ، عن أصول الأحكام] فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله (فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان موجّها إليه أنه معنيّ به جميع عباده . فكذلك نهيه وليّ المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل ، والتعدّي فيه نهي لجميعهم ، فبأيّ ذلك قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك نحو اختلاف القرّاء في قراءتهم إياه .

ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلق بن حبيب ، في قوله (فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) قال : لا تقتل غير قاتله ، ولا تمثّل به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن طلق بن حبيب ، بنحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن خصيف ، عن سعيد ابن جبير : في قوله (فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) قال : لا تقتل اثنين بواحد .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) كان هذا بمكة ، ونبيّ الله صلى الله عليه وسلم بها ، وهو أوّل شيء نزل من القرآن في شأن القتل ، كان المشركون يغتالون أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الله تبارك وتعالى : من قتلكم من المشركين ، فلا يحملنّكم قتله إياكم على أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحدا من عشيرته ، وإن كانوا مشركين ، فلا تقتلوا إلا قاتلكم ؛ وهذا قبل أن تنزل براءة ، وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين ، فذلك قوله (فَلَا تُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ) يقول : لا تقتل غير قاتلك ، وهي اليوم على ذلك الموضع من المسلمين ، لا يحلّ لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم .

ذكر من قال : عُني به وليّ المقتول

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أبو رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَمَنْ قُتِلَ

مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) قال : كان الرجل يُقتل فيقول وليه : لاأرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشراف قبيلته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَلا تُسْرِفْ فى القَتْلِ) قال : لاتقتل غير قاتلك ، ولا تمثّل به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا يُسْرِفْ فى القَتْلِ) قال : لايقتل غير قاتله ؛ من قَتَل بحديدة قُتل بحديدة ؛ ومن قَتَل بخشبة قُتِل بخشبة ؛ ومن قَتل بحجر قُتل بحجر . ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنَّ مَنْ أعْتَى النَّاسِ على اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ ثَلاثَةً رَجُلٌ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ ، أوْ قَتَلَ بِدَخَنٍ فِى الجاهِلِيَّةِ ، أوْ قَتَلَ فِى حَرَمِ اللهِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : سمعته ، يعنى ابن زيد ، يقول فى قول الله جلّ ثناؤه (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) قال : إن العرب كانت إذا قُتل منهم قتيل ، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم ،حتى يقتلوا أشرف من الذى قتله ، فقال الله جلّ ثناؤه (فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطانا) ينصره وينتصف من حقه (فلا يُسْرِفْ فى القَتْلِ) يقتل بريئا .

ذكر من قال عُنِى به القاتل

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير عن مجاهد (فَلا يُسْرِفْ فِى القَتْلِ) قال : لايسرف القاتل فى القتل .

وقد ذكرنا الصواب من القراءة فى ذلك عندنا ، وإذا كان كلا وجهى القراءة عندنا صوابا ، فكذلك جميع أوجه تأويله التى ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب ، لاحتمال الكلام ذلك ، وإن فى نهى الله جلّ ثناؤه بعض خلقه عن الإسراف فى القتل ، نهى منه جميعَهم عنه .

وأما قوله (إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً) فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِى بالهاء التى فى قوله (إنَّهُ)وعلى ماهى عائدة ، فقال بعضهم : هى عائدة على ولىّ المقتول ، وهى المعنىّ بها ، وهو المنصور على القاتل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،عن قتادة (إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً) قال : هو دفع الإمام إليه ، يعنى إلى الولىّ ، فإن شاء قتل ، وإن شاء عفا .

وقال آخرون : بل عُنِى بها المقتول ، فعلى هذا القول هى عائدة على « مَنْ » فى قوله (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما) .

ذكر مَن قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد (إنَّهُ كانَ مَنْصُوراً) إن المقتول كان منصورا .

وقال آخرون : عُنِى بها دم المقتول ، وقالوا : معنى الكلام : إن دم القتيل كان منصورا على القاتل .

ﷺ وأشبه ذلك بالصواب عندى . قول من قال : عُنِى بها الولىّ . وعليه عادت ، لأنه هو المظلوم . ووليه المقتول . وهى إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول . وهو المنصور أيضا ، لأن الله جلّ ثناؤه قضى فى كتابه المنزل . أن سلّطه على قاتل وليه . وحكّمه فيه ، بأن جعل إليه قتله إن شاء . واستبقاءه على الدية إن أحبّ . والعفو عنه إن رأى . وكفى بذلك نُصرة له من الله جلّ ثناؤه . فلذلك قلنا : هو المعنىّ بالهاء التى فى قوله (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن لاتقربوا مال اليتيم بأكل ، إسرافا وبدارا أن يكبروا . ولكن اقربوه بالفعلة التى هى أحسن ، والخلّة التى هى أجمل ، وذلك أن تتصرّفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة

وكان قتادة يقول فى ذلك ماحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) لما نزلت هذه الآية : اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكانوا لايخالطونهم فى طعام أو أكل ولا غيره ، فأنزل الله تبارك وتعالى (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) فكانت هذه لهم فيها رُخْصة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) قال : كانوا لايخالطونهم فى مال ولا مأكل ولا مركب ، حتى نزلت (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ) .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) قال : الأكل بالمعروف ، أن تأكل معه إذا احتجت إليه . كان أُبَىّ يقول ذلك .

وقوله (حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) يقول : حتى يبلغ وقت اشتداده فى العقل ، وتدبير ماله ، وصلاح حاله فى دينه (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) يقول : وأوفوا بالعقد الذى تعاقدون الناس فى الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضا ، والبيوع والأشربة والإجارات ، وغير ذلك من العقود (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) يقول : إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه ، يقول : فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم ، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه ، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك . وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبا ، يقال فى الكلام : ليسئلنّ فلان عهد فلان .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ٣٥

يقول تعالى ذكره : (وَ) قضى أن (أَوْفُوا الْكَيْلَ) للناس (إِذَا كِلْتُمْ) لهم حقوقهم قبلكم ، ولا تبخسوهم (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) يقول : وقضى أن زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم ، وهو العدل الذى لااعوجاج فيه ، ولا دغل ، ولا خديعة .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى القسطاس ، فقال بعضهم : هو القبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) قال : القبَّان .

وقال آخرون : هو العدل بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : القسطاس : العدل بالرومية .

وقال آخرون : هو الميزان صغر أو كبر ؛ وفيه لغتان : القِسطاس بكسر القاف ، والقُسطاس بضمها ، مثل القِرطاس والقُرطاس ؛ وبالكسر يقرأ عامة قرّاء أهل الكوفة ، وبالضمّ يقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة ، وقد قرأ به أيضا بعض قرّاء الكوفيين ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لأنهما لغتان مشهورتان ، وقراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار .

وقوله (ذَلِكَ خَيْرٌ) يقول : إيفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل ، ووزنكم بالعدل لمن توفون له (خَيْرٌ لَكُمْ) من بخسكم إياهم ذلك ، وظلمكموهم فيه . وقوله (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) يقول : وأحسن مردودا عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك ، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم ، فيُحسن لكم عليه الجزاء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أى خير ثوابا وعاقبة .

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول : يا معشر الموالى ، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم : هذا المكيال ، وهذا الميزان . قال : وذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا يَقْدِرُ رَجُلٌ على حَرَامٍ ثُمَّ يَدَعُهُ ، لَيْسَ بِهِ إلاَّ مَخَافَةَ اللهِ ، إلاَّ أبْدَلَهُ اللهُ فِى عَاجِلِ الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ ما هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذلكَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وأحْسَنُ تَأْوِيلاً) قال : عاقبة وثوابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) فقال بعضهم : معناه : ولا تقل ما ليس لك به علم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) يقول : لاتقل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) لاتقل رأيت ، ولم تر وسمعت ولم تسمع . فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) قال : لاتقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم .

حُدثت عن محمد بن ربيعة ، عن إسماعيل الأزرق ، عن أبى عمر البزار ، عن ابن الحنفية قال : شهادة الزور .

وقال آخرون : بل معناه : ولا ترم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) يقول : لاترم أحدا بما ليس لك به علم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَقْفُ) ولا تَرْمِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وهذان التأويلان متقاربا المعنى ، لأن القول بما لايعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور ، ورمى الناس بالباطل ، وادّعاء سماع ما لم يسمعه ، ورؤية ما لم يره . وأصل القفو : العضه والبهت . ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم : « نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنانَةَ لانَقْفُو أمَّنا وَلا نَنْتَفِى مِنْ أبِينا » ، وكان بعض البصريين ينشد فى ذلك بيتا :

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرَانِينِ سَاكِنٌ　　بِهِنَّ الحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا[١]

يعنى بالتقافى : التقاذف . ويزعم أن معنى قوله (لاتَقْفُ) لاتتبع ما لاتعلم ، ولا يعنيك . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة ، يزعم أن أصله القيافة ، وهى اتباع الأثر ، وإذكان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة (وَلا تَقُفْ) بضم القاف وسكون الفاء ، مثل : ولا تقل . قال : والعرب تقول : قفوت أثره ، وقُفت أثره ، فتقدِّم أحيانا الواو على الفاء وتؤخرها أحيانا بعدها ، كما قيل : قاع الجمل الناقة : إذا ركبها وقَعَا وعاثَ وعَثَى ؛ وأنشد سماعا من العرب :

وَلَوْ أَنِّى رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ　　لَعَاقَكَ مِنْ دُعَاءِ الذِّئْبِ عَاقِ[٢]

يعنى عائق ، ونظائر هذا كثيرة فى كلام العرب .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : لاتقل للناس ، وفيهم ما لاعلم لك به ، فترميهم بالباطل ، وتشهد عليهم بغير الحقّ ، فذلك هو القفو .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه .

وأما قوله (إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) فإن معناه : إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها ، من أنه سمع أو أبصر أو علم ، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحقّ ، وقال أولئك ، ولم يقل تلك ، كما قال الشاعر :

ذُمَّ المَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى　　وَالعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ[٣]

(١) البيت للنابغة الجعدى : وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٧٩) شاهد على أن معنى التقافى : التقاذف . وفى (اللسان : قفو) قال أبو عبيد الأصل فى القفو والتقافى : البهتان يرمى به الرجل صاحبه . اهـ . قال أبو بكر : قولهم قد قفا فلان فلانا قال أبو عبيد : معناه أتبعه أمرا كلاما قبيحا . وقال الليث : القفو : مصدر قولك قفا يقفوقفوا وقفوا (الثانى بتشديد الواو) ، وهو أن يتتبع الشىء : قال تعالى : « ولاتقف ماليس لك به علم » قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت ، كما تقول : لا تدع من دعوت . قال : وقرأ بعضهم : ولا تقف مثل ولاتقل . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « ولاتقف ماليس لك به علم » : أى لاتتبع ما لا تعلم . وقيل : ولا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . اهـ . والدمى جمع دمية ، وهى التمثال من المرمر أو العاج أو نحوها . وشم العرانين : جمع شماء العرنين ، أى مرتفعات قصبات الأنوف ، وهو من أمارات جمالهن .

(٢) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٧٩) على أن العرب تقول قفا الشىء : إذا تتبعه كما تقول قافه . وكما قال الشاعر : عاق ، يريد عائق . قال الفراء : أكثر القراء يجعلونها من قفوت . . . وبعضهم قال : ولاتقف . والعرب تقول : قفت أثره ، وقفوته ؛ ومثله : يعتام ويعتمى ، وعاث وعثى ، من الفساد ، وهو كثير ، منه شاك السلاح ، وشاكى السلاح . وسمعت بعض قضاعة يقول : اجتحى ماله ، واللغة الفاشية : اجتاح ماله . وقد قال الشاعر : « ولوأنى رأيتك » . . . الخ البيت . هذا وقد نقلنا فى الشاهد الذى قبل هذا عبارة الفراء ، كما جاءت فى اللسان ، وفيها اختلاف عن عبارته هنا فى معانى القرآن ، ولعله من اختلاف النسخ . وأورد الفراء بعد بيت الشاهد بيتا آخر من وزنه وقافيته ، وهو لذى الخرق الطهوى كما فى (اللسان : بغم) :

حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِى عَنَاقًا　　وَمَا هِىَ وَيْبَ غَيْرِكَ بِالعَنَاقِ

وقد سبق الاستشهاد به فى أكثر من موضع من هذا التفسير .

(٣) البيت لجرير بن الخطفى (ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٥١) وهو البيت الثانى من قصيدة يجيب بها الفرزدق ، مطلعها :

سَرَتِ الهُمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامِ　　وَأَخُو الهُمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ

وإنما قيل : أولئك . لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذى يقع للتذكير والتأنيث ، وهذه وتلك للجمع الكثير . فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير فى الأسماء قبل التأنيث لك التذكير للجمع الأول ، والتأنيث للجمع الثانى . وهو الجمع الكثير ، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره : ولا تمش فى الأرض مختالا مستكبرا (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ) يقول : إنك لن تقطع الأرض باختيالك ، كما قال رُؤْبة :

وقاتِمِ الأعماقِ خاوِى المُخْتَرَقْ[1]

يعنى بالمخترق : المقطع (وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً) بفخرك وكبرك ، وإنما هذا نهى من الله عباده عن الكبر والفخر والخُيَلاء ، وتقدم منه إليهم فيه معرِّفهم بذلك أنهم لاينالون بكبرهم وفخارهم شيئا يقصر عنه غيرهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالَ طُولاً) يعنى بكبرك ومرحك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلا تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا) قال : لاتمش فى الأرض فخرا وكبرا ، فإن ذلك لايبلغ بك الجبال ، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلا تَمْشِ فِى الأَرْضِ) قال : لاتفخر . وقيل : ولا تمش مرَحا ، ولم يقل مرِحا ، لأنه لم يرد بالكلام : لاتكن مرِحا ، فيجعله من نعت الماشى ، وإنما أريد لاتمرح فى الأرض مرَحا ، ففسر المعنى المراد من قوله : ولاتمش ، كما قال الراجز :

= الشاهد فى هذا البيت أنه أشار إلى الأيام بأولئك ، ولم يقل تلك ، لأن أولئك يشار بها إلى الجمع الكثير ، وهؤلاء إلى الجمع القليل ، للمذكر والمؤنث والعاقل وغيره .

(١) البيت مطلع أرجوزة مطولة (١٧١ بيتا فى ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ م ، ص ١٠٤) وهو شاهد على أن قوله المخترق بمعنى المقطع كما فى قوله تعالى : « إنك لن تخرق الأرض » أى لن تقطع الأرض . ويريد بقاتم الأعماق : واديا مظلم النواحى لما كثر فيه من الغبار الثائر . والخاوى : الخالى . والمخترق : الممر والمقطع . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٠) « إنك لن تخرق الأرض » : مجازه لن تقطع الأرض . وقال رؤبة : . . . البيت أى المقطع . وقال آخرون : إنك لن تنقب الأرض وليس بشىء .

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ والعَصِيدُ والتَّمْرُ حَبًّا مالَهُ مَزِيدُ[١]

فقال : حبا ، لأن فى قوله : يعجبه ، معنى يحبّ ، فأخرج قوله : حبا ، من معناه دون لفظه .

وقوله (كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوها) فإن القرّاء اختلفت فيه ، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة (كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوها) على الإضافة بمعنى : كلّ هذا الذى ذكرنا من هذه الأمور التى عددنا من مبتدإ قولنا (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) . . . إلى قولنا (وَلا تَمْشِ فِى الأرْضِ مَرَحا) (كانَ سَيِّئُهُ) يقول : سيئ ما عددنا عليك عند ربك مكروها . وقال قارئو هذه القراءة : إنما قيل (كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ) بالإضافة ، لأن فيما عددنا من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) أمورا ، هى أمر بالجميل ، كقوله (وَبالوَالِدَيْنِ إحْسانا) ، وقوله (وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ) وما أشبه ذلك ، قالوا : فليس كلّ ما فيه نهيا عن سيئة ، بل فيه نهى عن سيئة ، وأمر بحسنات ، فلذلك قرأنا (سَيِّئُهُ) ، وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئَةً) وقالوا : إنما عنى بذلك : كلّ ماعددنا من قولنا (وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ) ولم يدخل فيه ما قبل ذلك . قالوا : وكلّ ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لاحسنة فيه ، فالصواب قراءته بالتنوين . ومن قرأ هذه القراءة ، فإنه ينبغى أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدما على السيئة ، وأن يكون معنى الكلام عنده : كلّ ذلك كان مكروها سيئة ؛ لأنه إن جعل قوله : مكروها نعتّ السيئة من نعت السيئة ، لزمه أن تكون القراءة : كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة ، وذلك خلاف ما فى مصاحف المسلمين .

❊ وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ (كُلُّ ذلكَ كانَ سَيِّئُهُ) على إضافة السيئ إلى الهاء ، بمعنى : كلّ ذلك الذى عددنا من (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ . . . كانَ سَيِّئُهُ) لأن فى ذلك أمورا منهيا عنها ، وأمورا مأمورا بها ، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله (وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ) إنما هو عطف على ماتقدّم من قوله (وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ) فإذا كان ذلك كذلك ، فقراءته بإضافة السيئ إلى الهاء أولى وأحقّ من قراءته سيئةً بالتنوين ، بمعنى السيئة الواحدة .

فتأويل الكلام إذن : كلّ هذا الذى ذكرنا لك من الأمور التى عددناها عليك كان سيئه مكروها عند ربك يامحمد ، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه ، فاتق مواقعته والعمل به .

(١) البيتان فى الملحق بشعر رؤبة بن العجاج ، بآخر ديوانه (طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧٢) وروايتهما فيه :

يُعْجِبُهُ السَّخُونُ والبَرُودُ والقَرُّ حُبًّا مالَهُ مَزِيدُ

ورواية البيت فى (اللسان : سخن) كرواية المؤلف . قال : ويروى : « حتى ماله مزيد » . وقال : السخون من المرق : ما يسخن وقال فى (برد) : كل ما برد به شىء : برود . اهـ ولعله يريد الماء البارد ، تنقع به الغلة . وقال فى (عصد) : العصيدة : دقيق يلت بالسمن ويطبخ . والشاهد فى البيت : أن قوله حبا مفعول مطلق ، لأنه بمعنى إعجابا ، لأن فى قوله يعجبه ، معنى يحبه ، فكأنه مرادف له . وهو نظير قوله تعالى « ولاتمش فى الأرض مرحا » ، أى المرح . وقد سبق الاستشهاد بالبيت فى بعض أجزاء التفسير .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذى بيَّنا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التى أمرناك بجميلها ، ونهيناك عن قبيحها (مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ) يقول : من الحكمة التى أوحيناها إليك فى كتابنا هذا.

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ) قال : القرآن .

وقد بيَّنا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

(وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً) يقول : ولا تجعل مع الله شريكا فى عبادتك ، فتُلقى فى جهنم ملوما تلومك نفسك وعارفوك من الناس (مَدْحُوراً) يقول : مُبْعَدا مقصيا فى النار ، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهَّار ، فتنجوَ من عذابه .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (مَلُوما مَدْحُوراً) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (مَلُوما مَدْحُوراً) يقول : مطرودا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَلُوما مَدْحُوراً) قال : ملوما فى عبادة الله ، مدحورا فى النار .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركى العرب : الملائكة بنات الله (أَفَأَصْفاكُمْ) أيها الناس (رَبُّكُمْ بالبَنِينَ) يقول : أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد (واتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثا) وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم ، بل تئدونهن ، وتقتلونهن ، فجعلتم لله مالا ترضونه لأنفسكم (إنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيما) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ماذكرنا : إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم : الملائكة بنات الله ، قولا عظيما ، وتفترون على الله فرية منكم .

وكان قتادة يقول فى ذلك ، ما حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (واتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثا) قال : قالت اليهود : الملائكة بنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) لهؤلاء المشركين المفترين على الله (فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ) العبر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذّرناهم فيه وأنذرناهم (لِيَذَّكَّرُوا) يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينيبوا من جهالتهم فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنُّذر، وما يزيدهم تذكيرنا إياهم (إِلَّا نُفُورًا) يقول: إلا ذهابا عن الحقّ، وبُعدا منه وهربا. والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم: نفر فلان من هذا الأمر ينفِر منه نَفْرا ونفورا.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر لو كان الأمر كما تقولون، من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لابتغت تلك الآلهة القُربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزُّلْفة إليه، والمرتبة منه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقرّبهم إليه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة (إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) قال: لابتغوا القُرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى:

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيها لله وعلوّا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ماتضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ

عُلُوًّا كَبِيرًا) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان . وقال تعالى (عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا) ولم يقل : تعاليا ، كما قال (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) كما قال الشاعر :

أَنْتَ الفِداءُ لِكَعْبَةٍ هَدَّمْتَها ونَقَرْتَها بِيَدَيْكَ كُلَّ مُنَقَّرِ
مُنِعَ الحَمامُ مَقِيلَهُ مِنْ سَقْفِها ومِنَ الحَطِيمِ فَطارَ كُلَّ مُطَيَّرِ (١)

وقوله (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) يقول : تنزّه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا ، السموات السبع والأرض ، ومن فيهنّ من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجنّ ، وأنتم مع إنعامه عليكم ، وجميل أياديه عندكم ، تفترون عليه بما تفترون .

وقوله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) يقول جلّ ثناؤه : وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده .

كما حدثني به نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ ، قال : ثنا محمد بن يعلى ، عن موسى بن عبيدة ، عن زيد ابن أسلم ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنَهُ ؟ إنَّ نُوحا قالَ لابْنِهِ يا بُنَيَّ آمُرُكَ أنْ تَقُولَ سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فإنَّها صَلاةُ الخَلْقِ ، وَتَسْبِيحُ الخَلْقِ ، وبِها تُرْزَقُ الخَلْقُ ، قالَ اللهُ (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، قال : سمعت عكرمة يقول : لا يَعِيبَنَّ أحدكم دابته ولا ثوبه ، فإن كلّ شيء يسبح بحمده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : الشجرة تسبح ، والأُسْطوانة تسبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب ، قالا : ثنا جرير أبو الخطاب ، قال : كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام ، فقدّموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشي : يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان : فقال : كان يسبح مرّة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، ويونس ، عن الحسن أنهما قالا في قوله (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قالا : كلّ شيء فيه الروح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبدالكبير بن عبد المجيد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : الطعام يسبح .

(١) البيتان شاهدان على أن المصدرين منقر ومطير المضافين إلى كل المعرب مفعولا مطلقا ليسا من لفظ الفعل السابق عليهما ، لأن المنقر من نقر بتشديد القاف ، والمطير من طير بتشديد الياء ، مع أن الفعلين السابقين ثلاثيان . ولكن العرب تجيز وضع المصادر المختلفة عن الأفعال السابقة عليها ، ومنه في القرآن : « وتبتل إليه تبتيلا » ومصدر تبتل : هو التبتل لا التبتيل ، ولكن ذلك جائز لأن الحروف الأصول مشتركة في الأفعال والمصادر التي تليها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) قال : كلّ شيء فيه الروح يسبح ، من شجر أو شيء فيه الروح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن أبيّ ، عن عبد الله بن عمرو ، أن الرجل إذا قال : لاإله إلا الله ، فهى كلمة الإخلاص التى لايقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، فإذا قال الحمد لله ، فهى كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبد قطّ حتى يقولها ، فإذا قال الله أكبر ، فهى تملأ ما بين السماء والأرض ، فإذا قال سبحان الله، فهى صلاة الخلائق التى لم يَدْعُ اللهَ أحد من خلقه إلا نوّره بالصلاة والتسبيح ، فإذا قال لاحول ولا قوّة إلا بالله ، قال : أسلم عبدى واستسلم .

وقوله (وَلَكِنْ لاتَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) يقول تعالى ذكره: ولكن لاتفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا) يقول : إن الله كان حليما لايعجل على خلقه ، الذين يخالفون أمره ، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة (غَفُورًا) يقول : ساترا عليهم ذنوبهم ، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا) عن خلقه : فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض (غَفُورًا) لهم إذا تابوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قرأت يامحمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لايصدّقون بالبعث ، ولا يقرّون بالثواب والعقاب ، جعلنا بينك وبينهم حجابا ، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه عليهم ، فينتفعوا به ، عقوبة منا لهم على كفرهم . والحجاب ههنا : هو الساتر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخرة حِجَابا مَسْتُورًا) الحجاب المستور أكنة على قلوبهم أن يفقهوه وأن ينتفعوا به ، أطاعوا الشيطان فاستحوذ عليهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (حِجَابا مَسْتُورًا) قال : هى الأكنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَابا مَسْتُورًا) قال : قال أُبىّ : لايفقهونه ، وقرأ (قُلُوبُهُمْ فِى أَكِنَّةٍ ، وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرٌ) لايخلص ذلك إليهم .

وكان بعض نحويّ أهل البصرة يقول : معنى قوله(حِجَابا مَسْتُورًا) حجابا ساترا ، ولكنه أخرج وهو فاعل فى لفظ المفعول ، كما يقال : إنك مشئوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن ، لأنه من شأمهم

وبينهم. قال : والحجاب ههنا : هو الساتر . وقال : مستورا . وكان غيره من أهل العربية يقول : معنى ذلك : حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه .

وهذا القول الثانى أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب . فيكون معناه : أن لله سترا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم . وإن كان للقول الأول وجه مفهوم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره : وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة ، وهى جمع كنان . وذلك ما يتغشاها من خذلان الله إياهم عن فهم ما يتلى عليهم (وفى آذانهم وقرا) يقول : وجعلنا فى آذانهم وقرا عن سماعه ، وصمما . والوَقر بالفتح فى الأذن : الثقل . والوِقر بالكسر : الحِمْل . وقوله (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) يقول : وإذا قلت : لا إله إلا الله فى القرآن وأنت تتلوه (ولوا على أدبارهم نفورا) يقول : انفضوا . فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى .

وبما قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا) وإن المسلمين لما قالوا : لا إله إلا الله ، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم : فصافها إبليس وجنوده . فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فلج ، ومن قاتل بها نُصِر ، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين ، التى يقطعها الراكب فى ليال قلائل ويسير الدهر فى فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرّون بها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) قال : بغضا لما تكلم به لئلا يسمعوه ، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة ، ويستغشون ثيابهم ، قال : يلتفون بثيابهم ، ويجعلون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ولا ينظر إليهم .

وقال آخرون : إنما عُنى بقوله (ولوا على أدبارهم نفورا) الشياطين ، وإنها تهرب من قراءة القرآن ، وذكر الله .

(١) يقال : صافه ، بتشديد الفاء ، فهو مصاف : إذا رتب صفوفه فى مقابله صفوف العدو . وتصافوا عليه : اجتمعوا صفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن محمد الذارع ، قال : ثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبى ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى القُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) هم الشياطين .

والقول الذى قلنا فى ذلك أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله (وَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخرةِ حِجابا مَسْتُورًا)فأن يكون ذلك خبرا عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلا من أن يكون خبرا عمن لم يجز له ذكر . وأما النفور ، فإنها جمع نافر ، كما القعود جمع قاعد ، والجلوس جمع جالس ؛ وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه ، إذ كان قوله (وَلَّوْا) بمعنى : نفروا ، فيكون معنى الكلام : نفروا نفورا ، كما قال امرؤ القيس :

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةٌ أَىَّ إِذْلالِ [1]

إذ كان رُضْت بمعنى : أذللت ، فأخرج الإذلال من معناه ، لامن لفظه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : نحن أعلم يامحمد بما يستمع به هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة من مشركى قومك ، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : النجوى: فعلهم ، فجعلهم هم النجوى ، كما يقول : هم قوم رضا ، وإنما رضا: فعلهم . وقوله (إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) يقول: حين يقول المشركون بالله : ما تتبعون إلا رجلا مسحورا . وعنى فيما ذُكِر بالنجوى: الذين تشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار النَّدوة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

---

(١) هذا عجز بيت لامرئ القيس بن حجر الكندى ، صدره ٭ وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ٭ وهو من قصيدة عدة أبياتها ٥٤ بيتا ، وهو الخامس والعشرون فيها ، (انظر مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبى ص ٣٨) . وقد استشهد المؤلف على أن قول القرآن ، « ولوا على أدبارهم نفورا » يجوز أن يكون لفظ (نفورا) جمع نافر ، كجلوس جمع جالس ، وقعود جمع قاعد ، ويجوز أن يكون مصدر نفر ، وهو مفعول مطلق للفعل « ولوا » لأنه يئول بمعنى نفروا كما يئول قول امرئ القيس (أى إذلال) بمعنى أى ذل مع ما بينهما من فرق فى المعنى . ولكن العرب تتسمح فى وضع بعض المصادر موضع بعض على التأويل

قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد (إذْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ) قال : هي مثل قيل الوليد بن المغيرة ومن معه في دار الندوة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . نحوه .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (إذْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ وَإذْ هُمْ نَجْوَى إذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ) . . . الآية : ونجواهم أن زعموا أنه مجنون . وأنه ساحر : وقالوا (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله (إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا) إلى معنى : ما تتبعون إلا رجلا له سَحْر : أي له رئة . والعرب تسمي الرئة سَحْرا . والمسحَّر من قولهم للرجل إذا جبن : قد انتفخ سَحْره . وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدميّ وغيره : مَسحور ومُسَحَّر . كما قال لبيد

فإنْ تَسْألِينا فِيمَ نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّرِ [1]

وقال آخرون :

ونُسحَر بالطعام وبالشراب [2]

أي نغذّى بهما . فكأن معناه عنده كان : إن تتبعون إلا رجلا له رئة ، يأكل الطعام ، ويشرب الشراب . لامَلَكا لاحاجة به إلى الطعام والشراب . والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

---

(١) البيت في (ديوان لبيد ، رواية الطوسي ، طبع فينا سنة ١٨٨٠ ص ٨١) وفي شرحه : عصافير : صغار ضعاف . أي نحن أولاد قوم قد ذهبوا . ومسحر معلل بالطعام والشراب . وقوله : « إنما أنت من المسحرين » : من هذا . واستشهد به المؤلف على هذا قال : والمسحر : من قولهم للرجل إذا جبن : قد انتفخ سحره . وكذلك يقال لكل ما أكل وشرب من آدمي وغيره : مسحور ومسحر كما قال لبيد : « فإن تسألينا . . . » البيت . و (في اللسان : سحر) : وقول لبيد : « فإن تسألينا . . . الخ البيت ، يكون على الوجهين ، وقوله تعالى : « إنما أنت من المسحرين » يكون من التغذية والخديعة .

(٢) هذا عجز بيت من قول امرىء القيس بن حجر الكندي :

أرَانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيْبٍ ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ
عَصَافِيرٌ وذِبَّانٌ ودُودٌ وأجْرأُ مِنْ مُجَلِّحَةِ الذِّئابِ

قال صاحب اللسان بعد أن أورد البيتين : (سحر) أي نغذى أو نخدع . قال ابن امرىء بري : وقوله : « موضعين » معناه : مسرعين. وقوله « لأمر غيب » : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته . ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة . وفي « مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ص ٧٩ في شرح البيت الأول من البيتين : موضعين : مسرعين . لأمر غيب : يريد الموت أو المستقبل المجهول . ويروى : لحتم غيب . ونسحر : نلهى ، أو نغذى . يقول : أرانا في هذه الدنيا مسرعين للموت الذي غيب عنا وقته ، أو لمستقبل مجهول ، لاندري من أمره شيئا ، ونحن نعلل عنه بالطعام وبالشراب.يريد : كيف يستلذ الطعام والشراب من هو جاد إلى شرب كأس المنية . وفي شرح البيت الثاني : العصافير : ضعاف الطير ؛ والمجلح : الجرىء ، والأنثى مجلحة . يقول : نحن أشبه بالعصافير والذباب والدود في ضعفنا ، ولكننا أجرأ على الشر ، وارتكاب الآثام من الذئاب الضارية .

يقول تعالى ذكره : انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثّلوا لك الأمثال ، وشبهوا لك الأشباه ، بقولهم : هومسحور ، وهوشاعر ، وهو مجنون (فَضَلُّوا) يقول : فجاروا عن قصد السبيل بقيلهم ماقالوا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً) يقول : فلا يهتدون لطريق الحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منه ، وأن الله قد خذلهم عن إصابته ، فهم لايقدرون على المَخْرَج مما هم فيه من كفرهم بتوفُّقهم إلى الإيمان به .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَلَا يستَطِيعونَ سَبِيلاً) قال : مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُون سَبِيلاً) مخرجا ، الوليد بن المغيرة وأصحابه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة من مشركى قريش ، وقالوا بعنتهم : (أئِذَا كُنَّا عِظاما) لم نتحطم ولم نتكسَّر بعد مماتنا وبلانا (وَرُفاتا) يعنى ترابا فى قبورنا .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، يقول الله (رُفاتا) قال : ترابا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَقالُوا أئِذَا كُنَّا عِظاما وَرُفاتا) يقول : غُبارا ، ولا واحد للرُّفات ، وهو بمنزلة الدُّقاق والحُطام ، يقال منه : رُفت يُرفت رَفْتا فهومرفوت : إذا صُيِّر كالحُطام والرُّضاض .

وقوله (أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدًا) قالوا : إنكارا منهم للبعث بعد الموت ، إنا لمبعوثون بعد مصيرنا فى القبور عظاما غير منحطمة ، ورفاتا منحطمة ، وقد بَلِينا فصرنا فيها ترابا ، خلقا مُنْشَأ كما كنا قبل الممات جديدا ، نعاد كما بدئنا ، فأجابهم جلّ جلاله يعرّفهم قُدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم ، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلاهُم خلقا جديدا ، على أىّ حال كانوا من الأحوال ، عظاما أو رُفاتا ، أو حجارة أو حديدا ، أو غير ذلك مما يعظُم عندهم أن يحدث مثله خَلْقا أمثالَهم أحياء ، قل يامحمد كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين (أئذا كُنَّا عظاما ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم ، وإعادته أجسامكم ، خلقا جديدا بعد بلاكم فى التراب ، ومصيركم رُفاتا ، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم إن قدرتم على ذلك ، فإنى أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرّة .

واختلف أهل التأويل فى المعنيّ بقوله (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) فقال بعضهم : عُنِى به الموت ، وأريد به : أو كونوا الموت ، فإنكم إن كنتموه أمتُّكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية ، عن ابن عمر (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) قال : الموت ، قال : لو كنتم موتى لأحييتكم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) يعنى الموت . يقول : إن كنتم الموت أحييتكم .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أبومالك الجنبى ، قال : ثنا ابن أبى خالد ، عن أبى صالح فى قوله (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا سليمان أبوداود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال سعيد بن جبير ، فى قوله (أوْ خَلْقا مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) كونوا الموت إن استطعتم ، فإن الموت سيموت ؛ قال : وليس شيء أكبر فى نفس ابن آدم من الموت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى ، عن سعيد بن جبير ، قال : هو الموت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن عبد الله

ابن عمر ، أنه كان يقول : « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يُجعل بين الجنة والنار ، فينادى مناد يُسمع أهلَ الجنة وأهل النار ، فيقول : هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه ؛ فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيدبن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعنى الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأمتكم.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إن الله يجىء بالموت يوم القيامة ، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم ، كأنه كبش أملح ، فيقف بين الجنة والنار ، فينادى أهل الجنة وأهل النار هذا الموت ، ونحن ذابحوه ، فأيقنوا بالخلود .

وقال آخرون : عنى بذلك السماء والأرض والجبال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : السماء والأرض والجبال .

وقال آخرون : بل أريد بذلك : كونوا ما شئتم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله كما كنتم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) قال : من خلق الله ، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا .

☼ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره قال (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) ، وجائز أن يكون عنى به الموت ، لأنه عظيم فى صدور بنى آدم ؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض ؛ وجائز أن يكون أراد به غير ذلك ، ولا بيان فى ذلك أبين مما بين جلَّ ثناؤه ، وهو كلّ ما كبر فى صدور بنى آدم من خلقه ، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شىء .

وأما قوله (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) فإنه يقول : فسيقول لك يامحمد هؤلاء الذين لايؤمنون بالآخرة (مَنْ يُعِيدُنَا) خلقا جديدا ، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدورنا ، فقل لهم : يعيدكم (الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول : يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسا أحياء ، الذى خلقكم إنسا من غير شىء أوّل مرّة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)

أى خلقكم (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول : فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزّون إليك رءوسهم برفع وخفض . وكذلك النَّغْض فى كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمى الظليم نَغْضا ؛ لأنه إذا عجل المشى ارتفع وانخفض ، وحرّك رأسه ، كما قال الشاعر :

أسكَّ نَغْضًا لا يَنِى مُسْتَهْدِجا[1]

ويقال : نَغَضَت سنه : إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها ؛ ومنه قول الراجز :

ونَغَضَتْ مِنْ هَرَمٍ أسنانُها[2]

وقول الآخر : لمَّا رأتْنِى أنْغَضَتْ لى الرأسا[3]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) أى يحرّكون رءوسهم تكذيبا واستهزاء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) قال : يحرّكون رءوسهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول : سيحركونها إليك استهزاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) قال : يحرّكون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) يقول يهزءون .

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٧) وهو السابع من أرجوزة مطولة . وفيه: « أصك » بالصاد ، فى موضع « أسك » بالسين . والأسك : صفة من السكك ، وهو الصمم . وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ، وقلة إشرافها . وقيل : قصرها ولصوقها بالحشاء ، يكون ذلك فى الآدميين وغيرهم . قال : والنعام كلها سك وكذلك القطا . وأصل السكك الصمم . اهـ . اللسان . وفى (اللسان : صكك) : الأصك والمصك : القوى الجسيم الشديد الخلق من الناس والإبل والحمير . وفى (نغض) : نغض الشىء نغضا : تحرك واضطرب ، وأنغض هو : حركه اهـ . ولا ينى : أى لا يفتر . وفيه أيضا (هدج) أورد البيت كرواية الديوان . قال : وهدج الظليم يهدج هدجانا واستهدج ، وهو مشى وسعى وعدو ، كل ذلك إذا كان فى ارتعاش . قال العجاج يصف الظليم : « أصك . . . الخ » . ويروى مستهدجا (بكسر الدال) أى عجلان . وقال ابن الأعرابى : أى مستعجلا ، أى أفزع فر . والبيت شاهد على أن « النغض » فى كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض أو بالعكس .

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٨٢) وعنه أخذه المؤلف . قال أبو عبيدة : « فسينغضون إليك رءوسهم » : مجازه : فسيرفعون ويحركون استهزاء منهم . ويقال : قد نغضت سن فلان : إذا تحركت وارتفعت من أصلها . قال :

* ونغضت من هرم أسنانها *

(٣) وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذى قبله ، وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٢) جاء بعد الأول على أن أنغض الرأس بمعنى حركه ورفعه استهزاء بمن هو أمامه .

وقوله (وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ) يقول جلّ ثناؤه : ويقولون متى البعث ، وفى أىّ حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا ، كما كنا أوّل مرّة ، قال الله عزّ وجلّ لنبيه : قل لهم يا محمد إذ قالوا لك : متى هو ؟ متى هذا البعث الذى تعدنا ، عسى أن يكون قريبا ؟ وإنما معناه : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، ولذلك قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: « بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْن ، وأشار بالسَّبابة والوُسطَى » . لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۞ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا ، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة ، فتستجيبون بحمده .

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فقال بعضهم : فتستجيبون بأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) يقول : بأمره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) قال : بأمره .

وقال آخرون : معنى ذلك : فتستجيبون بمعرفته وطاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) : أى بمعرفته وطاعته .

﴿ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : معناه : فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته ، ودعائه إياكم . ولله الحمد فى كلّ حال ، كما يقول القائل : فعلت ذلك الفعل بحمد الله ، يعنى : لله الحمد على كلّ ما فعلته ، وكما قال الشاعر :

فإنّى بِحَمْدِ اللهِ لا ثَوْبَ فاجِرٍ لَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّعُ[1]

بمعنى : فإنى والحمد لله لاثوب فاجر لبست .

(١) البيت شاهد على أن قوله « بحمد الله » فى معنى « والحمد لله » . واستشهد به القرطبى فى (١٠ : ٢٧٦) ولم ينسبه إلى قائل معروف .

وقوله (وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً) يقول : وتحسبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم فى الأرض إلا قليلا ، كما قال جلّ ثناؤه (قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، قالُوا لَبِثْنا يَوْما أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسأَلِ العادِّينَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً) : أى فى الدنيا ، تحاقرت الدنيا فى أنفسهم وقلّت ، حين عاينوا يوم القيامة .

وقوله (وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يامحمد لعبادى يقل بعضهم لبعض التى هى أحسن من المحاورة والمخاطبة .

كما حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : : ثنا النضر ، قال : أخبرنا المبارك ، عن الحسن فى هذه الآية (وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : التى هى أحسن ، لايقول له مثل قوله يقول له : يرحمك الله يغفر الله لك .

وقوله (إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ) يقول : إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم ، يقول : يفسد بينهم ، يهيج بينهم الشرّ (إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِينا) يقول : إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوّا ، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا (أَئِذا كُنَّا عِظاما وَرُفاتا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا - رَبُّكُمْ) أيها القوم (أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) فيتوب عليكم برحمته ، حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر (وَإِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ) بأن يخذلكم عن الإيمان ، فتموتوا على شرككم ، فيعذّبكم يوم القيامة بكفركم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن عبد الملك بن جريج قوله (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) قال : فتؤمنوا (أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ)، فتؤمنوا، أو إن يشأ يعذبكم فتموتوا على الشرك كما أنتم .

وقوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك يامحمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا ، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا ، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم ، فان شئنا رحمناهم ، وإن شئنا عذّبناهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وربك يامحمد أعلم بمن فى السموات والأرض وما يصلحهم فانه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم ، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة ، ومن هو أهل للعذاب ، أهدى للحقّ من سبق له منى الرحمة والسعادة ، وأُضلّ من سبق له منى الشقاء والخذلان ، يقول : فلا يكبرنّ ذلك عليك ، فإن ذلك من فعلى بهم لتفضيلى بعض النبيين على بعض ، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق ، وبعضهم إلى الجميع ، ورفعى بعضهم على بعض درجات .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فى السَّمَوَاتِ والأرْضِ ،وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) اتخذ الله إبراهيم خليلا ، وكلّم موسى تكليما ، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وهو عبد الله ورسوله ، من كلمة الله وروحه ، وآتى سليمان مُلكا لاينبغى لأحد من بعده ، وآتى داود زبورا ، كنا نحدّث دعاء عُلِّمه داود ، تحميد وتمجيد ، ليس فيه حلال ولا حرام ، ولا فرائض ولا حدود ، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وماتأخّر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) قال : كلم الله موسى ، وأرسل محمدا إلى الناس كافّة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لمشركى قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه ، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم ، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم ، أو تحويله عنكم إلى غيركم ، فتدعوهم آلهة ، فانهم لايقدرون على ذلك ، ولا يملكونه ، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم . وقيل : إن الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول ، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح ، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجنّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا) قال : كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة وعُزَيرا ، وهم الذين يدعون ، يعنى الملائكة والمسيح وعُزيرا .

القول في تأويل قوله تعالى:

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابا (يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يقول : يبتغى المدعوّون أربابا إلى ربهم القُربة والزُّلفة ، لأنهم أهل إيمان به ، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أيهم بصالح عمله واجتهاده فى عبادته أقرب عنده زلفة (وَيَرْجُونَ) بأفعالهم تلك (رَحْمَتَهُ ، وَيَخَافُونَ) بخلافهم أمره(عَذَابَهُ ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ) يا محمد (كَانَ مَحْذُورًا) متقى.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا فى المدعوّين ، فقال بعضهم : هم نفر من الجنّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، فى قوله : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجنّ ، فأسلم الجنّ وبقى الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يعنى الجنّ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن سليمان، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، قال : قال عبد الله فى هذه الآية (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) قال : قَبيل من الجنّ كانوا يعبدون فأسلموا .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى الحسين ، عن قتادة، عن معبد بن عبد الله الزِّمَّانى ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن مسعود ، فى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ)قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجنّ ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فأنزلت (الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عمه عبد الله بن مسعود ، قال : نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجنّ ، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لايشعرون بذلك .

حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) قوم عبدوا الجنّ ، فأسلم أولئك الجنّ ، فقال الله تعالى ذكره (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبى معمر ، عن عبد الله (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجنّ ، فأسلم النفر من الجنّ ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فقال (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن أبى معمر ، قال : قال عبد الله : كان ناس يعبدون نفرا من الجنّ ، فأسلم أولئك الجنيون ، وثبتت الإنس على عبادتهم . فقال الله تبارك وتعالى (أولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجنّ ؛ فلما بعث النبىّ صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا ، فكانوا يبتغون أيهم أقرب .

وقال آخرون : بل هم الملائكة .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا أبو العوّام ، قال : أخبرنا قتادة ، عن عبد الله بن معبد الزِّمّانى ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجنّ ، ويقولون : هم بنات الله ، فأنزل الله عزّ وجلّ (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) معشر العرب (يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) قال : الذين يدعون الملائكة تبتغى إلى ربها الوسيلة (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ) حتى بلغ (إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) قال : وهؤلا الذين عبدوا الملائكة من المشركين .

وقال آخرون : بل هم عزير وعيسى ، وأمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا يحيى بن السكن ، قال : أخبرنا شعبة ، عن إسماعيل السدىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ) قال : عيسى وأمه وعزير .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبوالنعمان الحكم بن عبد الله العجلى ، قال : ثنا شعبة ، عن إسماعيل السدى ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : عيسى بن مريم وأمه وعُزير فى هذه الآية (أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : عيسى ابن مريم وعُزير والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : كان ابن عباس يقول فى قوله (أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) قال : هو عُزير والمسيح والشمس والقمر .

❁ وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذى رويناه ، عن أبى معمر عنه ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ ومعلوم أن عُزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام ، فيبتغى إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفع ، وإنما يبتغى إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله ، ويتقرّب إليه بالصالح من الأعمال . فأما من كان لاسبيل له إلى العمل ، فبم يبتغى إلى ربه الوسيلة . فإذ كان لامعنى لهذا القول . فلا قول فى ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل ، أو قول من قال : هم الملائكة ، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل . وأما الوسيلة ، فقد بيّنا أنها القربة والزلفة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الوسيلة : القربة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : الوسيلة ، قال : القربة والزلفى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء ، فمبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة ، أو معذّبوها ، إما ببلاء من قتل بالسيف ، أوغير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ) فمبيدوها (أَوْ مُعذِّبُوها) بالقتل والبلاء ، قال : كل قرية فى الأرض سيصيبها بعض هذا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : سيصيبها هذا أو بعضه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبوها) قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره ، وكذّبوا رسله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها) قال : مبيدوها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال : إذا ظهر الزنا والربا فى أهل قرية أذن الله فى هلاكها .

وقوله (كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً) يعنى فى الكتاب الذى كتب فيه كلّ ما هو كائن ، وذلك اللوح المحفوظ .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً) قال : فى أمّ الكتاب ، وقرأ (لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) ويعنى بقوله (مَسْطُوراً) مكتوبا مبينا ، ومنه قول العجاج :

واعْلَمْ بأنَّ ذَا الجَلالِ قَدْ قَدَرْ　　فى الكُتُبِ الأُولى التى كان سَطَرْ
أمْرَكَ هذَا فاحْتَفِظْ فيهِ النَّهَرْ[١]

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ

يقول تعالى ذكره : وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التى سألها قومك ، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذّبة ، سألوا ذلك مثل سؤالهم ؛ فلما أتاهم ما سألوا منه كذّبوا رسلهم ، فلم يصدّقوا مع مجىء الآيات ، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات ، لأنّا لو أرسلنا بها إليها ، فكذّبوا بها ، سلكنا فى تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها .

وبالذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للعجاج بن رؤبة من أرجوزة مطولة عدة أبياتها ٢٢٩ بيتا يمدح بها عمر بن عبيد الله ابن معمر ، (انظر ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥ – ٢١) ، وفيه «الكتب» فى موضع : «الصحف» . و(فاعلم) فى موضع واعلم . وانظر مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٨٣) وقال : مسطورا أى مبينا مكتوبا وفى روايته النتر بفتح النون والتاء . وقال : النتر : الخديعة . وفى (اللسان : نتر) : والنتر بالتحريك : الفساد والضياع ، قال العجاج : « واعلم . . . الخ » الأبيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : سأل أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم الجبال ، فيزرعوا ، فقيل له : إن شئت أن نستأنى بهم لعلنا نجتبى منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذى سألوا ، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم ، قال : بل تستأنى بهم ، فأنزل الله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآيات إلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ . وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) .

حدثنى إسحاق بن وهب ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا مسعود بن عباد ، عن مالك بن دينار ، عن الحسن فى قول الله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآيات إلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) قال : رحمة لكم أيتها الأمة ، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذّبتم بها ، أصابكم ما أصاب من قبلكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء ، فمنهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيى الموتى ، فان سرّك أن نؤمن بك ونصدّقك ، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا ، فأوحى الله إليه : إنى قد سمعت الذى قالوا ، فان شئت أن نفعل الذى قالوا ، فان لم يؤمنوا نزل العذاب ، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة ، وإن شئت أن تستأنى قومك استأنيت بها ، قال : يا ربّ أستأنى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) قال : قال أهل مكة لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم: إن كان ما تقول حقا ، ويسرّك أن نؤمن ، فحوّل لنا الصفا ذهبا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال : إن شئت كان الذى سألك قومك ، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا ، وإن شئت استأنيت بقومك ، قال : بَلِ أَسْتَأْنِي بِقَوْمِى ، فأنزل الله (وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا) وأنزل الله عزّ وجلّ (ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، أنهم سألوا أن يحوّل الصفا ذهبا ، قال الله (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ) قال ابن جريج : لم يأت قرية بآية فيكذّبوا بها إلا عذّبوا ، فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذّبوا ، و « أن » الأولى التى مع مَنَعَنَا ، فى موضع نصب بوقوع منعنا عليها ، وأن الثانية رفع ، لأن معنى الكلام : وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأوّلين من الأمم ، فالفعل لأن الثانية .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وقد سأل الآيات يا محمد من قَبلَ قومك ثمود ، فآتيناها ما سألت ، وجعلنا تلك

الآية ناقة مبصرة ، جعل الإبصار للناقة ، كما تقول للشجة : موضحة ، وهذه حجة مبينة . وإنما عنى بالمبصرة : المضيئة البينة التى من يراها كانوا أهل بصر بها ، أنها لله حجة ، كما قيل : (والنهارَ مُبْصِراً) .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد . عن قتادة (وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) : أى بيّنة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ ذكره (النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) قال : آية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (فَظَلَمُوا بِها) يقول عزّ وجلّ : فكان بها ظلمهم ، وذلك أنهم قتلوها وعقروها . فكان ظلمهم بعقرها وقتلها . وقد قيل : معنى ذلك : فكفروا بها ، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد : فكفروا بالله بقتلها ، فيكون ذلك وجها .

وأما قوله (وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفا) فإنه يقول : وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفا للعباد .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفا) وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون ، أو يذكّرون ، أو يرجعون . ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود ، فقال : يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا نوح بن قيس ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاَّ تَخْوِيفا) قال : الموت الذريع .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، على تبليغ رسالته ، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا ، يقول جلّ ثناؤه : واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة ، فهم فى قبضته لايقدرون على الخروج من مشيئته ، ونحن مانعوك منهم ، فلا تتهيّب منهم أحدا ، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول : أحاط بالناس ، عصمك من الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو بكر الهذلي ، عن الحسن (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : يقول : أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك ، فعرف أنه لا يُقتل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : فهم في قبضته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير قوله (أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : منعك من الناس . قال معمر ، قال قتادة ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) قال : منعك من الناس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) أي منعك من الناس حتى تبلّغ رسالة ربك .

وقوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : هو رؤيا عين ، وهي ما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم لما أُسري به من مكة إلى بيت المقدس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به ، وليست برؤيا منام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، سُئل عن قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هي رؤيا عين رآها النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن فرات القزاز ، عن سعيد بن جبير (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : كان ذلك ليلة أُسري به إلى بيت المقدس ، فرأى ما رأى فكذّبه المشركون حين أخبرهم .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : أسري به عشاء إلى بيت المقدس ، فصلى فيه ، وأراه الله ما أراه من الآيات ، ثم أصبح بمكة ، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس ، فقالوا له : يا محمد ما شأنك ، أمسيت فيه ، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس ، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : قال كفار أهل مكة : أليس من كذب بن أبى كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين فى ليلة .

حدثنى أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبى مالك فى هذه الآية (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : مسيره إلى بيت المقدس .

حدثنى أبوالسائب ويعقوب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبى الضحى ، عن مسروق فى قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : حين أُسرى به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : ليلة أُسرى به .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : الرؤيا التى أريناك فى بيت المقدس حين أُسرى به ، فكانت تلك فتنة الكافر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يقول : الله أراه من الآيات والعبر فى مسيره إلى بيت المقدس .

ذُكر لنا أن ناسا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره ، أنكروا ذلك وكذّبوا به ، وعجبوا منه ، وقالوا : تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين فى ليلة واحدة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هو ما أُرى فى بيت المقدس ليلة أُسرى به

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ) قال : أراه الله من الآيات فى طريق بيت المقدس حين أُسرى به ، نزلت فريضة الصلاة ليلة أُسرى به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين [1] من العشر التى مكثها بمكة ، ثم رجع من ليلته ، فقالت قريش : تعشى فينا وأصبح فينا ، ثم زعم أنه جاء الشام فى ليلة ثم رجع ، وايم الله إن الحدأة لتجيئها شهرين : شهرا مقبلة ، وشهرا مُدبرة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : هذا حين أُسرى به إلى بيت المقدس ، افتتن فيها ناس ، فقالوا : يذهب إلى بيت المقدس ويرجع فى ليلة : وقال : « لَمَّا أَتَانِي جِبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْبُرَاقِ لِيَحْمِلَنِى عَلَيْهَا صَرَّتْ بِأُذُنَيْهَا ، وَانْقَبَضَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا جِبْرَئِيلُ ،

---

(١) لعله : ولتسع سنين : أى ولمضى تسع . . . الخ .

فقالَ : وَالَّذِى بَعَثَنِى بالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ ما رَكِبَها أحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ ، قالَ : فَصرَّتْ بأُذُنَيْها وَارْفَضَّتْ عَرَقا حتى سالَ ما تَحْتَها . وكانَ مُنْتَهَى خَطْوِها عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِها » فلما أتاهم بذلك ، قالوا : ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها ، فأتوا أبا بكر رضى الله عنه ، فقالوا : هذا صاحبك يقول كذا وكذا ، فقال : وقد قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : إن كان قد قال ذلك فقد صدق . فقالوا : تصدّقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع فى ليلة ؟ فقال أبو بكر : إى ، نزع الله عقولكم ، أصدّقه بخبر السماء ، والسماء أبعد من بيت المقدس ، ولا أصدّقه بخبر بيت المقدس ؟ قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا ، فلما قالوا ذلك ، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه ، فجعل يقول : هو كذا ، وفيه كذا ، فقال بعضهم : وأبيكم إن أخطأ منه حرفا ، فقالوا : هذا رجل ساحر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتِى أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) يعنى ليلة أُسرى به إلى بيت المقدس ، ثم رجع من ليلته ، فكانت فتنة لهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قوله (الرُّؤْيا الَّتِى أرَيْناكَ) قال : حين أُسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : هى رؤياه التى رأى أنه يدخل مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما جَعَلْنا الرُّؤْيا الَّتِى أرَيْناكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قال : يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِى أنه دخل مكة هو وأصحابه ، وهو يومئذ بالمدينة ، فعجَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة قبل الأجل ، فردّه المشركون ، فقالت أناس : قد ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها ، فكانت رجعته فتنتهم .

وقال آخرون ممن قال : هى رؤيا منام : إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه قوما يعلون منبره .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : ثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، قال : ثنى أبى ، عن جدّى ، قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى فلان ينزون على منبره نزو القردة ،

فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا[١] حتى مات ، قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) . . . الآية .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر فى طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أُسرى به ، وقد ذكرنا بعض ذلك فى أوّل هذه السورة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت فى ذلك ، وإياه عنى الله عزّ وجلّ بها ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وما جعلنا رؤياك التى أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس ، إلا فتنة للناس : يقول : إلا بلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام ، لمّا أُخبروا بالرؤيا التى رآها عليه الصلاة والسلام ، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا فى غيهم ، وكفرا إلى كفرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) [٢] .

وأما قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هى شجرة الزقّوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، قال : ثنا أبوعبيدة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزّقوم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : هى شجرة الزقوم . قال أبو جهل : أيخوّفنى ابن أبى كبشة بشجرة الزّقوم ، ثم دعا بتمر وزُبد ، فجعل يقول : زقمنى ، فأنزل الله تعالى (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) وأنزل (وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) .

حدثنى أبو السائب ويعقوب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبى الضحى ، عن مسروق (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن ، فى قوله (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد ، ويقولون : تزقموا هذا الزقوم . قال أبو رجاء : فحدثنى عبد القدّوس ، عن الحسن ، قال : فوصفها الله لهم فى الصافات .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : قال أبوجهل وكفار أهل

(١) معناه : لم يره الناس بعدها ضاحكا ضحكا تاما حتى مات .

(٢) اختصر المتن اكتفاء بما سبق قريبا .

مكة : أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة ، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال في قوله (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ) قال : هي شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن رجل يقال له بدر ، عن عكرمة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال : سئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك العرزمي ، عن سعيد بن جبير (وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، بمثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثني الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ) قال : الزقوم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، أنه كان يحلف مايستثنى ، أن الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن فرات القزاز ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن الشجرة الملعونة في القرآن ، قال : شجرة الزقوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : هي الزقوم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً) وهي شجرة الزقوم ، خوّف الله بها عباده ، فافتتنوا بذلك ، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام : زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر ، وإنا والله مانعلم الزقوم إلا التمر والزبد ، فتزقموا ، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة : (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) ، إني خلقتها من النار ، وعذبت بها من شئت من عبادي .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ) قال : الزقوم ، وذلك أن المشركين قالوا : يخبرنا هذا أن في النار شجرة ، والنار تأكل الشجر حتى لاتدع منه شيئا ، وذلك فتنة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ) قال : شجرة الزقوم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ) الزقوم التى سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها . وقال : هى الصَّرَفان بالزبد تتزقمه ، والصرفان : صنف من التمر . قال : وقال أبوجهل : هى الصرفان بالزبد ، وافتتنوا بها .

وقال آخرون : هى الكَشُوث [1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك ، عن ابن أبى ذئب ، عن مولى بنى هاشم حدثه ، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، أرسله إلى ابن عباس ، يسأله عن الشجرة الملعونة فى القرآن ؟ قال : هى هذه الشجرة التى تلوى على الشجرة ، وتجعل فى الماء ، يعنى الكشوثى .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال : عنى بها شجرة الزقوم ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، ، ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا . فتأويل الكلام إذن : وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ، والشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنة للناس ، فكانت فتنتهم فى الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتدّ ، وتمادِى أهل الشرك فى شركهم ، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله فى مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسرىَ به ، وكانت فتنتهم فى الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبى جهل والمشركين معه : يخبرنا محمد أن فى النار شجرة نابتة ، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها ؟

وقوله (وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيرًا) يقول : ونخوّف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال ، فما يزيدهم تخويفنا إلا طغيانا كبيرا ، يقول : إلا تماديا وغيا كبيرا فى كفرهم وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار التى طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد ، وقالوا : تزقموا من هذا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك ، ونذكر بعض من بقى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج (وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ) قال : طلعها كأنه رءوس الشياطين ، والشياطين ملعونون . قال (والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِى القُرآنِ) لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا ، قال الله تبارك وتعالى ، (ونُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيانا كَبِيرًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ

(١) الكشوث ، والكشوثا ، والكشوثاء : نبت يتعلق بالأغصان ، ولا عرق له فى الأرض . وهى لفظة سوادية (انظر اللسان والتاج) .

أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يامحمد تمادى هؤلاء المشركين فى غيهم وارتدادهم عتوًّا على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوّهم وعدوّ والدهم ، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له ، حسدا واستكبارا (لَئِنْ أخَّرْتَنِ إلى يَوْمِ القيامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاّ قَلِيلاً) وكيف صدّقوا ظنه فيهم ، وخالفوا أمر ربهم وطاعته ، واتبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم .

ويعنى بقوله (وَإِذْ قُلْنا للمَلائِكَةِ) : واذكر إذ قلنا للملائكة (اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ) فإنه استكبر وقال (أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا) يقول : لمن خلقته من طين ؛ فلما حذفت « من » تعلّق به قوله (خَلَقْتَ) فنصب ، يفتخر عليه الجاهل بأنه خُلق من نار ، وخلق آدم من طين .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث ربّ العزّة تبارك وتعالى إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبها وملحها ، فخلق منه آدم ، فكل شيء خُلق من عذبها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين ، وكلّ شيء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ؛ ومن ثم قال إبليس(أأسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا) : أى هذه الطينة أنا جئت بها . ومن ثم سُمّى آدم . لأنه خُلق من أديم الأرض .

وقوله (أرَأيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) يقول تعالى ذكره : أرأيت هذا الذى كرّمته علىّ ، فأمرتنى بالسجود له ، ويعنى بذلك آدم (لئِنْ أخرتَنِ) أقسم عدوّ الله ، فقال لربه : لئن أخرت إهلاكى إلى يوم القيامة (لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاّ قَلِيلاً) يقول : لأستولينّ عليهم ، ولأستأصلنهم ، ولأستميلنهم يقال منه : احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك ، ومنه قول الشاعر :

نَشْكُو إلَيْكَ سَنَةً قَدْ أجْحَفَتْ ... جَهْدًا إلى جَهْدٍ بنا فأضْعَفَتْ

واحْتَنَكَتْ أمْوَالَنا وجَلَّفَتْ (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، من الارجوزة السادسة فى بقية ديوان الزفيان السعدى (عطاء بن أسيد الراجز) وهى ملحقة بديوان العجاج المطبوع فى ليبزج سنة ١٩٠٣ ص ٦٥ ، مع اختلاف فى رواية بعضها . والبيتان الأولان هما :

نشكو إليك سنة قد جلفت ... أموالنا من أصلها وجرفت

أما البيت الثالث فليس فى الأرجوزة . ومعنى أجحفت : أضرت بنا ، وذهبت بأموالنا ، فلقينا من شدتها جهدا إلى جهد . واحتنكت : قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٤)يقال : احتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره : أخذه كله واستقصاه. قال : نشكو إليك . . . الخ الأبيات . ومعنى جلفت : قشرت أو قشر الجلد مع شىء من اللحم . والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) قال : لأحتوينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) يقول : لأستولينّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قليلا) قال : لأضلنهم ، وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى ، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد ، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴾ ٦٣

يقول تعالى ذكره قال الله لإبليس إذ قال له (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) اذهب فقد أخرتك ، فمن تبعك منهم ، يعني من ذرّية آدم عليه السلام فأطاعك ، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم ، يقول : ثوابك على دعائك إياهم على معصيتي ، وثوابهم على اتباعهم إياك وخلافهم أمري (جزاءً موفورا) : يقول : ثوابا مكثورا مكملا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا) عذاب جهنم جزاؤهم ، ونقمة من الله من أعدائه فلا يعدل عنهم من عذابها شيء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا) قال : وافرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (مَوْفُورًا) ، قال : وافرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ٦٤

☆ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَاسْتَفْزِزْ) واستخفف واستجهل، من قولهم: استفزّ فلانا كذا وكذا فهو يستفزّه (مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ). اختلف أهل التأويل فى الصوت الذى عناه جلّ ثناؤه بقوله (وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ) فقال بعضهم : عنى به: صوت الغناء واللعب.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : باللهو والغناء .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر ، عن مجاهد ، فى قوله : (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بصَوْتِكَ) قال : اللعب واللهو .

وقال آخرون : عنى به (واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ) بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : صوته كلّ داع دعا إلى معصية الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) قال : بدعائك .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة أن يقال : إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس : واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك ، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت ، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله ، فهو داخل فى معنى صوته الذى قال الله تبارك وتعالى اسمه له (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) .

وقوله (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك ، والصرف عن طاعتى ، يقال منه : أجلب فلان على فلان إجلابا : إذا صاح عليه. والجلبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجلب، كما يقال: الغلبة والغلب، والشفقة والشفق.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى سلم بن جنادة : قال : ثنا ابن إدريس، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد ، فى قوله (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) قال : كلّ راكب وماش فى معاصى الله تعالى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) قال : إن له خيلا ورجلا من الجنّ والإنس ، وهم الذين يطيعونه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) قال الرجال : المشاة .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) قال: خيله: كل راكب فى معصية الله ؛ ورجله: كل راجل فى معصية الله.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) قال : ما كان من راكب يقاتل فى معصية الله فهو من خيل إبليس ، وما كان من راجل فى معصية الله فهو من رجال إبليس . والرجْل : جمع راجل، كما التجْر : جمع تاجر، والصَّحْب : جمع صاحب .

وأما قوله (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى المشاركة التى عنيت بقوله (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) فقال بعضهم: هو أمره إياهم بانفاق أموالهم فى غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها :

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ) التى أصابوها من غير حلها :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ) قال : ما أكل من مال بغير طاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء بن أبى رَباح ، قال : الشرك فى أموال الربا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، عن الحسن ، فى قوله (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) قال : قد والله شاركهم فى أموالهم، وأعطاهم الله أموالا فأنفقوها فى طاعة الشيطان فى غير حقّ الله تبارك اسمه ، وهو قول قتادة :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد، عن معمر ،قال : قال الحسن (وَشَارِكْهُمْ فى الأَمْوَالِ) مرهم أن يكسبوها من خبيث ، وينفقوها فى حرام :

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) قال : كلّ مال فى معصية الله :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ) قال : مشاركته إياهم فى الأموال والأولاد ، ما زيَّن لهم فيها من معاصى الله حتى ركبوها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وَشَارِكْهُمْ فى الأَمْوَالِ) كلّ ما أنفقوا فى غير حقه .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك كلّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد . قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى : قال : ثنى أبى . عن أبيه : عن ابن عباس : فى قوله (وَشارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) قال : الأموال : ما كانوا يحرّمون من أنعامهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن عمران بن سليمان . عن أبى صالح : عن ابن عباس . قال : مشاركته فى الأموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ) فإنه قد فعل ذلك . أما فى الأموال ، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما .

قال أبو جعفر : الصواب : حاميا :

وقال آخرون : بل عُنِى به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : (وَشارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) يعنى ما كانوا يذبحون لآلهتهم .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِى بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق فى حرام أو اكتساب من حرام ، أو ذبح للآلهة ، أو تسييب ، أو بحر للشيطان ، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه ، وذلك أن الله قال (وَشارِكْهُمْ فى الأَمْوَالِ) فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه ، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس ، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض .

وقوله (والأَوْلادِ) اختلف أهل التأويل فى صفة شركته بنى آدم فى أولادهم ، فقال بعضهم : شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَشارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) قال : أولاد الزنا .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا يذكر عن مجاهد (وَشارِكْهُمْ فى الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) قال : أولاد الزنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَشارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ والأَوْلادِ) قال : أولاد الزنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : أولاد الزنا .

حُدِّثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (وَشارِكْهُم فى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : أولاد الزنا ، يعنى بذلك أهل الشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَشارِكْهُم فِى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : الأولاد : أولاد الزنا .

وقال آخرون : عنى بذلك : وأْدُهم أولادَهم وقتلهموهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَشارِكْهُم فِى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : ما قتلوا من أولادهم ، وأتوا فيهم الحرام .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : صبغهم إياهم فى الكفر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَشارِكْهُم فِى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : قد والله شاركهم فى أموالهم وأولادهم ، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَشارِكْهُم فِى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : قد فعل ذلك ، أما فى الأولاد فإنهم هوّدوهم ونصّروهم ومجّسوهم .

وقال آخرون : بل عنى بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى بن يونس ، عن عمران بن سليمان ، عن أبى صالح عن ابن عباس (وَشارِكْهُم فِى الأمْوَالِ والأولادِ) قال : مشاركته إياهم فى الأولاد ، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : كلّ ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته مايكرهه الله ، أو بادخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله ، أو بالزنا بأمه ، أو قتله ووأده ، أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بها بفعله به أو فيه ، فقد دخل فى مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه ، لأن الله لم يخصص بقوله (وَشارِكْهُم فى الأمْوَالِ والأولادِ) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى ، فكلّ ماعصى الله فيه أو به ، وأطيع به الشيطان أو فيه ، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه .

وقوله (وَعِدْهُم وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاَّ غُرُورًا) يقول تعالى ذكره لإبليس : وعد أتباعك من ذرّية آدم ، النصرة على من أرادهم بسوء ، يقول الله (وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إلاَّ غُرُورًا) لأنه لايغنى عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئا ، فهم من عداته فى باطل وخديعة ، كما قال لهم عدوّ الله حين

حصحص الحق (إنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ . وَوَعَدْتُكُم فَأَخْلَفْتُكُم ، وَمَا كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاَّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لإبليس : إن عبادى الذين أطاعونى . فاتبعوا أمرى وعصوك يا إبليس . ليس لك عليهم حجة .

وقوله (وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً) يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكفاك يا محمد ربك حفيظا . وقيما بأمرك . فانقد لأمره . وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين . ولا تخف أحدا . فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ ، وكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً) وعباده المؤمنون . وقال الله فى آية أخرى (إنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره للمشركين به : ربكم أيها القوم هو الذى يسير لكم السفن فى البحر . فيحملكم فيها (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم . وتلتمسون من رزقه (إنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً) يقول : إن الله كان بكم رحيما حين أجرى لكم الفلك فى البحر ، تسهيلا منه بذلك عليكم التصرّف فى طلب فضله فى البلاد النائية التى لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها .

وبنحو ما قلنا فى قوله (يُزْجِي لَكُمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فى البَحْرِ) يقول : يجرى الفلك .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ) قال : يسيرها فى البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ) قال : يجرى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ) قال : يجريها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون : يقول : فقد تمّ من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة ، وجار عن طريقكم فلم يغثكم ، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه ، فلما دعوتموه وأغاثكم ، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد ، والبراءة من الآلهة ، وإفراده بالألوهة كفرا منكم بنعمته (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) يقول : وكان الإنسان إذا جحد لنعم ربه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : (أَفَأَمِنْتُمْ) أيها الناس من ربكم ، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر ، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك ، فلما نجاكم وصرتم إلى البرّ كفرتم ، وأشركتم في عبادته غيره (أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) يعني ناحية البرّ (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) يقول : أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم ، كما فعل بقوم لوط (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) يقول : ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) يقول : حجارة من السماء (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) : أي منعة ولا ناصرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) قال : مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر .

وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِبا) إلى : أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب . ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[1]

وأصل الحاصب : الريح تحصب بالحصباء ؛ والحصباء : الأرض فيها الرمل والحصى الصغار . يقال فى الكلام حصب فلان فلانا : إذا رماه بالحصباء . وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك ، كما قال الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إذَا العِشَارُ تَرَوَّحَتْ ... هَدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمَالا

تَرْمِى العِضَاهُ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِها ... حَتَّى يَبِيتَ عَلَى العِضَاهِ جِفَالا[2]

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ ٦٩

يقول تعالى ذكره : أم أمنتم أيها القوم من ربكم ، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم ، النعمة التى قد علمتم أن يعيدكم فى البحر تارة أخرى : يقول : مرّة أخرى . والهاء التى فى قوله « فيه » من ذكر البحر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرَى) : أى فى البحر مرّة أخرى (فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفا مِنَ الرِّيحِ) وهى التى تقصف ما مرّت به فتحطمه وتدقه ، من قولهم : قصف فلان ظهر فلان : إذا كسره (فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ) يقول : فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم ، يقول : بكفركم به (ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا) يقول : ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم ، ولا ثائرا يثأرنا بإهلاكنا إياكم . وقيل : تبيعا فى موضع التابع ، كما قيل : عليم فى موضع عالم . والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره : تبيع . ومنه قول الشاعر :

عَدَوْا وَعَدَتْ غِزْلانُهُمْ فَكأنَّهَا ... ضَوَامِنُ غُرْمٍ لَزِهُنَّ تَبِيعُ[3]

---

(١) البيت للفرزدق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك ، ويهجو يزيد بن المهلب ، (ديوانه طبعة الصاوى ٢٦٢ – ٢٦٧) . استشهد به المؤلف على أن الحاصب : الريح التى تحمل الحصباء وهى صغار الحصى . والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة ، وأن أصل الحاصب الريح تحصب بالحصباء ، والحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار ، كما أوضحه المؤلف .

(٢) البيتان للأخطل (ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويفتخر على قيس . والعشار : جمع عشراء من الإبل ، وهى التى قد أتى عليها عشرة أشهر وهى حامل . وتروحت : أى ذهبت فى الرواح وهو المشى إلى حظائرها . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعامة . والهدج : عدو متقارب . وتكبهن : تسقطهن ، يريد تكبهن الريح وهى هابة شمالا . والحاصب : ما تناثر من دقاق الثلج . والضمير فى ترمى : راجع إلى ريح الشمال . والعضاه : كل شجر له شوك ، أو كل شجرة واسعة الظل ، كثيرة الأفنان ، واحدته : عضة . والجفال : ما تراكم من الثلج وتراكب . وهذا الشاهد فى معنى الذى قبله .

(٣) البيت : شاهد على أن معنى التبيع فى الآية : كل طالب بدم أو دين أو غيره . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٥) أى من يتبعنا لكم تبيعة ، ولا طالبا لنا بها . وفى (اللسان : تبع) : والتبيع التابع . وقول القرآن « ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » : =

وبنحو الذى قلنا فى القاصف والتبيع ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفا مِنَ الرِّيحِ) يقول : عاصفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قاصفا التى تُغْرِق .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا) يقول نصيرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال محمد ثائرا ؛ وقال الحرث نصيرا ثائرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا) قال : ثائرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا) أى لا نخاف أن نتبع بشىء من ذلك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا) يقول : لا يتبعنا أحد بشىء من ذلك ، والتارة : جمعه تارات وتير ، وأفعلت منه : أترت .

القول فى تأويل قوله تعالى:

* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ) بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق ، وتسخيرنا سائر الخلق لهم (وَحَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ) على ظهور الدوابّ والمراكب (و) فى (الْبَحْرِ) فى الفلك التى سخرناها لهم (وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ) يقول : من طيبات المطاعم والمشارب ، وهى حلالها ولذيذاتها (وَفَضَّلْناهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً) ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم ، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم ، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق .

= قال الفراء : أى ثائرا ولا طالبا بالثأر ، لإغراقنا إياكم . وقال الزجاج : معناه : لا تجدوا من يتبعنا بإنكار ما نزل بكم ، ولا من يتبعنا بأن يصرفه عنكم . وقيل : تبيعا : مطالبا . ومنه قوله تعالى : « فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان » يقول : على صاحب الدم اتباع بالمعروف ، أى المطالبة بالدية ، وعلى المطالب أداء إليه بإحسان .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدم) . . . الآية ، قال (وَفَضَّلْناهُمْ) فى اليدين يأكل بهما ، ويعمل بهما ، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم ، فى قوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ) قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها ، ويتنعَّمون ، ولم تعطنا ذلك ، فأعطناه فى الآخرة ، فقال وعزّتى لاأجعل ذرّيّة من خلقت بيدى ، كمن قلت له كن فكان .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى الإمام الذى ذكر الله جلّ ثناؤه أنه يدعو كلّ أناس به : فقال بعضهم : هو نبيه ، ومن كان يقتدى به فى الدنيا ويأتمّ به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (بِإِمامِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) قال : نبيهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ) قال الإمام : ما عمل وأملى ، فكتب عليه ، فمن بعث متقيا لله جعل كتابه بيمينه ، فقرأه واستبشر ، ولم يظلم فتيلا ، وهو مثل قوله (وإِنَّهُما لَبِإِمامٍ مُبِينٍ) والإمام : ما أملى وعمل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) قال : بأعمالهم .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : بكتابهم الذى فيه أعمالهم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) يقول : بكتابهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : بأعمالهم .

وقال آخرون : بل معناه : يوم ندعو كلّ أناس بكتابهم الذى أنزلت عليهم فيه أمرى ونهيى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت يحيى بن زيد فى قول الله عزّ وجلّ (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) قال : بكتابهم الذى أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه ، والذى عليه يحاسبون ، وقرأ (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) قال : الشرعة : الدين ، والمنهاج : السنة ، وقرأ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً) قال : فنوح أوّلهم ، وأنت آخرهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) بكتابهم .

❁ وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذى كانوا يقتدون به ، ويأتمّون به فى الدنيا ، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدى به ، وتوجيه معانى كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها .

وقوله (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) يقول : فمن أعطى كتاب عمله بيمينه (فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ) ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) يقول تعالى ذكره : ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلا ، وهو المنفتل الذى فى شقّ بطن النواة . وقد مضى البيان عن الفَتِيل بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) قال : الذى فى شقّ النواة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ٧٢

اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أشير إليه بقوله هذه ، فقال بعضهم : أشير بذلك إلى النعم التى

عدّدها تعالى ذكره بقوله (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وحَمَلْناهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ ، وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ . وفَضَّلْناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً) فقال (وَمَنْ كانَ فِي هذهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً)

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا عبد الأعلى . قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : سئل عن هذه الآية (وَمَنْ كانَ فِي هذهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً) فقال : قال (وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وحَمَلْناهُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ . وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ . وفَضَّلْناهُمْ على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً) قال : من عمى عن شكر هذه النعم فى الدنيا ، فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن كان فى هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه ، فهو فى الآخرة أعمى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ كانَ فِي هذهِ أعْمَى) يقول : من عمى عن قدرة الله فى الدنيا (فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فِي هَذِهِ أعْمَى) قال : الدنيا .

حدثنا بشر : قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى) يقول : من كان فى هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه (فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً) فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى) فى الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم (فَهُوَ فِي الآخِرَةِ) الغائبة التى لم يرها (أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : وسئل عن قول الله تعالى (وَمَنْ كانَ فِي هذهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلُّ سَبِيلاً) فقرأ (إنَّ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ لآيات لِلْمُؤْمِنِينَ . وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ) . وقرأ (وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) ، وقرأ حتى بلغ (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ) قال : كلّ له مطيعون ، إلا ابن آدم . قال : فمن كانت فى هذه الآيات التى يعرف أنها منا ، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى ، فهو فى الآخرة التى لم يرها أعمى وأضلّ سبيلا.

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : معنى ذلك : ومن كان فى هذه الدنيا أعمى

عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف مافيها ، فهو فى أمر الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها ، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلا : يقول : وأضلّ طريقا منه فى أمر الدنيا التى قد عاينها ورآها .

وإنما قلنا : ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص فى قوله (وَمَنْ كَانَ فِى هَـٰذِهِ) الدنيا (أَعْمَىٰ) عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض ، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بنى آدم ، وحمله إياهم فى البرّ والبحر ، وما عدّد فى الآية التى ذكر فيها نعمه عليهم ، بل عمّ بالخبر عن عماه فى الدنيا ، فهم كما عمّ تعالى ذكره .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) فكسرت القرأة جميعا أعنى الحرف الأوّل قوله (وَمَنْ كَانَ فِى هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ) . وأمّا قوله (فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) فإن عامة قرّاء الكوفيين أمالت أيضا قوله (فهوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) . وأما بعض قرّاء البصرة فإنه فتحه ، وتأوّله بمعنى : فهو فى الآخرة أشدّ عمى . واستشهد لصحة قراءته بقوله (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) .

وهذه القراءة هى أَوْلى القراءتين فى ذلك بالصواب للشاهد الذى ذكرنا عن قارئه كذلك ، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظنا منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذى لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى ، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت ، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر ، إلا بإدخال أشدّ أو أبين ، فليس الأمر فى ذلك كذلك .

وإنما قلنا : ذلك من عمى القلب الذى يقع فيه التفاوت ، فإنما عُنِى به عمى قلوب الكفار ، عن حجج الله التى قد عاينتها أبصارهم ، فلذلك جاز ذلك وحسُن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَهُوَ فِى الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) قال : أعمى عن حجته فى الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾

۞ اختلف أهل التأويل فى الفتنة التى كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذى أوحى الله إليه إلى غيره ؛ فقال بعضهم : ذلك الإلمام بالآلهة ، لأن المشركين دعوه إلى ذلك ، فهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا يعقوب القُمّىّ ، جعفر ، عن سعيد ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود ، فمنعته قريش ، وقالوا : لاندعه حتى يلم بآلهتنا ، فحدّث نفسه ، وقال : ما علىّ أنْ أُلِمّ بها بعد أن يدعونى أستلم الحجر ، والله يعلم أنى لها كاره . فأبى الله فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره) الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه ، وكان فى قولهم أن قالوا : إنك تأتى بشىء لايأتى به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا ، فما زالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم[١] ثم منعه الله وعصمه من ذلك ، فقال (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لتفترى علينا غيره) قال : أطافوا به ليلة ، فقالوا : أنت سيدنا وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض مايريدون فهمّ أن يقارفهم[١] فى بعض مايريدون ، ثم عصمه الله ، فذلك قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) الذى أرادوا فهمّ أن يقارفهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : قالوا له : ائت آلهتنا فامسسها ، فذلك قوله (شيئا قليلا .)

وقال آخرون : إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم همّ أن يُنظِر قوما بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ، وإذاً لاتخذوك خليلا) وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أجّلنا سنة حتى يُهدَى لآلهتنا ، فإذا قبضنا الذى يُهدى لآلهتنا أخذناه ، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ، وأن يؤجّلهم ، فقال الله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره ، وذلك هو الافتراء على الله ؛ وجائز أن يكون ذلك كان ماذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسّ آلهتهم ، ويلمّ بها ، وجائز أن يكون كان ذلك ماذُكر عن ابن عباس من أمر ثقيف ، ومسألتهم إياه ماسألوه مما ذكرنا ؛ وجائز أن يكون غير ذلك ، ولا بيان فى الكتاب ولا فى خبر يقطع العذر أىّ ذلك كان ، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا ، فلا شىء فيه أصوب من الإيمان بظاهره ، حتى يأتى خبر يجب التسليم له ببيان ما عُنِى بذلك منه .

(١) يقارفهم : يقاربهم ويدانيهم (اللسان) .

وقوله (وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً) يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه من الفتنة عن الذى أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خليلا ، وكنت لهم وكانوا لك أولياء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًۭٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا أن ثبّتناك يامحمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة (لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً) يقول : لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئا قليلا ، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم همّ به من أن يفعل بعض الذى كانوا سألوه فعله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية ، ماحدثنا محمد بن بشار ، قال: ثنا سليمان ، قال : ثنا أبوهلال ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِذًۭا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًۭا ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره : لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يامحمد شيئا قليلا فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ) يعنى : ضعف عذاب الدنيا والآخرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (ضِعْفَ الحَيَاةِ) قال : عذابها (وَضِعْفَ المَمَاتِ) قال : عذاب الآخرة .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ) : أى عذاب الدنيا والآخرة .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : (ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ) قال : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

حُدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ) يعنى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى قوله (إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ) مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة (وَضِعْفَ المَمَاتِ) فهما عذابان ، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة . وقوله (ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) يقول : ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم : عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا ، ويمنعك من عذابك ، وينقذك مما نالك منا من عقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

يقول عزّ وجلّ : وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض : يقول : ليستخفونك من الأرض التى أنت بها ليخرجوك منها (وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً) يقول : ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلا قليلا ، حتى أهلكهم بعذاب عاجل .

واختلف أهل التأويل فى الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفى الأرض التى أرادوا أن يخرجوه منها ؛ فقال بعضهم : الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود ، والأرض التى أرادوا أن يخرجوه منها المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرميّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : إن أرض الأنبياء أرض الشام ، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، فأنزل الله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا) .

وقال آخرون : بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا ، والأرض مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاَّ قَلِيلاً) وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة ، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره ، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ) قال : قد فعلوا بعد ذلك ، فأهلكهم الله يوم بدر ، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا حتى أهلكهم الله يوم بدر . وكذلك كانت سنّة الله فى الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : لو أخرجت قريش محمدا لعذّبوا بذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

﴿ وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب ، قول قتادة ومجاهد ، وذلك أن قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ) في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر ، فيوجه قوله (وَإِنْ كَادُوا) إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره . وأما القليل الذى استثناه الله جلّ ذكره في قوله (وإِذًا لايَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) فإنه فيما قيل ، ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وإِذًا لايَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر ، فكان ذلك هو القليل الذى نبثوا بعد .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِذًا لايَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) كان القليل الذى لبثوا بعد خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر ، فأخذهم بالعذاب يوم بدر ، وعُني بقوله خلافك بعدك ، كما قال الشاعر :

عَقَبَ الرَّذَاذُ خِلافَها فكأنَّمَا ... بسَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرًا(١)

يعني بقوله : خلافها : بعدها . وقد حُكي عن بعضهم أنه كان يقرؤها : خلفك . ومعنى ذلك ، ومعنى الخلاف في هذا الموضع واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٧٧)

﴿ يقول تعالى ذكره : لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلا قليلا ، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا ، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله (لايَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) لأن معنى ذلك : لعذّبناهم بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلا عما جرت به .

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي (اللسان : خلف) . شاهد على أن خلافك بمعنى بعدك . وقد سبق استشهاد المؤلف به عند تفسير قوله تعالى « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله » (الجزء ١٠ : ٢٠٠) . ورواية المؤلف هنا تختلف عنها عند الآية من سورة التوبة ففيها * عقب الربيع خلافهم فكأنما * . وفى (اللسان : عقب) : * عقب الرذاذ خلافهم فكأنما * وفى مجاز القرآن لأبي عبيدة (١ : ٣٨٧) : * عفت الديار خلافها فكأنما * .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ، وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً) : أى سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذّبوا رسلهم وأخرجوهم ، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أَقِمِ الصَّلاةَ) يا محمد (لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) . واختلف أهل التأويل فى الوقت الذى عناه الله بدلوك الشمس . فقال بعضهم : هو وقت غروبها ، والصلاة التى أمر بإقامتها حينئذ : صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى واصل بن عبد الأعلى الأسدى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبى إسحاق ، يعنى الشيبانى ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، أنه كان مع عبد الله بن مسعود ، على سطح حين غربت الشمس ، فقرأ (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : والذى نفسى بيده إن هذا لَحِينَ دَلَكَتِ الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، أن أبا عُبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلى المغرب ، ويفطر عندها إن كان صائما ، ويقسم عليها يمينا ما يقسمه على شىء من الصلوات بالله الذى لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن عاصم ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : هذا دلوك الشمس ، وهذا غسق الليل ، وأشار إلى المشرق والمغرب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قال ابن عباس : دلوك الشمس : غروبها ، يقول : دلكت براح .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله ، أنه قال : حين غربت الشمس دلكت ، يعنى براح مكانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : دلوكها : غروبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصليها إذا وجبت وعندها يفطر إذا كان صائما ، ثم يقسم عليها قسما لا يقسمه على شىء من الصلوات بالله

الذى لا إله إلا هو ، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة ، ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : كان أبى يقول: دلوكها : حين تريد الشمس تغرب إلى أن يغسق الليل ، قال : هى المغرب حين يغسق الليل ، وتَدلُك الشمس للغروب .

حدثنى سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول : كان عبد الله بن مسعود يصلى المغرب حين يغرب حاجب الشمس ، ويحلف أنه الوقت الذى قال الله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله حين غربت الشمس : هذا والله الذى لا إله غيره وقت هذه الصلاة . وقال : دلوكها : غروبها .

وقال آخرون : دلوك الشمس : ميلها للزوال ، والصلاة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها : الظهر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ، قال : دلوكها : ميلها ، يعنى الشمس .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ، عن ابن عباس ، قال، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : دلوكها: زوالها .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : دلوكها : ميلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن سيار بن سلامة ، عن أبى برزة الأسلمىّ ، قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : إذا زالت .

حدثنا ابن حميد مرة أخرى ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا سيار بن سلامة الرياحى ، قال : أتيت أبا برزة فسأله والدى عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا : (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : قال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : الظهر دلوكها ، إذا زالت عن بطن السماء ، وكان لها فى الأرض فىء .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : دلوكها : زوالها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثل ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبى جعفر فى (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : لزوال الشمس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن ابن عباس ، قال دلوك الشمس : زيغها بعد نصف النهار ، يعنى الظل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : دلوك الشمس ، قال : حين تزيغ عن بطن السماء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) أى إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) قال : حين تزيغ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قال : دلوك الشمس : حين تزيغ .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى بقوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) : صلاة الظهر ، وذلك أن الدلوك فى كلام العرب : الميل ، يقال منه : دلك فلان إلى كذا : إذا مال إليه . ومنه الخبر الذى روى عن الحسن أن رجلا قال له : أيدالك الرجل امرأته ؟ يعنى بذلك : أيميل بها إلى المماطلة بحقها . ومنه قول الراجز :

هَـــذَا مَقَامُ قَدَمَىْ رَبَاحِ غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ

ويروى : براح بفتح الباء ، فمن روى ذلك بِراح بكسر الباء ، فإنه يعنى : أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها ، لينظر ما لقى من غيارها . وهذا تفسير أهل الغريب أبى عبيدة والأصمعى وأبى عمرو الشيبانى

(١) الرجز من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ص ١٨١) وروايته فيه : « ذبب » فى موضع « غدوة » وهى كرواية (اللسان : برح) . قال الفراء : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » : جاء عن ابن عباس قال ؛ هو زيغوغتها وزوالها للظهر . قال أبو زكريا : ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس أنشدنى بعضهم « هذا مقامى . . . البيت » يعنى الساقى – ذبب – طرد الناس براح : يقول حتى قال بالراحة على العين ، فينظر هل غابت ؟ قال : هكذا فسروه لنا . وقال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٧) : ودلوك الشمس من عند زوالها إلى أن تغيب . وقال : « هذا مقام »... البيت ألا ترى أنها تدفع بالراح يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر مابقى من غيابها . والدلوك : دنوها من غيبوبتها . وقال أبو زيد الأنصارى فى النوادر (ص ٨٨) : ويقال : دلكت براح وبراح (بفتح الباء ، وكسر الحاء أو ضمها) وهو اسم للشمس معروف . قال الراجز :

هَـــذَا مَقَامُ قَدَمَىْ رَبَاحِ غُـــدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بَرَاحِ

قال أبو حاتم : براح : أى براحة . وفى (اللسان : برح) : وبراح وبراح (بالباء مفتوحة وكسر الحاء وضمها) : اسم للشمس معرفة مثل قطام ، سميت بذلك لانتشارها وبيانها .

وغيرهم . وقد ذكرت فى الخبر الذى رويت عن عبد الله بن مسعود ، أنه قال حين غربت الشمس : دلكت براح ، يعنى : براح مكانا ، ولست أدرى هذا التفسير ، أعنى قوله : براح مكانا مِنْ كلام من هو ممن فى الإسناد ، أو من كلام عبد الله ، فإن يكن من كلام عبد الله ، فلا شكّ أنه كان أعلمَ بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم . وأن الصواب فى ذلك قوله ، دون قولهم ، وإن لم يكن من كلام عبد الله ، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه ، ولما قال أهل الغريب فى ذلك شاهد من قول العجاج ، وهو قوله :

والشَّمْسُ قد كادَتْ تَكُونُ دَنَفَا ... أدْفَعُها بالرَّاحِ كَىْ تَزَحْلَفَا[1]

فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر إلى مغيبها براحه . ومن روى ذلك بفتح الباء ، فإنه جعله اسما للشمس وكسر الحاء لإخراجه إياه على تقدير قَطامِ وحَذامِ ورَقاشِ ، فاذا كان معنى الدلوك فى كلام العرب هو الميل ، فلا شكّ أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء ، فقد مالت للغروب ، وذلك وقت صلاة الظهر ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان فى إسناد بعضه بعض النظر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنى يحيى بن سعيد ، قال : ثنى أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى ، عن أبى مسعود عقبة بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانِي جِبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنى سيار بن سلامة الرياحى ، قال : قال أبو برزة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر إذا زالت الشمس ، ثم تلا (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن ابن أبى ليلى ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : دعوت نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه ، فطعموا عندى ، ثم خرجوا حين زالت الشمس ، فخرج النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « اخْرُجْ يا أبا بَكْرٍ فَقَدْ دَلَكَتِ الشَّمْسُ » .

حدثنى محمد بن عثمان الرازى ، قال : ثنا سهل بن بكار ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن الأسود بن قيس ، عن نُبَيح العَنَزِىّ ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، نحو حديث ابن حميد .

فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذى به استشهدنا ، فبين إذن أن معنى قوله جلّ ثناؤه (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما

(١) البيتان من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٨٢ من أرجوزة عدتها ٨١ بيتا) وهى فى زوائد الديوان ، لا فى أصله . وهما من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٨٨) قال : فى دلوك الشمس : ألا ترى أنها تدفع بالراح : يضع كفه على حاجبيه من شعاعها لينظر ما بقى من غيابها ، والدلوك دنوها من غيبوبتها . قال العجاج : « والشمس . . . الخ » . وفى (اللسان : تزحلف) ويقال للشمس إذا مالت للمغيب ، إذا زالت عن كبد السماء نصف النهار : قد تزحلفت . قال العجاج : « والشمس . . . الخ » .

الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل ؛ وغسق الليل : هو إقباله ودنوّه بظلامه ، كما قال الشاعر :

آبَ هَذَا اللَّيْلُ إذْ غَسَقَا (١)

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى الصلاة التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده ؛ فقال بعضهم : الصلاة التى أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : غسق الليل : بدوّ الليل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية : (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : بدوّ الليل .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : غسق الليل : غروب الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (غَسَقِ اللَّيْلِ) : صلاة المغرب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) بدوّ الليل لصلاة المغرب . وقد ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى عَلَى الفِطْرَةِ ما صَلَّوْا صَلاةَ المَغْرِبِ قَبْلَ أنْ تَبْدُوَ النُّجومُ » .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) يعنى ظلام الليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبى يقول (غَسَقِ اللَّيْلِ) : ظلمة الليل .

وقال آخرون : هى صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن أبى جعفر (إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال : صلاة العصر .

---

(١) هذا صدر بيت ، لعبيد الله بن قيس الرقيات . وعجزه * واشتكيت الهم والأرقا * واستشهد به على أن معنى « غسق الليل » : ظلامه . (مجاز القرآن لأبى عبيدة ١ : ٣٨٨) ورواية أبى عبيدة : * إن هذا الليل قد غسقا * وتؤيدها رواية اللسان أيضا . قال : غسق الليل يغسق (كيضرب) غسقا وغسقانا ، وأغسق : عن ثعلب : انصب وأظلم ، ومنه قول ابن الرقيات : * إن هذا الليل قد غسقا *

* وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : الصلاة التى أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم باقامتها عند غسق الليل ، هى صلاة المغرب دون غيرها ، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه ، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس . فأما صلاة العصر ، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل ، لا عند غسق الليل . وأما قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فإن معناه وأقم قرآن الفجر : أى ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن ، والقرآن معطوف على الصلاة فى قوله (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) .

وكان بعض نحويى البصرة يقول : نصب قوله (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) على الإغراء ، كأنه قال : وعليك قرآن الفجر (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يقول : إن ما تقرأ به فى صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا ، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار .

وبالذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد القرشى ، قال : ثنى أبى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود عن أبى صالح، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم « فى هذه الآية (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال : تَشْهَدُهُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ » .

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا ليث بن سعد ؛ وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ يَفْتَتِحُ الذِّكْرَ فِى ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ : فِى السَّاعَةِ الأُولى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِى الكِتابِ الَّذِى لا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَيَمْحُو ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِى السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إلى جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهِىَ دارُهُ الَّتِى لَمْ تَرَها عَيْنٌ ، وَلا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَهِىَ مَسْكَنُهُ ، وَلا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِى آدَمَ غَيْرُ ثَلاثَةٍ : النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ ، ثُمَّ يَقُولُ : طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِى السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ إلى السَّماءِ الدُّنْيا بِرُوحِهِ وَمَلائِكَتِهِ فَتَنْتَفِضُ ، فَيَقُولُ قُومِى بِعَوْنِى ، ثُمَّ يَطَّلِعُ إلى عِبادِهِ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى أَغْفِرْ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِى أُعْطِهِ ، مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ ، فذلك حين يقول (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) قال موسى فى حديثه : شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار . وقال ابن عسكر فى حديثه : فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن عقبة بن عبد الغافر ، قال : قال أبوعبيدة بن عبد الله : كان عبد الله يحدّث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله ، ويقرأ هذه الآية (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)

حدثنا بشر ،قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وقُرآنَ الفَجْرِ ، إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) وقرآن الفجر: صلاة الصبح ، كنا نحدّث أن عندها يجتمع الحَرَسان من ملائكة الله حَرَس: الليل وحَرَس النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقُرآنَ الفَجْرِ) صلاة الفجر . وأما قوله (كانَ مَشْهُودًا) فإنه يقول : ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) قال: تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل .

حدثني أبوالسائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهُذيل ، عن أبي عبيدة، في قوله (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) قال : يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر .

حدثنا أبوالسائب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش، عن إبراهيم ، في قوله (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) قال : كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا ، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال: ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) يعني صلاة الصبح .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَقُرآنَ الفَجْرِ) قال : صلاة الصبح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثني حجاج، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقُرآنَ الفَجْرِ) صلاة الصبح (إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا)قال : تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار.

حُدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَقُرآنَ الفَجْرِ) يعني صلاة الغداة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد (وَقُرآنَ الفَجْرِ) قال : صلاة الفجر (إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودًا) قال : مشهودا من الملائكة فيما يذكرون . قال : وكان عليّ بن أبي طالب، وأُبيّ بن كعب يقولان : الصلاة الوسطى التي حضّ الله عليها : صلاة الصبح . قال : وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر: صلاتا النهار، والمغرب والعشاء : صلاتا الليل ، وهي بينها ، وهي صلاة نوم ، ما نعلم صلاة يُغفل عنها مثلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريري ، عن أبي الورد بن ثمامة ، عن أبي محمد

الحضرمي ، قال : ثنا كعب في هذا المسجد ، قال : والذي نفس كعب بيده ، إن هذه الآية (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً) إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة .

حدثني الحسن بن عليّ بن عباس ، قال : ثنا بشر بن شعيب ، قال : أخبرني أبي ، عن الزهري ، قال ثني سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ في صَلاةِ الفَجْرِ » ، ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً) قال : صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن ، نافلة لك خالصة دون أمتك . والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة من الليل . وأما الهجود نفسه : فالنوم ، كما قال الشاعر :

ألا طَرَقَتْنا والرِّفاقُ هُجُــودُ ... فَباتَتْ بِعُلاّتِ النَّوَالِ تَجُودُ[١]

وقال الحُطَيئة :

ألا طَرَقَتْ هِنْدُ الهُنُودِ وصُحْبَتِي ... بِحَوْرَانَ حَوْرَانِ الجُنُودِ هُجُودُ[٢]

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن مجاهد بن يزيد ، عن أبي هلال ، عن الأعرج أنه قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، عن رجل من الأنصار ، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فقال : لأنظرنّ كيف يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استيقظ ، فرفع رأسه إلى السماء ، فتلا

(١) البيت لم أقف على قائله . وهجود : يجوز أن يكون مصدر هجد يهجد هجودا إذا نام ، ويكون المراد منه : والرفاق ذوو هجود أو والرفاق هاجدون ، فيكون بمعنى المشتق . ويجوز أن يكون هجود جمعا لهاجد بلا تأويل ، كقعود جمع قاعد ، وجلوس جمع جالس وحضور جمع حاضر . والعلات : جمع علة اسم للمرة من العل ، وهو السقي الثاني بعد الأول . والنوال : ما يعطيه الحبيب حبيبه من ثمرة الحب .

(٢) البيت للحطيئة (ديوانه طبعة الحميدية ص ١٠٣) . وقال شارحه : كل كورة من كور الشام : جند . وهجود : جمع هاجد ، وهو النائم ، ومثله قعود : جمع قاعد . ومحل الشاهد أن الهجود في الآية معناه : النوم ؛ كما في بيت الحطيئة . مصدر هجد يهجد هجودا إذا نام . ويكون المصدر في معنى المشتق ، أو يكون على معنى : والرفاق « ذوو هجود » ثم حذف المضاف ، وأقيم المصدر مقامه .

أربع آيات من آخر سورة آل عمران (إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) حتى مرّ بالأربع ، ثم أهوى إلى القربة ، فأخذ سواكا فاستنّ به ، ثم توضأ ، ثم صلى ، ثم نام ، ثم استيقظ فصنع كصنعه أوّل مرّة ، ويزعمون أنه التهجد الذى أمره الله .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سعيد ، عن أبى إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن علقمة والأسود أنهما قالا : التهجد بعد نومة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، قال : التهجد : بعد نومة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنى أبو إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن علقمة الأسود ، بمثله .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : التهجد : بعد النوم .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : التهجد : ما كان بعد العشاء الآخرة .

حُدثت عن عبد الله بن صالح ، عن الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن الأعرج ، عن كثير بن العباس ، عن الحجاج بن عمرو ، قال : إنما التهجد بعد رقدة .

وأما قوله (نافِلَةً لكَ) فإنه يقول : نفلا لك عن فرائضك التى فرضتها عليك .

واختُلف فى المعنى الذى من أجله خصّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع كون صلاة كلّ مصلّ بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلا ، إذ كانت غير واجبة عليه ؛ فقال بعضهم : معنى خصوصه بذلك : هو أنها كانت فريضة عليه ، وهى لغيره تطوّع ، وقيل له : أقمها نافلة لك : أى فضلا لك من الفرائض التى فرضتها عليك عما فرضت على غيرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لكَ) يعنى بالنافلة أنها للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة ، أُمر بقيام الليل وكُتب عليه .

وقال آخرون : بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفّر عنه شيئا من الذنوب ، لأن الله تعالى كان قد غفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فكان له نافلة فضل ، فأما غيره فهو له كفارة ، وليس هو له نافلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : النافلة للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غُفرله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة ، فهونافلة من أجل أنه لايعمل ذلك فى كفارة الذنوب ، فهى نوافل وزيادة ، والناس يعملون ماسوى المكتوبة لذنوبهم فى كفارتها ، فليست للناس نوافل .

وأولى القولين بالصواب فى ذلك ، القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل ، دون سائر أمته . فأما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك ، فقول لامعنى له ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكِر عنه أكثر ماكان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عزّ وجلّ عليه (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرَفه من الحديبية ، وأنزل عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ) عام قبض . وقيل له فيها (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّابا) فكان يُعدُّ له صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد استغفار مئة مرّة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك ، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن عطية ، عن شهر ، عن أبى أُمامة ، قال : إنما كانت النافلة للنبىّ صلى الله عليه وسلم خاصة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (نافِلَةً لَكَ) قال : تطوّعا وفضيلة لك .

وقوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) وعسى من الله واجبة ، وإنما وجه قول أهل العلم : عسى من الله واجبة ، لعلم المؤمنين أن الله لايدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور ، ولا شكّ أنه قد أطمع من قال ذلك له فى نفعه ، إذا هو تعاهده ولزمه ، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه ، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذى تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه ، فإنه لصاحبه غارّ بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذى قال له . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان غير جائزأن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته ، أو على فعل من الأفعال ، أو أمر أو نهى أمرهم به ، أو نهاهم عنه ، فانه موف لهم به ، وإنه منه كالعدة التى لايخلف الوفاء بها ، قالوا : عسى ولعلّ من الله واجبة .

وتأويل الكلام : أقم الصلاة المفروضة يامحمد فى هذه الأوقات التى أمرتك باقامتها فيها ، ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك ، لعلّ ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده ، وتغبط فيه .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك المقام المحمود ، فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذى هو

يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن أبي إسحاق . عن صلة بن زُفَر . عن حُذيفة . قال : يجمع الناس في صعيد واحد . فيسمعهم الداعي . وينفذهم البصر . حُفاة عراة كما خُلقوا . قياما لا تكلّم نفس إلا بإذنه . ينادَى : يا محمد . فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك . والشرّ ليس إليك . والمهديّ من هدَيت . عبدك بين يديك . وبك وإليك . لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك . تباركت وتعاليت . سبحانك ربّ هذا البيت ؛ فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى .

حدثنا محمد بن المثنى . قال : ثنا محمد بن جعفر . قال : ثنا شعبة . عن أبي إسحاق . عن صلة بن زُفر . عن حُذيفة . قال : يُجمع الناس في صعيد واحد . فلا تكلّم نفس . فأوّل ما يدعو محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم . فيقوم محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم . فيقول : لبيك . ثم ذكر مثله .

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي . قال : ثنا عيسى بن يونس . عن رشدين بن كريب . عن أبيه عن ابن عباس . قوله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن سلمة بن كهيل . قال : ثنا أبو الزعراء . عن عبد الله في قصة ذكرها . قال : ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم . فيمرّ الناس بقدر أعمالهم ، يمرّ أوّلهم كالبرق . وكمرّ الريح . وكمرّ الطير . وكأسرع البهائم . ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعيا . ثم مشيا . حتى يجيء آخرهم يتلبّط على بطنه . فيقول : ربّ لما أبطأت بي . فيقول : إني لم أبطأ بك . إنما أبطأ بك عملك . قال : ثم يأذن الله في الشفاعة . فيكون أوّل شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام . روح القُدُس . ثم إبراهيم خليل الرحمن . ثم موسى . أو عيسى قال أبو الزعراء : لا أدري أيهما قال ؛ قال : ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا . فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه . وهو المقام المحمود الذي ذكر الله (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) .

حدثنا محمد بن بشار . قال : ثنا ابن أبي عديّ . عن عوف . عن الحسن في قول الله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء . جميعا عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد . في قول الله تعالى (مَقَاماً مَحْمُوداً) قال : شفاعة محمد يوم القيامة .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . مثله .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنا أبو معاوية . عن عاصم الأحول . عن أبي عثمان . عن سلمان . قال : هو الشفاعة . يشفعه الله في أمته . فهو المقام المحمود .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) ، وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا عبدا ، أو ملكا نبيا ، فأومأ إليه جبرئيل عليه السلام : أن تَوَاضَعْ ، فاختار نبيّ الله أن يكون عبدا نبيا ، فأُعْطِي به نبيّ الله ثنتين : إنه أوّل من تنشق عنه الأرض ، وأوّل شافع . وكان أهل العلم يَرَوْن أنه المقام المحمود الذى قال الله تبارك وتعالى (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) شفاعة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مَقاما مَحْمُودًا) قال : هى الشفاعة ، يشفّعه الله فى أمته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر والثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن صلة بن زُفَر ، قال : سمعت حُذيفة يقول فى قوله (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) قال : يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يُسْمعهم الداعى ، فَيَنْفُذُهم البصر حُفاة عُراة ، كما خُلقوا سكوتا لا تكلّم نفس إلا بإذنه ، قال : فينادَى محمد ، فيقول : لَبَّيك وسَعْدَيك ، والخيرُ فى يديك ، والشرّ ليس إليك ، والمهدىّ من هَدَيت ، وعبدُك بين يديك ، ولك وإليك ، لا مَلْجَأ ولا منجَى منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت ، سبحانك ربّ البيت ، قال : فذلك المقامُ المحمودُ الذى ذكر الله (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبى إسحاق ، عن صلة بن زُفَر ، قال حُذيفة : يجمع الله الناس فى صعيد واحد ، حيث يَنْفُذُهم البصر ، ويُسْمعهم الداعى ، حُفاة عُراة كما خُلقوا أوّل مرّة ، ثم يقوم النبىّ صلى الله عليه وسلم فيقول : لبيك وسعديك ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : هو المقام المحمود .

وقال آخرون : بل ذلك المقام المحمود الذى وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه ، هو أن يقاعده معه على عرشه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) قال : يُجْلسه معه على عرشه .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن داود بن يزيد ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمودًا) سُئل عنها ، قال : « هِيَ الشَّفاعَةُ » .

حدثنا علىّ بن حرب ، قال : ثنا مَكّىّ بن إبراهيم ، قال : ثنا داود بن يزيد الأَوْدِىّ ، عن أبيه ، عن

أبي هريرة . عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قوله «(عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي» .

حدثنا أبوعُتْبة الحِمْصِيّ أحمد بن الفَرَج . قال: ثنا بقية بن الوليد ، عن الزُّبيديّ ، عن الزهريّ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ ، فأكُونُ أنا وأُمَّتِي على تَلّ ، فيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْراءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنَ لِي ، فأقُولُ ما شاءَ اللهُ أنْ أقُولَ ، فَذَلكَ المَقامُ المَحْمُودُ» .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثني الليث ، عن عبيد الله ابن أبي جعفر ، أنه قال : سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنَّ الشَّمْسَ لَتَدْنُو حتى يَبْلُغَ العَرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ ، فَبَيْنَما هُمْ كَذلكَ اسْتَغاثُوا بآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَقُولُ : لَسْتُ صاحِبَ ذلكَ ، ثُمَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَقُولُ كَذلكَ ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ فَيَشْفَعُ بينَ الخَلْقِ فَيَمْشِي حتى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الجَنَّةِ ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقاماً مَحْمُوداً» .

حدثني أبو زيد عمر بن شَبَّة ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، عن عليّ بن الحكم ، قال : ثني عثمان ، عن إبراهيم ، عن الأسود وعلقمة ، عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنِّي لأَقُومُ المَقامَ المَحْمُودَ» فقال رجل : يا رسول الله ، وما ذلك المقام المحمود؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذاكَ إذا جِيءَ بِكُمْ حُفاةً عُراةً غُرْلاً ، فَيَكُونُ أوَّلَ مَنْ يُكْسَى إبْراهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيُؤْتَى بريطَتَيْنِ بَيْضاوَيْنِ فَيَلْبَسُهُما ، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَرْشِ ، ثُمَّ أُوتَى بكِسْوَتِي فألْبَسُها ، فأقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقاماً لا يَقُومُهُ غَيْرِي يَغْبِطُنِي فِيهِ الأوَّلُونَ والآخِرُونَ ، ثُمَّ يُفْتَحُ نَهْرٌ مِنَ الكَوْثَرِ إلى الحَوْضِ» .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهريّ ، عن عليّ بن الحسين ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ مَدَّ اللهُ الأرْضَ مَدَّ الأدِيمِ حتى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُدْعَى وجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، واللهِ ما رآهُ قَبْلَها ، فأقُولُ : أيْ رَبِّ إنَّ هذا أخْبَرَنِي أنَّكَ أرْسَلْتَهُ إليَّ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ ، ثُمَّ أشْفَعُ ، قال : فَهُوَ المَقامُ المَحْمُودُ» .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهريّ ، عن عليّ بن الحسين ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ» ، فذكر نحوه ، وزاد فيه : «ثُمَّ أشْفَعُ فأقُولُ : يا رَبِّ عِبادُكَ عَبَدُوكَ فِي أطْرافِ الأرْضِ ، وَهُوَ المَقامُ المَحْمُودُ» .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا إبراهيم بن طهمان ، عن آدم ، عن عليّ ، قال : سمعت ابن عمر يقول : «إن الناس يحشرون يوم القيامة ، فيجيء مع كلّ نبيّ أمته ، ثم يجيء رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى آخر الأمم هو وأمته ، فيرقى هو وأمته على كَوم فوق الناس ، فيقول : يا فلان اشفع ، ويافلان اشفع ، ويافلان اشفع ، فما زال يردّها بعضهم على بعض[1] يرجع ذلك إليه ، وهو المقام المحمود الذى وعده الله إياه » .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا حَيْوة وربيع ، قالا : ثنا محمد بن حرب ، عن الزبيدىّ ، عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأكُونُ أنا وأُمَّتِى على تَلّ ، فَيَكْسُونِى رَبِّى عَزَّ وَجَلَّ حُلَّةً خَضْراءَ ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لى فَأقُولُ ما شاءَ اللهُ أنْ أقُولَ ، فذلكَ المَقامُ المَحْمُودُ » .

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول فى تأويل قوله (عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاما مَحْمُودًا) لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعِد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، قول غير مدفوع صحته ، لا من جهة خبر ولا نظر ، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن التابعين بإحالة ذلك . فأما من جهة النظر ، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا فى معنى ذلك على أوجه ثلاثة : فقالت فرقة منهم : الله عزّ وجلّ بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء ، ثم خلق الأشياء فلم يماسّها ، وهو كما لم يزل ، غير أن الأشياء التى خلقها ، إذ لم يكن هو لها مماسا ، وجب أن يكون لها مباينا ، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماسّ للأجسام أو مباين لها . قالوا : فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله عزّ وجلّ فاعل الأشياء ، ولم يجز فى قولهم : إنه يوصف بأنه مماسّ للأشياء ، وجب بزعمهم أنه لها مباين ، فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على الأرض إذ كان من قولهم إن بينونته من عرشه ، وبينونته من أرضه بمعنى واحد فى أنه بائن منهما كليهما ، غير مماسّ لواحد منهما .

وقالت فرقة أخرى : كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء ، لا شىء يماسه ، ولا شىء يباينه ، ثم خلق الأشاء فأقامها بقدرته ، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شىء يماسه ولا شىء يباينه ، فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه ، أو على أرضه ، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه فى أنه لا مماس ولا مباين لهذا ، كما أنه لا مماس ولا مباين لهذه .

وقالت فرقة أخرى : كان الله عزّ ذكره قبل خلقه الأشياء لا شىء يماسه ، ولا شىء يباينه ، ثم أحدث الأشياء وخلقها ، فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا ، وصار له مماسا ، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شىء يرزقه رزقا ، ولا شىء يحرمه ذلك ، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا ، وأعطى هذا ، ومنع هذا ، قالوا : فكذلك كان قبل خلقه الأشياء لا شىء يماسه ولا يباينه ، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه ، فهو مماس ما شاء من خلقه ، ومباين ما شاء منه ، فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا على عرشه ، أو أقعده على منبر من نور ، إذ كان من قولهم : إن

(١) لعله حتى يرجع .

جلوس الربّ على عرشه . ليس بجلوس يشغل جميع العرش، ولا فى إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية . ولا مخرجه من صفة العبودية لربه ، كما أن مباينة محمد صلى الله عليه سلم ما كان مباينا له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية، ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين . كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها ، هو مباين له. قالوا : فإذا كان معنى مباين ومباين لايوجب لمحمد صلى الله عليه وسلم الخروج من صفة العبودة والدخول فى معنى الربوبية . فكذلك لايوجب له ذلك قعوده على عرش الرحمن، فقد تبين إذا بما قُلنا أنه غير محال فى قول أحد ممن ينتحل الإسلام ما قاله مجاهد من أن الله تبارك وتعالى يُقْعِد محمدا على عرشه .

فإن قال قائل: فإنا لاننكر إقعاد الله محمدا على عرشه ، وإنما ننكر إقعاده [1] .

حدثنى عباس بن عبد العظيم ، قال : ثنا يحيى بن كثير ، عن الجريرىّ، عن سيف السَّدُوسىّ ، عن عبد الله بن سلام . قال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على كرسىّ الربّ بين يدى الربّ تبارك وتعالى، وإنما ينكر إقعاده إياه معه . قيل : أفجائز عندك أن يقعده عليه لامعه . فإن أجاز ذلك صار إلى الإقرار بأنه إما معه ، أو إلى أنه يقعده ، والله للعرش مباين، أو لامماسّ ولا مباين، وبأىّ ذلك قال كان منه دخولا فى بعض ماكان ينكره وإن قال ذلك غير جائز كان منه خروجا من قول جميع الفرق التى حكينا قولهم، وذلك فراق لقول جميع من ينتحل الإسلام، إذ كان لاقول فى ذلك إلا الأقوال الثلاثة التى حكيناها، وغير محال فى قول منها ماقال مجاهد فى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وقل يا محمد يا ربّ أدخلنى مدخل صدق .

واختلف أهل التأويل فى معنى مُدْخل الصدق الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إليه فى أن يدخله إياه ، وفى مخرج الصدق الذى أمره أن يرغب إليه فى أن يخرجه إياه، فقال بعضهم: عَنَى بمُدْخل الصِّدق: مُدْخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، حين هاجر إليها، ومُخْرَج الصدق: مُخْرجه من مكة ، حين خرج منها مهاجرا إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير، عن قابوس بن أبى ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم بمكة ، ثم أمر بالهجرة ، فأنزل الله تبارك وتعالى اسمه (وَقُلْ رَبِّ

(١) لعل هذه الجملة قد سقطت بقيتها فى هذا الموضع . وستجىء نظيرتها تامة فى السطر الثالث بعدها .

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرًا) .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف عن الحسن ، فى قول الله (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، أو يطردوه ، أو يُوثِقوه ، وأراد الله قتال أهل مكة ، فأمره أن يخرج إلى المدينة ، فهو الذى قال الله (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن مَعْمَر ، عن قتادة (مُدْخَلَ صِدْقٍ) قال : المدينة (وَمُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أخرجه الله من مكة إلى الهجرة بالمدينة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال : المدينة حين هاجر إليها ، ومخرج صدق : مكة حين خرج منها مخرج صدق ، قال ذلك حين خرج مهاجرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقل ربّ أمتنى إماتة صِدْق ، وأخرجنى بعد الممات من قبرى يوم القيامة مُخْرَج صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) . . . الآية ، قال : يعنى بالإدخال : الموت ، والإخراج : الحياة بعد الممات .

وقال آخرون : بل عَنَى بذلك : أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوّة مُدْخَل صدق ، وأخرجنى منه مُخْرَج صدق .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) قال : فيما أرسلتنى به من أمرك (وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) قال كذلك أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلنى مدخل صدق : الجنة ، وأخرجنى مخرج صدق : من مكة إلى المدينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : (أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) الجنة (وَمُخْرَجَ صِدْقٍ) من مكة إلى المدينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلني فى الإسلام مُدْخل صدق :

ذكر من قال ذلك

حدثنا سهل بن موسى الرازى ، قال : ثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح فى قوله (رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) قال : أدخلنى فى الإسلام مدخل صدق (وأَخْرِجْنِى) منه (مُخْرَجَ صِدْقٍ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أدخلنى مكة آمنا ، وأخرجنى منها آمنا .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك قال فى قوله (رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) يعنى مكة ، دخل فيها آمنا ، وخرج منها آمنا .

۞ وأشبه هذه الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك ، قول من قال : معنى ذلك : وأدخلنى المدينة مُدْخل صدق ، وأخرجنى من مكة مُخْرج صدق :

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن ذلك عقيب قوله (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ، وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) . وقد دللنا فيما مضى ، على أنه عنى بذلك أهل مكة ؛ فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوه عن مكة ، كان بيِّنا ، إذ كان الله قد أخرجه منها ، أن قوله (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أمر منه له بالرغبة إليه فى أن يخرجه من البلدة التى هم المشركون باخراجه منها مخرج صدق ، وأن يدخله البلدة التى نقله الله إليها مدخل صدق .

وقوله (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : واجعل لى ملكا ناصرا ينصرنى على من ناوأنى ، وعِزًّا أقيم به دينك ، وأدفع به عنه من أراده بسوء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) يُوعِده لَيَنْزِعَنَّ مُلْك فارس ، وعزّ فارس ، وليجعلنه له ، وعزّ الرّوم ، ومُلك الروم ، وليجعلنه له :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ

سُلْطانا نَصيرًا) وإن نبيّ الله علم أن لاطاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله ، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهرعباده ، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض ، فأكل شديدهم ضعيفهم .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك حجة بينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ (سُلْطانا نَصيرًا) قال : حجة بينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه فى أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده ، وحاول منعه من إقامته فرائض الله فى نفسه وعباده .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة ، فأعلمه الله عزّ وجلّ أنهم لوفعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه فى إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم ، ويدخله بلدة غيرها ، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها فى دخوله إليها،وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التى أخرجه أهلها منها، وعلى كلّ من كان لهم شبيها ، وإذا أوتى ذلك ، فقد أوتى لاشكّ حجة بينة .

وأما قوله (نَصيرًا) فإن ابن زيدكان يقول فيه ، نحو قولنا الذى قلنا فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَاجْعَلْ لى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصيرًا) قال : ينصرنى، وقد قال الله لموسى (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطانا فَلا يَصِلُونَ إلَيْكُما بآياتِنا) هذا مقدّم ومؤخّر ، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزّوك من الأرض ليخرجوك منها (جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى الحقّ الذى أمرالله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِم المشركين أنه قد جاء ، والباطل الذى أمره أن يعلمهم أنه قد زَهَق ، فقال بعضهم : الحقّ : هو القرآن فى هذا الموضع ، والباطل : هو الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقُلْ جاءَ الحَقُّ) قال : الحقّ : القرآن (وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقُلْ جاءَ الحَقُّ) قال : القرآن (وَزَهَقَ الباطِلُ) قال : هلاك الباطل وهو الشيطان .

وقال آخرون : بل عُنِى بالحقّ جهاد المشركين وبالباطل الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَقُلْ جاءَ الحَقُّ) قال : دنا القتال (وَزَهَقَ الباطِلُ) قال : الشرك وما هم فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن ابن مسعود ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول البيت ثلاثُ مئة وستون صنما ، فجعل يطعنها ويقول : (جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا) .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال : أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء ، وهو كلّ ما كان لله فيه رضا وطاعة ، وأن الباطل قد زهق : يقول : وذهب كلّ ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة ، وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس ، وأن الباطل : هو كلّ ما وافق طاعته ، ولم يخصص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعاته ، ولا ذهاب بعض معاصيه ، بل عمّ الخبر عن مجىء جميع الحقّ ، وذهاب جميع الباطل ، وبذلك جاء القرآن والتنزيل ، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله ، أعنى على إقامة جميع الحقّ ، وإبطال جميع الباطل .

وأما قوله عزّ وجلّ (وَزَهَقَ الباطِلُ) فإن معناه : ذهب الباطل ، من قولهم : زَهَقَت نفسه : إذا خرجت وأزهقتها أنا ؛ ومن قولهم : أزهق السهم : إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته ، يقال منه : زهق الباطل ، يزهَق زُهوقا ، وأزهقه الله : أى أذهبه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا) يقول : ذاهبا .

وقوله عزّ وجلّ (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره : وننزّل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة ، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به ، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله ، ويحلون حلاله ، ويحرّمون حرامه

فيدخلهم بذلك الجنة ، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله ، أنعم بها عليهم (وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً) يقول : ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا : يقول : إهلاكا ، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به ، فلم يأتمروا لأمره ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه ، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ، ورجسا إلى رجسهم قبلُ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ) إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) به (إِلاَّ خَسَاراً) أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه ، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾

يقول تبارك وتعالى : وإذا أنعمنا على الإنسان ، فنجّيناه من كرب ما هو فيه فى البحر ، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البرّ ، وغير ذلك من نعمنا ، أعرض عن ذكرنا ، وقد كان بنا مستغيثا دون كلّ أحد سوانا فى حال الشدّة التى كان فيها (وَنَأَى بِجانِبِهِ) يقول : وبعد منا بجانبه ، يعنى بنفسه ، ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ قبل ذلك .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن مجاهد ، فى قوله (وَنَأَى بِجانِبِهِ) قال : تباعد منا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله

والقراءة على تصيير الهمزة فى نَأَى قبل الألف ، وهى اللغة الفصيحة ، وبها نقرأ . وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك (وَنَاءَ) فيصير الهمزة بعد الألف ، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم فى نظائر ذلك الهمز فى موضع هو فيه مؤخرّ ، وتأخيرهموه فى موضع ، هو مقدّم ، كما قال الشاعر :

أعلامٌ يُقَلِّلُ رَاءَ رُؤْيا　　فهْوَ يَهْذِى بِما رأى فى المَنامِ[1]

وكما قال آبار وهى أبآر ، فقدموا الهمزة ، فليس ذلك هو اللغة الجودى ، بل الأخرى هى الفصيحة .

وقوله عزّ وجلّ (وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوسا) يقول : وإذا مسه الشرّ والشدّة كان قنوطا من الفرج والروْح .

---

(١) هكذا جاء هذا البيت فى الأصول ، ولم نهتد إلى قائله بعد بحث ، وهو من بحر الخفيف ، وفيه تحريف فى شطره الأول . ولعل الصواب فى روايته هكذا :

أَمْ غُلامٌ مُضَلَّلٌ رَاءَ رُؤْيا　　فهْوَ يَهْذِى بِمَا رأى فى المَنامِ

أما محل الشاهد فى البيت فسليم ، فى قوله « راء » فإنه مقلوب رأى ، قدمت اللام على العين ، وهو فى تقدير « فلع » والدليل على ذلك أن مصدر الفعلين واحد وهو الرؤيا ، ومثله فى القلب : « ناء » أصله « نأى » ومصدرهما النأى .

وبنحو الذى قلنا فى اليئوس ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوسا) يقول : قَنُوطا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَئُوسا) يقول : إذا مسه الشرّ أَيِس وقَنِط .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

❊ يقول عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد للناس : كلكم يعمل على شاكلته : على ناحيته وطريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ) هو منكم (أَهْدَى سَبِيلاً) يقول : ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى الحقّ من غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ) يقول : على ناحيته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى شاكِلَتِهِ) قال : على ناحيته :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ) قال : على طبيعته على حِدَته :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ) يقول : على ناحيته وعلى ماينوى .

وقال آخرون : الشاكلة : الدِّين :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكِلَتِهِ) قال : على دينه ، الشاكلة : الدين .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هى ؟ قل لهم : الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلا ،وذُكِر أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فنزلت هذه الآية بمسألتهم إياه عنها ، كانوا قوما من اليهود .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبوهشام ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال «كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة، ومعه عَسِيب يتوكأ عليه ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم : اسألوه عن الروح ، وقال بعضهم : لاتسألوه ، فقام متوكئا على عسيبه ، فقمت خلفه ، فظننت أنه يوحَى إليه، فقال (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) فقال بعضهم لبعض : ألم نقل لكم لاتسألوه » .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله، قال : «بينا أنا أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حَرَّة بالمدينة ،إذ مررنا على يهود ، فقال بعضهم: سَلُوه عن الروح ، فقالوا : ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون ، فقاموا إليه ، فسألوه ، فقام فعرفت أنه يوحى إليه ، فقمت مكانى ، ثم قرأ (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) فقالوا : ألم نهكم أن تسألوه » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ،عن عكرمة ، قال: « سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله تعالى (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) فقالوا : أتزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهى الحكمة ، (وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا) . قال: فنزلت (وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ)قال : ما أوتيتم من علم ، فنجاكم الله به من النار ، فهو كثير طيب ، وهو فى علم الله قليل » .

حدثنى إسماعيل بن أبى المتوكل ، قال : ثنا الأشجعىّ أبوعاصم الحِمْصىّ ،قال : ثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب ، قال : ثنا القاسم بن معن ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : «إنى لمع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى حرث بالمدينة ، إذ أتاه يهودىّ ، قال : ياأبا القاسم: ما الروح ؟ فسكت النبىّ صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عزّ وجلّ (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى)»

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) «لقيت اليهود نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ،فتغشَّوه وسألوه وقالوا : إن كان نبيا علم،فسيعلم ذلك ، فسألوه عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذى القرنين ؛ فأنزل الله فى كتابه ذلك كله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) يعنى اليهود » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : يهود تسأل عنه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : يهود تسأله .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) . . . الآية « وذلك أن اليهود قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أخبرنا ما الروح ، وكيف تعذّب الروح التي في الجسد ، وإنما الروح من الله عزّ وجلّ ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء ، فلم يُحِر إليهم شيئا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فقال له : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) فأخبرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك ، قالوا له : من جاءك بهذا ؟ فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم : جاءني بِهِ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فقالوا : والله ما قاله لك إلا عدوّ لنا ، فأنزل الله تبارك اسمه (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فإنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ) . . . الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : «كنت أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فمررنا بأناس من اليهود ، فقالوا : يا أبا القاسم ما الرُّوح ؟ فأُسكِت ، فرأيت أنه يوحَى إليه ، قال : فتنحيت عنه إلى سُباطة ، فنزلت عليه (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) . . . الآية ، فقالت اليهود : هكذا نجده عندنا » .

واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِر في هذا الموضع ماهي ؟ فقال بعضهم : هي جبرئيل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : هو جبرئيل ، قال قتادة : وكان ابن عباس يكتمه . وقال آخرون : هي مَلَك من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال: ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الروحِ) قال : الروح : مَلَك .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني أبومروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية ، عمن حدثه عن عليّ بن أبي طالب ، أنه قال في قوله (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ) قال : هو مَلَك من الملائكة له سبعون ألف وجه ، لكل وجه منها سبعون ألف لسان ، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها ، يخلق الله من كلّ تسبيحة ملَكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

وقد بيّنّا معنى الرّوح في غير هذا الموضع من كتابنا ، بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (مِنْ أَمْرِ رَبِّى) فإنه يعنى : أنه من الأمر الذى يعلمه الله عزّ وجلّ دونكم ، فلا تعلمونه ويعلم ما هو .

وأما قوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بقوله (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) فقال بعضهم : عنى بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم ، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب ، خرج الكلام على المخاطبة ، لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع فى الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب ، أخرجوا الكلام خطابا للجمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال نزلت بمكة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يامحمد ألم يبلغنا أنك تقول (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) أفعنيتنا أم قومك ؟ قال كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كلّ شىء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِىَ فى عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتاكُمْ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فأنزل الله (وَلَوْ أَنَّ ما فِى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ) . . . إلى قوله (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله عزّ وجلّ (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) قال : يا محمد والناس أجمعون .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) يعنى : اليهود .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : أن يقال : خرج الكلام خطابا لمن خوطب به ، والمراد به جميع الخلق ، لأن علم كلّ أحد سوى الله ، وإن كثر فى علم الله قليل . وإنما معنى الكلام : وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى آتيناك من العلم الذى أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبنّ به ، فلا تعلمه ، ثم لاتجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلا ، يعنى : قيّما يقوم لك ، فيمنعنا من فعل ذلك بك ، ولا ناصرا ينصرك ، فيحول بيننا وبين ما نريد بك ، قال : وكان عبد الله بن مسعود يتأوّل معنى ذهاب الله عزّ وجلّ به رفعه من صدور قارئيه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن بُنْدار ، عن معقل ، قال : قلت لعبد الله : وذكر أنه يُسرى على القرآن ، كيف وقد أثبتناه فى صدورنا ومصاحفنا ، قال : يُسرى عليه ليلا ، فلا يبقى منه فى مصحف ولا فى صدر رجل ، ثم قرأ عبد الله (وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن إسحاق بن يحيى ، عن المسيب بن رافع ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « تطرق الناسَ ريح حمراء من نحو الشام ، فلا يبقى فى مصحف رجل ولا قلبه آية ، قال رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إنى قد جمعت القرآن ، قال : لا يبقى فى صدرك منه شىء ، ثم قرأ ابن مسعود (وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

يقول عزّ وجلّ : (ولئنْ شئْنا لنذهبنَّ) يا محمد (بالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) ولكنه لا يشاء ذلك ، رحمة من ربك وتفضلا منه عليك (إنَّ فضْلَهُ كانَ عليكَ كبيرًا) باصطفائه إياك لرسالته ، وإنزاله عليك كتابه ، وسائر نعمه عليك التى لا تحصى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

يقول جل ثناؤه : قل يا محمد للذين قالوا لك : إنا نأتى بمثل هذا القرآن : لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله ، لا يأتون أبدا بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهيرا . وذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه فى القرآن ، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبوّته ، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أضا [١] وبحرى بن عمرو ، وعزيز بن أبى عزيز ، وسلام بن مِشْكم ، فقالوا : أخبرنا يا محمد بهذا الذى جئتنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ ، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما وَالله إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله

(١) قد بين ابن إسحاق فى السيرة أسماء الأعداء من يهود ، ولم أجد بينهم من اسمه عمر بن أضان الذى جاء فى الأصل ، ولعله نعمان ابن أضا ، من بنى قينقاع (انظر السيرة طبعة الحلبى ٢ : ١٦١) .

تجدونه مكتوبا عندكم ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به . فقال عند ذلك ، وهم جميعا : فنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وكنانة بن أبى الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وسموءل بن زيد ، وجبل بن عمرو : يا محمد مايعلمك هذا إنس ولا جان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والإنجيل ، فقالوا : يا محمد ، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء ، ويقدر منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتى به ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم وفيما قالوا (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لئن اجتمعت الإنس والجن) . . . إلى قوله (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) قال : معينا ، قال : يقول : لو برزت الجنّ وأعانهم الإنس ، فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن . وقوله عزّ وجلّ (لا يأتون بمثله) رفع ، وهو جواب لقوله « لئن » ، لأن العرب إذا أجابت لئن بلا رفعوا ما بعدها ، لأن « لئن » كاليمين وجواب اليمين بلا مرفوع ، وربما جزم لأن التى يجاب بها زيدت عليه لام ، كما قال الأعشى :

لئن منيت بنا عن غب معركة ... لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل[1]

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد بيّنا للناس فى هذا القرآن من كلّ مثل ، احتجاجا بذلك كله عليهم ، وتذكيرا لهم ، وتنبيها على الحقّ ليتبعوه ويعملوا به (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) يقول : فأبى أكثر الناس إلا جحودا للحقّ ، وإنكارا لحجج الله وأدلته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال يا محمد ، المشركون بالله من قومك لك : لن نصدّقك ، حتى تفجّر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء .

---

(١) هذا البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٦٣) من قصيدته التى مطلعها : « ودع هريرة » وعدتها ٦٦ بيتا ، وبيت الشاهد هو ال ٦٣ قالها ليزيد بن مسهر ، أبى ثابت الشيبانى . يقول : إنا لانمل القتال ، ولو قدر لك أن تبتلى بنا فى أعقاب معركة قد خضناها ، لوجدت فينا قوة على قتال جدير ، ولم ترنا نحيد عن الخوض فى الدماء مرة أخرى . ومحل الشاهد فيه أن قول الله « لايأتون بمثله » جواب للقسم المتقدم عليه فى قوله تعالى « لئن اجتمعت » ولم يؤكد فعل الجواب بالنون ، لأنه مسبوق بالنفى « لا » . . ومثله فى قول الأعشى : « لا تلفنا » الذى لم يؤكد بالنون مع أنه جواب القسم « لئن منيت » ، وامتنع التوكيد لوجود النفى فى الجواب .

وقوله(يَنْبُوعا) يفعول من قول القائل : نبع الماء : إذا ظهر وفار ، ينْبُع وينْبَع ، وهو ما نبع . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد : قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا) : أي حتى تفجُر لنا من الأرض عيونا : أي ببلدنا هذا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة، قوله (حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا) قال : عيونا .

حدثنا محمد ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَنْبُوعا) قال : عيونا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (تَفْجُرَ) فروى عن إبراهيم النخعيّ أنه قرأ (حتى تَفْجُرَ لَنا) خفيفة وقوله (فَتُفَجِّرَ الأنهارَ خِلالَها تَفْجيرًا) بالتشديد ، وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرءونها، فكأنهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى : حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرّة واحدة . وبتشديدهم الثانية إلى أنها تفجر في أماكن شتى ، مرّة بعد أخرى ، إذا كان ذلك تفجر أنهار لانهر واحد[1] . والتخفيف في الأولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب إليّ لما ذكرت من افتراق معنييهما، وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقال لك يامحمد مشركو قومك: لن نصدّقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا ، تَدفّق بالماء أو تفور ، أويكون لك بستان ، وهوالجنة ، من نخيل وعنب ، فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها ، يعني : خلال النخيل والكروم ، ويعني بقوله (خِلالَها تَفْجيرًا) بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (٩٢)

اختلفت القرّاء في قراءة قوله (كِسَفًا) فقرأته عامّة قرّاء الكوفة والبصرة بسكون السين ، بمعنى : أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفا ، وذلك أن الكِسف في كلام العرب: جمع كِسْفة ، وهو جمع الكثيرمن العدد للجنس ، كما تجمع السِّدْرة بسِدْر ، والتمرة بتمر ، فحُكي عن العرب سماعا : أعطني كِسفة من هذا

(١) في الكلام سقط ظاهر . والحاصل أنهم اتفقوا ، على تشديد فتفجر واختلفوا في حتى تفجر ، فبعضهم شدد ، وبعضهم خفف، واختار المؤلف التشديد للعلة التي ذكرها .

الثوب : أى قطعة منه ، يقال منه : جاءنا بثريد كسف : أى قطع خبز . وقد يحتمل إذا قرئ كذلك (كِسْفا) بسكون السين أن يكون مرادا به المصدر من كسف[1] . فأما الكِسَف بفتح السين ، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر ، يقال : كِسَفة واحدة ، وثلاث كِسَف ، وكذلك إلى العشر . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين (كِسَفا) بفتح السين بمعنى : جمع الكِسْفة الواحدة من الثلاث إلى العشر ، يعنى بذلك قِطَعا : ما بين الثلاث إلى العشر .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بسكون السين ، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، لم يقصدوا فى مسئلتهم إياه ذلك أن يكون بحدّ معلوم من القطع ، إنما سألوا أن يُسقط عليهم السماء قِطَعا ، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِسْفا) قال : السماء جميعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قوله (كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفا) قال : مرّة واحدة ، والتى فى الروم (وَيَجْعَلُهُ كِسَفا) قال : قطعا ، قال ابن جريج : كسفا لقول الله (إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفا مِنَ السَّمَاءِ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفا) قال : أى قطعا .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كِسَفا) يقول : قطعا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كِسَفا) قال : قطعا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفا) يعنى قِطَعا .

● القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ :

يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم : أو يأتى بالله يا محمد والملائكة قبيلا .

واختلف أهل التأويل فى معنى القبيل فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : حتى يأتى الله والملائكة كلّ قبيلة منا قبيلة قبيلة ، فيعاينونهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) مصدر الفعل كسف يكسف (كضرب يضرب) هو الكسف ، بفتح الكاف وسكون السين (اللسان) .

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً) قال: على حدتنا ، كلّ قبيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً) قال : قبائل على حدتها كلّ قبيلة .

وقال آخرون : معنى ذلك : أو تأتى بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة ، فنعاينهم معاينة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً) نعاينهم معاينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً) فنعاينهم .

ووجّهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم : هو قَبِيلٌ فلان بما لفلان عليه وزعيمه .

وأشبه الأقوال فى ذلك بالصواب ، القول الذى قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة ، من قولهم : قابلت فلانا مقابلة ، وفلان قبيل فلان ، بمعنى قبالته ، كما قال الشاعر :

نُصَالِحُكُمْ حتى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا[1]

يعنى قابلتها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع من المؤنث والمذكر على لفظ واحد، نحو قولهم : هذه قبيلى ، وهما قبيلى ، وهم قبيلى ، وهن قبيلى .

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٧٧) وهو من قصيدة عدتها ١٨ بيتا. والشاهد هو ال ١٧ فيها . وقبله :

فإنّى وربِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً ... وَمَاصَكَّ ناقُوسَ النَّصَارَى أبيلُها

والقصيدة قالها فى الحرب التى كانت بينه وبين الحرقتين ، يعاتب بنى مرثد وبنى جحدر . وفى رواية الشاهد : « أصالحكم » بالهمزة بدل النون . يقول : لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم ، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة فى المخاض . « وقبولها » فى موضع : قبيلها . والأبيل الراهب . وتبوءا : ترجعوا . ويسرتها : سهلت ولادتها وأعانتها فيها . والقبول : المرأة التى تستقبل الولد عند الولادة .

وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٩٠) عند قوله تعالى : « والملائكة قبيلا » مجازه مقابلة ، أى معاينة . وقال :

نصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى بشرتها قبيلها

أى قابلتها . فإذا وصفوا بتقدير « فعيل » من قولهم « قابلت » ونحوها ، جعلوا لفظ صفة الاثنين والجميع ، من المذكر والمؤنث ، على لفظ واحد ، نحو قولك : هى قبيل ، وهما قبيل ، وهم قبيل ، وكذلك هن قبيل . اهـ . وفى (لسان العرب : قبل) : والقبيل والقبول القابلة . المحكم : قبلت القابلة الولد قبالا : أخذته من الوالدة ، وهى قابلة المرأة وقبولها وقبيلها ، قال الأعشى :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها ... كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها

ويروى : قبولها ، أى يئست منها .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم فى هذه الآيات : أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب ؟ وهو الزخرف .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) يقول : بيت من ذهب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ زُخْرُفٍ) قال : من ذهب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) والزخرف هنا : الذهب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) قال : من ذهب .

حدثنا الحسن بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن رجل ، عن الحكم قال : قال مجاهد : كنا لاندرى ما الزخرف حتى رأيناه فى قراءة ابن مسعود (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ) .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : لم أدر ما الزخرف ، حتى سمعنا فى قراءة عبد الله بن مسعود (بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ) .

وقوله (أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ) يعنى : أو تصعد فى درج إلى السماء ، وإنما قيل فى السماء ، وإنما يرقى إليها لافيها ، لأن القوم قالوا : أو ترقى فى سلم إلى السماء ، فأدخلت «فى» فى الكلام ليدلّ على معنى الكلام ، يقال : رَقيت فى السلم ، فأنا أرقى رَقيا ورقِيا ورُقيا ، كما قال الشاعر :

أنتَ الّذى كلَّفتَنِى رَقْىَ الدَّرَجْ عَلَى الكلالِ والمَشِيبِ والعَرَجْ (١)

وقوله (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) يقول : ولن نصدّقك من أجل رُقِيك إلى السماء (حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً) منشورا نَقْرَؤُهُ فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك ،

كما حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت فى (اللسان : رقى) قال : ورقيت فى السلم رقيا (بوزن سقف) ورقيا (بوزن فعول) إذا صعدت ؛ وارتقيت مثله ؛ أنشد ابن برى : « أنت الذى . . . البيت ، ولم ينسبه إلى قائله » .

قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كِتابا نَقْرَؤُهُ) قال : من ربّ العالمين إلى فلان ، عند كلّ رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : كتابا نقرؤه من ربّ العالمين ، وقال أيضا : تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَتى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتابا نَقْرَؤُهُ) : أى كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك .

وقوله (قُلْ سُبْحانَ رَبِّى) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به ، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته ، أو يكون لى سبيل إلى شيء مما تسألونيه (هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَرًا رَسُولاً) يقول : هل أنا إلا عبد من عبيده من بنى آدم ، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتمونى من هذه الأمور ، وإنما يقدر عليها خالقى وخالقكم ، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم ، والذى سألتمونى أن أفعله بيد الله الذى أنا وأنتم عبيد له ، لا يقدر على ذلك غيره .

وهذا الكلام الذى أخبر الله أنه كلّم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملإ من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحاجّته، فكلّموه بما أخبر الله عنهم فى هذه الآيات . ،

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم
والسبب الذى من أجله ناظروه به[1]

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبا سفيان ابن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى أخا بنى أسد ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية ، وأميّة بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونُبَيها ومُنَبّها ابنى الحجاج السّهميين اجتمعوا ، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذَروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظنّ أنه بدا لهم فى أمره بَدَاء ، وكان عليهم حريصا ، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتَهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا إليك لِنُعْذِر فيك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ؛ لقد شتمت الآباء ، وعِبْتَ الدين ، وسفّهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرّقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك به رَئيا تراه قد غلب عليك ، وكانوا يسمون التابع من الجنّ : الرئىّ ، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطِّبّ لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ؛ فقال رسول الله

(١) انظر هذا الحديث فى سيرة ابن هشام (طبعة الحلبى ١ : ٣١٥) وفيه اختلاف يسير فى بعض الألفاظ . وفى تفسير القرطبى (١٠ : ٣٢٨ - ٣٣٠) .

صلى الله عليه وسلم : « ما بِي ما تَقُولُونَ ، ما جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطْلُبُ أمْوَالَكُمْ ، وَلا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً ، وأنْزَلَ عَلَيَّ كِتابا ، وأمَرَنِي أنْ أكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي ، وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فإنْ تَقْبَلُوا مِنِّي ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل منا ماعرضنا عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ، ولا أقلّ مالا ، ولا أشدّ عيشا منا ، فسل ربك الذى بعثك بما بعثك به ، فليسيِّرْ عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، ويبسط لنا بلادنا ، وليفجِّر[1] لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب ، فانه كان شيخا صدوقا ، فنسألهم عما تقول ، حقّ هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألناك ، وصدقوك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله ، وأنه بعثك بالحقّ رسولا ، كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بِهَذَا بُعِثْتُ ، إنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إلَيْكُمْ ، فإنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، قالوا : فإن لم تفعل لنا هذا ، فخذ لنفسك ، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك واسأله ، فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ، ويغنيك بها عما نراك تبتغى ، فانك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما أنا بِفاعِلٍ ، ما أنا بالَّذِي يَسْألُ رَبَّهُ هذا ، وَما بُعِثْتُ إلَيْكُمْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، فانْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَإنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أصْبِرْ لأمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ ؛ قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا ، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإنا لانؤمن لك إلا أن تفعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلكَ إلى اللهِ إنْ شاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذلكَ ، فقالوا : يا محمد ، فما علم ربك أنا سنجلس معك ، ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك مانطلب ، فيتقدّم إليك ، ويعلمك ماتراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه[2] إنما يعلِّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله مانؤمن بالرحمن أبدا ، أعذرنا إليك يا محمد ، أما والله لانتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهنّ بنات الله ، وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا ، فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، وقام معه عبدالله بن أبى أميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يامحمد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ، ثم سألوك أن تعجِّل

(١) فى بعض نسخ السيرة ، وفى تفسير القرطبى : « وليخرق » .

(٢) فى السيرة والقرطبى : « إنه قد بلغنا أنك إنما . . . الخ » .

ماتخوفهم به من العذاب ، فوالله لاأومن لك أبدا ، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، وتأتى معك بنسخة منشورة[1] معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول : وايم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألّا أصدّقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مباعدتهم إياه ؛ فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وسبّ آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأجلسنّ له غدا بحجر قدر ما أطيق حمله ، فإذا سجد فى صلاته فضخت رأسه به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد ابن ثابت ، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، بنحوه ، إلا أنه قال : وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحرث أبناء بنى عبد الدار ، وأبا البخترىّ بن هشام .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن سعيد ، قال : قلت له فى قوله تعالى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعا) قال : قلت له : نزلت فى عبد الله بن أبى أمية ، قال : قد زعموا ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وما منع يا محمد مشركى قومك الإيمان بالله ، وبما جئتهم به من الحقّ (إِذْ جاءَهُمُ الهُدَى) يقول : إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به ، إلا قولهم جهلا منهم (أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً) فأن الأولى فى موضع نصب بوقوع منع عليها ، والثانية فى موضع رفع ، لأن الفعل لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندى ، استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر : لو كان أيها الناس فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة ، ومن خصّه الله من بنى آدم برؤيتها ؛ فأما غيرهم فلايقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل ، وهم لايقدرون على رؤيتهم وهم

(١) فى تفسير القرطبى (١٠ : ٣٣٠) : « ثم تأتى معك بصك معه أربعة .. الخ » . وفى السيرة : « ثم تأتى معك أربعة . . . الخ » .

بهيئاتهم التى خلقهم الله بها ، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم ، كما لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد للقائلين لك : (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) (كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) فإنه نعم الكافى والحاكم (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا) يقول : إن الله بعباده ذوخبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم ، والمحقّ منهم والمبطل ، والمهدىّ والضالّ (بَصِيرًا) بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء ، وكيف شاء وأحبّ ، لايخفى عليه شىء من أمورهم ، وهو مجازٍ جميعهم بما قدّم عند ورودهم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يهد الله يامحمد للإيمان به ، ولتصديقك وتصديق ماجئت به من عند ربك ، فوفّقه لذلك ، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ ، لامن هداه غيره ، فإن الهداية بيده . ومن يضلل : يقول ومن يضلله الله عن الحقّ ، فيخذله عن إصابته ، ولم يوفّقه للإيمان بالله وتصديق رسوله ، فلن تجد لهم يامحمد أولياء ينصرونهم من دون الله ، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم ، (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) يقول : ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرّقهم فى القبور عند قيام الساعة (على وجوههم عُمْيًا وَبُكْمًا) وهو جمع أبكم ، ويعنى بالبُكْم : الخُرْس .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَبُكْمًا) قال : الخرس (وَصُمًّا) وهو جمع أصمّ .

فإن قال قائل : وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما ، وقد قال (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا) فأخبر أنهم يرون ، وقال (إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) فأخبر أنهم يسمعون وينطقون . قيل : جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمَى والبكم والصمم يكون صفتهم فى حال حشرهم إلى موقف القيامة ، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق فى أحوال أُخَر غير حال الحشر ، ويجوز أن يكون ذلك ، كما روى عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثنيه علىّ بن داود ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) ثم قال (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) وقال : (سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا)

وقال (دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورًا) . أما قوله (عُمْيًا) فلا يرون شيئا يسرّهم . وقوله (بُكْمًا) لاينطقون بحجة . وقوله (صُمًّا) لايسمعون شيئا يسرّهم . وقوله (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يقول جلّ ثناؤه : ومصيرهم إلى جهنم ، وفيها مساكنهم ، وهم وَقُودها .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) يعنى إنهم وقودها .

وقوله (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) يعنى بقوله خبت : لانت وسكنت ، كما قال عدىّ بن زيد العبادى فى وصف مزنة :

وَسْطُهُ كالْيَرَاعِ أَوْ سُرُجِ المِجْدَلِ حِيناً يَخْبُو وحِيناً يُنِيرُ[1]

يعنى بقوله : يخبو السرج : أنها تلين وتضعف أحيانا ، وتقوى وتنير أخرى ، ومنه قول القطامى :

فَيَخْبُو ساعَةً وَيَهُبُّ ساعا[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى العبارة عن تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (كُلَّمَا خَبَتْ) قال : سكنت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) يقول : كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبا ، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئا صارت جمرا تتوهّج ، فذلك خُبُوُّها ، فإذا بدّلوا خلقا جديدا عاودتهم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن مجاهد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

---

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى (شعراء النصرانية ص ٤٥٥) وهو مما كتب به إلى النعمان ، وهو من غرر قصائده . واليراع : فراشة إذا طارت فى الليل لم يشك من يعرفها أنها شرارة طائرة عن نار . قال الجاحظ : نار اليراعة قيل هى نار حباحب ، وهى شبيهة بنار البرق. قال : واليراعة طائر صغير إن طار بالليل كان كأنه شهاب قذف ، أو مصباح يطير . والمجدل ، بكسر الميم : القصر المشرف ، لوثاقة بنائه وجمعه مجادل . وخبت النار والحرب والحدة تخبو خبوا (على فعل) وخبوا (على فعول) : سكنت وطفئت ، وخمد لهبها . وقوله تعالى : (كلما خبت زدناهم سعيرا) ؛ : قيل معناه : سكن لهبها ، وقيل معناه : كلما تمنوا أن تخبو ، وأرادوا أن تخبو . (انظر اللسان : يرع ، وجدل ، وخبا) .

(٢) هذا عجز بيت للقطامى . وصدره : * وكنا كالحريق أصاب غابا * (انظر ديوانه طبع ليدن سنة ١٩٠٢ ص ٣٩) قال : يخبو : يسكن . ويهب : يهيج . وساع : جمع ساعة . وفى (اللسان : سرع) الساعة : جزء من الليل والنهار . والجمع : ساعات وساع . قال القطامى : * وكنا كالحريق لذى كفاح * ... البيت . قال ابن برى : المشهور فى صدر هذا البيت « * كنا كالحريق أصاب غابا * » وفى مجاز القرآن لأبى عبيدة (١ : ٣٩١) « كلما خبت زدناهم سعيرا » أى تأججا . وخبت سكنت . وأنشد عجز البيت ، ثم قال : ولم يذكرها هنا جلودهم ، فيكون الخبو لها .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (كُلَّما خَبَتْ) قال : خبوّها أنها تَستعِرّ بهم حطبا ، فإذا أحرقتهم ، فلم يبق منهم شىء صارت جمرا تتوهج ، فإذا بُدِّلوا خلقا جديدا عاودتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرًا) يقول : كلما احترقت جلودهم بُدِّلوا جلودا غيرها ، ليذوقوا العذاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرًا) قال : كلما لان منها شىء .

حُدِّثت عن مروان ، عن جويبر ، عن الضحاك (كُلَّما خَبَتْ) قال : سكنت ، وقوله (زِدْناهُمْ سَعِيرًا) يقول : زدنا هؤلاء الكفار سعيرا ، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوّها ، فى أجسامهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذى وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين ، ماذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما ، وإصلائنا إياهم النار على ما بيّنا من حالهم فيها ثوابهم بكفرهم فى الدنيا بآياتنا ، يعنى بأدلته وحججه ، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته ، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام ، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد ، وبثواب الله وعقابه فى الآخرة (أَئِذَا كُنَّا عِظامًا) بالية (وَرُفاتا) قد صرنا ترابا (أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) يقولون : نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا . كما ابتدأناه أوّل مرّة فى الدنيا استنكارا منهم لذلك ، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أو لم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين (أَئِذَا كُنَّا عِظامًا وَرُفاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) بعيون قلوبهم ، فيعلمون أن الله الذى خلق السموات والأرض ، فابتدعها من غير شىء ، وأقامها بقُدرته ، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم ، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم ، وقبل ذلك ، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا

جديدا . بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا. وقوله(وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لارَيْبَ فِيهِ) يقول تعالى ذكره : وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم. ووقتا لعذابهم لاريب فيه: يقول: لاشكّ فيه أنه آتيهم ذلك الأجل (فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا) يقول: فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذى أوعدهم وتكذيبا به.

القول في تأويل قوله تعالى :

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يامحمد لهؤلاء المشركين : لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربى من الأموال. وعنى بالرحمة فى هذا الموضع : المال (إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ) يقول : إذن لبَخِلْتُمْ بِهِ ، فلم تجودوابها على غيركم ، خشية من الإنفاق والإقتار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ) قال : الفقر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ) أى خشية الفاقة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله (وكانَ الإنْسانُ قَتُورًا) يقول : وكان الإنسان بخيلا ممسكا .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وكانَ الإنْسانُ قَتُورًا) يقول : بخيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (وكانَ الإنْسانُ قَتُورًا) قال : بخيلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكانَ الإنْسانُ قَتُورًا) قال : بخيلا . ممسكا . وفى القتور فى كلام العرب لغات أربع ، يقال : قتر فلان يقْتُر ويقْتِر ،وقتّر يقتّر ، وأقتر يُقْتِر ، كما قال أبودُواد :

لا أعُدُّ الإقْتارَ عُدْما ولَكِنْ فَقْدُ مَنْ قد رُزِيتُهُ الإعْدامُ (١)

(١) البيت لأبى دواد (بواو غير مهموزة بعد الدال، كما فى التاج) وهو جارية بن الحجاج، أوهو حنظلة بن الشرقى الإيادى . والبيت فى (الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ ص ١٢٢) . وفى اللسان : قتر يقتر ويقتر قترا وقتورا، فهو قاتر وقتور؛ وأقتر . أى افتقر . وقتر على عياله وأقتر وقتر : أى ضيق عليهم فى النفقة . ويقال : إنه لقتور : أى مقتر . فتلخص أن اللغات فى هذا أربع: قتريقتر ويقتر (من بابى نصر وضرب) وقتر (بالتشديد) وأقتر (بالهمز) كما قال المؤلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بيِّنات تُبيِّن لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوّته .

وقد اختلف أهل التأويل فيهنّ وما هنّ .

فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) قال : التسع الآيات البينات : يده ، وعصاه ، ولسانه ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم آيات مفصلات .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) إلقاء العصا مرّتين عند فرعون ، ونزع يده، والعقدة التى كانت بلسانه ، وخمس آيات فى الأعراف : الطوفان، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

وقال آخرون : نحوا من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ : إحداهما الطمسة ، والأخرى الحجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : سألنى عمر بن عبد العزيز ، عن قوله (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) فقلت له : هى الطوفان والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه ، والطمسة ، والحَجر، فقال : وما الطمسة ؟ فقلت : دعا موسى وأمَّن هارون ، فقال : قد أجيبت دعوتكما ، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا ، فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر ، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر ، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر .

وقال آخرون: نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ومطر الورّاق ، فى قوله (تِسْعَ آياتٍ) قالا : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص من الثمرات .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، فى قوله (تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والسنين ، ونقص من الثمرات ، وعصاه ، ويده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سئل عطاء بن أبى رباح عن قوله (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) ما هى ؟ قال : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصى موسى ، ويده .

قال ابن جريج : وقال مجاهد مثل قول عطاء ، وزاد : (أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ ، وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : هما التاسعتان ، ويقولون : التاسعتان : السنين ، وذهاب عجمة لسان موسى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، فى قوله (تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) وهى متتابعات ، وهى فى سورة الأعراف (وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : السنين فى أهل البوادى ، ونقص من الثمرات لأهل القرى ، فهاتان آيتان ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، هذه خمس ، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء : البرص ، وعصاه إذ ألقاها ، فإذا هى ثعبان مبين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) قال : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم والسنين ، ونقص من الثمرات .

وقال آخرون نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين ، والنقص من الثمرات آية واحدة ، وجعلوا التاسعة : تلقف العصا ما يأفكون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله (تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) ، (وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ) قال : هذه آية واحدة ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، ويد موسى ، وعصاه إذ ألقاها فإذا هى ثعبان مبين ، وإذ ألقاها فإذا هى تلقف ما يأفكون .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنى محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو ابن مرّة ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودىّ لصاحبه : اذهب بنا إلى النبىّ حتى نسأله عن هذه الآية (وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ) قال : لاتقل له نبىّ ، فانه إن سمعك صارت له أربعة أعين ، قال : فسألا ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : لاتُشْرِكُوا بالله شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ التى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ ، وَلا تَسْحَرُوا ، وَلا تَأْكُلُوا الرِّبا ، وَلا تَمْشُوا بِبَرِىءٍ إلى ذى سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً ، أو قال : لاتَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ » : شعبة الشاكّ « وأنْتُمْ يا يَهُودُ عَلَيْكُمْ خاصَّةً لاتَعْدُوا فى السَّبْتِ ، فقبّلا يده ورجله ، وقالا : نشهد أنك نبىّ ، قال : فما يمنعكما أن تسلما ؟ قال : إن داود دعا أن لايزال من ذرّيته نبىّ ، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدى ، عن سعيد ، عن عمرو ، قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أن ابن مهدىّ قال : « لا تَمْشُوا إلى ذى سُلْطانٍ » وقال ابن مهدى : أراه قال : « برىء » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه ، عن شعبة بن الحجاج ، عن عمرو ابن مرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن صفوان بن عسال ، قال : « قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبىّ ، فقال صاحبه : لا تقل نبىّ ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين ، قال : فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألانه عن تسع آيات بينات ، فقال : هنّ : وَلا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا ، وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقّ ، وَلا تَمْشُوا بِبَرِىءٍ إلى ذِى سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ ، وَلا تَسْحَرُوا ، وَلا تَأْكُلُوا الرِّبا ، وَلا تَقْذِفُوا المُحْصَنَةَ ، وَلا تَوَلَّوْا يَوْمَ الزَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خاصَّةً يَهُودُ : أنْ لا تَعْدُوا فى السَّبْتِ ، قال : فقبلوا يديه ورجليه ، وقالوا : نشهد أنك نبىّ ، قال : فَمَا يَمْنَعُكُمْ أنْ تَتَّبِعُونِى ؟ قالوا : إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيته نبىّ ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة بن الحجاج ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله ابن سلمة ، عن صفوان بن عسّال ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وأما قوله (فاسْأَلْ بَنِى إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُمْ) فإن عامّة قرّاء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى : فاسأل يا محمد بنى إسرائيل إذ جاءهم موسى .

ورُوى عن الحسن البصرى فى تأويله ما حدثنى به الحارث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن إسماعيل ، عن الحسن (فاسْأَلْ بَنِى إسْرَائِيلَ) قال : سؤالك إياهم : نظرك فى القرآن .

ورُوى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك (فَسَأَلَ) بمعنى : فسأل موسى فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف : قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن حنظلة السّدوسىّ ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، أنه قرأ (فَسَأَلَ بَنِى إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُمْ) يعنى أن موسى سأل فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه .

والقراءة التى لا أستجيز أن يُقرأ بغيرها ، هى القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها ، ورغبتهم عما خالفها .

وقوله (فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إنّى لأَظُنُّكَ يا مُوسَى مَسْحُورًا) يقول : فقال لموسى فرعون : إنى لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر ، فهذه العجائب التى تفعلها من سحرك ، وقد يجوز أن يكون مرادا به

إنى لأظنك ياموسى ساحرا. فوُضع مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشئوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم حجابا مستورا ، بمعنى : حجابا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَقَدْ عَلِمْتَ) فقرأ عامة قرّاء الأمصار ذلك (لَقَدْ عَلِمْتَ) بفتح التاء ، على وجه الخطاب من موسى لفرعون . ورُوى عن علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك ، أنه قرأ (لَقَدْ عَلِمْتُ) بضمّ التاء ، على وجه الخبر من موسى عن نفسه . ومن قرأ ذلك على هذه القراءة ، فإنه ينبغى أن يكون على مذهبه تأويل قوله (إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا) إنى لأظنك قد سُحِرت ، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب . وهذا وجه من التأويل . غير أن القراءة التى عليها قرّاء الأمصار خلافها ، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه .

وبعد ، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع ، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ، وَجَحَدُوا بِهَا ، وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) فأخبر جلّ ثناؤه أنهم قالوا : هى سحر ، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله ، فكذلك قوله (لَقَدْ عَلِمْتَ) إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله . وقد ذُكر عن ابن عباس أنه احتجّ فى ذلك بمثل الذى ذكرنا من الحجة .

قال : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَقَدْ عَلِمْتَ) يافرعون بالنصب (ما أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) ، ثم تلا (وجَحَدُوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أنفُسُهُمْ ظُلْمًا وعُلُوًّا) . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال موسى لفرعون : لقد علمت يافرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التى أريتكها حجة لى على حقيقة ما أدعوك إليه ، وشاهدة لى على صدق وصحة قولى ، إنى لله رسول ، ما بعثنى إليك إلا ربّ السموات والأرض ، لأن ذلك لايقدر عليه ، ولا على أمثاله أحد سواه . بصائر : يعنى بالبصائر : الآيات ، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ ، وهدى لمن اهتدى بهنّ ، يعرف بهنّ من رآهن

أن من جاء بهن فحق ، وأنهن من عند الله لا من عند غيره ، إذ كن معجزات لا يقدر عليهن ، ولا على شيء منهن سوى رب السموات والأرض ، وهو جمع بصيرة .

وقوله (وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) يقول : إنى لأظنك يافرعون ملعونا ممنوعا من الخير . والعرب تقول : ما ثبرك عن هذا الأمر : أى ما منعك منه ، وما صدّك عنه ؟ وثبره الله فهو يَثْبُره ويَثْبِره لغتان ، ورجل مثبور : محبوس عن الخيرات هالك ؛ ومنه قول الشاعر :

إذْ أُجارِى الشَّيطانَ فى سَنَنِ الغَـــيِّ　وَمَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ (١)

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابى ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، قال : ثنا عمر بن عبد الله ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) قال ملعونا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) يقول : ملعونا .

وقال آخرون : بل معناه : إنى لأظنك يافرعون مغلوبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) يعنى : مغلوبا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إِنِّى لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) يقول : مغلوبا .

وقال بعضهم : معنى ذلك : إنى لأظنك يافرعون هالكا .

---

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى من مقطوعة أربعة أبيات ، قالها حين جاء إلى النبى مسلما معتذرا عما فرط منه من هجائه ، بتحريض قريش على ذلك (انظر سيرة ابن هشام طبعة مصطفى الحلبى وأولاده ، بتحقيق مصطفى السقا والإبيارى وشلبى ، الطبعة الثانية القسم الثانى ص ٤١٩) والبيتان الأولان منها :

يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لسانى　رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ
إذْ أُبارِى الشَّيْطانَ فى سَنَنِ الغَىِّ　ومَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

والراتق : الذى يسد الخرق . تقول : رتقت الشىء : إذا أصلحته وسددته . وفتقت : يعنى فى الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق . ومن أجل ذلك قيل التوبة نصوح ، من نصحت الثوب : إذا خطته . والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور . وأبارى : أجارى وأعارض . وهى رواية فى البيت . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور هالك . وهنا محل الشاهد عند المؤلف . قال : ثبره الله يثبره ويثبره : (كنصر وضرب) لغتان . ورجل مثبور : محبوس عن الخير هالك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : مثبورا : أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) : أي هالكا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

وقال آخرون : معناه : إني لأظنك مبدّلا مغيرا

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عيسى بن موسى ، عن عطية (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) قال : مبدّلا .

وقال آخرون : معناه : مخبولا لا عقل له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) قال : الإنسان إذا لم يكن له عقل فما ينفعه ؟ يعني : إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعته العرب مثبورا . قال : أظنك ليس لك عقل يافرعون ، قال : بينا هو يخافه ولا ينطق لساني أن أقول[1] هذا لفرعون ، فلما شرح الله صدره ، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله .

وقد بيّنا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى ذكره : فأراد فرعون أن يستفزّ موسى وبني إسرائيل من الأرض ، (فَأَغْرَقْنَاهُ) في البحر ، (وَمَنْ مَعَهُ) من جنده (جَمِيعًا) ، ونجّينا موسى وبني إسرائيل ، وقلنا لهم (مِنْ بَعْدِهِ) هلاك فرعون (اسْكُنُوا الْأَرْضَ) أرض الشام (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا) يقول : فإذا جاءت الساعة ، وهي وعد الآخرة ، جئنا بكم لفيفا : يقول : حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا : أي مختلطين قد التفّ

(١) كذا في الأصل ، والسياق مضطرب .

بعضكم على بعض ، لا تتعارفون ، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيِّه، من قولك : لففت الجيوش : إذا ضربت بعضها ببعض ، فاختلط الجميع ، وكذلك كلّ شيء خُلط بشيء فقد لُفّ به .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن ابن أبى رَزين (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) قال : من كلّ قوم .

وقال آخرون : بل معناه : جئنا بكم جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) قال : جميعا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) جميعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله (فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) : أى جميعا ، أولكم وآخركم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) قال : جميعا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا) يعنى جميعا ، ووحّد اللفيف ، وهو خبر عن الجميع ، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل : لففته لفّا ولفيفا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وبالحقّ أنزلنا هذا القرآن : يقول : أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة ، والأمور المستحسنة الحميدة ، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة ، والأخلاق الردية ، والأفعال الذّميمة (وبالحَقّ نَزَلَ) يقول : وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله (وَما أرْسَلْناكَ إلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما أرسلناك

يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا ، إلا مبشرا بالجنّة من أطاعنا ، فانتهى إلى أمرنا ونهينا ، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا (وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (فَرَقْنَاهُ) بتخفيف الراء من فرقناه ، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه . وذُكر عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء (فَرَّقْنَاهُ) بمعنى : نزّلناه شيئا بعد شيء ، آية بعد آية ، وقصة بعد قصة .

❊ وأولى القراءتين بالصواب عندنا ، القراءة الأولى ، لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن . فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فتأويل الكلام : وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وفصلناه قرآنا ، وبيّناه وأحكمناه ، لتقرأه على الناس على مكث .

وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ) يقول : فصلناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن أبي الربيع عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب أنه قرأ (وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ) مخففا : يعني بيناه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ) قال : فصلناه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد ، يعني ابن راشد ، عن داود ، عن الحسن أنه قرأ (وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ) خفّفها : فرق الله بين الحقّ والباطل .

وأما الذين قرءوا القراءة الأخرى ، فإنهم تأوّلوا ما قد ذكرت من التأويل .

ذكر من قال ما حكيت من التأويل عن قارئ ذلك كذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : كان ابن عباس يقرؤها (وَقُرآنًا فَرَّقْنَاهُ) مثقلة ، يقول : أنزل آية آية .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال (وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) ، (وَقُرآنًا فَرَّقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ، وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَقُرآنًا فَرَّقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ) لم ينزل جميعا ، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَقُرآنًا فَرَّقْنَاهُ) قال :

فرّقه : لم ينزله جميعه . وقرأ (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) . . . حتى بلغ (وأحْسَنَ تَفْسِيرًا) يَنْقُضُ عليهم ما يأتون به .

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول : نصب قوله (وَقُرآنا) بمعنى : ورحمة ، ويتأوّل ذلك (وَما أرسَلْناكَ إلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) ورحمة ، ويقول : جاز ذلك ، لأن القرآن رحمة ، ونصبه على الوجه الذى قلناه أولى ، وذلك كما قال جلّ ثناؤه (والقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ) وقوله (لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) يقول : لتقرأه على الناس على تُؤَدة ، فترتله وتبينه ، ولا تعجل فى تلاوته ، فلا يفهم عنك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد المكْتِب[1] ، قال : قلت لمجاهد : رجل قرأ البقرة وآل عمران ، وآخر قرأ البقرة وركوعهما وسجودهما واحد ، أيهما أفضل ؟ قال : الذى قرأ البقرة ، وقرأ (وَقُرآنا فَرَقْناه لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) يقول : على تأييد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عَلَى مُكْثٍ) قال : على ترتيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لِتَقْرَأهُ على النَّاسِ عَلَى مكث) قال : فى ترتيل ، .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) قال : التفسير الذى قال الله (وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً) : تفسيره .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قوله (لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) على تؤدة . وفى المُكث للعرب لغات : مُكث ، ومَكث ، ومِكث ومِكِّيثَى مقصور ، ومُكْثانا ، والقراءة بضمّ الميم .

وقوله (وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً) يقول تعالى ذكره : فرقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئا بعد شىء .

كما حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : حدثنا ، عن أبى رجاء ، قال : تلا الحسن (وَقُرآنا فَرَّقْناهُ لِتَقْرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً) قال : كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث فى الناس ، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثمانى عشرة سنة ، قال : فسألته يوما على سخطة ، فقلت : يا أبا سعيد (وَقُرآنا فَرَّقْناه) فثقلها أبو رجاء ، فقال الحسن : ليس فرّقناه ، ولكن فرقناه ، فقرأ الحسن مخففة . قلت : من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد ، قال : فمن يحدّثنيه ، قال : أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثمانى سنين ، وبالمدينة عشر سنين

(١) المكتب : اسم فاعل من أكتب أو من كتب بالتشديد وهو المعلم ، يعلم الصبيان كتابة القرآن فى ألواحهم .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . قوله (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ . وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) لم ينزل فى ليلة ولا ليلتين . ولا شهر ولا شهرين . ولا سنة ولا سنتين . ولكن كان بين أوله وآخره عشرون سنة . وما شاء الله من ذلك .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة . عن الحسن ، قال : كان يقول : أنزل على نبي الله القرآن ثماني سنين . وعشرا بعد ما هاجر . وكان قتادة يقول : عشرا بمكة ، وعشرا بالمدينة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً) : آمنوا بهذا القرآن الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله . لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . أو لا تؤمنوا به ، فإن إيمانكم به لن يزيد فى خزائن رحمة الله ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك . وإن تكفروا به . فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمنى أهل الكتابين . إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكريما ، وعلما منهم بأنه من عند الله لأذقانهم سجدا بالأرض .

واختلف أهل التأويل فى الذى عُنِي بقوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) فقال بعضهم : عُنِي به : الوجوه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً) يقول : للوجوه .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً) قال للوجوه .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك اللِّحَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن فى (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) قال : اللِّحَى .

وقوله (سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً) يقول جل ثناؤه : ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن ، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يُتْلَى عليهم ، تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به ، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب ، إلا مفعولا حقا يقينا ، إيمان

بالقرآن وتصديق به . والأذقان فى كلام العرب : جمع ذَقَن وهو مجمع اللَّحيين . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى قال الحسن فى ذلك أشبه بظاهر التنزيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى الذين عنوا بقوله (أُوتُوا العِلْمَ) وفى (يُتْلَى عَلَيْهِمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) . . . إلى قوله (خُشُوعا) قال : هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد (قالُوا سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ آمِنوا بِهِ أوْ لاتُؤْمِنُوا إنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) من قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم (إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) ما أنزل إليهم من عند الله (يَخِرُّونَ للأَذْقانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً) ، وقال آخرون : عُنِى بقوله (الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) كتابهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) ما أنزل الله إليهم من عند الله .

وإنما قلنا : عُنِى بقوله (إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) القرآن ، لأنه فى سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر ، فيصرف الكلام إليه ، ولذلك جعلت الهاء التى فى قوله (مِنْ قَبْلِهِ) من ذكر القرآن ، لأن الكلام بذكره جرى قبله ، وذلك قوله (وَقُرآنا فَرَقْناهُ) وما بعده فى سياق الخبر عنه ، فلذلك وجبت صحة ماقلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره : ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمنى أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان ، إذا يُتْلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون ، ويزيدهم ما فى القرآن من المواعظ والعبر خشوعا ، يعنى خضوعا لأمر الله وطاعته ، واستكانة له .

حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا مِسْعر ، عن عبد الأعلى التيمىّ ، أن

من أوتى من العلم ما لم يبكه لخليق أن لايكون أوتى علما ينفعه ، لأن الله نعت العلماء فقال (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ) . . . الآيتين .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مسعر بن كدام . عن عبد الأعلى التيمي بنحوه ، إلا أنه قال (إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ) ثم قال : (وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ) . . . الآية .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعا) . قال : هذا جواب وتفسير للآية التي في كهيعص (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن : (ادْعُوا اللَّهَ) أيها القوم (أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم ، فإنما تدعون واحدا . وله الأسماء الحسنى . وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم ، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو ربه : يا ربنا الله ، ويا ربنا الرحمن ، فظنوا أنه يدعو إلهين ، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم .

ذكر الرواية بما ذكرنا

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن عبدالله بن واقد ، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس . قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو : يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى . فأنزل الله تعالى (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ، أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ . أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) . . . الآية

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى ، عن الأوزاعي ، عن مكحول ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم « كان يتهجد بمكة ذات ليلة ، يقول في سجوده : يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، فسمعه رجل من المشركين ، فلما أصبح قال لأصحابه : انظروا ما قال ابن أبي كبشة ، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة ، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن ، فنزلت (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) » .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى) [1] .

(١) كذا في الأصول ، ولم يذكر المتن اتكالا على ماتقدم ، وقد تكرر ذلك منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث،قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أيًّا مَّا تَدْعُوا) بشيء من أسمائه .

حدثني موسى بن سهل ، قال : ثنا محمد بن بكار البصرى،قال : ثني حماد بن عيسى ،عن عبيد بن الطفيل الجهني ، قال : ثنا ابن جريج، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، عن مكحول ، عن عرّاك ابن مالك، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا كُلُّهُنَّ فِي القُرْآنِ ، مَنْ أحْصَاهنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ » .

قال أبو جعفر : ولدخول « ما » فى قوله (أيًّا مَّا تَدْعُوا) وجهان : أحدهما أن تكون صلة ، كما قيل: (عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ). والآخر أن تكون فى معنى إن: كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل :ما إن رأيت كالليلة ليلة .

وقوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا،وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلًا) اختلف أهل التأويل فى الصلاة ، فقال بعضهم : عنى بذلك : ولا تجهر بدعائك ، ولا تخافت به، ولكن بين ذلك . وقالوا: عنى بالصلاة فى هذا الموضع : الدعاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يحيى بن عيسى الدامغانى ، قال : ثنا ابن المبارك،عن هشام بن عروة،عن أبيه،عن عائشة، فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قالت : فى الدعاء .

حدثنا بشار، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : نزلت فى الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان،عن هشام بن عروة،عن أبيه، عن عائشة مثله .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن أشعث بن سوار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله تعالى (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال: كانوا يجهرون بالدعاء ؛ فلما نزلت هذه الآية أُمروا أن لايجهروا ، ولا يخافتوا .

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن، قال : ثنا حماد ، عن عمرو بن مالك البكرى، عن أبي الجوزاء عن عائشة ، قالت : نزلت فى الدعاء .

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض ، فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إبراهيم الهَجرى ، عن أبي عياض (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : نزلت فى الدعاء .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شريك ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض مثله.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عمن ذكره عن عطاء (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : نزلت فى الدعاء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد فى الآية : (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : فى الدعاء :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى الدعاء :

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) فى الدعاء والمسألة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى الدعاء والمسألة :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنى سفيان ، قال : ثنى قيس بن مسلم ، عن سعيد بن جبير فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : فى الدعاء :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن عياش العامرى ، عن عبد الله بن شدّاد قال : كان أعراب إذا سلم النبىّ صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهمّ ارزقنا إبلا وولدا ، قال : فنزلت هذه الآية (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : فى الدعاء .

حدثنى ابن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) ... الآية ، قال : فى الدعاء والمسألة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى عيسى ، عن الأوزاعى ، عن مكحول (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : ذلك فى الدعاء .

وقال آخرون : عنى بذلك الصلاة . واختلف قائلو هذه المقالة فى المعنى الذى عنى بالنهى عن الجهر به ؛ فقال بعضهم : الذى نهى عن الجهر به منها القراءة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فاذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ، ومن

جاء به،قال : فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ)فيسمع المشركون(وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) عن أصحابك ، فلا تُسْمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك .

حدثنا أبو كريب، قال : ثنا عثمان بن سعيد، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس، فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن ، شقّ ذلك على المشركين إذا سمعوه، فيُؤْذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به ، وذلك بمكة ، فأنزل الله : يا محمد (لا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) يقول : لاتُعلِنْ بالقراءة بالقرآن إعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك ، ولا تخافت بالقراءة بالقرآن : يقول : لاتخفض صوتَك حتى لاتُسْمِع أذنيك (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) يقول : اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقا ، لاجهرا شديدا ، ولا خفضا لاتُسْمِع أذنيك ، فذلك القدر ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كله ، يفعل الآن أىّ ذلك شاء .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) . . . الآية، هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان إذا صلى بأصحابه ، فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين ، فآذوه ، فأمره الله أن لايرفع صوته ، فيسمع عدوّه ، ولا يخافت فلا يُسْمِع مَن خلفه من المسلمين ، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن ، فكان المشركون إذا سمعوا صوته سبّوا القرآن، ومن جاء به ؛ فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يخفى القرآن فما يسمعه أصحابه ، فأنزل الله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا محمد بن علىّ بن الحسن بن شقيق، قال : سمعت أبى ، يقول : أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته وسمع المشركون ، سبّوا القرآن، ومن جاء به ، وإذا خفض لم يسمع أصحابه ، قال الله (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس ، : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى داود بن الحُصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرّقوا ، وأبَوا أن يستمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو ، وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع ، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا ، فأنزل الله عليه (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) فيتفرّقوا عنك (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) فلا تُسْمِع من أراد أن يسمعها، ممن يسترق ذلك دونهم ، لعله يرعَوى إلى بعض مايسمع ، فينتفع به ، (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن فى المسجد الحرام ، فقالت قريش : لاتجهر بالقراءة فتؤذى آلهتنا ، فنهجو ربك ، فأنزل الله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) . . . الآية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختف بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ) : أى بقراءتك ، فيسمع المشركون ، فيسبُّوا القرآن (وَلا تُخافِتْ بِها) عن أصحابك ، فلا تسمعهم (وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : فى القراءة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا سعيد ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى هذه الآية (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه ، وإذا سمع ذلك المشركون سبُّوه ، فنزلت هذه الآية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سلمة ، عن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته ، وأن عمر كان يرفع صوته ؛ قال : فقيل لأبى بكر : لم تصنع هذا ؟ فقال : أناجى ربى ، وقد علم حاجتى ، قيل : أحسنت ؛ وقيل لعمر : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان ، قيل : أحسنت ؛ فلما نزلت (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها ؛ وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً) قيل لأبى بكر : ارفع شيئا ، وقيل لعمر : اخفض شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا حسان بن إبراهيم ، عن إبراهيم الصائغ ، عن عطاء ، فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : يقول ناس إنها فى الصلاة ، ويقول آخرون إنها فى الدعاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً) وكان نبىّ الله وهو بمكة ، إذا سمع المشركون صوته رموه بكلّ خبث ، فأمره الله أن يغضّ من صوته ، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه ، وكان يقال : ماسمعته أذنك فليس بمخافتة :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : (كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة ، فيُرمى بالخبث ، فقال : لاتَرْفعْ صَوْتَكَ فتُؤْذَى وَلا تُخافِتْ بِها ، وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً) .

وقال آخرون : إنما عُنِى بذلك : ولا تجهر بالتشهد فى صلاتك ، ولا تخافت بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت نزلت هذه الآية فى التشهد (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين مثله . وزاد فيه : وكان الأعرابىّ يجهر فيقول : التحيات لله ، والصلوات لله ، يرفع فيها صوته ، فنزلت (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ) .

وقال آخرون : بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة جهارا ، فأمر بإخفائها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرى قالا : قال فى بنى إسرائيل (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته ، فآذى ذلك المشركين بمكة ، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه ، فلذلك قال (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً) وقال فى الأعراف (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ، وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصالِ ، وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها فى العلانية ، ولا تخافت بها : تسيئها فى السريرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن أنه كان يقول (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) : أى لا تراء بها علانية ، ولا تخفها سرًّا (وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : كان الحسن يقول فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : لا تحسن علانيتها ، وتسىء سريرتها .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : لا تراء بها فى العلانية ، ولا تخفها فى السريرة .

حدثنى علىّ بن الحسن الأزرقى ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحسن (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : تحسن علانيتها ، وتسىء سريرتها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها) قال : لا تصلّ مراءاة الناس ولا تدعها مخافة .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : (وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً) قال : السبيل بين ذلك الذى سنّ له جبرائيل من الصلاة التى عليها المسلمون . قال : وكان أهل الكتاب يُخافتون ، ثم يجهر أحدهم بالحرف ،

فيصيح به ، ويصيحون هم به وراءه ، فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء ، وأن يخافت كما يخافت القوم ، ثم كان السبيل الذى بين ذلك ، الذى سن له جبرائيل من الصلاة .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، ما ذكرنا عن ابن عباس فى الخبر الذى رواه أبو جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، لأن ذلك أصح الأسانيد التى رُوِى عن صحابىّ فيه قولٌ مخرّجا . وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل ، وذلك أن قوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) عقيب قوله (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن ، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان . فإذا كان ذلك كذلك ، فالذى هو أولى وأشبه بقوله (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) أن يكون من سبب ماهو فى سياقه من الكلام ، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه ، أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو فى سياقه .

فإذا كان [ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قل ادعوا الله ، أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر يامحمد بقراءتك فى صلاتك ودعائك فيهـا ربك ومسألتك إياه ، وذكرك فيها ، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون ، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقا إلى أن تسمع أصحابك ، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك . ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل ، وأنا لانستجيز خلافهم فيما جاء عنهم ، لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال : ولا تجهر بصلاتك التى أمرناك بالمخافتة بها ، وهى صلاة النهار لأنها عجماء ، لايجهر بها ، ولا تخافت بصلاتك التى أمرناك بالجهر بها ، وهى صلاة الليل ، فإنها يجهر بها (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) بأن تجهر بالتى أمرناك بالجهر بها ، وتخافت بالتى أمرناك بالمخافتة بها ، لاتجهر بجميعها ، ولا تخافت بكلها ، فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة ، ولكنا لانرى ذلك صحيحا لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه . فإن قال قائل : فأية قراءة هذه التى بين الجهر والمخافتة ؟

قيل : حدثنى مطر بن محمد ، قال : ثنا قتيبة ، ووهب بن جرير ، قالا : ثنا شعبة ، عن الأشعث بن سليم ، عن الأسود بن هلال ، قال : قال عبد الله : لم يخافت من أسمع أذنيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الأشعث ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ ١١١

۞ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وَقُلْ) يامحمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ

وَلَدًا) فيكون مربوبا لاربا ، لأن ربّ الأرباب لاينبغى أن يكون له ولد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ) فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا ، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول ، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) يقول : ولم يكن له حليف حالفه من الذلّ الذى به ، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره ، فذليل مهين ، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر إلها يطاع (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) يقول : وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل ، وأطعه فيما أمرك ونهاك .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ) قال : لم يحالف أحدا ، ولا يبتغى نصر أحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : « ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يعلّم أهله هذه الآية (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) الصغير من أهله والكبير » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا أبوالجنيد ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : إن التوراة كلها فى خمس عشرة آية من بنى إسرائيل ، ثم تلا (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبوصخر ، عن القُرَظى ، أنه كان يقول فى هذه الآية (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) . . . الآية . قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا . وقالت العرب : لبيك ، لبيك ، لاشريك لك ، إلاشريكا هولك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذلّ الله ، فأنزل الله (وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ) أنت يامحمد على ما يقولون (تَكْبِيرًا) .

آخر تفسير سورة بنى إسرائيل ، والحمد لله ربّ العالمين .

(١٨) سورة الكهف مكية
وآياتها عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خصّ برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلا ، وأنزل عليه كتابه قيما ، ولم يجعل له عِوَجا .

وعُنِى بقوله عزّ ذكره (قَيِّما) معتدلا مستقيما . وقيل: عُنِى به : أنه قيم على سائر الكتب يصدّقها ويحفظها .

ذكر من قال : عنى به معتدلا مستقيما

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيِّما) يقول : أنزل الكتاب عَدلا قيما ، ولم يجعل له عِوَجا ، فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله ، ولم يجعل له عوجا ، ومعناه التقديم بمعنى : أنزل الكتاب على عبده قَيِّما .

حُدثت عن محمد بن زيد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (قَيِّما) قال : مستقيما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيِّما) : أى معتدلا لا اختلاف فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيِّما) قال : أنزل الله الكتاب قيما ، ولم يجعل له عِوَجا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيِّما) .

قال : وفى بعض القراءات (وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيِّما) .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : ما قاله ابن عباس ، ومن قال بقوله فى ذلك ، لدلالة قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا) فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذى أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم (قَيِّماً) مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت ، بل بعضه يصدق بعضا ، وبعضه يشهد لبعض ، لا عِوَج فيه ، ولا ميل عن الحقّ ، وكُسرت العين من قوله (عِوَجا) لأن العرب كذلك تقول فى كلّ اعوجاج كان فى دين ، أو فيما لا يُرَى شخصه قائما ، فيُدْرَك عيانا منتصبا كالعاج فى الدين ، ولذلك كُسِرت

العين فى هذا الموضع، وكذلك العِوَج فى الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب . فأما ما كان من عِوَج فى الأشخاص المنتصبة قياما ، فإن عينها تفتح كالعَوَج . فى القناة، والخشبة، ونحوها. وكان ابن عباس يقول فى معنى قوله (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) : ولم يجعل له ملتبسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) ولم يجعل له ملتبسا .

ولا خلاف أيضا بين أهل العربية فى أن معنى قوله (قَيِّمًا) وإن كان مؤخرا، التقديم إلى جنب الكتاب . وقيل : إنما افتتح جلّ ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل ، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخبارا منه للمشركين من أهل مكة، بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير ، وأمروهم بمسئلتهموه عنها ، وقالوا : إن أخبركم بها فهو نبىٌّ، وإن لم يخبركم بها فهو متقوّل، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للجواب عنها موعدا، فأبطأ الوحى عنه بعض الإبطاء، وتأخَّر مجىء جبرائيل عليه السلام عنه عن ميعاده القوم، فتحدّث المشركون بأنه أخلفهم موعدَه ، وأنه متقوّل ، فأنزل الله هذه السورة جوابا عن مسائلهم ، وافتتح أوّلها بذكره ، وتكذيب المشركين فى أحدوثتهم التى تحدّثوها بينهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيما يروى أبو جعفر الطبرى[1] ، قال : بعثت قريش النضْر بن الحارث، وعُقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصِفُوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأوّل ، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قَدِما المدينة، فسألوا أحبار يهودَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا : إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبىّ مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل ، فَرَوْا فيه رأيكم : سلوه عن فِتية ذهبوا فى الدهر الأوّل ، ما كان من أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوّاف ، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ماهو ؟ فإن أخبركم بذلك ، فإنه نبىّ فاتّبعوه ، وإن هو لم يخبركم ، فهو رجلٌ متقوّل ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم . فأقبل النضْر وعقبة حتى قَدِما مكة على قريش ، فقالا : يا معشر قريش : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهودَ أن نسأله، عن أمور ، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله صلى الله

(١) الظاهر : أن قوله « فيما يروى أبو جعفر الطبرى » : من عبارة المؤلف عن نفسه ، وليس يعنى شخصا آخر ، ولا هو من تعبير بعض تلاميذه عنه .

عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوهم عما أمروهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُخْبِرُكُمْ غَدًا بِمَا سأَلْتُمْ عَنْهُ ، ولم يستثن (١) ، فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ، لا يُحدث الله إليه فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدَنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه، وشقّ عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عزّ وجلّ ، بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف ، وقول الله عزّ وجلّ (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً) قال ابن إسحاق : فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال (الحَمْدُ لله الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ) يعنى محمدا إنك رسولى فى تحقيق ما سألوا عنه من نبوّته (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا) : أى معتدلا ، لا اختلاف فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝﴾

يقول تعالى ذكره : أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأسا من الله شديدا ، وعنى بالبأس العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة . وقوله (مِنْ لَدُنْهُ) يعنى : من عند الله.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا) عاجل عقوبة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة . (مِنْ لَدُنْهِ) : أى من عند ربك الذى بعثك رسولا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مِنْ لَدُنْهُ) : أى من عنده .

فإن قال قائل : فأين مفعول قوله (لِيُنْذِرَ) فإن مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه من ذكره ، وهو مضمر متصل بينذر قبل البأس ، كأنه قيل : لينذركم بأسا ، كما قيل (يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) إنما هو : يخوّفكم أولياءه .

وقوله (وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ) يقول : ويبشر المصدقين الله ورسوله (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ) وهو العمل بما أمر الله بالعمل به ، والانتهاء عما نهى الله عنه (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) يقول : ثوابا جزيلا لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله ، وعملهم فى الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب : هو الجنة التى وعدها المتقون . وقوله (ماكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) خالدين، لا ينتقلون عنه، ولا يُنْقَلون، ونصب ماكثين على الحال من قوله (أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) فى هذه الحال فى حال مكثهم فى ذلك الأجر .

(١) أى لم يقل : « إن شاء الله » . ويشير إليه قوله تعالى : « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) : أى فى دار خلد لايموتون فيها ، الذين صدقوك بما جئت به عن الله ، وعملوا بما أمرتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : ويحذر أيضا محمد القوم (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) من مشركى قومه وغيرهم ، بأسَ الله وعاجلَ نقمته ، وآجل عذابه ، على قيلهم ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) يعنى قريشا فى قولهم : إنما نعبد الملائكة ، وهنّ بنات الله ، وقوله (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ) يقول : ما لقائلى هذا القول، يعنى قولهم (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) (بِهِ) : يعنى بالله من علم، والهاء فى قوله (بِهِ) من ذكر الله . وإنما معنى الكلام : ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله، إنه لايجوز أن يكون له ولد من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك . وقوله (وَلَا لِآبَائِهِمْ) يقول : ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذى هم عليه اليوم ، كان لهم بالله وبعظمته علم . وقوله (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدنيين والكوفيين والبصريين (كَبُرَتْ كَلِمَةً) بنصب كلمةً بمعنى : كبُرت كلمتهم التى قالوها كلمةً على التفسير ، كما يقال : نعم رجلا عمرو ، ونعم الرجل رجلا قام ، ونعم رجلا قام . وكان بعض نحويّى أهل البصرة يقول : نُصبت كلمةً لأنها فى معنى : أكْبِر بها كلمة ، كما قال جلّ ثناؤه (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) وقال : هى فى النصب مثل قول الشاعر :

ولقدْ علمْتُ إذَا اللِّقاحُ تروَّحتْ هَدَجَ الرِّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالا [١]

---

(١) البيت غير منسوب . واللقاح : هى النوق ذوات اللبن، تنتج فى أول الربيع فتكون لقاحا ، واحدتها لقحة (بفتح اللام وكسرها) فلا تزال لقاحا حتى يدبر الصيف عنها . (انظر اللسان : لقح) . وتروحت : عادت من مراعيها إلى مراحها . أو تروحت : أصابتها الريح . والهدج (بسكون الدال) مصدر هدج يهدج هدجا وهدجانا ، وهو المشى الرويد فى ضعف . يقال : هدج الظليم يهدج هدجانا والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام ، وخص بعضهم به الحولى . ويقال فى جمعه : أرؤل ، ورئلان ، ورئال ، ورئالة (اللسان : رأل) وتكبهن : تلقيهن على صدورهن فى الأرض . والشمال : الريح تهب من جهة الشمال . شبه سير اللقاح فى رجوعها إلى مراحها بهدجان الرئال ، وهو مشى ضعيف . يريد أن اللقاح فى ذلك الوقت تهدج فى سيرها هدج الرئال حين تسوقهن ريح الشمال .

والشاهد فى قوله : تكبهن شمالا ، فإن شمالا منصوب على التمييز ، وهو محول عن الفاعل . والأصل تكبهن شمال . وهو نظير نصب كلمة من قوله تعالى : « كبرت كلمة » فإن كلمة منصوبة على التمييز ، وهو تمييز نسبة محول عن الفاعل والأصل كبرت كلمة (بالرفع) .

أى تكبهن الرياح شمالا ، فكأنه قال : كبرت تلك الكلمة ، وذُكِر عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ) رفعا ، كما يقال : عَظُم قولُك وكَبُر شأنُك . وإذا قرئ ذلك كذلك لم يكن فى قوله (كَبُرَتْ كَلِمَةٌ) مُضمر ، وكان صفة للكلمة .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ (كَبُرَتْ كَلِمَةً) نصبا لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، فتأويل الكلام : عَظُمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا : اتخذ الله ولدا ، والملائكة بنات الله .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) قولهم : إن الملائكة بنات الله . وقوله (إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا) يقول عزّ ذكره : مايقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا بقيلهم ذلك إلا كذبا وفرية افتروها على الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝

يعنى تعالى ذكره بذلك : فلعلك يامحمد قاتلُ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) تمرّدا منهم على ربهم ، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذى أنزلته عليك فيصدّقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا ، بإدبارهم عنك ، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك ، يقال منه : بخع فلان نفسه يبخعها بَخْعا وبخوعا ؛ ومنه قول ذى الرُّمّة :

ألا أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ[1]

يريد : نحّته فخفف .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (باخِعٌ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ) يقول : قاتل نفسك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمر ، عن قتادة ، مثله .

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٢٥١ من القصيدة الثانية والثلاثين ، وعدتها ثمانية وسبعون بيتا . والباخع : القاتل . ونحته عدلته وصرفته . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٩٣) قال : « فلعلك باخع نفسك » : مهلك نفسك . قال ذو الرمة : « ألا أيهذا . . . . » البيت . أى نحته ، مشدد . ويقال : بخعت له نفسى ونصحى : أى جهدت له . وقال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٨٣ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) باخع نفسك مخرج ، وقاتل نفسك . اهـ وفى (اللسان بخع) نفسه يبخعها بخعا وبخوعا : قتلها غيظا أو غما . وفى التنزيل «فلعلك باخع نفسك على آثارهم» قال الفراء : أى مخرج نفسك ، وقاتل نفسك . وقال ذو الرمة « ألا أيهذا . . . . . . بشىء . . .)» البيت . قال الأخفش : بخعت لك نفسى ونصحى : أى جهدتها . أبخع بخوعا .

وأما قوله (أسَفا) فإنّ أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غضبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أسَفا) قال : غضبا .

وقال آخرون : جزَعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أسَفا) قال : جزَعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معناه : حزنا عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أسَفا) قال : حزنا عليهم .

وقد بيَّنا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، وكان بهم رحيما .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أسَفا) يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم : أى لاتفعل .

وقوله (إنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الأرْضِ زِينَةً لَهَا) يقول عزّ ذكره : إنا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض (لِنَبْلُوَهُمْ أيُّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً) يقول : لنختبر عبادنا أيُّهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما عَلَى الأرْضِ زِينَةً لَهَا) قال : ما عليها من شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا) ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إنّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وإنّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها ، فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فاتَّقُوا الدُّنْيا ، واتَّقُوا النِّساءَ » .

وأما قوله (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فان أهل التأويل قالوا فى تأويله نحو قولنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوعاصم العسقلانى ، قال (لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال : أترك لها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (إِنَّا جَعَلْنَا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) اختبارا لهم أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتى .

وقوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) يقول عزّ ذكره : وإنا لمخرّبوها بعد عمارتناها بما جعلنا عليها من الزينة ، فمصيروها صعيدا جرزا لانبات عليها ولا زرع ولا غرس. وقد قيل : إنه أريد بالصعيد فى هذا الموضع : المستوى بوجه الأرض ، وذلك هو شبيه بمعنى قولنا فى ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، وبمعنى الجرز ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) يقول : يهلك كلّ شىء عليها ويبيد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (صَعِيدًا جُرُزًا) قال : بلقعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) والصعيد : الأرض التى ليس فيها شجر ولانبات .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) يعنى : الأرض إن ما عليها لفان وبائد ، وإن المرجع لإلىّ ، فلا تأس ، ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها.

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (صَعِيدًا جُرُزًا) قال : الجرز : الأرض التى ليس فيها شىء ، ألا ترى أنه يقول (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا) قال : والجرز : لاشىء فيها ، لانبات ولا منفعة . والصعيد : المستوى . وقرأ (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) قال : مستوية . يقال : جُرِزت الأرض فهى مجروزة ، وجرزها الجراد

والنعم ، وأرَضُون أجْراز : إذا كانت لاشيء فيها . ويقال للسنة المجدبة : جُرُز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلّة أمطارها ؛ قال الراجز :

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السُّنُونُ الأجْرَازْ[1]

يقال : أجرز القوم : إذا صارت أرضهم جُرُزا ، وجَرَزوا هم أرضهم : إذا أكلوا نباتها كله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أم حسبت يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا ، فإن ما خلقت من السموات والأرض ، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف ، وحجتى بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك ، وغيرهم من سائر عبادى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا) قال محمد بن عمرو فى حديثه ، قال : ليسوا عجبا بأعجب آياتنا . وقال الحارث فى حديثه بقولهم : أعجب آياتنا : ليسوا أعجب آياتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا) كانوا يقولون هم عجب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا) يقول : قد كان من آياتنا ماهو أعجب من ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (أمْ حَسِبْتَ أنَّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا) . أى وما قدروا من قَدْر فيما صنعت من أمر الخلائق ، وما وضعت على العباد من حججى ما هو أعظم من ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم حسبت يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا ، فإن الذى آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه .

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٩٤) قال جرزا : أى غلظا لاينبت شيئا ، والجميع : أرضون أجراز . ويقال للسنة المجدبة : جرز ، وسنون أجراز ، لجدوبها ، ويبسها ، وقلة مطرها . ثم أنشد بيتا لذى الرمة ، ثم بيت الشاهد ، والبيت أيضا من شواهد (اللسان : جرز) قال : وسنة جرز : إذا كانت جدبة . والجرز السنة المجدبة قال الراجز : « قد جرفتهن . . . . » البيت . ومعنى جرفتهن : أى ذهبت بهن كلهن أو جلهن . والضمير راجع إلى إبله . ويجوز أن يكون معنى جرفتهن بالتشديد : هزلتهن ، وذهبت بما فيهن من شحم ولحم ، لقلة المرعى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) يقول : الذى آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم .

وإنما قلنا : إن القول الأول أولى بتأويل الآية ، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ماذكرنا فى الرواية عن ابن عباس ، إذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه . فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم فى الحجة مما سألوا عنهم ، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم .

وأما الكهف ، فإنه كهف الجبل الذى أوى إليه القوم الذين قص الله شأنهم فى هذه السورة .

وأما الرقيم ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنى به ، فقال بعضهم : هو اسم قرية ، أو واد على اختلاف بينهم فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن الشيبانى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : يزعم كعب أن الرقيم : القرية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) قال : الرقيم : واد بين عُسْفان وأَيلة دون فلسطين ، وهو قريب من أيلة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبى ، عن عطية ، قال : الرقيم : واد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) كنا نحدث أن الرقيم : الوادى الذى فيه أصحاب الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (الرَّقِيمِ) قال : يزعم كعب : أنها القرية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، فى قوله (الرَّقِيمِ) قال : يقول بعضهم : الرقيم : كتاب تبانهم . ويقول بعضهم : هو الوادى الذى فيه كهفهم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : أما الكهف : فهو غار الوادى ، والرقيم : اسم الوادى .

وقال آخرون : الرقيم : الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) يقول : الكتاب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا أبى ، عن ابن قيس ، عن سعيد بن جبير ، قال : الرقيم : لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : الرقيم : كتاب ، ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وعما فيه ، وقرأ (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ) .

وقال آخرون : بل هو اسم جبل أصحاب الكهف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الرقيم : الجبل الذى فيه الكهف .

قال أبو جعفر : وقد قيل إن اسم ذلك الجبل : بنجلوس .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، وقد قيل : إن اسمه بناجلوس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجَبَئِى [1] أن اسم جبل الكهف : بناجلوس . واسم الكهف : حيزم . والكلب : حُمران .

وقد رُوى عن ابن عباس فى الرقيم ما حدثنا به الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كلّ القرآن أعلمه ، إلا حنانا ، والأوّاه ، والرقيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، أنه سمع عكرمة يقول : قال ابن عباس : ما أدرى ما الرقيم ، أكتاب ، أم بنيان ؟

❁ وأولى هذه الأقوال بالصواب فى الرقيم أن يكون معنيا به : لوح ، أو حجر ، أو شىء كُتب فيه كتاب وقد قال أهل الأخبار : إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف . ثم قال بعضهم : رُفع ذلك اللوح فى خزانة الملك . وقال بعضهم : بل جُعل على باب كهفهم . وقال بعضهم : بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم . وإنما الرقيم : فعيل ، أصله : مرقوم ، ثم صُرف إلى فعيل ، كما قيل للمجروح : جريح ، وللمقتول : قتيل ، يقال منه : رقمت كذا وكذا : إذا كتبته ، ومنه قيل للرقم فى الثوب رقم ، لأنه الخطّ الذى يعرف به ثمنه . ومن ذلك قيل للحيَّة : أرقم ، لما فيه من الآثار ؛ والعرب تقول : عليك بالرقمة ، ودع الضفة : بمعنى عليك برقمة الوادى حيث الماء ، ودع الضفة الجانبة . والضفتان : جانبا الوادى . وأحسب أن الذى قال الرقيم : الوادى ، ذهب به إلى هذا ، أعنى به إلى رقمة الوادى .

(١) شعيب الجبئى : هو شعيب بن الأسود الجبئى المحدث من أقران طاوس ، أخذ عنه محمد بن إسحاق وسلمة بن وهران . وهو منسوب إلى الجبأ ، بالهمز والقصر ، كما قال الهمدانى فى صفة جزيرة العرب فى مواضع ، وهو كورة المعافر ، بالقرب من الجند (انظر معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، فى رسم الجبأ ص ٣٦٠) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبًا) حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل ، هربا بدينهم إلى الله ، فقالوا إذ أووه : (رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) رغبة منهم إلى ربهم ، فى أن يرزقهم من عنده رحمة . وقوله (وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا) يقول : وقالوا : يسّر لنا بما نبتغي وما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك ، ومن عبادة الأوثان التي يدعونا إليها قومنا ، رَشَدا : يقول : سَدادا إلى العمل بالذى تحبّ .

وقد اختلف أهل العلم فى سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذى ذكره الله فى كتابه ، فقال بعضهم : كان سبب ذلك ، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، وكان لهم ملك عابد وثن ، دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم ، أو يقتلهم ، فاستخفَوا منه فى الكهف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو فى قوله (أَصْحابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ) كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام ، وكان ملكهم كافرا ، وقد أخرج لهم صنما ، فأبَوا ، وقالوا : (رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلها لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطًا) قال : فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله ، فقال أحدهم : إنه كان لأبى كهف يأوى فيه غنمه ، فانطلقوا بنا نكن فيه ، فدخلوه وفُقدوا فى ذلك الزمان فطُلبوا ، فقيل : دخلوا هذا الكهف ، فقال قومهم : لانريد لهم عقوبة ولا عذابا أشدّ من أن نردم عليهم هذا الكهف ، فبنوه عليهم ثم ردموه ، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى ، ورفع ذلك البناء الذى كان ردم عليهم ، فقال بعضهم لبعض (كَمْ لَبِثْتُمْ) ؟ ف(قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ) . . . حتى بلغ (فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إلى المَدِينَةِ) وكان ورق ذلك الزمان كبارا ، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب ؛ فلما ذهب ليخرج ، رأى على باب الكهف شيئا أنكره ؛ فأراد أن يرجع ، ثم مضى حتى دخل المدينة ، فأنكر ما رأى ، ثم أخرج درهما ، فنظروا إليه فأنكروه ، وأنكروا الدرهم ، وقالوا . من أين لك هذا ، هذا من ورق غير هذا الزمان ، واجتمعوا عليه يسألونه ، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم ؛ وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون ، فنظروا فى ذلك اللوح ، وسأله الملك ، فأخبره بأمره ، ونظروا فى الكتاب متى فقد ، فاستبشروا به وبأصحابه ، وقيل له : انطلق بنا فأرنا أصحابك ، فانطلق وانطلقوا معه ، ليريهم ، فدخل قبل القوم ، فضرب على آذانهم ، فقال الذين غلبوا على أمرهم (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : مَرِج أمر أهل الإنجيل وعظُمت فيهم

الخطايا وطغت فيهم الملوك ، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم ، متمسكون بعبادة الله وتوحيده ، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ، ملك من الروم يقال له : دَقْيَنُوس ، كان قد عبد الأصنام ، وذبح للطواغيت ، وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم ، كان ينزل فى قُرى الروم ، فلا يترك فى قرية ينزلها أحدا ممن يدين بدين عيسى بن مريم إلا قتله ، حتى يعبد الأصنام ، ويذبح للطواغيت ، حتى نزل دقينوس مدينة الفتية أصحاب الكهف ؛ فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الإيمان ، فاستخفَوا منه وهربوا فى كلّ وجه . وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيُجمعوا له ، واتخذ شُرَطا من الكفّار من أهلها ، فجعلوا يتبعون أهل الإيمان فى أماكنهم التى يستخفون فيها ، فيستخرجونهم إلى دقينوس ، فقدمهم إلى المجامع التى يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل ، وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب فى الحياة ويُفْظَع بالقتل فيَفتتن ، ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل ؛ فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله ، جعلوا يُسْلِمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيقتلون ويقطعون ، ثم يربط ما قطع من أجسادهم ، فيعلّق على سور المدينة من نواحيها كلها ، وعلى كلّ باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان ، فمنهم من كفر فتُرك ، ومنهم من صُلب على دينه فقُتل ؛ فلما رأى ذلك الفتية أصحاب الكهف ، حزنوا حزنا شديدا ، حتى تغيرت ألوانهم ، ونحلت أجسامهم ، واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة ، والتحميد ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والبكاء ، والتضرّع إلى الله ، وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حُدّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورق ، قال ابن عباس : فكانوا كذلك فى عبادة الله ليلهم ونهارهم ، يبكون إلى الله ، ويستغيثونه ، وكانوا ثمانية نفر : مَكْسِلمينا ، وكان أكبرهم ، وهو الذى كلّم الملك عنهم ؛ ومحسيميلنينا ، ويمليخا ، ومَرْطوس ، وكشوطوش ، وبيرونس ، ودينموس ، ويطونس قالوس [1] فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، بكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، وجعلوا يقولون : اللهم ربّ السموات والأرض ، لن ندعو من دونك إلها (لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا) اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك ، ومنعوا عبادتك إلا سرّا ، مستخفين بذلك ، حتى يعبدوك علانية ، فبينما هم على ذلك ، عرفهم عُرفاؤهم من الكفار ، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام ، والذبح للطواغيت ، وذكروا أمرهم ، وكانوا قد خلَوا فى مُصَلًّى لهم يعبدون الله فيه ، ويتضرّعون إليه ، ويتوقّعون أن يُذْكروا لدقينوس ، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصَلاّهم ، فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرّعون ، ويبكون ، ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته ؛ فلما رآهم أولئك الكفرة من عُرفائهم قالوا لهم : ما خلّفكم عن أمر الملك ، انطلقوا إليه ، ثم خرجوا من عندهم ، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس ، وقالوا : تجمع الناس للذبح لآلهتك ، وهؤلاء فتية من أهل بيتك ، يسخَرون منك ، ويستهزئون بك ، ويعصُون أمرك ، ويتركون

(١) قال القرطبى فى تفسيره (١٠ : ٣٦٠) : وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية ، والسند فى معرفتها واه ، ونقلها عن الطبرى .

آلهتك ، يتعمدون إلى مُصَلّى لهم ولأصحاب عيسى بن مريم يصلون فيه، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى ، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظهرانىْ سلطانك ومُلكك ، وهم ثمانية نفر : رئيسهم مكسلمينا ، وهم أبناء عظماء المدينة ، فلما قالوا ذلك لدقينوس ، بعث إليهم ، فأتى بهم من المصلّى الذى كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعَفرة وجوههم فى التراب ، فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التى تُعبد فى الأرض . وأن تجعلوا أنفسكم أُسْوة لسَراة أهل مدينتكم ، ولمن حضر منّا من الناس ، اختاروا منى : إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس ، وإما أن أقتلكم ، فقال مكسلمينا : إن لنا إلها نعبده ملأ السموات والأرض عظمته ، لن ندعو من دونه إلها أبدا ، ولن نقرّ بهذا الذى تدعونا إليه أبدا ، ولكنا نعبد الله ربنا ، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا ، إياه نعبد ، وإياه نسأل النجاة والخير ، وأما الطواغيت وعبادتها ، فلن نقرّ بها أبدا ، ولسنا بكائنين عُبّادا للشياطين ، ولا جاعلى أنفسنا وأجسادنا عُبادا لها ، بعد إذ هدانا الله له رهبتَك ، أو فرَقا من عبودتك ، اصنع بنا مابدا لك ؛ ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال . قال : فلما قالوا ذلك له ، أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم ، ثم قال : أما إذ فعلتم مافعلتم فإنى سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتى وبطانتى ، وأهل بلادى وسأفرُغ لكم ، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة ، وما يمنعنى أن أعجّل ذلك لكم إلا أنى أراكم فتيانا حديثة أسنانكم ، ولا أحبّ أن أهلككم حتى أستأنىَ بكم ، وأنا جاعل لكم أجلا تَذكرون فيه ، وتراجعون عقولكم ، ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة ، فنُزعت عنهم ؛ ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده ، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبا منها لبعض ما يريد من أمره .

فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه ، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم ؛ فأتمروا بينهم أن يأخذ كلّ واحد منهم نفقة من بيت أبيه ، فيتصدّقوا منها ، ويتزوّدوا بما بقى ، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له : بنجلوس فيمكثوا فيه ، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه ، فيصنع بهم ما شاء . فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، عمد كلّ فتى منهم ، فأخذ من بيت أبيه نفقة ، فتصدّق منها ، وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم ، واتبعهم كلْب لهم ، حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى ذلك الجبل ، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ، ابتغاء وجه الله تعالى ، والحياة التى لاتنقطع ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له يمليخا ، فكان على طعامهم ، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّا من أهلها ، وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم ، فكان يمليخا يصنع ذلك ، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ، ثم يأخذ ورقه ، فينطلق إلى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ، ويتسمّع ويتجسّس لهم الخبر ، هل ذكر هو وأصحابه بشىء فى ملإ المدينة ، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم ، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس ، فلبثوا بذلك مالبثوا ؛ ثم قدم دقينوس الجبّار المدينة التى منها خرج إلى مدينته ، وهى مدينة أَفَسُوس ؛ فأمر عظماء أهلها ، فذبحوا للطواغيت ، ففزع من ذلك أهل الإيمان ، فتخبئوا فى كلّ مخبأ ؛ وكان يمليخا

بالمدينة يشترى لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم ، فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل ، فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة ، وأنهم قد ذُكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت ؛ فلما أخبرهم بذلك ، فزعوا فزعا شديدا ، ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله ، ويتضرّعون إليه ، ويتعوّذون به من الفتنة ؛ ثم إن يمليخا قال لهم : يا إخوتاه ، ارفعوا رءوسكم ، فاطعموا من هذا الطعام الذى جئتكم به ، وتوكلوا على ربكم ؛ فرفعوا رءوسهم ، وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوّفا على أنفسهم ، فطعموا منه ، وذلك مع غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ، ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم ، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر ، فبيناهم على ذلك ، إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ، مصدّقون بالوعد ، ونفقتهم موضوعة عندهم ؛ فلما كان الغد فقدهم دقينوس ، فالتمسهم فلم يجدهم ، فقال لعظماء أهل المدينة : لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا ، لقد كانوا يظنون أن بى غضبا عليهم فيما صنعوا فى أوّل شأنهم ، لجهلهم ما جهلوا من أمرى ، ما كنت لأجهل عليهم فى نفسى ، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشىء إن هم تابوا وعبدوا آلهتى ، ولوفعلوا لتركتهم ، وما عاقبتهم بشىء سلف منهم ، فقال له عظماء أهل المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مرَدة عُصاة ، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم ، وقد كنتَ أجّلتهم أجلا ، وأخّرتهم عن العقوبة التى أصبت بها غيرهم ، ولوشاءوا لرجعوا فى ذلك الأجل ، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على مافعلوا ، وكانوا منذ انطلقت يبذّرون أموالهم بالمدينة ؛ فلما علموا بقدومك فرّوا فلم يُروا بعد . فان أحببت أن تُؤْتَى بهم ، فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم ، واشدُد عليهم يدلُوك عليهم ، فإنهم مختبئون منك ، فلما قالوا ذلك لدقينوس الجبار ، غضب غضبا شديدا ، ثم أرسل إلى آبائهم ، فأتى بهم فسألهم عنهم وقال : أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمرى ، وتركوا آلهتى ، ائتونى بهم ، وأنبئونى بمكانهم ، فقال له آباؤهم : أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك ، قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم ، فلم تقتلنا فى قوم مَرَدة ، قد ذهبوا بأموالنا فبذّروها وأهلكوها فى أسواق المدينة ، ثم انطلقوا ، فارتقوا فى جبل يدعى بنجلوس ، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هرَبا منك ؛ فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم ، وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفتية ، فألقى الله عزّ وجلّ فى نفسه أن يأمر بالكهف فيُسدّ عليهم كرامة من الله ، أراد أن يكرمهم ، ويكرم أجساد الفتية ، فلا يجول ، ولا يطوف بها شىء ، وأراد أن يحييهم ، ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . فأمر دقينوس بالكهف أن يسدّ عليهم ، وقال : دعوا هؤلاء الفتية المَرَدة الذين تركوا آلهتى فليموتوا كما هم فى الكهف عطشا وجوعا ، وليكن كهفهم الذى اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ، ففعل بهم ذلك عدوّ الله ، وهو يظنّ أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفّى الله أرواحهم وفاة النوم ، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، قد غشّاه الله ما غشاهم ، يُقلّبون ذات اليمين وذات الشمال ؛ ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما : اسم أحدهما بيدروس ، واسم الآخر : روناس ، فأتمرا أن يكتبا

شأن الفتية أصحاب الكهف ، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم ، وقصة خبرهم فى لوحين من رَصاص ، ثم يصنعا له تابوتا من نحاس ، ثم يجعلا اللوحين فيه ، ثم يكتبا عليه فى فم الكهف بين ظهرانى البنيان ، ويختما على التابوت بخاتمهما . وقالا : لعلّ الله أن يُظْهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ، فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ، ففعلا ثم بنيا عليه فى البنيان ، فبقى دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا ، ثم هلك دقينوس والقرن الذى كانوا معه ، وقرون بعده كثيرة ، وخلفت الخلوف بعد الخلوف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم ، وأهل شرفهم ، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد ، فقال رجل منهم هو أسنهم : إنى لأجد فى نفسى شيئا ما أظنّ أن أحدا يجده ، قالوا : ماذا تجد ؟ قال : أجد فى نفسى أن ربى ربّ السموات والأرض ، وقالوا : نحن نجد ، فقاموا جميعا ، فقالوا (رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلَها ، لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا) ، فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف ، وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس ، فلبثوا فى الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا رقدا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبى روّاد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مُطَوَّقين مُسَوَّرين ذوى ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم ، فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زىّ وموكب ، وأخرجوا معهم آلهتهم التى يعبدون ، وقذف الله فى قلوب الفتية الإيمان فآمنوا ، وأخفى كلّ واحد منهم الإيمان عن صاحبه ، فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لايصيبنا عقاب بجرمهم ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة ، فجلس فيه ، ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه ، فجاء حتى جلس إليه ، ثم خرج الآخرون ، فجاءوا حتى جلسوا إليهما ، فاجتمعوا ، فقال بعضهم : ما جمعكم ؟ وقال آخر : بل ما جمعكم ؟ وكلّ يكتم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ، ثم قالوا : ليخرج منكم فتيان فيخلُوَا ، فيتواثقا أن لايفشىَ واحد منهما على صاحبه ، ثم يفشى كلّ واحد منهما لصاحبه أمره ، فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد ، فخرج فتيان منهم فتواثقا ، ثم تكلما ، فذكر كلّ واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد ، فإذا هم جميعا على الإيمان ، وإذا كهف فى الجبل قريب منهم ، فقال بعضهم لبعض : ائتوا إلى الكهف (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقا) فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ، فجعله الله عليهم رقدة واحدة ، فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا ، قال : وفقدهم قومُهم فطلبوهم وبعثوا البرد ، فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح : فلان بن فلان ، وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا ، فقدناهم فى عيد كذا وكذا فى شهر كذا وكذا فى سنة كذا وكذا ، فى مملكة فلان

ابن فلان ؛ ورفعوا اللوح فى الخزانة ، فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين ، وجاء قرن بعد قرن ، فلبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا .

وقال آخرون : بل كان مصيرهم إلى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دعوى جناية ادّعى على صاحب لهم أنه جناها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن شروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارىّ عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنما لايدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأتى حمّاما ، فكان فيه قريبا من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام ، ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ودرّ عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه الإسلام ، وجعل يسترسل إليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة ، وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدّقوه ، وكانوا على مثل حاله فى حُسْن الهيئة ، وكان يشترط على صاحب الحمّام أن الليل لى لاتحول بينى وبين الصلاة إذا حضرت ، فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيره الحوارىّ ، فقال : أنت ابن الملك ، وتدخل معك هذه النكداء ، فاستحيا ، فذهب فرجع مرّة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة ، فماتا فى الحمام جميعا ، فأتى الملك ، فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنك ، فالتمُس ، فلم يقدر عليه هربا ، قال : من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية ، فالتُمسوا ، فخرجوا من المدينة ، فمرّوا بصاحب لهم فى زرع له ، وهو على مثل أمرهم ، فذكروا أنهم التُمسوا ، فانطلق معهم الكلب ، حتى أواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه ، فقالوا : نبيت ههنا الليلة ، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم ، فضرب على آذانهم ، فخرج الملك فى أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ، فكلما أراد رجل أن يدخل أُرعب فلم يطق أحد أن يدخله ، فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ، ففعل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الكَهْفِ) : فضربنا على آذانهم بالنوم فى الكهف : أى ألقينا عليهم النوم ، كما يقول القائل لآخر : ضربك الله بالفالج ، بمعنى ابتلاه الله به ، وأرسله عليه . وقوله (سِنِينَ عَدَدًا) يعنى سنين معدودة ، ونصب العدد بقوله (فَضَرَبْنَا) . وقوله (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ

لِنَعْلَمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى) يقول : ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم . لينظر عبادى فيعلموا بالبحث . أىُّ الطائفتين اللتين اختلفتا فى قدر مبلغ مُكْث الفتية فى كهفهم رقودا (أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَدًا) يقول : أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا ؛ ويعنى بالأمد : الغاية . كما قال النابغة :

إلاَّ لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنْتَ سابِقُهُ سَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأمَدِ [1]

وذُكر أن الذين اختلفوا فى ذلك من أمورهم : قوم من قوم الفتية . فقال بعضهم : كان الحزبان جميعا كافرين . وقال بعضهم : بل كان أحدهما مسلما . والآخر كافرا .

ذكر من قال : كان الحزبان من قوم الفتية

حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم : قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أىُّ الحِزْبَيْنِ) من قوم الفتية .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أىُّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَدًا) يقول : ما كان لواحد من الفريقين علم ، لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم .

وأما قوله (أمَدًا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معناه . فقال بعضهم : معناه : بعيدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لِمَا لَبِثُوا أمَدًا) يقول : بعيدا .

وقال آخرون : معناه : عددا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أمَدًا) قال : عددا .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وفى نصب قوله (أمَدًا) وجهان : أحدهما : أن يكون منصوبا على التفسير من قوله (أحْصَى) كأنه قيل : أىّ الحزبين أصوب عددا لقدر لبثهم .

وهذا هو أولى الوجهين فى ذلك بالصواب ، لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء .

---

(١) البيت للنابغة الذبيانى ، فى (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ص ١٥٢) من قصيدته التى مطلعها : « يا دارمية بالعلياء فالسند » وهى خمسون بيتا ، والشاهد هو السادس والعشرون منها . قال شارحه : الأمد : الغاية التى تجرى إليها (وعلى هذا استشهد المؤلف) . يقول : لا تنطو على حقد وغضب ، إلا لمن هو مثلك فى الناس ، أو قريب منك .

والآخر : أن يكون منصوبا بوقوع قوله (لَبِثُوا) عليه ، كأنه قال : أيّ الحزبين أحصى للبثهم غاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : نحن يامحمد نقصّ عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحقّ ، يعني : بالصدق واليقين الذى لاشكّ فيه (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) يقول : إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبأهم الملأ من مشركى قومك ، فتية آمنوا بربهم ، (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) يقول : وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا ، وبصيرة بدينهم ، حتى صبروا على هجران دار قومهم ، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه ، إلى خشونة المكث فى كهف الجبل .

وقوله (وَرَبَطْنَا على قُلُوبِهِمْ) يقول عزّ ذكره : وألهمناهم الصبر ، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة (وَرَبَطْنَا على قُلُوبِهِمْ) يقول بالإيمان.

وقوله (إِذْ قامُوا فقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : حين قاموا بين يدى الجبار دقينوس ، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته : (رَبُّنا رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء ، وآلهتك مربوبة ، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الربّ ونعبد المربوب (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا) يقول : لن ندعو من دون ربّ السموات والأرض إلها ، لأنه لاإله غيره ، وإن كلّ مادونه فهو خلقه (لَقَدْ قُلْنا إِذًا شَطَطًا) يقول جلّ ثناؤه : لئن دعونا إلها غير إله السموات والأرض ، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها ، شططا من القول : يعنى غاليا من الكذب ، مجاوزا مقداره فى البطول والغلوّ : كما قال الشاعر :

ألا يا لَقَوْمى قَدْ أشْطَتْ عَوَاذِلِى	ويَزْعُمْنَ أنْ أوْدَى بِحَقِّىَ باطلى[1]

(١) البيت للأحوص بن محمد . وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٩٤) قال : « قلنا إذا شططا » : أى جورا وغلوا ، قال : « ألا يالقوم قد أشطت عواذلى » . . . البيت وذكر بعده بيتا آخر ، وهو :

وَيَلْحَيْنَنِى فى اللَّهْوِ أنْ لا أُحِبُّهُ	ولِلَّهْوِ دَاعٍ دائِبٌ غيرُ غافِلِ

وفى (اللسان : شطط) : الشطط : مجاوزة القدر فى بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء مشتق منه . اهـ . وقال : وشط فى سلعته وأشط : جاوز القدر ، وتباعد عن الحق . وشط عليه فى حكمه يشط شططا . واشتط ، وأشط : جار فى قضيته . وقال أبوعبيد : شططت أشط ، بضم الشين ، وأشططت : جرت . قال ابن برى : أشط : بمعنى أبعد ، وشط : بمعنى بعد . وشاهد أشط بمعنى أبعد ، قول الأحوص : * ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى * . . . البيت .

يقال منه : قد أشط فلان فى السوم إذا جاوز القدر وارتفع ، يشطّ إشطاطا وشططا . فأما من البعد فإنما يقال : شطّ منزل فلان يشطّ شطوطا ؛ ومن الطول : شطت الجارية تشطّ شطاطا وشطاطة : إذا طالت .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (شَطَطا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا) يقول كذبا.

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا) قال : لقد قلنا إذن خطأ ، قال : الشطط : الخطأ من القول .

القول فى تأويل قوله تعالى:

هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

❊ يقول عزّ ذكره مخبرا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف : هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه (لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ) يقول : هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة، وفى الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف ، وذلك فى قوله (لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ) فالهاء والميم فى عليهم من ذكر الآلهة ، والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان ، ولا يُسئل السلطان عليها ، وإنما يسئل عابدوها السلطان على عبادتهموها ، فمعلوم إذ كان الأمر كذلك ، أن معنى الكلام : لولا يأتون على عبادتهموها ، واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بين .

وبنحو ما قلنا فى معنى السلطان ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله(لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ) يقول : بعذر بين ، وعنى بقوله عزّ ذكره (فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى على الله كَذِبا) ومن أشدّ اعتداء وإشراكا بالله ، ممن اختلق ، فتخرّص على الله كذبا ، وأشرك مع الله فى سلطانه شريكا يعبده دونه ، ويتخذه إلها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل بعض الفتية لبعض : وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من

دون الله آلهة (وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ) يقول : وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله ، فـ«ما» إذ كان ذلك معناه فى موضع نصب عطفا لها على الهاء ، والميم التى فى قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ) وهى فى مصحف عبد الله (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) هذا تفسيرها .

وأما قوله (فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ) فإنه يعنى به : فصيروا إلى غار الجبل الذى يسمَّى بنجلوس ، (يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) يقول : يبسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذى قد رُميتم به من الكافر دقينوس وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة .

وقوله (فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ) جواب لإذ ، كأن معنى الكلام : وإذ اعتزلتم أيها القوم قومكم ، فأْوُوا إلى الكهف ؛ كما يقال : إذ أذنبت فاستغفر الله وتب إليه .

وقوله (وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) يقول : وييسر لكم من أمركم الذى أنتم فيه من الغمّ والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا ، ويعنى بالمرفق : ماترتفقون به من شىْء ، وفى المرفق من اليد وغير اليد لغتان : كسر الميم وفتح الفاء ، وفتح الميم وكسر الفاء . وكان الكسائى يُنكر فى مِرْفَق الإنسان الذى فى اليد إلا فتح الفاء وكسر الميم . وكان الفرّاء يحكى فيهما ، أعنى فى مرفق الأمر واليد اللغتين كلتيهما ، وكان ينشد فى ذلك قول الشاعر :

بِتُّ أُجافِى مِرْفَقا عَنْ مِرْفَقى[1]

ويقول : كسر الميم فيه أجود .

وكان بعض نحويىّ أهل البصرة يقول فى قوله(مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) شيئا ترتفقون به مثل المقطع ، ومرفقا جعله اسما كالمسجد ، ويكون لغة يقولون رفق يَرْفُق مَرْفقا ، وإن شئت مَرْفقا تريد رفقا ولم يُقْرأ .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامَّة قرّاء أهل المدينة(وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفِقًا) بفتح الميم وكسر الفاء ، وقرأته عامَّة قرّاء العراق فى المصرين (مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان بمعنى واحد ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء من أهل القرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن الذى أختار فى قراءة ذلك

(١) هذا بيت من الرجز ، استشهد به المؤلف على أن المرفق الذى يرتفق به وينتفع : يجوز فيه فتح الميم مع كسر الراء وكسر الميم مع فتح . وكذلك مرفق اليدين ، وهو موافق لما قاله الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٨٤ من مصورة الجامعة) قال : وقوله « من أمركم مرفقا » كسر الميم الأعمش والحسن ، ونصبها أهل المدينة وعاصم ؛ فكأن الذين فتحوا الميم وكسروا الفاء ، أرادوا أن يفرقوا بين المرفق من الأمر ، والمرفق من الإنسان . وأكثر العرب على كسر الميم من الأمر ومن الإنسان . والعرب أيضا تفتح الميم من مرفق الإنسان ، لغتان فيهما . اهـ . أما أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٩٥) فإنه قال : المرفق : ما ارتفق به ، ويقرؤه قوم مرفقا (أى بالفتح) فأما فى اليدين فهو مرفق . ولم أجد هذا الشاهد عند الفراء ، ولا عند أبى عبيدة ، ولا فى لسان العرب . ومعنى أجافى : أبعد .

(وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء ، لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب . وكذلك ذلك في كلّ ما ارتُفِق به من شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

• وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره (وَتَرَى الشَّمْسَ) يا محمد (إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يعني بقوله (تَزَاوَرُ) : تعدل وتميل ، من الزَّوَر : وهو العَوَج والميل ؛ يقال منه : في هذه الأرض زَوَر : إذا كان فيها اعوجاج ، وفي فلان عن فلان ازْوِرار ، إذا كان فيه عنه إعراض ؛ ومنه قول بشر بن أبي خازم .

يَؤُمُّ بِهَا الحُدَاةُ مِيَاهَ نَخْلٍ وَفِيهَا عَنْ أَبَانَيْنِ ازْوِرَارُ [١]

يعني : إعراضا وصدًّا .

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة (تَزَّاوَرُ) بتشديد الزاى ، بمعنى : تتزاور بتاءين ، ثم أدغم إحدى التاءين في الزاى ، كما قيل : تظّاهرون عليهم . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (تَزَاوَرُ) بتخفيف التاء والزاى ، كأنه عنى به تفاعل من الزور . ورُوى عن بعضهم (تَزْوَرّ) بتخفيف التاء وتسكين الزاى وتشديد الراء مثل تحمرّ ، وبعضهم : تَزْوَارّ : مثل تحمارّ .

❁ والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان ، أعني (تَزَاوَرُ) بتخفيف الزاى ، و (تَزَّاوَرُ) بتشديدها معروفتان ، مستفيضة القراءة بكلّ واحدة منهما في قرّاء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب . وأما القراءتان الأخريان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما ، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم ، لشذوذهما عما عليه قرأة الأمصار .

وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ) قال أهل التأويل .

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم . ذكره البكرى في معجم ما استعجم طبع القاهرة (لجنة التأليف ، بتحقيق مصطفى السقا) في رسم « أبان » . قال : أبان : جبل . وهما أبانان : أبان الأبيض وأبان الأسود ، بينهما نحو فرسخ ، ووادى الرمة يقطع بينهما . فأبان الأبيض لبنى جريد من بنى فزارة خاصة ، والأسود : لبنى والبة ، من بنى الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . وقال بشر فيهما « وفيها عن أبانين ازورار » . وقال الأصمعى : أراد أبانا ، فثناه للضرورة . ونخل ، كما في معجم ما استعجم : على لفظ جمع نخلة ، قال يعقوب : هى قرية بواد يقال له : شدخ ، لفزارة وأشجع وأنمار وقريش والأنصار . . . على ليلتين من المدينة . أو هى ماء بين القصة والثاملية . ويؤم بها : يقصد بالإبل ، والحداة : جمع حاد ، وهو سائق الإبل يحدو بها ، ويغنى لها . والازورار : الميل والعدول والإعراض عن الشيء ، كما استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « تزاور عن كهفهم » أى تميل عنه وتنحرف

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) قال : تميل .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يقول : تميل عنهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول : تميل عن كهفهم يمينا وشمالا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) يقول : تميل ذات اليمين ، تدعهم ذات اليمين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) قال : تميل عن كهفهم ذات اليمين .

حُدثت عن يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن يَعْلَى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم ، ولو أنهم لايقلَّبون لأكلتهم الأرض ، قال : وذلك قوله (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : (تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ) تميل .

وقوله (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول تعالى ذكره : وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم . وإنما معنى الكلام : وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين ، لئلا تصيب الفتية ، لأنها لوطلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم ، أو أشحبتهم . وإذا غربت تتركهم بذات الشمال ، فلا تصيبهم ؛ يقال منه : قرضت موضع كذا : إذا قطعته فجاوزته . وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قُبُلا ودُبُرا ، وحذوته ذات اليمين والشمال ، وقُبلا ودبرا : أى كنت بحذائه ؛ قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد . وأصل القرض : القطع ، يقال منه : قرضت الثوب : إذا قطعته ؛ ومنه قيل للمقراض : مقراض ، لأنه يقطع ؛ ومنه قرض الفأر الثوب ؛ ومنه قول ذى الرُّمَّة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْرِفٍ شِمالاً وعَنْ أَيْمانِهِنَّ الفَوَارِسُ[1]

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣١٣ من القصيدة رقم ٤١ ، وعدة أبياتها ٥١ بيتا . أى نظرت —

يعني بقوله : يَقْرِضْنَ : يقطعن .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثني أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول : تذرهم :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ) تتركهم ذات الشمال .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ (تَقْرِضُهُمْ) قال : تتركهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) يقول : تدعهم ذات الشمال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَر ، عن قتادة ، قوله : (تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) قال : تَدَعُهم ذات الشمال .

حدثنا ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضّاح عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ) قال : تتركهم .

وقوله (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) يقول : والفتية الذين أووا إليه في متسع منه يُجْمع : فَجَوات ، وفِجاء ممدودا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) يقول : في فضاء من الكهف ، قال الله (ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) قال : المكان الداخل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) قال : المكان الذاهب .

= إلى ظعن يقرضن أى يملن عنها . والفوارس : رمال بالدهناء . والبيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٣٩٦) ، قال : « تقرضهم ذات الشمال » أى تخلفهم شمالا ، وتجاوزهم وتقطعهم ، وتتركهم عن شمالها . ويقال : هل مررت بمكان كذا وكذا ؟ فيقول المسئول : قرضته ذات اليمين ليلا . وقال ذو الرمة : * إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف . . . البيت . ومشرف والفوارس : موضعان بنجد ، كما في معجم ما استعجم ، وأنشد البيت في رسم الفوارس ، ونسبه إلى ذى الرمة . والظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة في الهودج على جملها أو ناقتها .

حدثنى ابن سنان، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا محمد بن مسلم أبوسعيد بن أبى الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (فى فَجْوَةٍ مِنْهُ) قال : فى مكان داخل .

وقوله (ذلكَ مِنْ آياتِ اللهِ) يقول عزّ ذكره : فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم ، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هى طلعت ، وتقرضهم ذات الشمال إذا هى غربت ، مع كونهم فى المتسع من المكان ، بحيث لا تُحرقهم الشمس فتُشحبهم ، ولا تُبْلِى على طول رقدتهم ثيابهم ، فتعفن على أجسادهم ، من حجج الله وأدلته على خلقه ، والأدلة التى يستدلّ بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه ، وأنه لا يُعجزه شىء أراده . وقوله (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ) يقول عزّ وجلّ : من يوفّقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحقّ التى جعلها أدلة عليه ، فهو المهتدى : يقول : فهو الذى قد أصاب سبيل الحقّ (وَمَنْ يُضْلِلْ) يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته ، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد (فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) يقول : فلن تجد له يا محمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها ، لأن التوفيق والخذلان بيد الله ، يوفق من يشاء من عباده ، ويخذل من أراد ، يقول : فلا يَحْزُنك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك ، فإنى لو شئت هديتهم فآمنوا ، وبيدى الهداية والضلال .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم ، لو رأيتهم فى حال ضربنا على آذانهم فى كهفهم الذى أووا إليه أيقاظا . والأيقاظ : جمع يَقِظ ؛ ومنه قول الراجز :

وَوَجَدُوا إخْوَتَهُمْ أيْقاظا وسَيْفَ غَيَّاظٍ لَهُمْ غَيَّاظا[1]

وقوله (وَهُمْ رُقُودٌ) يقول : وهم نيام . والرقود : جمع راقد ، كالجلوس : جمع جالس ، والقعود : جمع قاعد . وقوله (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ) يقول جلّ ثناؤه : ونقلّب هؤلاء الفتية فى رقدتهم مرّة للجنب الأيمن ، ومرّة للجنب الأيسر .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ) وهذا التقليب فى رقدتهم الأولى . قال : وذُكر لنا أن أبا عياض قال : لهم فى كل عام تقليبتان

(١) البيتان (فى ديوان العجاج الراجز ، فى الملحق بديوانه ص ٨١ — ٨٢) من أرجوزة عدتها ١٩ بيتا . ورقما البيتين فيها هما : ٨ ، ١٦ . وهما من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٩٧) قال « وتحسبهم أيقاظا » : واحدهم : يقظ . ورجال أيقاظ ؛ وكذلك جمع يقظان : أيقاظ ، يذهبون به إلى جمع يقظ . وقال رؤبة : « ووجدوا . . . البيتين » وقد نسبهما لرؤبة ، وهما فى ديوان العجاج . وقد تداخلت أشعارهما على الرواة واللغويين . وغياظ : اسم رجل .

حُدثت عن يزيد ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمالِ) قال : لو أنهم لايقلّبون لأكلتهم الأرض .

وقوله (وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ) اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله بقوله : (وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) فقال بعضهم : هو كلب من كلابهم كان معهم . وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى . وقال بعضهم : كان إنسانا[1] من الناس طباخا لهم تبِعهم .

وأما الوصيد ، فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : هو الفِناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بالوَصِيد) يقول : بالفِناء .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضّاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ) قال : بالفناء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بالوَصِيد) قال : بالفناء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (بالوَصِيد) قال : بالفناء . قال ابن جريج : يمسك باب الكهف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ) يقول : بفناء الكهف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (بالوَصِيدِ) قال : بفناء الكهف .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بالوَصِيدِ) قال : يعنى بالفناء .

وقال آخرون : الوَصِيد : الصعيد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيهِ بالوَصِيدِ) يعنى فناءهم ، ويقال : الوصيد : الصعيد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون ، عن عنترة ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله : (وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ) قال : الوصيد : الصعيد .

(١) قوله «كان إنسانا الخ» كذا فى الأصول وفى ابن كثير . وقيل كلب طباخ الملك ، وقد كان وافقهم على الدين ، وصحبه كلبه . اهـ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، عن عمرو ، فى قوله (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : الوصيد : الصعيد ، التراب .

وقال آخرون : الوصيد الباب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا أبوعاصم، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) قال : بالباب ، وقالوا بالفناء .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : الوصيد : الباب ، أو فناء الباب حيث يغلق الباب ، وذلك أن الباب يوصد ، وإيصاده : إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) وفيه لغتان : الأصيد ، وهى لغة أهل نجد ، والوصيد : وهى لغة أهل تهامة، وذكر عن أبى عمرو بن العلاء ، قال : إنها لغة أهل اليمن ، وذلك نظير قولهم ورّخت الكتاب وأرخته ، ووكدت الأمر وأكدته ، فمن قال الوصيد ، قال : أوصدت الباب فأنا أوصده، وهو موصد ؛ ومن قال الأصيد ، قال : آصدت الباب فهو مؤصد، فكان معنى الكلام : وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب ، يحفظ عليهم بابه .

وقوله (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا) يقول : لو اطلعت عليهم فى رقدتهم التى رقدوها فى كهفهم ، لأدبرت عنهم هاربا منهم فارًا ، (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) يقول : ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فزعا ، لما كان الله ألبسهم من الهيبة ، كى لا يصل إليهم واصل ، ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله ، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه فى الوقت الذى أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه ، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده ، ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) فقرأته عامة قرّاء المدينة بتشديد اللام من قوله (وَلَمُلِّئْتَ) بمعنى أنه كان يمتلئ مرّة بعد مرّة . وقرأ ذلك عامة قراء العراق (وَلَمُلِئْتَ) بالتخفيف ، بمعنى : لملئت مرّة ، وهما عندنا قراءتان مستفيضتان فى القراءة ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : كما أرقدنا هؤلاء الفتية فى الكهف ، فحفظناهم من وصول واصل إليهم ، وعين ناظر أن ينظر إليهم ، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان ، وثيابهم من العفن على مرّ الأيام بقدرتنا ؛ فكذلك بعثناهم من رقدتهم ، وأيقظناهم من نومهم ، لنعرّفهم عظيم سلطاننا ، وعجيب فعالنا فى خلقنا ، وليزدادوا بصيرة فى أمرهم الذى هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة ، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له ، إذا تبيّنوا طول الزمان عليهم ، وهم بهيئتهم حين رقدوا . وقوله (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) يقول : ليسأل بعضهم بعضا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ) يقول عزّ ذكره : فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه (كَمْ لَبِثْتُمْ)وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) يقول : فأجابه الآخرون فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ظنا منهم أن ذلك كذلك كان ، فقال الآخرون : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) فسلّموا العلم إلى الله .

وقوله (فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يعنى مدينتهم التى خرجوا منها هرابا ، التى تسمى أفسوس (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعا ، فلذلك طلبوا الطعام .

ذكر من قال ذلك ، وذكر السبب الذى من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثوا منها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن بشروس ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : إنهم غبروا ، يعنى الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمى من المطر ، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه ، وردّ إليهم أرواحهم فى أجسامهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشترى طعاما ؛ فلما أتى باب مدينتهم ، رأى شيئا يُنكره ، حتى دخل على رجل فقال : بعنى بهذه الدراهم طعاما ، فقال : ومن أين لك هذه الدراهم ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس ، فآوانا الليل ، ثم أصبحوا ، فأرسلونى ، فقال : هذه الدراهم كانت على عهد مُلك فلان ، فأنىَّ لك بها ، فرفعه إلى الملك ، وكان ملكا صالحا ، فقال : من أين لك هذه الوَرِق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لى أمس ، حتى أدركنا الليل فى كهف كذا وكذا ، ثم أمرونى أن أشترىَ لهم طعاما ؛ قال : وأين أصحابك ؟ قال : فى الكهف ؛ قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعونى أدخل على أصحابى قبلكم ؛ فلما رأوه ، ودنا منهم ضُرِب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا عليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، اتخذوها مسجدا يصلون فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتعوّذوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سمعهم ، فلبثوا دهرا طويلا ، حتى هلكت أمتهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلما ، فاختلفوا فى الروح والجسد ، فقال قائل : يبعث الروح والجسد جميعا ؛

وقال قائل : يُبعث الروح ، فأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئا ، فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسُوح ، وجلس على الرّماد ، ثم دعا الله تعالى فقال : أى ربّ ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم آية تبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما ، فدخل السوق ، فجعل يُنكر الوجوه ، ويعرف الطرق ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرا ، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشترى منه طعاما ؛ فلما نظر الرجل إلى الوَرِق أنكرها ، قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبَع ، يعنى الإبل الصغار ، فقال له الفتى : أليس ملككم فلانا ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله ، فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك فى الناس ، فجمعهم ، فقال : إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد ، وإن الله قد بعث لكم آية ؛ فهذا رجل من قوم فلان ، يعنى ملكهم الذى مضى ، فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف ، فقال الفتى دَعونى أدخل إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضُرِب على أذنه وعلى آذانهم ؛ فلما استبطئوه دخل الملك ، ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا ، غير أنها لا أرواح فيها ، فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ، قال قتادة : وعن ابن عباس ، كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة ، فمرّوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف ، قال : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس ؛ فلما ملك بقى ملكه ثمانيا وستين سنة ، فتحزّب الناس فى مُلكه ، فكانوا أحزابا ، فمنهم من يؤمن بالله ، ويعلم أنّ الساعة حقّ ، ومنهم من يكذّب ، فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس ، وبكى إلى الله وتضرّع إليه ، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ويقولون : لا حياة إلا الحياة الدنيا ، وإنما تُبعث النفوس ، ولا تُبعث الأجساد ، ونسُوا ما فى الكتاب ، فجعل تيذوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا ، وأنهم أئمة فى الحقّ ، فجعلوا يكذّبون بالساعة ، حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ ومِلة الحواريين ؛ فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس ، دخل بيته فأغلقه عليه ، ولبس مِسْحا وجعل تحته رمادا ، ثم جلس عليه ، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرّع إلى الله ، ويبكى إليه مما يرى فيه الناس ؛ ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد ، أراد أن يَظْهر على الفتية أصحاب الكهف ، ويبين للناس شأنهم ، ويجعلهم آية لهم ، وحجة عليهم ، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس ، ويتمّ نعمته عليه ، فلا ينزع منه مُلكه ، ولا الإيمان الذى أعطاه ، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا ، وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين ، فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف ، وكان الجبل بنجاوس الذى فيه الكهف لذلك الرجل ، وكان اسم ذلك الرجل أولياس ، أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف ، فيبنى به حظيرة لغنمه ، فاستأجر عاملين ، فجعلا ينزعان تلك الحجارة ، ويبنيان بها تلك الحظيرة ، حتى نزعا ما على فم الكهف ، حتى فتحا عنهم باب الكهف ، وحجبهم الله من الناس بالرعب ، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم

غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف ، ثم يتقدّم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائما ؛ فلما نزعا الحجارة ، وفتحا عليهم باب الكهف ، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرى الكهف . فجلسوا فرحين مُسْفِرة وجوههم طيِّبة أنفسُهم ، فسلّم بعضهم على بعض ، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون فيها ، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا ، كالذى كانوا يفعلون ، لا يرَون ، ولا يُرى فى وجوههم ، ولا أبشارهم ، ولا ألوانهم شىء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشىّ أمس ، وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار فى طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون ، قالوا ليمليخا ، وكان هو صاحب نفقتهم ، الذى كان يبتاع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة ، وجاءهم بالخبر أن دقينوس يلتمسهم ، ويسأل عنهم ، أنبئنا يا أخى ما الذى قال الناس فى شأننا عشىّ أمس عند هذا الجبار ، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون ، وقد خُيِّل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا فيها ، حتى تساءلوا بينهم ، فقال بعضهم لبعض (كَمْ لَبِثْتُمْ) نياما ؟ (قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قالُوا رَبُّكُمْ أعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ) وكل ذلك فى أنفسهم يسير ، فقال لهم يمليخا : افتُقِدتم والتُمستم بالمدينة ، وهو يريد أن يُؤْتَى بكم اليوم ، فتَذْبحُون للطواغيت ، أو يقتُلُكم ، فما شاء الله بعد ذلك ، فقال لهم مكسلمينا : يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقُوْن ، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدوّ الله ، ولا تُنكروا الحياة التى لا تبيد بعد إيمانكم بالله ، والحياة من بعد الموت ؛ ثم قالوا ليمليخا : انطلق إلى المدينة فتسمَّع ما يقال لنا بها اليوم ، وما الذى نُذكر به عند دقينوس ، وتلطَّف ، ولا يشعرنّ بنا أحد ، وابتغ لنا طعاما فأتنا به ، فإنه قد آن لك ، وزدنا على الطعام الذى قد جئتنا به ، فإنه قد كان قليلا ، فقد أصبحنا جياعا . ففعل يمليخا كما كان يفعل ، ووضع ثيابه ، وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ، وأخذ وَرِقا من نفقتهم التى كانت معهم ، التى ضُربت بطابَع دقينوس الملك . فانطلق يمليخا خارجا ؛ فلما مرّ بباب الكهف ، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف ، فعجب منها ، ثم مرّ فلم يبال بها ، حتى أتى المدينة مستخفيا يصدّ عن الطريق تخوّفا أن يراه أحد من أهلها ، فيعرفه ، فيذهب به إلى دقينوس ، ولا يشعر العبد الصالح أن دقينوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين ، أو ما شاء الله من ذلك ، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين ؛ فلما رأى يمليخا باب المدينة رفع بصره ، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان ، إذا كان ظاهرا فيها ؛ فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفيا إليها ، فنظر يمينا وشمالا ، فتعجب بينه وبين نفسه ، ثم ترك ذلك الباب ، فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها ؛ فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها ، ورأى على كلّ باب مثل ذلك ، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التى كان يعرف ، ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك ، فجعل يمشى ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذى أتى منه ، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول : يا ليت شعرى ؛ أما هذه عشية أمس ، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها ، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعلى حالم ، ثم يرى أنه ليس بنائم ؛ فأخذ كساءه

فجعله على رأسه ، ثم دخل المدينة ، فجعل يمشى بين ظهرى سوقها ، فيسمع أناسا كثيرا يحلفون باسم عيسى ابن مريم ، فزاده فرقا ، ورأى أنه حيران ، فقام مُسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول فى نفسه : والله ما أدرى ما هذا ؟ أما عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قُتل ؛ وأما الغداة فأسمعهم ، وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لايخاف ، ثم قال فى نفسه : لعلّ هذه ليست بالمدينة التى أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم ، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا . فقام كالحيران لايتوجه وجها ؛ ثم لقى فتى من أهل المدينة ، فقال له : ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ قال : اسمها أفسوس . فقال فى نفسه : لعلّ بى مسا ، أو بى أمر أذهب عقلى ، والله يحقّ لى أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبنى شرّ فأهلك ، هذا الذى يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به . ثم إنه أفاق فقال : والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بى لكان أكيس لى ، فدنا من الذين يبيعون الطعام . فأخرج الورق التى كانت معه ، فأعطاها رجلا منهم ، فقال : بعنى بهذه الورق ياعبد الله طعاما . فأخذها الرجل ، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها ، فعجب منها ، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه . فنظر إليها . ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ، ويتعجبون منها ، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا فى الأرض منذ زمان ودهر طويل ؛ فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا ، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه ، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه . وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم : أفضلوا علىّ ، فقد أخذتم ورقى فأمسكوا ، وأما طعامكم فلا حاجة لى به ، قالوا له : من أنت يافتى ، وما شأنك ؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأوّلين ، فأنت تريد أن تخفيه منا ، فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه ، نخفف عليك ما وجدت ، فانك إن لاتفعل نأت بك السلطان ، فنسلمك إليه فيقتلك . فلما سمع قولهم ، عجب فى نفسه فقال : قد وقعت فى كلّ شيء كنت أحذر منه ، ثم قالوا : يافتى إنك والله ماتستطيع أن تكتم ماوجدت ، ولا تظنّ فى نفسك أنه سيخفى حالك ، فجعل يمليخا لايدرى ما يقول لهم وما يرجع إليهم . وفَرِق حتى ما يحير إليهم جوابا ؛ فلما رأوه لايتكلم أخذوا كساءه فطوقوه فى عنقه ، ثم جعلوا يقودونه فى سكك المدينة ملببا ، حتى سمع به من فيها ، فقيل : أخذ رجل عنده كنز ، واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم ، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون : والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة ، وما رأيناه فيها قطّ ، ومانعرفه ؛ فجعل يمليخا لايدرى مايقول لهم ، مع مايسمع منهم ؛ فلما اجتمع عليه أهل المدينة ، فرق ، فسكت فلم يتكلم ، ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق ، وكان مستيقنا أنّ أباه وإخوته بالمدينة ، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها ، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا ، وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها ، وأنه لايعرف اليوم من أهلها أحدا ؛ فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله ، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم ، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسى المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها ، وهما رجلان صالحان ، كان اسم أحدهما أريوس ، واسم الآخر أسطيوس ؛ فلما

انطلق به إليهما ، ظن يمليخا أنه ينطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذى هربوا منه ، فجعل يلتفت يمينا وشمالا ، وجعل الناس يسخرون منه ، كما يسخر من المجنون والحيران ، فجعل يمليخا يبكى ، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله ، ثم قال : اللهم إله السموات والأرض ، أولج معى روحا منك اليوم تؤيدنى به عند هذا الجبار ، وجعل يبكى ويقول فى نفسه : فرق بينى وبين إخوتى ، يا ليتهم يعلمون ما لقيت ، وأنى يُذهب بى إلى دقينوس الجبار ، فلو أنهم يعلمون ، فيأتون ، فنقوم جميعا بين يدى دقينوس ، فإنا كنا تواثقنا لنكونن معا ، لانكفر بالله ولا نشرك به شيئا ، ولا نعبد الطواغيت من دون الله ، فرق بينى وبينهم ، فلن يرونى ولن أراهم أبدا ، وقد كنا تواثقنا أن لا نفترق فى حياة ولا موت أبدا ، يا ليت شعرى ما هو فاعل بى ؟ أقاتلى هو أم لا ؟ ذلك الذى يحدث به يمليخا نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم .

فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس ، فلما رأى يمليخا أنه لم يُذهب به إلى دقينوس أفاق وسكن عنه البكاء ؛ فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ، ثم قال أحدهما : أين الكنز الذى وجدت يافتى هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا ، فقال لهما يمليخا : ما وجدت كنزا ولكن هذه الورق ورق آبائى ، ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكن والله ما أدرى ما شأنى ، وما أدرى ما أقول لكم . فقال له أحدهما : ممن أنت ؟ فقال له يمليخا : ما أدرى ، فكنت أرى أنى من أهل هذه القرية ، قالوا : فمن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم أبيه ، فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه ؛ فقال له أحدهما : أنت رجل كذاب لاتنبئنا بالحق ، فلم يدر يمليخا ما يقول لهم ، غير أنه نكس بصره إلى الأرض ، فقال له بعض من حوله : هذا رجل مجنون ، فقال بعضهم : ليس بمجنون ، ولكنه يحمق نفسه عمدا لكى ينفلت منكم ؛ فقال له أحدهما ، ونظر إليه نظرا شديدا : أتظن أنك إذ تتجاهل نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك ، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة ، وإنما أنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا ، ونحن شمط كما ترى ، وحولك سُراة أهل المدينة ، وولاة أمرها ، إنى لأظننى سآمر بك فتعذب عذابا شديدا ، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدت ؛ فلما قال ذلك ، قال يمليخا : أنبئونى عن شىء أسألكم عنه ، فإن فعلتم صدقتكم عما عندى ، أرأيتم دقينوس الملك الذى كان فى هذه المدينة عشية أمس ما فعل ، فقال له الرجل : ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقينوس ، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل ، وهلكت بعده قرون كثيرة ، فقال له يمليخا : فوالله إنى إذا لحيران ، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول ، والله لقد علمت ، لقد فررنا من الجبار دقينوس ، وإنى قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس ، ولكن لا أدرى أمدينة أفسوس هذه أم لا ؟ فانطلقا معى إلى الكهف الذى فى جبل بنجلوس أريكم أصحابى . فلما سمع أريوس ما يقول يمليخا قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدى هذا الفتى ، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه ، كما قال : فانطلق معه أريوس وأسطيوس ، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم ، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم .

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يمليخا قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى به ،

ظنوا أنه قد أُخِذ فذُهب به إلى ملكهم دَقْيِنوس الذى هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوّفونه ، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دقينوس بعث إليهم ليُؤْتَى بهم ، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة ، وسلّم بعضهم على بعض ، وأوصى بعضهم بعضا ، وقالوا : انطلقوا بنا نأت أخانا يمليخا ، فإنه الآن بين يدى الجبار دقينوس ينتظر متى نأته . فبينما هم يقولون ذلك ، وهم جلوس بين ظهرى الكهف ، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف ، وسبقهم يمليخا ، فدخل عليهم وهو يبكى ؛ فلما رأوه يبكى بكوا معه ، ثم سألوه عن شأنه ، فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله ، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس ، وتصديقا للبعث ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ؛ ثم دخل على أثر يمليخا أريوس، فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة ، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب ، فقرأهما فوجد فيهما [1] : أن مكسلمينا ، ومحسلمينا ، ويمليخا ، ومرطونس ، وكسطونس ، ويبورس ، ويكرنوس ، ويطبيونس ، وقالوش ، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار ، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف ؛ فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم ، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرءوه ، عجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية للبعث فيهم ، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ، ثم دخلوا على الفتية الكهف ، فوجدوهم جلوسا بين ظهريه ، مُشرقة وجوههم ، لم تبل ثيابهم . فخرّ أريوس وأصحابه سجودا ، وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا ، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذى كانوا هربوا منه . ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيذوسيس ، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك ، وجعلها آية للعالمين ، لتكون لهم نورا وضياء ، وتصديقا بالبعث ، فاعجل على فتية بعثهم الله ، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة . فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر ، قام من المَسْنَدة التى كان عليها ، ورجع إليه رأيه وعقله، وذهب عنه همه ، ورجع إلى الله عزّ وجلّ ، فقال : أحمدك اللهمّ ربّ السموات والأرض ، أعبدك ، وأحمدك ، وأسبح لك ، تطوّلت علىّ ، ورحمتنى برحمتك ، فلم تطفئ النور الذى كنت جعلته لآبائى ، وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك . فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه ، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس ، فتلقاهم أهل المدينة ، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه ؛ فلما رأى الفتية تيذوسيس ، فرحوا به ، وخرّوا سجودا على وجوههم ؛ وقام تيذوسيس قدامهم ، ثم اعتنقهم وبكى ، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ، ويقول : والله ما أشبه بكم إلا الحواريون [2] حين رأوا المسيح ، وقال : فرج الله عنكم ، كأنكم الذين تُدْعَون فتحشَرون من القبور ، فقال الفتية لتيذوسيس : إنا نودّعك السلام ، والسلام عليك ورحمة الله ، حفظك الله ، وحفظ لك ملكك بالسلام ، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس ، فأمر بعيش من

---

(١) فى عدد هذه الأسماء ، وضبطها ، اختلاف كثير بين ناقليها . وهى فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، غير منقوطة .

(٢) فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير : « وما أشبه بكم إلا الحراد » ، ولعله تحريف عن الحواريين .

خَلْز ونشيل إن أسوأ ما سلك فى بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هوان إن أهين به[١] .

فبينما الملك قائم ، إذ رجعوا إلى مضاجعهم ، فناموا ، وتوفى الله أنفسهم بأمره . وقام الملك إليهم ، فجعل ثيابه عليهم ، وأمر أن يجعل لكلّ رجل منهم تابوت من ذهب؛ فلما أمسَوا ونام ، أتوه فى المنام ، فقالوا : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ، ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير ، فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه ؛ فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج ، فجعلوهم فيه ، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يُصَلَّى فيه ، وجعل لهم عيدا عظيما ، وأمر أن يؤتى كلّ سنة . فهذا حديث أصحاب الكهف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبى روّاد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : بعثهم الله : يعنى الفتية أصحاب الكهف ، وقد سلط عليهم ملك مسلم ، يعنى على أهل مدينتهم ؛ وسلّط الله على الفتية الجوع ، فقال قائل منهم (كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) قال : فردّوا علم ذلك إلى الله (قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ، فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ) وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذى كانوا فى زمانه (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) : أى بطعام (وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا) ، فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة ، فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدا ، فخرج ولا يعرفونه ، حتى انتهى إلى صاحب الطعام ، فسامه بطعامه ، فقال صاحب الطعام : هات ورقك ، فأخرج إليه الورق ، فقال : من أين لك هذا الورق ؟ قال : هذه ورقُنا وورق أهل بلادنا ، فقال : هيهات هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنين ، أنت أصبت كنزا ، ولست بتاركك حتى أرفعك إلى الملك ، فرفعه إلى الملك ، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون ، ففرح واستبشر ، وأظهر لهم أمره ، وأخبرهم خبر أصحابه ، فبعثوا إلى اللوح فى الخزانة ، فأتوا به ، فوافق ما وصف من أمرهم ، فقال المشركون : نحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبائنا ، وقال المسلمون : نحن أحقّ بهم ، هم مسلمون منا ، فانطلقوا معه إلى الكهف ؛ فلما أتوا باب الكهف قال : دعونى حتى أدخل على أصحابى حتى أبشرهم ، فإنهم إن رأوكم معى أرعبتموهم ، فدخل فبشَّرهم ، وقبض الله أرواحهم ، قال : وعمى الله عليهم مكانهم ، فلم يهتدوا ، فقال المشركون : نبنى عليهم بُنيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها . وقال المسلمون : نحن أحقّ بهم ، هم منا ، نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال : إن الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بيَّنا قبل ، لأن الله عزّ ذكره ، كذلك أخبر عباده فى كتابه ، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم ، ليتحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا ، ولم يشيبوا على مرّ الأيام والليالى عليهم ، ولم يهرَموا على كرّ الدهور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته فى الدنيا من

(١) العبارة من أول قوله : فأمر بعيش من خلر ونشيل . . . إلى هنا : ساقطة من هذا الخبر فى عرائس المجالس للثعلبى المفسر ص ٤٢٧ . والخلر : حب يقتات به ، قيل : هو الجلبان ؛ والنشيل : اللبن ساعة يحلب ، والعبارة فيما يظهر من بقية كلام أصحاب الكهف .

قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة ، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا ، فقال : (وكذلكَ أعْثَرْنا عَلَيْهِم لِيَعْلَمُوا أنَّ وَعْدَ الله حَقّ ، وأنَّ السَّاعَةَ لارَيْبَ فيها) .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض العراقيين (بِوَرِقِكُمْ هذِهِ) بفتح الواو وكسر الراء والقاف . وقرأ عامّة قرّاء الكوفة والبصرة (بوَرْقِكُمْ) بسكون الراء ، وكسر القاف . وقرأه بعض المكيين بكسر الراء ، وإدغام القاف فى الكاف ، وكلّ هذه القراءات متفقات المعانى ، وإن اختلفت الألفاظ منها ، وهنّ لغات معروفات من كلام العرب ، غير أن الأصل فى ذلك فتح الواو وكسر الراء والقاف ، لأنه الورق ، وما عدا ذلك فإنه داخل عليه طلب التخفيف . وفيه أيضا لغة أخرى وهو الوَرْق ، كما يقال للكَبِد كَبْد . فإذا كان ذلك هو الأصل ، فالقراءة به إلىّ أعجب ، من غير أن تكون الأخريان مدفوعة صحتهما ، وقد ذكرنا الرواية بأن الذى بُعث معه بالوَرِق إلى المدينة كان اسمه يمليخا .

وقد حدثنى عبيد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان عن مقاتل (فابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ) اسمه يمايخ .

وأما قوله (فَلْيَنْظُرْ أيُّها أزْكَى طَعاماً) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه فلينظر أىّ أهل المدينة أكثر طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن أبى حصين عن عكرمة (أيُّها أزْكَى طَعاما) قال : أكثر .

وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبى حُصَين ، عن عكرمة مثله ، إلا أنه قال : (أيُّهُ أكْثَرُ) .

وقال آخرون : بل معناه أيها أحلّ طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير : (أيُّها أزْكَى طَعاما) قال : أحلّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبى حصين ، عن سعيد ابن جبير ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : أيها خير طعاما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (أزْكَى طَعاما) قال : خير طعاما .

❊ وأولى الأقوال عندى فى ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : أحلّ وأطهر ، وذلك أنه **لا معنى فى اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما ، كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده**

أوجد ، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل ، فقد أمر بشراء الجيد ، كان ما عند المشترى ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا ، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر ، لأنه وجد العرب تقول : قد زكا مال فلان : إذا كثر ، وكما قال الشاعر :

قَبَائِلُنا سَبْعٌ وأَنْتُمْ ثَلاثَةٌ ... ولَلسَّبْعُ أَزْكَى مِنْ ثَلاثٍ وأَطْيَبُ[1]

بمعنى : أكثر ، وذلك وإن كان كذلك ، فإن الحلال الجيد وإن قلّ ، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر . وقيل (فَلْيَنْظُرْ أيُّها) فأضيف إلى كناية المدينة ، والمراد بها أهلها ، لأن تأويل الكلام : فلينظر أىّ أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام . وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم (أيُّها أزْكَى طَعَاما) : أيها أحلّ ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان ، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم .

وقوله (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) يقول : فليأتكم بقوت منه تقتاتونه ، وطعام تأكلونه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبي روّاد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ) قال : بطعام .

وقوله (وَلْيَتَلَطَّفْ) يقول : وليترفق فى شرائه ما يشترى ، وفى طريقه ودخوله المدينة (وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أحَدًا) يقول : ولا يعلمنّ بكم أحدا من الناس. وقوله (إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يعنون بذلك : دقينوس وأصحابه ؛ قالوا : إن دقينوس وأصحابه إن يظهروا عليكم ، فيعلموا مكانكم ، يرجموكم شتما بالقول .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (إنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) قال : يشتموكم بالقول ، يؤذوكم .

وقوله (أوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ) يقول : أو يردّوكم فى دينهم ، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان (وَلَنْ تُفْلِحُوا إذًا أبَدًا) يقول : ولن تدركوا الفلاح ، وهو البقاء الدائم والخلود فى الجنان ، إذن : أى إن أنتم عدتم فى ملتهم أبدا : أيام حياتكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾

(١) البيت للقتال الكلابي ، أنشده سيبويه فى (الكتاب ٢ : ١٨١) وهو من شواهد أبي عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٢٣٧ ، ٣٩٧) قال فى الموضع الثانى : « أيها أزكى طعاما » : أى أكثر ؛ قال : « قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة » ... البيت ، وقال فى الموضع الأول : ذكر ثلاثة ، ذهب به إلى بطن ، ثم أنثه ، لأنه ذهب به إلى قبيلة . قلت : والنحاة يجوزون فى اسم العدد التذكير والتأنيث ، إذا لم يذكر المعدود ، وهذا شاهد عليه . وفى (اللسان : زكا) : الزكاء ممدودا : النماء والريع . زكا يزكو زكاء وزكوا .

﴿ يقول تعالى ذكره : وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا ، ليتساءلوا بينهم ، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة ، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة (كَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ) يقول : كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا فى شك من قدرة الله على إحياء الموتى ، وفى مرية من إنشاء أجسام خلقه ، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى ، فيعلموا أن وعد الله حق ، ويوقنوا أن الساعة آتية لاريب فيها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ) يقول : أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث ، أن وعد الله حق ، وأن الساعة لاريب فيها .

وقوله (إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) يعنى : الذين أعثروا على الفتية يقول تعالى : وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين فى قيام الساعة ، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس ، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده ، فأبلاه فى قبره بعد مماته ، أمنشئهم هو أم غير منشئهم. وقوله (فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا) يقول : فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف : ابنوا عليهم بنيانا (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) يقول : ربّ الفتية أعلم بالفتية وشأنهم. وقوله (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) يقول جل ثناؤه : قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) .

وقد اختلف فى قائلى هذه المقالة ، أهم الرهط المسلمون ، أم هم الكفار ؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى ، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا) قال : يعنى عدوهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبد العزيز بن أبى روّاد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : عمّى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم ، فلم يهتدوا ، فقال المشركون : نبنى عليهم بنيانا ، فإنهم أبناء آبائنا ، ونعبد الله فيها ، وقال المسلمون : بل نحن أحق بهم ، هم منا ، نبنى عليهم مسجدا نصلى فيه ، ونعبد الله فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : سيقول بعض الخائضين فى أمر الفتية من أصحاب الكهف ، هم ثلاثة رابعهم

كلبهم ، ويقول بعضهم : هم خمسة سادسهم كلبهم (رجْماً بالغَيْبِ) : يقول : قذفا بالظنّ غير يقين علم ، كما قال الشاعر : وأجْعَلُ منّى الحَقّ غَيْبا مُرَجّما [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْما بالغَيْبِ) : أى قذفا بالغيب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (رَجْما بالغَيْبِ) قال : قذفا بالظنّ .

وقوله (وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) يقول : ويقول بعضهم : هم سبعة وثامنهم كلبهم (قُلْ رَبّى أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ) يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لقائلى هذه الأقوال فى عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب : (رَبّى أعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ) يقول : ما يعلم عددهم (إلاّ قَلِيلٌ) من خلقه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ) يقول : قليل من الناس .

وقال آخرون : بل عنى بالقليل : أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ) قال : يعنى أهل الكتاب . وكان ابن عباس يقول : أنا ممن استثناه الله ، ويقول : عدتهم سبعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ) قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم ، وأنا ممن استثنى الله .

---

(١) هذا عجز بيت لم أقف على قائله . وهو شاهد على أن معنى الرجم معناه : القول بالظن على غير يقين علم . قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٣٩٨) : « رجما بالغيب » : الرجم ما لم تستيقنه . وقال : ظن مرجم : لايدرى : أحق هو أم باطل ؟ قال زهير :

وَمَا الحَرْبُ إلاّ ما رأيتمْ وذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

وفى (اللسان : رجم) : والرجم : القول بالظن والحدس .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (ما يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَلِيلٌ) قال : كان ابن عباس يقول : أنا من القليل ، هم سبعة وثامنهم كلبهم .

وقوله (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا تمار يا محمد : يقول : لاتجادل أهل الكتاب فيهم ، يعنى فى عدّة أهل الكهف ، وحُذِفت العِدّة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ) قال : لاتمار فى عدّتهم .

وقوله (إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) اختلف أهل التأويل فى معنى المراء الظاهر الذى استثناه الله ، ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : هو ما قصّ الله فى كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم ، ولا يماريهم بغير ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : حَسْبُكَ ماقصصت عليك فلا تمار فيهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) : أى حسبك ماقصصنا عليك من شأنهم

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ) قال : حَسْبُكَ ما قصصنا عليك من شأنهم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) يقول : حَسْبُكَ ماقصصنا عليك .

وقال آخرون : المراء الظاهر : هو أن يقول ليس كما تقولون ، ونحو هذا من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا) قال : أن يقول لهم : ليس كما تقولون ، ليس تعلمون عدّتهم إن قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك ، فإنهم لايعلمون عدّتهم ، وقرأ (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ) حتى بلغ (رَجْمًا بالغَيْبِ) .

وقوله (وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدًا) يقول تعالى ذكره : ولا تستفت فى عدّة الفتية من

أصحاب الكهف منهم : يعنى من أهل الكتاب أحدا ، لأنهم لايعلمون عدتهم ، وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب : لايقينا من القول .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) قال : هم أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) من يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) : من يهود ، قال : ولا تسأل يهود عن أمر أصحاب الكهف ، إلا ما قد أخبرتك من أمرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) : من أهل الكتاب ، كنا نحدث أنهم كانوا بنى الركنا[1] . والركنا : ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفردوا بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على أصمختهم ، فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة بعدهم ، وكان ملكهم مسلما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لايجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لامحالة ، إلا أن يصله بمشيئة الله ، لأنه لايكون شىء إلا بمشيئة الله .

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتى قد ذكرناها فيما مضى اللواتى ، إحداهن المسئلة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم عنهن غد يومهم ، ولم يستثن ، فاحتبس الوحى عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة ، حتى حزنه إبطاؤه ، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن ، وعرف نبيه سبب احتباس الوحى عنه ، وعلمه ما الذى ينبغى أن يستعمل فى عداته وخبره عما يحدث من الأمور التى لم يأته من الله بها تنزيل ، فقال : (وَلَا تَقُولَنَّ) يامحمد (لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عن أمر أصحاب الكهف ، والمسائل التى سألوك عنها ، سأخبركم عنها غدا (إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ) . ومعنى الكلام : إلا أن تقول معه : إن شاء الله ، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه ، إذ

(١) الركنا : كذا بالقصر ، ولعل أصله الركناء بالمد ، جمع ركين ، وهو من الرجال : الوقور الرزين . أو هو القوى بعشيرته وكثرتها .

كان فى الكلام دلالة عليه . وكان بعض أهل العربية يقول : جائز أن يكون معنى قوله (إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ) استثناء من القول ، لا من الفعل كأن معناه عنده : لاتقولنّ قولا إلا أن يشاء الله ذلك القول ، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل أهل التأويل .

وقوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ) اختلف أهل التأويل فى معناه ، فقال بعضهم : واستثن فى يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك فى حال اليمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن هارون الحربىّ ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا هشيم ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى الرجل يحلف ، قال له : أن يستثنىَ ولو إلى سنة ، وكان يقول (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ) فى ذلك قيل للأعمش سمعتَه من مجاهد ، فقال : ثنى به ليث بن أبى سليم ، يرى ذهب كسائى هذا

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنّى فاعِلٌ ذلكَ غَدًا إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ) الاستثناء ، ثم ذكرت فاستثن .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، فى قوله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ) قال : بلغنى أن الحسن ، قال : إذا ذكر أنه لم يقل : إن شاء الله ، فليقل : إن شاء الله .

وقال آخرون : معناه : واذكر ربك إذا عصيت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، فى قول الله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ) قال : اذكر ربك إذا عصيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى سنان ، عن ثابت ، عن عكرمة ، مثله .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : واذكر ربك إذا تركت ذكره ، لأن أحد معانى النسيان فى كلام العرب الترك ، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل .

فإن قال قائل : أفجائز للرجل أن يستثنىَ فى يمينه إذ كان معنى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه ؟ قيل : بل الصواب أن يستثنى ولو بعد حِنْثه فى يمينه ، فيقول : إن شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله فى ذلك بهذه الآية ، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون استثناؤه موصولا بيمينه .

فإن قال : فما وجه قول من قال له : ثُنْياه ولو بعد سنة ، ومن قال له ذلك ولو بعد شهر ، وقول من قال ما دام فى مجلسه ؟ قيل : إن معناهم فى ذلك نحو معنانا فى أن ذلك له ، ولو بعد عشر سنين ، وأنه باستثنائه وقيله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه ، يسقط عنه الحرج الذى لو لم يقله كان له لازما ؛ فأما

---

(١) قوله « يرى : ذهب كسائى هذا » هكذا جاءت هذه العبارة فى الجزء الخامس عشر من النسخة المخطوطة رقم ١٠٠ الورقة ٤١١ والعبارة غامضة ، ولعل فيها تحريفا .

الكفارة فله لازمة بالحنث بكلّ حال ، إلا أن يكون استثناؤه كان موصولا بالحلف ، وذلك أنا لا نعلم قائلا قال ممن قال له الثُّنْيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفارة إذا حنث ، فى ذلك أوضح الدليل على صحة ما قلنا فى ذلك . وأن معنى القول فيه ، كان نحو معنانا فيه .

وقوله (وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) يقول عزّ ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل ولعلّ الله أن يهدينى فيسدّدنى لأسدّ مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون ، إن هو شاء .

وقد قيل : إن ذلك مما أُمر النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يقوله إذا نسى الاستثناء فى كلامه ، الذى هو عنده فى أمر مستقبل مع قوله : إن شاء الله ، إذا ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن محمد ، رجل من أهل الكوفة ، كان يفسر القرآن ، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد ، قال (وَلا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إنِّى فاعِلٌ ذلكَ غَدًا إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) قال فقال : وإذا نسى الإنسان أن يقول : إن شاء الله ، قال : فتوبته من ذلك ، أو كفّارة ذلك أن يقول (عَسَى أنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لأقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ ﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) فقال بعضهم : ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك كذلك ، واستشهدوا على صحة قولهم ذلك بقوله (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) وقالوا : لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر لبثهم فى الكهف ، لم يكن لقوله (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) وجه مفهوم ، وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) هذا قول أهل الكتاب ، فردّه الله عليهم فقال : (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ) قال فى حرف ابن مسعود (وَقالُوا : وَلَبِثُوا) يعنى أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال . ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب عن مطر الورّاق ، فى قول الله (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) قال : إنما هو شىء قالته اليهود ، فردّه الله عليهم وقال : (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) .

وقال آخرون : بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا فى كهفهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا) قال : عدد ما لبثوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، وزاد فيه (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عبدالعزيز بن أبى رواد ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : (ولَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا) قال : وتسع سنين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، بنحوه .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنى الأجلح ، عن الضحاك بن مزاحم . قال : نزلت هذه الآية (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ) فقالوا : أياما أو أشهرا أو سنين ؟ فأنزل الله (سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ) قال : بين جبلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عزّ ذكره : ولبث أصحاب الكهف فى كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله ، ليتساءلوا بينهم ، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ، ثلاث مئة سنين وتسع سنين ، وذلك أن الله بذلك أخبر فى كتابه . وأما الذى ذُكر عن ابن مسعود أنه قرأ (وَقالُوا : وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ) وقول من قال ذلك من قول أهل الكتاب ، وقد ردّ الله ذلك عليهم ، فان معناه فى ذلك : إن شاء الله كان أن أهل الكتاب قالوا فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا ثلاث مئة سنين وتسع سنين ، فردّ الله ذلك عليهم ، وأخبر نبيه أن ذلك قدر لبثهم فى الكهف من لدن أوَوا إليه إلى أن بعثهم ليتساءلوا بينهم ؛ ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم ، من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا ، لا يعلم بذلك غير الله ، وغير من أعلمه الله ذلك .

فان قال قائل : وما يدلّ على أن ذلك كذلك ؟ قيل : الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عن

قدر لبثهم فى كهفهم ابتداء : فقال(وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً) ولم يضع دليلا على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه ، وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان ، لأن ذلك لو جاز جاز فى كلّ أخباره ، وإذا جاز ذلك فى أخباره جاز فى أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره ، وذلك قلب أعيان الحقائق وما لايخيل فساده .

فإن ظنّ ظانّ أن قوله (قُلِ اللهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) دليل على أن قوله (ولَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ) خبر منه عن قوم قالوه ، فان ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لايحتمل من التأويل غيره ؛ فأما وهو محتمل ماقلنا من أن يكون معناه : قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة ، وما أشبه ذلك من المعانى فغير واجب أن يكون ذلك دليلا على أن قوله (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ) خبر من الله عن قوم قالوه ، وإذا لم يكن دليلا على ذلك ، ولم يأت خبر بأن قوله (وَلَبِثُوا فى كَهْفِهِمْ) خبر من الله عن قوم قالوه ، ولاقامت بصحة ذلك حكة يجب التسليم لها ، صحّ ماقلنا ، وفسد ماخالفه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ) بتنوين ثلاث مئة ، بمعنى : ولبثوا فى كهفهم سنين ثلاث مئة . وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة (ثَلاثَ مِئَةِ سِنِينَ) باضافة ثلاث مئة إلى السنين ، غير منوّن .

✻ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (ثلاثَ مِئَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) ، وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد ، وذلك كقولهم ثلاثمئة درهم ، وعندى مئة دينار ، لأن المئة والألف عدد كثير ، والعرب لاتفسر ذلك إلا بما كان بمعناه فى كثرة العدد ، والواحد يؤدّى عن الجنس ، وليس ذلك للقايل من العدد ، وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القايل موضع الكثير ، وليس ذلك بالكثير . وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع ، فانها تنوّن، فتقول : عندى ألفٌ دراهمُ ، وعندى مئةٌ دنانير ، على ما قد وصفت .

وقوله (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول تعالى ذكره : لله علم غيب السموات والأرض ، لايعزب عنه علم شيء منه ، ولا يخفى عليه شيء ، يقول : فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية فى الكهف إلى يومكم هذا ، فإن ذلك لايعلمه سوى الذى يعلم غيب السموات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار

وقوله (أبْصِرْ بِهِ وأسْمِعْ) يقول : أبصر بالله وأسمع ، وذلك بمعنى المبالغة فى المدح ، كأنه قيل : ما أبصره وأسمعه .

وتأويل الكلام : ما أبصر الله لكلّ موجود ، وأسمعه لكلّ مسموع ، لايخفى عليه من ذلك شيء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (أبْصِرْ بِهِ وأسْمِعْ) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، تبارك وتعالى !

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (أبْصِرْ بِهِ وأسْمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِىّ) قال : يرى أعمالهم ، ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا .

وقوله (ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِىّ) يقول جلّ ثناؤه : ما لخلقه دون ربهم الذى خلقهم ولىّ ، يلى

أمرهم وتدبيرهم ، وصرفهم فيما هم فيه مصرفون ، (وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) يقول : ولا يجعل الله فى قضائه ، وحكمه فى خلقه أحدا سواه شريكا ، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم ، وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا ، ولا تتركنّ تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وحرامه ، فتكون من الهالكين ، وذلك أن مصير من خالفه ، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم (لامُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ) يقول : لامغير لما أوعد بكلماته التى أنزلها عليك أهل معاصيه ، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذى أوحيناه إليك.

وقوله (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) يقول: وإن أنت يامحمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمّ به ، فنالك وعيد الله الذى أوعد فيه المخالفين حدوده ، لن تجد من دون الله موئلا تئل إليه ومعدلا تعدل عنه إليه ، لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه ، لايقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (مُلْتَحَدًا) قال أهل التأويل ، وإن اختلفت ألفاظهم فى البيان عنه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (مُلْتَحَدًا) قال : مَلْجَأً.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مُلْتَحَدًا) قال : ملجأ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال : موئلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مُلْتَحَدًا) قال : ملجأ ولا موئلا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال : لايجدون ملتحدا يلتحدونه ، ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم . والملتحد : إنما هو المفتعل من اللحد ، يقال منه : لحدت إلى كذا : إذا ملت إليه ؛ ومنه قيل للحد : لحد ، لأنه فى ناحية من القبر ، وليس بالشقّ الذى فى وسطه ، ومنه الإلحاد فى الدين ، وهو المعاندة بالعدول عنه ، والترك له .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَاصْبِرْ) يامحمد (نَفْسَكَ مَعَ) أصحابك (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ) بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها (يُرِيدُونَ) بفعلهم ذلك (وَجْهَهُ) لايريدون عرضا من عرض الدنيا ،

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ) فى سورة الأنعام ، والصواب من القول فى ذلك عندنا ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، والقرّاء على قراءة ذلك (بالغَدَاة والعَشِيّ) ، وقد ذُكر عن عبد الله بن عامر وأبى عبد الرحمن السلمى أنهما كانا يقرآنه بالغدوة والعشىّ ، وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة ، لأن غدوة معرّفة ، ولا ألف ولا لام فيها ، وإنما يعرّف بالألف واللام ما لم يكن معرفة ؛ فأما المعارف فلا تعرّف بهما ، وبعد ، فإن غدوة لاتضاف إلى شىء ، وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها ، لأن ما دخلته الألف واللام من الأسماء صلحت فيه الإضافة ؛ وإنما تقول العرب : أتيتك غداة الجمعة ، ولا تقول : أتيتك غدوة الجمعة ، والقراءة عندنا فى ذلك ما عليه القرّاء فى الأمصار لانستجيز غيرها لإجماعها على ذلك ، وللعلة التى بيّنا من جهة العربية .

وقوله (وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار ، ولا تجاوزهم إليه ، وأصله من قولهم : عدوت ذلك ، فأنا أعدوه : إذا جاوزته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : فى قوله (وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) قال : لاتجاوزهم إلى غيرهم .

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس : قوله (وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) يقول : لاتتعدّهم إلى غيرهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله واصْبِرْ نَفْسَكَ) . . . الآية ؛ قال : قال القوم للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إنا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا ، فجانبهم

يا محمد، وجالس أشراف العرب، فنزل القرآن (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) ولا تحقرهم، قال : قد أمرونى بذلك ، قال : (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطا) .

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أسامة بن زيد ، عن أبى حازم ، عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف ، أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض أبياته (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فخرج يلتمس ، فوجد قوما يذكرون الله ، منهم ثائر الرأس ، وجافّ الجلد ، وذو الثوب الواحد ، فلما رآهم جلس معهم ، فقال (« الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمَّتِي مَنْ أمرنى أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ » ورُفعت العينان بالفعل ، وهو لاتعد .

وقوله (تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةَ الدُّنْيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : لاتعدُ عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين ، تبغى بمجالستهم الشرف والفخر ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك ، وقال بعضهم : بل من عظماء قبائل العرب ممن لابصيرة لهم بالإسلام ، فرأوه جالسا مع خباب وصهيب وبلال ، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا ، قالوا : فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عليه (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) ثم كان يقوم إذا أراد القيام ، ويتركهم قعودا ، فأنزل الله عليه (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ . . . الآية)(وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا) يريد زينة الحياة الدنيا : مجالسة أولئك العظماء الأشراف . وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل فى سورة الأنعام .

حدثنى الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى، قال : ثنا أسباط بن نصر، عن السدى ، عن أبى سعيد الأزدى ، وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود ، عن خباب فى قصة ذكرها عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ذكر فيها هذا الكلام مدرجا فى الخبر (وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : تجالس الأشراف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرت أن عيينة ابن حصن قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم : لقد آذانى ريح سلمان الفارسى ، فاجعل لنا مجلسا منك لايجامعوننا فيه ، واجعل لهم مجلسا لانجامعهم فيه ، فنزلت الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذُكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبىّ الله صلى الله عليه وسلم : «الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ ».

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) قال : تريد أشراف الدنيا .

حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا الوليد بن عبد الملك، قال : ثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة بن عبد الله الجهنيّ ، عن عمه أبي مشجعة بن ربعي ، عن سلمان الفارسي ، قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن[1] ، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا : يا نبيّ الله ، إنك لو جلست في صدر المسجد ، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ، يعنون سلمان وأباذرّ وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف ، ولم يكن عليهم غيرها ، جلسنا إليك وحادثناك ، وأخذنا عنك ، فأنزل الله (وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لامُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ ، وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ، حتى بلغ (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نارًا) يتهدّدهم بالنار ، فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله ، فقال : « الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُمِتْنِي حَتى أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَ رِجالٍ مِنْ أُمَّتِي ، مَعَكُمُ المَحْيا وَمَعَكُمُ المَماتُ » .

وقوله (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : ولا تطع يامحمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ عنك ، عن ذكرنا ، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه ، وترك اتباع أمر الله ونهيه ، وآثر هوى نفسه على طاعة ربه ، وهم فيما ذُكر : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذووهم .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، عن أبي سعيد الأزدى ، عن أبي الكنود ، عن خباب (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا) قال عيينة ، والأقرع .

وأما قوله (وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وكان أمره ضياعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله (وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) قال ابن عمرو في حديثه قال : ضائعا . وقال الحرث في حديثه : ضياعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ضياعا .

وقال آخرون : بل معناه : وكان أمره ندما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن داود (فُرُطًا) قال : ندامة .

(١) في الأصل : عيينة بن بدر . والصواب : ابن حصن ، ولعله من سبق القلم . وقد ذكره صحيحا بعده بقليل .

وقال آخرون : بل معناه : هلاكا .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن عمرو ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، عن أبي سعيد الأزدى ، عن أبي الكنود ، عن خباب (وكانَ أمْرُهُ فُرُطا) قال : هلاكا .

وقال آخرون : بل معناه : خلافا للحق .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وكانَ أمْرُهُ فُرُطا) قال : مخالفا للحقّ ، ذلك الفُرُط .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ضياعا وهلاكا من قولهم : أفرط فلان فى هذا الأمر إفراطا : إذا أسرف فيه وتجاوز قدره ، وكذلك قوله (وكانَ أمْرُهُ فُرُطا) معناه : وكان أمر هذا الذى أغفلنا قلبه عن ذكرنا فى الرياء والكبر ، واحتقار أهل الإيمان ، سرفا قد تجاوز حدّه ، فَضَيَّع بذلك الحقّ وهلك .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبوبكر بن عياش ، قال : قيل له : كيف قرأ عاصم ؟ فقال (كانَ أمْرُهُ فُرُطا) قال أبو كريب : قال أبو بكر : كان عُيينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد لهولاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ، واتبعوا أهواءهم ، الحقّ أيها الناس من عند ربكم ، وإليه التوفيق والخذلان ، وبيده الهدى والضلال يهدى من يشاء منكم للرشاد ، فيؤمن ، ويضلّ من يشاء عن الهدى فيكفر ، ليس إليّ من ذلك شيء ، ولست بطارد لهواكم من كان للحقّ متبعا ، وبالله وبما أنزل عليّ مؤمنا ، فإن شئتم فآمنوا ، وإن شئتم فاكفروا ، فانكم إن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها ، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته ، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته .

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ) يقول : من شاء الله له الإيمان

آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر ، وهو قوله (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ) وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء ، والإيمان لمن أراد ، وإنما هو تهديد ووعيد .

وقد بين أن ذلك كذلك قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) والآيات بعدها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن عمر بن حبيب ، عن داود ، عن مجاهد ، فى قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) . قال : وعيد من الله ، فليس بمعجزى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) ، وقوله (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) قال : هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا . وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا) يقول تعالى ذكره : إنا أعددنا ، وهو من العُدّة . للظالمين : الذين كفروا بربهم .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : للكافرين. وقوله (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) يقول : أحاط سرادق النار التى أعدّها الله للكافرين بربهم ، وذلك فيما قيل : حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط ، وهى الحجرة التى تطيف بالفسطاط ، كما قال رؤبة :

يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بنَ الجارُودْ ... سُرادِقُ الفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ[1]

وكما قال سلامة بن جندل :

هُوَ المُولِجُ النُّعْمانَ بيْتا سَماؤُهُ ... صُدُورُ الفُيُولِ بعدَ بَيْتٍ مُسَرْدَقِ[2]

يعنى : بيتا له سرادق .

---

(١) البيتان من أرجوزة قصيرة سبعة أبيات لرؤبة فى (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ضمن الزوائد الملحقة بالديوان ، وهما الأول والخامس ، ص ١٧٢) . والبيتان من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٩٩) إلا أن رواية البيت الثانى فيه : « أنت الجواد بن الجواد المحمود » وبعده البيت الثانى . قال : « أحاط بهم سرادقها » : كسرادق الفسطاط ، وهى الحجرة التى تطيف بالفسطاط ؛ قال رؤبة : « ياحكم بن المنذر بن الجارود » وفى (اللسان : سردق) : السرادق : ما أحاط بالبناء ، والجمع : سرادقات . قال سيبويه : جمعوه بالتاء وإن كان مذكرا ، حين لم يكسر . وفى التنزيل : « أحاط بهم سرادقها » . فى صفة النار ، أعاذنا الله منها . قال الزجاج : صار عليهم سرادق من العذاب . والسرادق كل ما أحاط بالشىء ، نحو الشقة فى المضرب (الخيمة) أو الحائط المشتمل على الشىء .

(٢) البيت فى ديوان سلامة بن جندل السعدى التميمى (طبعة بيروت سنة ١٩١٠ ص ١٩) من قصيدة عدة أبياتها ثلاثون بيتا . قال أبو عمرو : كان كسرى حبس النعمان فى بيت فيه ثلاثة فيول ، والمسردق : ذو السرادق ، أو الذى عليه سرادق . وقال أبو عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٣٩٩) بعد أن أورد البيت : أى له سرادق . اهـ . وفى (اللسان : سردق) : وقد سردق البيت . قال سلامة ابن جندل : (وأورد البيت) . ثم قال : الجوهرى : السرادق : واحد السرادقات التى تمد فوق صحن الدار . وكل بيت من كرسف (قطن) فهو سرادق . قال رؤبة :

ياحكم بن المنذر بن الجارود ... أنت الجواد بن الجواد المحمود

سرادق المجد عليك ممدود

قال : وقيل : الرجز للكذاب الحرمازى .

ونسب الجوهرى بيت سلامة بن جندل إلى الأعشى ، وقال فى سببه : يذكر ابن وبر ، وقتله النعمان بن المنذر . (عن لسان العرب : سردق) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : هى حائط من نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عمن أخبره ، قال (أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) قال : دخان يحيط بالكفار يوم القيامة ، وهو الذى قال الله (ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ) .

وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك خبر يدلّ على أن معنى قوله (أَحَاطَ بِهِمْ سرادِقُها) أحاط بهم ذلك فى الدنيا ، وأن ذلك السرادق هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى العباس بن محمد والحسين بن نصر ، قالا : ثنا أبوعاصم ، عن عبد الله بن أمية ، قال : ثنى محمد ابن حيى بن يعلى ، عن صفوان بن يعلى ، عن يعلى بن أمية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ » قال : فقيل له : كيف ذلك ، فتلا هذه الآية ، أو قرأ هذه الآية (نارًا أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها) ثم قال : وَاللهِ لاأَدْخُلُها أَبَدًا أَوْ مادُمْتُ حَيًّا ، وَلا تُصِيبُنِى مِنْها قَطْرَةٌ .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا رشدين بن سعد ، قال : ثنى عمرو بن الحارث ، عن أبى السمح ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ ، كِثْفُ كُلّ وَاحِدٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبعِينَ سَنَةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُدُرٍ ، كِثْفُ كُلّ وَاحِدَةٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو ، عن دراج ، عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ماءٌ كالمُهْلِ ، قالَ كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، فإذَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سقط فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ » .

وقوله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) يقول تعالى ذكره : وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة فى النار من شدّة ما بهم من العطش ، فيطلبونَ الماء يُغاثوا بماء المُهْل .

واختلف أهل التأويل فى المهل ، فقال بعضهم : هو كلّ شىء أذيب وانماع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود فخدّ فى الأرض ، ثم قذف فيه من جزل حطب ، ثم قذف فيه تلك السقاية ، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه : ادع من يحضرنا من أهل الكوفة ، فدعا رهطا ، فلما

دخلوا عليه قال : أترون هذا ؟ قالوا : نعم ، قال : ما رأينا فى الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة ، حين أزبد وانماع .

وقال آخرون : هو القيح والدم الأسود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبى بزّة ، عن مجاهد فى قوله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : القيح والدم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ؛ جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : القيح والدم الأسود ، كعكر الزيت . قال الحرث فى حديثه : يعنى درديه .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَالْمُهْلِ) قال : يقول : أسود كهيئة الزيت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) ماء جهنم أسود ، وهى سوداء ، وشجرها أسود ، وأهلها سود .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) قال : هو ماء غليظ مثل دردىّ الزيت .

وقال آخرون : هو الشىء الذى قد انتهى حرّه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر وهارون بن عنترة ، عن سعيد بن جبير ، قال : المهل : هو الذى قد انتهى حرّه .

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها ، فمتقاربات المعنى ، وذلك أن كلّ ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّه ، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردىّ الزيت ، فقد انتهى أيضا حرّه .

وقد حُدثت عن معمر بن المثنى ، أنه قال : سمعت المنتجع بن نبهان يقول : والله لفلان أبغض إلىّ من الطلياء[1] والمهل ، قال : فقلنا له : وما هما ؟ فقال : الجرباء ، والملة التى تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت فى النار من النار ، كأنها سهلة[2] حمراء مدققة ، فهى أحمره ، فالمهل إذا هو كلّ مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره ، أو لم يكن مائعا ، فانماع بالوقود عليه ، وبلغ أقصى الغاية فى شدّة الحرّ .

وقوله (يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ) يقول : جلّ ثناؤه : يشوى ذلك الماء الذى يغاثون به وجوههم .

كما حدثنى محمد بن خلف العسقلانى ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : ثنا بقية ، عن صفوان بن

---

(١) يريد بالطلياء : الناقة الجرباء المطلية بالقطران أو الخضخاض . ويريد بالمهل : الملة إذا حميت جدا ورأيتها تموج .

(٢) السهلة ، بالكسر : تراب كالرمل أحمر يجىء به الماء (اللسان) .

ابن عمرو، عن عبد الله بن بُسْر، هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، في قوله (وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ) قال: يقرب إليه فيتكرّهه، فإذا قرب منه، شوى وجهه، ووقعت فَرْوة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، يقول الله (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ).

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالَقاني ويعمر بن بشر، قالا: ثنا ابن المبارك، عن صفوان، عن عبد الله بن بُسْر، عن أبي أمامة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر وهارون بن عنترة، عن سعيد بن جبير، قال هارون: إذا جاع أهل النار. وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن مارّا مارّ بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصبّ عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذى قد انتهى حرّه، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود.

وقوله (بِئْسَ الشَّرَابُ) يقول تعالى ذكره: بئس الشراب، هذا الماء الذى يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذى صفته ما وصف في هذه الآية. وقوله (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا، والمرتفَق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتفقت إذا اتكأت، كما قال الشاعر:

قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَقَتْ أَلَا فَتَى ... يَسُوقُ بِالقَوْمِ غَزَالاتِ الضُّحَى[1]

أراد: واتكأت على مرفقها، وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، كما قال أبو ذؤيب الهذليّ:

نَامَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ[2]

وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقا، وكان مجاهد يتأوّل قوله (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) يعني المجتمع.

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (مُرْتَفَقًا): أي مجتمعا.

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز، ذكرهما اللسان في: غزل. ورواية الأول منهما مختلفة عن رواية المؤلف، وهي: * دعت سليمى دعوة هل من فتى * وفي رواية أخرى: * ودعوة القوم ألا هل من فتى * وغزالة الضحى وغزالاته: بعد ما تنبسط الشمس وتضحى. ولا شاهد في البيت الأول على هاتين الروايتين.

(٢) البيت في ديوان أبي ذؤيب الهذلي طبع دار الكتب المصرية، (القسم الأول من ديوان الهذليين ص ١٠٤) وهو مطلع قصيدة له. وفيه «مشتجرا» في موضع «مرتفقا». ومشتجرا أي يشجر رأسه بيده، يريد أنه وضع رأسه على يديه، كما يشجر الثوب بالعود. وقال الأصمعي: الصاب: شجرة مرة لها لبن يمض العين إذا أصابها. ومذبوح: مشقوق. والذبح: الشق. ومرتفقا: واضعا مرفقه تحت رأسه. والبيت: من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١: ٤٠٠) وأوله: «إني أرقت فبت...». وقال: «ساءت مرتفقا»: أي متكئا. قال أبو ذؤيب... البيت.

حدثني يعقوب ، قال : ثنا معتمر ، عن ليث ، عن مجاهد (وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) قال : مجتمعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع فى كلام العرب ، وإنما الارتفاق : افتعال ، إما من المرفق ، وإما من الرفق .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بطاعة الله ، وانتهوا إلى أمره ونهيه ، إنا لانضيع ثواب من أحسن عملا ، فأطاع الله ، واتبع أمره ونهيه ، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار .

فإن قال قائل : وأين خبر « إنّ » الأولى ؟ قيل : جائز أن يكون خبرها قوله (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) فيكون معنى الكلام : إنا لانضيع أجر من عمل صالحا ، فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثانى بنية التكرير ، كما قيل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) بمعنى : عن قتال فيه على التكرير ، وكما قال الشاعر :

إنَّ الخَلِيفَةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الخَواتِيمُ (١)

ويروى : تُزْجَى ؛ وجائز أن يكون (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) جزاءا ، فيكون معنى الكلام : إن من عمل صالحا فإنا لانضيع أجره ، فتضمر الفاء فى قوله « إنّا » ؛ وجائز أن يكون خبرها : أولئك لهم جنات عدن ، فيكون معنى الكلام : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، أولئك لهم جنات عدن .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

(١) فى (اللسان : سربل) : السربال : القميص والدرع . وفى حديث عثمان : « لاأخلع سربالا سربلنيه الله » : كنى به عن الخلافة . واستشهد به المؤلف على أن التكرار فى قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع . . . الآية » له نظير فى قول الشاعر : « إن الخليفة إن الله سربله . . . » . البيت . وقد بين وجهى الإعراب فى المكرر . والبيت من شواهد الفراء فى (معانى القرآن : الورقة ١٨٥ من مصورة الجامعة) قال : خبر الذين آمنوا فى قوله : إنا لانضيع وهو مثل قول الشاعر : إن الخليفة . . . البيت ، فإنه فى المعنى : إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا . فترك الكلام الأول ، واعتمد على الثانى ، بنية التكرير . كما قال : « يسئلونك عن الشهر الحرام » ، ثم قال : « قتال فيه » يريد : عن قتال فيه ، بالتكرير ويكون أن تجعل « إن الذين آمنوا وعملوا » فى مذهب جزاء ، كقولك : إن من عمل صالحا فإنا لانضيع أجره ، فتضمر الفاء فى قوله « فإنا » ، وإلقاؤها جائز ، وهو أحب الوجوه إلى .

❊ يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتُ عدن ، يعني بساتين إقامة في الآخرة . (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) يقول تجرى من دونهم ومن أيديهم الأنهار وقال جلّ ثناؤه : من تحتهم ، ومعناه : من دونهم وبين أيديهم ، (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) يقول : يلبسون فيها من الحلىّ أساور من ذهب ، والأساور : جمع إسوار .

وقوله (يَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ) والسندس : جمع واحدها سندسة ، وهى ما رقّ من الديباج . والإستبرق : ما غلظ منه وثَخُن ؛ وقيل : إن الإستبرق : هو الحرير ؛ ومنه قول المرقّش :

تَرَاهُنَّ يَلْبَسْنَ المَشَاعِرَ مَرَّةً وإسْتَبْرَقَ الدِّيباجِ طَوْرًا لِباسُها[١]

يعنى : وغليظ الديباج .

وقوله (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ) يقول : متكئين فى جنات عدن على الأرائك ، وهى السُّرُر فى الحِجال ، واحدتها : أريكة ؛ ومنه قول الشاعر :

خُدُودًا جَفَتْ فى السَّيْرِ حتى كأنَّما يُباشِرْنَ بالمَعْزاءِ مَسَّ الأرائِكِ[٢]

ومنه قول الأعشى :

بينَ الرِّوَاقِ وجانِبٍ مِنْ سِتْرِها مِنْها وبينَ أريكَةِ الأنْضادِ[٣]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : فى قوله (عَلَى الأَرَائِكِ) قال : هى الحجال . قال معمر ، وقال غيره : السرر فى الحجال .

وقوله (نِعْمَ الثَّوَابُ) يقول : نعم الثواب جنات عدن ، وما وصف جلّ ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) يقول : وحسُنت هذه الأرائك فى هذه الجنان التى وصف تعالى ذكره فى هذه الآية متكأ . وقال جلّ ثناؤه (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) فأنث الفعل بمعنى : وحسنت هذه الأرائك مرتَفَقا . ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صوابا ، لأن نِعْمَ وبِئْسَ إنما تدخلهما العرب فى الكلام لتدلا على المدح والذمّ لا للفعل ، فلذلك تذكرهما مع المؤنث ، وتوحّدهما مع الاثنين والجماعة .

---

(١) البيت للمرقش . المشاعر : جمع مشعر ، وهو الشعار الذى يلى جسد الإنسان من الثياب ، دون ما سواه . وفى الحديث ذكر الأنصار : هم الشعار دون الدثار ، يصفهم بالمودة والقرب . وقد فسر المؤلف الإستبرق والديباج . والبيت شاهد على معنى الإستبرق .

(٢) البيت لذى الرمة (ديوانه طبع كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٢) وقبله قوله :

إذا وَقَعُوا وَهْنًا كَسَوْا حَيْثُ مَوَّتَتْ مِنَ الجَهْدِ أنْفاسُ الرِّياحِ الحَوَاشِكِ

وقوله خدودا : مفعول كسوا فى البيت قبله . والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك ، وهى الأسرة ، الواحد سرير . أى صيروا المكان الذى ناموا فيه كسوة للخدود . وفى (اللسان : أرك) قال المفسرون : الأرائك : السرر فى الحجال . وقال الزجاج : الأرائك الفرش فى الحجال ، وقيل هى الأسرة ، وهى فى الحقيقة الفرش كانت فى الحجال ، أو فى غير الحجال . وقيل : الأريكة : سرير منجد مزين فى قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة .

(٣) البيت لم أجده فى ديوان الأعشى ميمون ، ولا فى سائر أشعار العشى الملحقة به ، إنما وجدت بيتين اثنين من وزنه وقافيته ، ص ٢٤٥ طبعة الدكتور محمد حسين بالقاهرة . ولم أجد غيرها . والرواق ، بضم الراء المشددة وكسرها : الخيمة . والبيت شاهد كالذى قبله ، على أن معنى الأرائك : السرر فى الحجال ، وأن واحدتها : أريكة . والأنضاد : جمع نضد بالتحريك ، وهو ما نضد من متاع البيت ، وجعل بعضه فوق بعض .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب يامحمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، (مَثَلاً) مثل (رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأحَدِهِما جَنَّتَيْنِ) أي جعلنا له بساتين من كروم (وحَفَفْنَاهُما بنَخْلٍ) يقول: وأطفنا هذين البستانين بنخل. وقوله (وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعا) يقول: وجعلنا وسط هذين البستانين زرعا. وقوله (كِلْتا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها) يقول: كلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع. وقال: كلتا الجنتين. ثم قال: آتت. فوحّد الخبر؛ لأن كلتا لايفرد واحدتها؛ وأصله كلّ؛ وقد تفرد العرب كلتا أحيانا. ويذهبون بها وهي مفردة إلى التثنية؛ قال بعض الرُّجاز في ذلك:

فِي كِلْتَ رِجْلَيْها سُلامَى وَاحِدَهْ ... كِلْتاهُما مَقْرُونَةٌ بِزَائِدَهْ[1]

يريد بكلت: كلتا. وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل إذا أضيفت إلى معرفة؛ وجاء الفعل بعدهن ويجمع ويوحد. وقوله (وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) يقول: ولم تنقص من الأكل شيئا؛ بل آتت ذلك تاما كاملا ومنه قولهم: ظلم فلان فلانا حقه: إذا بخسه ونقصه؛ كما قال الشاعر:

تَظَلَّمَنِي مالِي كَذَا وَلَوَى يَدِي ... لَوَى يَدَهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غالِبُهْ[2]

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٨٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩) قال: وقد تفرد العرب إحدى «كلتي» (كتبها بالياء للإمالة). وهو من شواهد النحويين على أن «كلت» أصلها «كلتا»، حذفت ألفها للضرورة، وفتحة التاء دليل عليها (خزانة الأدب للبغدادي ١ : ٦٢) وقال: رأيت في حاشية الصحاح أن هذا البيت من رجز يصف به نعامة، فضمير رجليها عائد على النعامة. والسلامى: على وزن حبارى عظم في فرسن البعير، وعظام صغار طول إصبع أو أقل في اليد والرجل. والجمع: سلاميات والفرسن: بمنزلة الحافر للفرس. والضمير في كلتاهما للرجلين. ثم قال: استدلالهم بهذا البيت على الإفراد يرد معناه؛ فإن المعنى على التثنية، بدليل تأكيده بالمصراع الثاني، فتأمل. وقال أبو حيان في تذكرته: هذا البيت من اضطرار الشعراء، وكلت ليس بواحد كلتا، بل هو جاء بمعنى كلا، غير أنه أسقط الألف اعتمادا على الكسرة التي قبلها وعملا على أنها تكفي من الألف الممالة إلى الياء؛ وما من الكوفيين أحد يقول: كلت واحدة كلتا، ولايدعي أن لكلا وكلتا واحدا منفردا في النطق مستعملا؛ فإن ادعاه عليه مدع فهو تشنيع وتفحيش من الخصوم على قول خصومهم. انتهى.

(٢) البيت من أبيات تسعة لفرعان بن الأعرف في ابنه منازل (الحماسة بشرح التبريزي ٤ : ٩) وأوله: «تغمد حق ظالما ولوى يدي». وتغمد حقي: ستره. وهو في معنى: «تظلمني مالي» ولوى يدي: أي فتلها وأزالها عن حالها وهيئتها. وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٤٠٢) قال: «ولم تظلم منه شيئا»: ولم تنقص. ويقال: ظلمني فلان حقي، أي نقصني. وقال رجل لابنه: «تظلمني مالي كذا... الخ».

ورواية البيت في اللسان: «تظلم مالي هكذا.... » البيت. ولم ينسبه. وقال قبله: وظلمه حقه، وتظلمه إياه. يريد أنهما بمعنى.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) : أى لم تنقص منه شيئا .

وقوله (وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَرًا) يقول تعالى ذكره : وَسيَّلنا خلال هذين البستانين نهرا ، يعنى بينهما وبين أشجارهما نهرا . وقيل (وَفَجَّرْنا) فثقل الجيم منه ؛ لأن التفجير فى النهر كله ، وذلك أنه يميد ماء فيُسيل بعضه بعضا .

وقوله (وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (وَكانَ لَهُ ثُمُرٌ) بضمّ الثاء والميم . واختلف قارئو ذلك كذلك ، فقال بعضهم : كان له ذهب وفضة ، وقالوا : ذلك هو الثمر ، لأنها أموال مثمرة ، يعنى مكثّرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ (وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ) قال ذهب وفضة ؛ وفى قول الله عزّ وجلّ (بِثُمُرِهِ) قال : هى أيضا ذهب وفضة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (ثَمَرٌ) قال : ذهب وفضة . قال : وقوله (وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ) هى هى أيضا .

وقال آخرون : بل عُنِى به : المال الكثير من صنوف الأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، عن سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة ، قال : قرأها ابن عباس (وَكانَ لَهُ ثُمُرٌ) بالضمّ ، وقال : يعنى أنواع المال .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (وَكانَ لَهُ ثُمُرٌ) يقول : مال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَكانَ لَهُ ثُمُرٌ) يقول : من كلّ المال .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ) قال : الثمر من المال كله يعنى الثمر ، وغيره من المال كله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « الثُّمُر » المال كله ، قال : وكلّ مال إذا اجتمع فهو ثُمُر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله .

وقال آخرون : بل عنى به الأصل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ) الثمر الأصل . قال (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) قال : بأصله . وكأنّ الذين وجّهوا معناها إلى أنها أنواع من المال ، أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر ، كما يجمع الكتاب كتبا . والحمار حمرا . وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة (ثُمْرٌ) بضمّ الثاء وسكون الميم : وهو يريد الضمّ فيها ، غير أنه سكنها طلب التخفيف . وقد يحتمل أن يكون أرادبها جمع ثمرة ، كما تجمع الخشبة خشبا . وقرأ ذلك بعض المدنيين (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم ، بمعنى جمع الثّمرة ، كما تجمع الخشبة خشبا . والقصبة قصبا .

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ (وَكَانَ لَهُ ثُمُرٌ) بضمّ الثاء والميم لإجماع الحجة من القرّاء عليه وإن كانت جمع ثمار ، كما الكتب جمع كتاب .

ومعنى الكلام (وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ) منهما (ثُمُرٌ) بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه ، قوله (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) ثم قال : وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر .

وقوله (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يقول عزّ وجلّ : فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ، لصاحبه الذي لامال له وهو يخاطبه (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) يقول : وأعزّ عشيرة ورهطا ، كما قال عيينة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن سادات العرب ، وأرباب الأموال ، فنحّ عنا سلمان وخبّابا وصهيبا احتقارا لهم ، وتكبرا عليهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) وتلك والله أمنية الفاجر : كثرة المال ، وعزّة النفر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝٣٦ ﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب (دَخَلَ جَنَّتَهُ) وهي بستانه (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) وظلمه نفسه : كفره بالبعث ، وشكه في قيام الساعة ، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى ، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه . وقوله (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا) يقول جلّ ثناؤه قال لما عاين جنته ، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكا في المعاد إلى الله : ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا ، ولا تفنى ولا تخرب ، وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث ، ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه ، فقال (وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي) فرجعت إليه ، وهو غير موقن أنه

راجع إليه (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) يقول : لأجدنّ خيرا من جنّتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردّا ، يقول : لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) قال : شكّ ، ثم قال : (وَلَئِنْ) كان ذلك ثم (رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خير من ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، قَالَ : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا. وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) كفور لنعم ربه ، مكذّب بلقائه ، متمنّ على الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقلّ منه مالا وولدا . (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) : يقول : وهو يخاطبه ويكلمه (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) يعني خلق أباك آدم من تراب (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) يقول : ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ، (ثم سوّاك رَجُلًا) يقول : ثم عدّلك بشرا سويا رجلا ، ذكرا لا أنثى : يقول : أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا (لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي) يقول : أما أنا فلا أكفر بربي ، ولكن أنا هو الله ربي ، معناه أنه يقول : ولكن أنا أقول : هو الله ربي (وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) . وفي قراءة ذلك وجهان : أحدهما لكنّ هو الله ربي بتشديد النون وحذف الألف في حال الوصل ، كما يقال : أنا قائم فتحذف الألف من أنا . وذلك قراءة عامة قرّاء أهل العراق . وأما في الوقف فإن القرأة كلها تثبت فيها الألف ، لأن النون إنما شدّدت لاندغام النون من لكن ، وهي ساكنة في النون التي من أنا ، إذ سقطت الهمزة التي في أنا . فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا ، فقيل : لكنا ، لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا باسقاطها . وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز : (لَكِنَّا) باثبات الألف في الوصل والوقف ، وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

أنا سَيْفُ العَشِيرَةِ فاعْرِفُونِي ‏ ‏ ‏ حُمَيْدًا قد تَذَرَّيْتُ السَّنَامَا(١)

(١) البيت : من شواهد النحويين ، على أن ثبوت ألف « أنا » في الوصل عند غير بني تميم لا يكون إلا في ضرورة الشعر . (خزانة الأدب للبغدادي ٢ : ٣٩٠) ثم قال : قال ابن جني في شرح تصريف المازني : أما الألف في « أنا » في الوقف فزائدة ، ليست بأصل ؛ ألا ترى أنك تقول في الوصل : أن زيد ، كما قال تعالى : « إني أنا ربك » تكتب بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل ، كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل وبينت الحركة بالألف كما بينت بالهاء ، لأن الهاء مجاورة للألف . اهـ . و «حميدا» : بدل من الياء في اعرفوني ، يروى مصغرا ومكبرا . وفي الصحاح : « =

فأثبت الألف فى أنا ، فليس ذلك بالفصيح من الكلام . والقراءة التى هى القراءة الصحيحة عندنا ما ذكرنا عن العراقيين . وهو حذف الألف من « لكنّ » فى الوصل ، وإثباتها فى الوقف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾

يقول عزّ ذكره : وهلا إذ دخلت بستانك . فأعجبك ما رأيت منه ، قلت ما شاء الله كان ، وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه . وهو جواب الجزاء . وذلك كان .

وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذى قلنا كانت « ما » نصبا بوقوع فعل الله عليه ، وهو شاء ؛ وجاز طرح الجواب ، لأن معنى الكلام معروف . كما قيل : فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض، وترك الجواب ، إذ كان مفهوما معناه . وكان بعض أهل العربية يقول « ما » من قوله (ما شاءَ اللهُ) فى موضع رفع بإضمار هو ، كأنه قيل : قلت هو ما شاء الله (لا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) يقول : لا قوّة على ما نحاول من طاعته إلا به . وقوله (إنْ تَرَنِ أنا أقَلَّ مِنْكَ مالاً وَوَلَدًا) وهو قول المؤمن الذى لا مال له ، ولا عشيرة ، مثل صاحب الجنتين وعشيرته ، وهو مثل سَلْمان وصُهَيب وَخباب ، يقول : قال المؤمن للكافر : إن ترن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالا وولدا ، فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل ، وبه القراءة عندنا ، لأن عليه قراءة الأمصار ، وإذا جعلته اسما رفعت أقل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب فى قيام الساعة : إن تَرَن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالا وولدا فى الدنيا ، فعسى ربى أن يرزقنى خيرا من بستانك هذا (وَيُرْسِلَ عَلَيْها) يعنى على جنة الكافر التى قال لها : ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا (حُسْبانا مِنَ السَّماءِ) يقول : عذابا من السماء ترمى به رميا ، وتقذف . والحُسبان : جمع حُسْبانة . وهى المرامى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

= جيما » فى موضع « جيدا » . وتذريت السنام : علوته . ونسب ياقوت هذا البيت فى حاشية الصحاح إلى حميد بن بحدل ، شاعر . وهو حميد بن حريث بن بحدل ، من بنى كلب بن وبرة ، ينتهى نسبه إلى قضاعة . وهو شاعر إسلامى ، كانت عمته ميسون بنت بحدل ، أم يزيد بن معاوية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) عذابا .

حُدثت عن محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : عذابا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) . قال : عذابا ، قال : الحُسبان : قضاء من الله يقضيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قال : الحُسبان : العذاب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ) قال : عذابا.

وقوله (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) يقول عزّ ذكره : فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لاشىء فيها قد ذهب كلّ ما فيها من غَرْس ونبت ، وعادت خرابا بلاقع ، زَلَقا ، لايثبت فى أرضها قدم لاملساسها ، ودروس ما كان نابتا فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) : أى قد حُصِد ما فيها فلم يُتْرك فيها شىء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) قال : مثل الجُرُز .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) قال : صعيدا زلقا وصعيدا جُرُزا واحد ليس فيها شىء من النبات .

وقوله (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) يقول : أو يصبح ماؤها غائرا ، فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر ، كما قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيادُهُ نَوْحًا عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونا[1]

بمعنى نائحة ؛ وكما قال الآخر :

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِهِما سِجاما ضُباعَ وجاوِبِي نَوْحًا قِياما[2]

---

(١) البيت لعمرو بن كلثوم فارس تغلب وسيدها ، من معلقته المشهورة ورواية الشطر الأول منه فى شرح التبريزى والزوزنى وجمهرة أشعار العرب طبع القاهرة : « تركنا الخيل عاكفة عليه » .

قال الزوزنى : الصفون : جمع صافن . وقد صفن الفرس يصفن صفونا : إذا قام على ثلاث ، وثنى سنبكه الرابع . يقول : قتلناه ، وحبسنا خيلنا عليه ، وقد قلدناها أعنتها فى حال صفونها عنده . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٤٠٣) قال : « أو يصبح ماؤها غورا » أى غائرا . والعرب قد تصف الفاعل بمصدره ، وكذلك الاثنين والجمع ، على لفظ المصدر قال عمرو بن كلثوم « تظل جياده نوحا عليه » . . . البيت : أى نائحات .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٤٠٤) قال بعد الشاهد السابق : وقال باك يبكى هشام بن المغيرة : « هريقى ... البيت » قال محققه لعله هشام بن عقبة بن عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى . اهـ . والشاهد فيه كالشاهد فى البيت الذى قبله ، يريد بقوله « نوحا » : نائحات ، وهذا فى المصدر كثير . وضباع مرخم ضباعة : اسم امرأة .

والعرب توحد الغَوْر مع الجمع والاثنين . وتذكر مع المذكر والمؤنث ، تقول : ماء غور ، وماءان غَوْر ومياه غَوْر . ويعني بقوله (غَوْرًا) ذاهبا قد غار في الأرض : فذهب فلا تلحقه الرِّشاء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) : أي ذاهبا قد غار في الأرض . وقوله (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) يقول : فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غَوْره ، بطلبك إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره : وأحاط الهلاك والجوائح بثمره ، وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها : (ما أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَدًا) فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين ، يقلب كفَّيه ظهرا لبطن ، تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها) يقول : وهي خالية على نباتها وبيوتها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) : أي يصفق (كفيه على ما أنْفَقَ فِيها) متلهفا على مافاته ، (وَ) هو (يقول يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحَدًا) ويقول : يا ليتني . يقول : يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا ، يعني بذلك : هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله ، ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فِئَة ، وهم الجماعة ؛ كما قال العَجَّاج :

كَمَا يَحُوزُ الفِئَةُ الكَمِيّ (١)

(١) البيت للعجاج من أرجوزة له مطولة (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ ص ١٨٤) وقبله :

* يحوذهن وله حوذي * خوف الخلاط وهو أجنبي * كما يحوذ الفئة الكمي *

وقال في شرحه : ويحوذ : يسوق ويطرد . وله حوذي : أي له ما يطردهن به . والكمي : الشجاع . وأجنبي : أي مجانب لمن يتخوف ، لايمكنهن من نفسه . اهـ . و (في اللسان : حوذ) حاذ الإبل يحوذها : إذا حازها وجمعها ليسوقها . وحاذه يحوذه حوذا : غلبه ، وحاذ الحمار أتنه : إذا استولى عليها وجمعها ، وكذلك حازها . والفئة : الفرقة والجماعة من الناس في الأصل ، والطائفة التي تقيم وراء الجيش ، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجئوا إليهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وإن خالف بعضهم فى العبارة عنه عبارتنا ، فإن معناهم نظير معنانا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله عزّ وجلّ (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : عشيرته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) : أى جند ينصرونه . وقوله (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله إذا عاقبه وعذّبه .

وقوله (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) يقول : ولم يكن ممتنعا من عذاب الله إذا عذّبه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) : أى ممتنعا .

وقوله (هُنَالِكَ الوَلايَةُ لِلهِ الحَقِّ) يقول عزّ ذكره : ثم وذلك حين حلّ عذاب الله بصاحب الجنتين فى القيامة .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله الولاية ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة (هُنَالِكَ الوَلايَةُ) بفتح الواو من الولاية ، يعنون بذلك هنالك الموالاة لله ، كقول الله (اللهُ وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا) وكقوله (ذلكَ بأنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) يذهبون بها إلى الوَلاية فى الدين . وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة (هُنالِكَ الوِلايَةُ) بكسر الواو : من المُلْك والسلطان ، من قول القائل : وَلِيتُ عمل كذا ، أو بلدة كذا أليه ولاية .

وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ بكسر الواو ، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن مُلكه وسلطانه ، وأن من أحلّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التى لم يجر لها ذكر ولا معنى ، لقول من قال : لا يسمّى سلطان الله ولاية ، وإنما يسمى ذلك سلطان البشر ، لأن الولاية معناها أنه يلى أمر خلقه منفردا به دون جميع خلقه ، لا أنه يكون أميرا عليهم .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله (الحَقِّ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والعراق خفضا ، على توجيهه إلى أنه من نعت الله ، وإلى أن معنى الكلام : هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته ، لا الباطل بطول[1] ألوهيته التى يدعونها المشركون بالله آلهة . وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخرى الكوفيين (لِلهِ الحَقُّ) برفع الحقّ توجيها منهما إلى أنه من نعت الولاية ، ومعناه : هنالك الولاية الحقّ ، لا الباطل لله وحده لا شريك له .

---

١) لعل كلمة « بطول » هذه مقحمة من قلم الناسخ ، وأن الأصل : لا الباطل ألوهيته . . . الخ .

وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب . قراءة من قرأه خفضا على أنه من نعت الله ، وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه كذلك .

وقوله (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) يقول عزّ ذكره : خير للمنيبين فى العاجل والآجل ثوابا (وخَيْرٌ عُقْبًا). يقول : وخيرهم عاقبة فى الآجل إذا صار إليه المطيع له . العامل بما أمره الله . والمنتهى عما نهاه الله عنه ، والعقب هو العاقبة . يقال : عاقبة أمر كذا وعُقْباه وعُقُبه . وذلك آخره وما يصير إليه منتهاه .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء الكوفة (عُقْبا) بضم العين وتسكين القاف[1] .

والقول فى ذلك عندنا . أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار بمعنى واحد . فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك : اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ ، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلا : يقول : شبها (كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) يقول : كمطر أنزلناه من السماء (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ) يقول : فاختلط بالماء نبات الأرض (فَأَصْبَحَ هَشِيمًا) يقول : فأصبح نبات الأرض يابسا متفتتا (تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) يقول تطيره الرياح وتفرّقه ، يقال منه : ذَرَته الريح تَذْرُوه ذَرْوًا ، وذَرَته ذَرْيا ، وأذرته تُذْرِيه إذراء ؛ كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُ صَوِّبْ وَلا تُجْهِدَنَّهُ فَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطَاةِ فَتَزْلَقِ[2]

يقال : أذريت الرجل عن الدابة والبعير : إذا ألقيته عنه .

وقوله (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) يقول : وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته (ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) وإهلاك أموال ذى الأموال الباخلين بها عن حقوقها . وإزالة دنيا الكافرين به عنهم ، وغير ذلك مما يشاء قادر ، لا يعجزه شيء أراده ، ولا يعييه أمر أراده . يقول : فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله ، ولا يستكبر على غيره بها ، ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم . فإنما مثلها مثل هذا النبات الذى حسُن استواؤه بالمطر ، فلم يكن إلا ريْثَ أن انقطع

(١) سقط من قلم الناسخ القراءة الثانية ، وهى : عقبا ، بضم العين والقاف .

(٢) البيت لامرئ القيس بن حجر (مختار الشعر الجاهلى طبعة مصطفى البابى الحلبى بشرح مصطفى السقا ص ١٢٥) قال فى شرحه : فيذرك : يصرعك ويلقك ؛ يقال : أذريت الشيء عن الشيء : إذا ألقيته . والقطاة : مقعد الرديف . يقول : قلت للغلام : صوب الفرس نحو القصد ؛ وخذ عفوه ، ولا تحمله على سرعة العدو ؛ فيلقيك من آخر القطاة . ويروى : من أعلى القطاة .

عنه الماء ، فتناهى نهايته ، عاد يابسا تذروه الرياح ، فاسدا ، تنبو عنه أعين الناظرين ، ولكن ليعمل للباقى الذى لا يفنى ، والدائم الذى لا يبيد ولا يتغير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

يقول تعالى ذكره : المال والبنون أيها الناس التى يفخر بها عيينة والأقرع ، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب ، مما يتزين به فى الحياة الدنيا ، وليسا من عداد الآخرة (والباقياتُ الصَّالحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابا) يقول : وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله . ودعاؤهم ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ، الباقى لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا ، خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التى يفتخر هؤلاء المشركون بها ، التى تفنى ، فلا تبقى لأهلها (وخَيْرٌ أمَلاً) يقول : وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب ، خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما . وهذه الآيات من لدن قوله (وَاتْلُ ما أُوحِىَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ) إلى هذا الموضع ، ذُكر أنها نزلت فى عيينة والأقرع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عمرو العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، بن نصر ، عن السدىّ ، عن أبى سعيد الأزدى ، وكان قارئ الأزد عن أبى الكنود ، عن خباب فى قوله (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَداةِ والعَشِيِّ) ثم ذكر القصة التى ذكرناها فى سورة الأنعام فى قصة عيينة والأقرع ، إلى قوله (وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا) قال : عيينة والأقرع (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) قال : قال : ثم قال ضرب لهم مثلا رجلين ، ومثل الحياة الدنيا .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالباقيات الصالحات ، اختلافهم فى المعنىّ بالدعاء الذى وصف جلّ ثناؤه به الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن طردهم ، وأمره بالصبر معهم . فقال بعضهم : هى الصلوات الخمس . وقال بعضهم : هى ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل ، ونحو ذلك . وقال بعضهم : هى العمل بطاعة الله . وقال بعضهم : الكلام الطيب .

ذكر من قال : هى الصلوات الخمس

حدثنى محمد بن إبراهيم الأنماطى ، قال : ثنا يعقوب بن كاسب ، قال : ثنا عبد الله بن عبد الله الأموى قال : سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز ، يحدّث عن عبيد الله بن عتبة ، عن ابن عباس أنه قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثنى زريق بن إسحاق ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَالباقياتُ الصَّالِحاتُ) قال : الصلوات الخمس .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبى إسحاق عن عمرو بن شُرَحبيل فى هذه الآية (والباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : هى الصلوات المكتوبات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن عبد الله بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الباقيات الصالحات : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله ، عن إبراهيم ، قال (الباقياتُ الصَّالحاتُ) الصلوات الخمس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة (والباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : الصلوات الخمس .

ذكر من قال : هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك

حدثنا ابن حميد و عبد الله بن أبى زياد ومحمد بن عمارة الأسدى ، قالوا : ثنا عبد الله بن يزيد ، قال : أخبرنا حيوة ، قال : أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشى من بنى تيم من رهط أبى بكر الصدّيق ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان ، يقول : قيل لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هنّ لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبو زرعة ، قال : ثنا حيوة ، قال : ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول : قيل لعثمان بن عفان : ما الباقيات الصالحات ؟ قال : هى لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثني ابن عبد الرحيم البرْقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد ، قالا : ثنا زهرة بن معبد ، قال : سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول : قالوا لعثمان : ما الباقيات الصالحات ؟ فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَالباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق بن غنام ، عن زائدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا مالك ، عن عمارة بن عبد الله بن صياد ، عن سعيد بن المسيب ، قال (الباقياتُ الصَّالحاتُ) : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن نافع بن سرجس ، أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات ، قال : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله . قال ابن جريج ، وقال عطاء ابن أبى رباح مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (والباقياتُ الصّالحاتُ) قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر : أن عبد الله بن عبد الرحمن ، مولى سالم ابن عبد الله ، حدثه قال : أرسلنى سالم بن محمد بن كعب القُرَظى ، فقال : قل له الْقَنى عند زاوية القبر ، فإن لى إليك حاجة ، قال : فالتقيا ، فسلم أحدهما على الآخر ، ثم قال سالم : ما تعدّ الباقيات الصالحات ؟ فقال : لاإله إلا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لاحول ولا قوّة إلا بالله ؟ فقال : ما زلت أجعلها ، قال : فراجعه مرّتين أو ثلاثا فلم ينزع ، قال : فأثبت ، قال سالم : أجل ، فأثبت فإن أبا أيوبَ الأنصارى حدثنى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « عُرِجَ بِى إلى السَّماءِ فَأُرِيتُ إبْرَاهِيمَ ، فقالَ : يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فقالَ : مُحَمَّد . فَرَحَّبَ بِى وَسَهَّلَ ، ثُمَّ قالَ : مُرْ أُمَّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ ، فانَّ تُرْبَتَها طَيِّبَةٌ ، وأرْضُها وَاسِعَةٌ ، فَقُلْتُ : وَما غِرَاسُ الجَنَّةِ ؟ قالَ : لاحَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ »

وجدت فى كتابى عن الحسن بن الصّباح البَزّار ، عن أبى نصر التمار ، عن عبد العزيز بن مسلم ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المَقْبُرى ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سُبْحانَ اللهِ ، والحَمْدُ للهِ ، وَلا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أكْبَرُ مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن وقتادة ، فى قوله (والباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ) قال : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله : هنّ الباقيات الصالحات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبى الهيثم ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصَّالِحاتِ ، قيلَ وما هى يا رسول الله ؟ قال : المِلَّة . قيل : وما هى يا رسول الله ؟ قال : التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ والتَّسْبِيحُ ، والحَمْدُ ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى مالك ، عن عمارة بن صياد ، أنه سمع سعيد

ابن المسيب يقول فى الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : الله أكبر . وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

حدثنى ابن البرقى . قال : ثنا ابن أبى مريم . قال : أخبرنا يحيى بن أيوب . قال : ثنى ابن عجلان ، عن عمارة بن صياد ، قال : سألنى سعيد بن المسيب ، عن الباقيات الصالحات . فقلت : الصلاة والصيام ، قال : لم تصب ، فقلت : الزكاة والحجّ ، فقال : لم تصب ، ولكنهنّ الكلمات الخمس : لاإله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله . والحمد لله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

ذكر من قال : هى العمل بطاعة الله عزّ وجلّ

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانىّ ، عن ابن عباس (والباقياتُ الصَّالحاتُ خيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثوَابا وخيْرٌ أملاً) قال : الأعمال الصالحة : سبحان الله . والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

حدثنى علىّ . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (والباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : هى ذكر الله قول لاإله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، وتبارك الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله . وأستغفر الله ، وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة ، وجميع أعمال الحسنات ، وهنّ الباقيات الصالحات ، التى تبقى لأهلها فى الجنة مادامت السموات والأرض .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (والباقياتُ الصَّالحاتُ خيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثوَابا وخيْرٌ أملاً) قال : الأعمال الصالحة .

ذكر من قال : هى الكلم الطيب

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (والباقياتُ الصَّالحاتُ) قال : الكلام الطيب .

۞ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : هنّ جميع أعمال الخير . كالذى رُوى عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . لأن ذلك كله من الصالحات التى تبقى لصاحبها فى الآخرة ، وعليها يجازى ويثاب . وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله (والباقياتُ الصَّالحاتُ خيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثوَابا) بعضها دون بعض فى كتاب ، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذى رويناه عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك بخلاف ماظن . وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، هنّ من الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هنّ جميع الباقيات الصالحات ، ولا كلّ الباقيات الصالحات ؛ وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات ، وغيرها من أعمال البرّ أيضا باقيات صالحات .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبالَ)عن الأرض، فنبسُّها بَسًّا ، ونجعلها هباء منبثا (وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً) ظاهرة ، وظهورها لرأى أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد(وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً) قال : لاخَمَر فيها ولا غيابة ولا بناء ، ولا حجر فيها .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَرَى الأَرْضَ بارِزَةً) ليس عليها بناء ولا شجر . وقيل : معنى ذلك : وترى الأرض بارزا أهلها الذين كانوا في بطنها ، فصاروا على ظهرها

وقوله (وَحَشَرْناهُمْ) يقول : جمعناهم إلى موقف الحساب (فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) : يقول : فلم نترك ، ولم نبق منهم تحت الأرض أحدا ، يقال منه: ما غادرت من القوم أحدا ، وما أغدرت منهم أحدا ، ومن أغدرت قول الراجز :

هَلْ لكِ والعارِضُ مِنْكِ عائِضُ　　فِي هَجْمَةٍ يُغْدِرُ مِنْها القابِضُ[1]

وقوله(وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا) يقول عزّ ذكره : وعُرِض الخلق على ربك يامحمد صفا (لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول عزّ ذكره : يقال لهم إذ عُرِضوا على الله : لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيئتكم حين خلقناكم أوّل مرّة ، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد فى الكلام

وقوله (بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، من ثلاثة أبيات أوردها (اللسان : عرض) والثالث قبلهما ، وهو « ياليل أسقاك البريق الوامض » وهى لأبى محمد الفقعسى قاله يخاطب امرأة خطبها إلى نفسها ، ورغبها فى أن تنكحه ، فقال : هل لك رغبة فى مئة من الإبل أو أكثر من ذلك لأن الهجمة أولها الأربعون ، إلى ما زدت ، يجعلها لها مهرا . قال : وفيه تقديم وتأخير ، والمعنى هل لك فى مئة من الإبل أو أكثر ، يسئر منها قابضها الذى يسوقها ، أى يبقى ، لأنه لايقدر على سوقها ، لكثرتها وقوتها ، لأنها تفرق عليه . ثم قال والعارض منك عائض ، أى المعطى بذل بضعك أى معطى بدل بضعك عرضا عائض ، أى آخذ عوضا منك بالتزويج ، يكون كفاء لما عرض منك . ويقال عضت أعاض : إذا اعتضت عوضا ، (بكسر العين فى الماضى) وعضت أعوض (بضم عين الماضى) : إذا عوضت عوضا ، أى دفعت . فقوله عائض من عضت (بالكسر) لامن عضت (بالضم) . ومن روى « يغدر » : أراد يترك ، من قولهم غادرت الشيء . قال ابن برى : والذى فى شعره : « والعائض منك عائض » : أى والعوض منك عوض ، كما تقول : الهبة منك هبة ، أى لها موقع . اهـ . — قلت : فى رواية اللسان لهذا الرجز « يسئر » أى يبقى ، فى موضع « يغدر » .

به الجميع ، والمراد منه الخصوص ، وذلك أنه قد يرد القيامة خاق من الأنبياء والرسل ، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث . ومعلوم أنه لايقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعد الله فى الدنيا ، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة . بل زعمتم أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات . والحشر إلى القيامة موعدا . وأن ذلك إنما يقال لمن كان فى الدنيا مكذبا بالبعث وقيام الساعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

يقول عزّ ذكره : ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده فى أيديهم ، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله (فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فيه) يقول عزّ ذكره : فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين : يقول : خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها فى الدنيا أن يؤاخذوا بها (وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهَذَا الكِتابِ لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أحْصَاها) يعنى أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم ، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها ، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله ، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التى قد أحصاها كتابهم ، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما لِهَذَا الكِتابِ لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أحْصَاها) اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء ، ولم يشتك أحد ظلما . فإياكم والمحقَّرات من الذنوب ، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه . ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلا ، يقول : كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض ، وحضر صنيع القوم ، فانطلق كلّ رجل يحتطب ، فجعل الرجل يجىء بالعود ، ويجىء الآخر بالعود ، حتى جمعوا سوادا كثيرا وأجّجوا نارا ، فإن الذنب الصغير ، يجتمع على صاحبه حتى يهلكه . وقيل : إنه عنى بالصغيرة فى هذا الموضع : الضحك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا محمد بن موسى ، عن الزيال بن عمرو ، عن ابن عباس (لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً) قال : الضحك .

حدثنا أحمد بن حازم ، قال : ثنا أبى ، قال : حدثتنى أمى حمادة ابنة محمد ، قالت : سمعت أبى محمد ابن عبدالرحمن يقول فى هذه الآية فى قول الله عزّ وجلّ (ما لِهَذَا الكِتابِ لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاَّ أحْصَاها) قال : الصغيرة : الضحك .

ويعنى بقوله (ما لِهَذَا الكِتابِ) : ما شأن هذا الكتاب (لايُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً) يقول : لايبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها (إلاَّ أحْصَاها) يقول : إلاحفظها (وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا)

فى الدنيا من عمل(حاضِرًا) فى كتابهم ذلك مكتوبا مثبتا ، فجوزوا بالسيئة مثلها ، والحسنة ما الله جازيهم بها (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَدًا) يقول : ولايجازى ربك أحدا يامحمد بغير ماهو أهله،لايجازى بالإحسان إلا أهل الإحسان ، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة ، وذلك هو العدل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره مذكِّرا هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له ، وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذى كان عليه لأبيهم : (وَ) اذكر يا محمد (إذْ قُلْنا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ) الذى يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره ، ويخالفون أمر الله ، فإنه لم يسجد له استكبارا على الله، وحسدا لآدم (كانَ مِنَ الجِنِّ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (كانَ مِنَ الجِنِّ) فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجنّ . وقال آخرون : بل كان من خزّان الجنة ، فنُسب إلى الجنة . وقال آخرون: بل قيل من الجنّ ، لأنه من الجنّ الذين استجنوا عن أعين بنىآدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشدّ الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما ، فذلك هو الذى دعاه إلى الكبر ، وكان من حيّ يسمى جنا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث . قال : وكان خازنا من خزّان الجنة. قال : وخُلقت الملائكة من نور غير هذا الحيّ . قال : وخُلقت الجنّ الذين ذكروا فىالقرآن من مارج من نار ، وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنى شيبان ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن الأعمش ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، فى قوله(إلاَّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنِ) قال: كانإبليس من خزّان الجنة ، وكان يدبر أمر سماء الدنيا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج . عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة . وكان خازنا على الجنان . وكان له سلطان السماء الدنيا ؛ وكان له سلطان الأرض . وكان فيما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفا وعظمة على أهل السماء ، فوقع من ذلك فى قلبه كبر لايعلمه إلا الله . فلما كان عند السجود حين أمره أن يسجد لآدم استخرج الله كبره عند السجود . فلعنه وأخّره إلى يوم الدين . قال : قال ابن عباس : وقوله (كَانَ مِنَ الجِنِّ) إنما سمى بالجنان أنه كان خازنا عليها . كما يقال للرجل : مكىّ . ومدنىّ . وكوفىّ . وبصرىّ . قاله ابن جريج .

وقال آخرون : هم سبط من الملائكة قبيلة ، وكان اسم قبيلته الجنّ .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، وشريك بن أبى نمر أحدهما أو كلاهما ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجنّ . وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض ، فعصى ، فسخط الله عليه فمسخه شيطانا رجيما ، لعنه الله ممسوخا . قال : وإذا كانت خطيئة الرجل فى كبر فلا ترجه . وإذا كانت خطيئته فى معصية فارجه ، وكانت خطيئة آدم فى معصية . وخطيئة إبليس فى كبر .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) قبيل من الملائكة يقال لهم الجنّ . وقال ابن عباس : لو لم يكن من الملائكة لم يؤمر بالسجود ، وكان على خزانة السماء الدنيا . قال : وكان قتادة يقول : جنّ عن طاعة ربه . وكان الحسن يقول : ألجأه الله إلى نسبه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) قال : كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجنّ ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس .

حدثنا ابن حميد : قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كان إبليس على السماء الدنيا وعلى الأرض وخازن الجنان .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ) كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض ، وكان مما سوّلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء ، فوقع من ذلك فى قلبه كبر لايعلمه إلا الله ، فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم ، فاستكبر وكان من الكافرين ، فذلك قوله للملائكة (إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) يعنى : ما أسرّ إبليس فى نفسه من الكبر .

وقوله (كَانَ مِنَ الجِنِّ) كان ابن عباس يقول : قال الله (كَانَ مِنَ الجِنِّ) لأنه كان خازنا على الجنان ، كما يقال للرجل : مكيّ ، ومدنيّ ، وبصريّ ، وكوفيّ .

وقال آخرون : كان اسم قبيلة إبليس الجنّ ، وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجنّ ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ (كَانَ مِنَ الجِنِّ) فنسبه إلى قبيلته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (كَانَ مِنَ الجِنِّ) قال : من الجنانين الذين يعملون فى الجنان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو سعيد اليحمدى إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنى سوار بن الجعد اليحمدى ، عن شهر بن حوشب ، قوله (مِنَ الجِنِّ) قال : كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة ، فذهب به إلى السماء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إلاَّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ) قال : كان خازن الجنان فسمى بالجنان .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى ، قال : ثنا أحمد بن بشير ، عن سفيان بن أبى المقدام ، عن سعيد ابن جبير ، قال : كان إبليس من خزنة الجنة .

وقد بيَّنا القول فى ذلك فيما مضى من كتابنا هذا ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ) يقول : فخرج عن أمر ربه ، وعدل عنه ومال ، كما قال رؤبة :

يَهْوِينَ فى نَجْدٍ وغَوْرًا غائِرًا		فَوَاسِقا عَنْ قَصْدِها جَوَائِرًا(١)

يعنى بالفواسق : الإبل المتعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق فى الدين إنما هو الانعدال عن القصد ، والميل عن الاستقامة ، ويُحكى عن العرب سماعا : فسقت الرطبة من قشرها : إذا خرجت منه ، وفسقت الفأرة : إذا خرجت من جحرها . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إنما قيل (فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّهِ) لأنه مراد به : ففسق عن ردّه أمر الله ، كما تقول العرب : اتخمت عن الطعام ، بمعنى : اتخمت لما أكلته . وقد بيَّنا القول فى ذلك ، وأن معناه : عدل وجار عن أمر الله ، وخرج عنه . وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى الفسق : الاتساع . وزعم أن العرب تقول : فسق فى النفقة : بمعنى اتسع فيها . قال : وإنما سمى الفاسق فاسقا ، لاتساعه فى محارم الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة ، أوردهما صاحب مجموع أشعار العرب ج ٣ فى ملحق ديوان رؤبة ص ١٩٠ والبيت الثانى فى (اللسان : فسق) . والشاهد فى قوله : فواسقا بمعنى خوارج . وقد استشهد بهما أبو عبيدة فى (مجاز القرآن : ١ : ٤٠٦) قال : « ففسق عن أمر ربه » : جار عنه ، وكفر به . وقال رؤبة : « يهوين . . . » الخ ، وما قاله المؤلف شبيه بما قال أبو عبيدة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) قال : في السجود لآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) قال : عصى في السجود لآدم .

وقوله (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) يقول تعالى ذكره : أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده ، وكفر نعمتي عليه ، وغرّه حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها ، وتطيعونه وذرّيته من دون الله مع عداوته لكم قديما وحديثا ، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم ، بأن أسجد لوالدكم ملائكته ، وأسكنه جناته ، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده ، وذرّية إبليس : الشياطين الذين يغرّون بني آدم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) قال : ذرّيته : هم الشياطين ، وكان يعدّهم « زلنبور [1] » صاحب الأسواق ويضع رايته في كلّ سوق ما بين السماء والأرض ، و « ثبر » صاحب المصائب ، و « الأعور » صاحب الزنا و « مسوط » صاحب الأخبار ، يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ، ولا يجدون لها أصلا ؛ و « داسم » الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع مالم يرفع ، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : سمعت الأعمش يقول : إذا دخلتُ البيت ولم أسلم ، رأيت مطهرة ، فقلت : ارفعوا ارفعوا ، وخاصمتهم ، ثم أذكر فأقول : داسم داسم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : هم أربعة ثبر ، وداسم ، وزلنبور ، والأعور ، ومسوط : أحدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) . . . الآية ، وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وهم لكم عدوّ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) وهو أبو الجنّ كما آدم أبو الإنس . وقال : قال الله لإبليس : إني لا أذرأ لآدم ذرّية إلا ذرأت لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به .

وقوله (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) يقول عزّ ذكره : بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذرّيته أولياء من دون الله ، وهم لكم عدوّ من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه ، وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم ، المتفضّل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا .

(١) زلنبور وما عطف عليه من أسماء أولاد إبليس : مذكورة في (التاج : زلنبور) ، نقلا عن الأزهري في التهذيب في الخماسي ، والغزالي في الإحياء ، والصاغاني في التكملة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) بئسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

يقول عزّ ذكره : ما أشهدت إبليس وذريته (خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول : ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها (وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ) يقول : ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم ، فأستعين به على خلقه ، بل تفرّدت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير ، يقول : فكيف اتخذوا عدوّهم أولياء من دونى ، وهم خلق من خلق أمثالهم ، وتركوا عبادتى وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم ، وخالقهم وخالق من يوالونه من دونى منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير .

وقوله (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) يقول : وما كنت متخذ من لا يهدى إلى الحقّ ، ولكنه يضلّ ، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا . وهو من قولهم : فلان يعضد فلانا إذا كان يقوّيه ويعينه .

وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا) : أى أعوانا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله ، وإنما يعنى بذلك أن إبليس وذريته يضلون بنى آدم عن الحقّ ، ولا يهدونهم للرشد ، وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة ، وأصحاب على غير هدى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

يقول عزّ ذكره : (وَيَوْمَ يَقُولُ) الله عزّ ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد (نَادُوا شُرَكَائِيَ

الذين زعمتم) يقول لهم : ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائى فى العبادة لينصروكم ويمنعوكم منى (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) يقول : فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم موبقا).

فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك . فقال بعضهم: معناه : وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء فى الدنيا يومئذ عداوة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع . قال : ثنا بشر بن المفضل ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قول الله (وجعلنا بينهم موبقا) قال : جعل بينهم عداوة يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، عن عوف ، عن الحسن (وجعلنا بينهم موبقا) قال : عداوة .

وقال آخرون : معناه : وجعلنا فعلهم ذلك لهم مهلكا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال : مهلكا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (موبقا) قال : هلاكا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال : الموبق : المهلك ، الذى أهلك بعضهم بعضا فيه ، أوبق بعضهم بعضا. وقرأ (وجعلنا لمهلكهم موعدا) .

حدثت عن محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (موبقا) قال : هلاكا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن عرفجة ، فى قوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال : مهلكا .

وقال آخرون : هو اسم واد فى جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب ، عن عمرو البكالى : (وجعلنا بينهم موبقا) قال : واد عميق فصل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى ، وأهل الجنة ، وأهل النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وجعلنا بينهم موبقا) ذكر لنا أن عمرا البكالى حدث عن عبد الله بن عمرو ، قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمر بن عبيد ، عن الحجاج بن أرطاة ، قال : قال مجاهد (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا) قال : واديا فى النار .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا) قال : واديا فى جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس ابن مالك يقول فى قول الله عزّ وجلّ (وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا) قال : واد فى جهنم من قيح ودم .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، ومن وافقه فى تأويل الموبق : أنه المهلك ، وذلك أن العرب تقول فى كلامها : قد أوبقت فلانا : إذا أهلكته . ومنه قول الله عزّ وجلّ (أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا) بمعنى : يهلكهنّ . ويقال للمهلك نفسه : قد وبق فلان فهو يوبق وبقا . ولغة بنى عامر : يابق بغير همز . وحُكى عن تميم أنها تقول : ييبق . وقد حُكى وبق يبق وبوقا . حكاها الكسائى . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : الموبق : الموعد ، ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر :

وحادَ شَرَوْرَى فالسِّتارَ فلَمْ يَدَعْ تِعارًا لَهُ والوَادِيَيْنِ بمَوْبِقِ [1]

ويتأوّله بموعد . وجائز أن يكون ذلك المهلك الذى جعل الله جلّ ثناؤه بين هؤلاء المشركين ، هو الوادى الذى ذكر عن عبد الله بن عمرو . وجائز أن يكون العداوة التى قالها الحسن .

وقوله (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ) يقول : وعاين المشركون النار يومئذ (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) يقول : فعلموا أنهم داخلوها .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) قال : علموا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنَّ الكافِرَ يَرَى جَهَنَّمَ فَيَظُنُّ أَنَّها مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً » .

(١) البيت فى (اللسان : وبق) قال : وبق الرجل يبق وبقا ووبوقا (من باب ضرب) وو بق (من باب حسب) وبقا ، واستوبق هلك . وأوبقه هو . والموبق : مفعل (بكسر العين) منه ، كالموعد مفعل من وعد يعد . ومنه قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقا » قال الفراء : يقول جعلنا تواصلهم فى الدنيا موبقا : أى مهلكا لهم فى الآخرة . وقال ابن الأعرابى : موبقا : أى حاجزا ، وكل حاجز بين شيئين فهو موبق . وقال أبوعبيد : الموبق : الموعد ، فى قوله « وجعلنا بينهم موبقا » واحتج بقوله : « وحاد شرورى . . . » البيت معناه : بموعد . وحاد شرورى : نأى عنها وهى جبل بين العمق والمعدن ، فى طريق مكة إلى الكوفة ، بين بنى أسد وبنى عامر . والستار : جبل بالحجاز معروف ، أسفل من النباج . وتعار : جبل أيضا ، ببلاد قيس .

وقوله (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) يقول : ولم يجدوا عن النار التي رأوا ،معدلا يعدلون عنها إليه ؛ يقول :لم يجدوا من ،واقعتها بدا . لأن الله قد حتم عليهم ذلك ؛ ومن المصرف بمعنى المعدل قول أبي كبير الهذلي :

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ أَمْ لاخُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفِ(١)

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

يقول عزّ ذكره : ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثل ، ووعظناهم فيه من كلّ عظة . واحتججنا عليهم فيه بكلّ حجة ليتذكّروا فينيبوا ، ويعتبروا فيتعظوا ، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) يقول : وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة ، لا ينيب لحقّ ، ولا ينزجر لموعظة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) قال : الجدل : الخصومة . خصومة القوم لأنبيائهم ، وردّهم عليهم ما جاءوا به . وقرأ : (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ) منه (وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) . وقرأ : (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) . وقرأ (حَتَّى تَوَفَّى) . . . الآية (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ) . . . الآية . وقرأ (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) قال : هم ليس أنت (لقالوا : إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾

يقول عزّ ذكره : وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله ، وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته ، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم ، إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم ، أو إتيانهم العذاب قُبُلًا .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : أو يأتيهم العذاب فجأة .

(١) البيت لأبي كبير الهذلي ، وهو في القسم الثاني من ديوان الهذليين طبعة دار الكتب ص ١٠٤ مطلع قصيدة له . وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن : ١ : ٤٠٧) قال في تفسير قوله تعالى : « ولم يجدوا عنها مصرفا » : أي معدلا . وقال أبو كبير الهذلي : أزهير . . . الخ البيت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) قال فجأة.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معناه : أو يأتيهم العذاب عيانا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) قال : قبلا معاينة ذلك القبل .

وقد اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته جماعة ذات عدد (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) بضم القاف والباء ، بمعنى أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب ، ووجهوا القُبُل إلى جمع قبيل ، كما يُجمع القتيل القُتُل ، والجديد الجُدُد . وقرأ جماعة أخرى (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى أو يأتيهم العذاب عيانا من قولهم : كلمته قِبَلا . وقد بيّنت القول فى ذلك فى سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يقول عزّ ذكره : وما نرسل رسلنا إلا ليبشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه فى الآخرة ، ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب ، عظيم عقابه ، وأليم عذابه ، فينتهوا عن الشرك بالله ، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) يقول : ويخاصم الذين كذّبوا بالله ورسوله بالباطل ، ذلك كقولهم للنبىّ صلى الله عليه وسلم : أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا فى أوّل الدهر لم يدر ما شأنهم ، وعن الرجل الذى بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وعن الروح ، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به ، يبتغون إسقاطه ، تعنيتا له صلى الله عليه وسلم ، فقال الله لهم : إنا لسنا نبعث إليكم رسلنا للجدال والخصومات ، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة ، ومنذرين أهل الكفر بالنار ، وأنتم تجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحقّ الذى جاءكم به رسولى . وعنى بقوله (لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) ليبطلوا به الحقّ ويزيلوه ويذهبوا به ، يقال منه : دحض الشىء : إذا زال وذهب ، ويقال : هذا مكان دَحْض : أى مَزِل مُزْلِق لايثبت فيه خفّ ولا حافر ولا قدم ، ومنه قول الشاعر :

رَدِيتُ وَنَجَّى الْيَشْكُرِيَّ حِذَارُهُ وحادَ كما حادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ ١

ويروى : ونَحَّى ، وأدحضته أنا : إذا أذهبته وأبطلته .

وقوله (واتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُوًا) يقول : واتخذوا الكافرون بالله حججه التى احتج بها عليهم ، وكتابه الذى أنزله إليهم . والنذر التى أنذرهم بها سخريا يسخرون بها ، يقولون (إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها . فَهِيَ تُمْلَى عليْهِ بُكْرَةً وَأصِيلاً) و (لَوْ شِئْنا لَقُلْنا مِثْلَ هذَا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾

يقول عزّ ذكره : وأىّ الناس أوضع للإعراض والصدّ فى غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه ، فدله بها على سبيل الرشاد ، وهداه بها إلى طريق النجاة ، فأعرض عن آياته وأدلته التى فى استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك (وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) يقول : ونسى ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب ، ولم ينب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ) : أى نسى ما سلف من الذنوب .

وقوله (إنَّا جَعَلْنا على قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ ، وفِي آذانِهِمْ وَقْرًا) يقول تعالى ذكره : إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه ، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به . وقوله (وفى آذانِهِمْ وَقْرًا) يقول : فى آذانهم ثقلا لئلا يسمعوه (وَإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى) يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وَإنْ تَدْعُ يا مُحَمَّد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها إلى الاستقامة على محجة الحقّ والإيمان بالله ، وما جئتهم به من عند ربك (فَلَنْ يَهْتَدُوا إذًا أبَدًا) يقول : فلن يستقيموا إذا أبدا على الحقّ ، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه ، لأن الله قد طبع على قلوبهم ، وسمعهم وأبصارهم .

(١) البيت فى (اللسان : دحض) وفى التاج وأساس البلاغة ، منسوبا إلى طرفة ، ولا يوجد فى شعر الشعراء الستة (مختار الشعر الجاهلى) وغيره . وأورد صاحب شعراء النصرانية وصاحب العقد الثمين فى الملحق بشعر طرفة مقطوعة ضادية مطلعها :

أبا مُنْذِرٍ كانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي ولم أُعْطِكُمْ بالطَّوْعِ مالِي ولا عِرْضِي

وأغلب الظن أن البيت سقط من هذه المقطوعة ، وإن كان شائعا فى كتب الأدب واللغة . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٤٠٨) قال فى تفسير قوله تعالى : « ليدحضوا به الحق » : مجازه : ليزيلوا به الحق ، ويذهبوا به . ويقال مكان دحض البيت أى مزل مزلق ، لايثبت فيه خف ولاقدم ولاحافر . قال طرفة «رديت ونجى ... » .

وفى (اللسان : دحض) ، وشاهد الدحض قول طرفة : « رديت ... » الخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم إذا تابوا منهم (ذُو الرَّحْمَةِ بِهِمْ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا) هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام ، (لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم ، (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) يقول : لكن لهم موعد ، وذلك ميقات محلّ عذابهم ، وهو يوم بدر (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) يقول تعالى ذكره : لن يجد هؤلاء المشركون ، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم ، ملجئا يلجئون إليه ، ومنجى ينجون معه ، يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله ، يقال منه : وألت من كذا إلى كذا ، أئل وُءولا ، مثل وعولا ؛ ومنه قول الشاعر :

لاوَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَهَا　　لِلْعَامِرِيَّيْنِ وَلَمْ تُكْلَمِ [1]

يقول : لا نجت ؛ وقول الأعشى :

وَقَدْ أُخالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ　　وَقَدْ يُحاذِرُ مِنِّي ثَمَّ ما يَئِلُ [2]

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَوْئِلًا) قال : محرزا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) : يقول : ملجأ .

---

(١) البيت : من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة : ١٨٧) قال : وقوله : « لن يجدوا من دونه موئلا » : الموئل : المنجى وهو الملجأ والمعنى واحد . والعرب تقول : إنه ليوائل إلى موضعه . يريدون : يذهب إلى موضعه وحرزه . وقال الشاعر : « لا واءلت نفسك . . . . » البيت . يريدون : لانجت . وفي (اللسان : وأل) قال أبو الهيثم : يقال : وأل يئل وألا ووألة ، وواءل يوائل مواءلة ووئالا . وقال الليث : المآل والموئل : الملجأ .

(٢) البيت من لامية الأعشى ميمون بن قيس (ديوانه بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٩) قال : خلس الشيء سرقه وأخذه خفية . ما يئل : ما ينجو ، والماضي وأل : أي نجا . يقول : وقد استبي كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه مني الحذر وهو أيضا من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٤٠٨) كالشاهد السابق ، في تفسير قوله تعالى : « لن يجدوا من دونه موئلا » ، قال : وقال الأعشى : « وقد أخالس . . . » البيت . أي لا ينجو .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً) : أى لن يجدوا من دونه وليا ولا ملجأ .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد فى قوله (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا) قال : ليس من دونه ملجئا يلجئون إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يقول تعالى ذكره : وتلك القُرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا ، فكفروا بالله وآياته . (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِدًا) يعنى ميقاتا وأجلا ، حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به ، يقول : فكذلك جعلنا لهؤلاء المشركين من قومك يامحمد الذين لايؤمنون بك أبدا موعدا ، إذا جاءهم ذلك الموعد أهلكناهم سنتنا فى الذين خلوا من قبلهم من ضربائهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لِمَهْلِكِهِم مَوْعِدًا) قال : أجلا .

حدثنا القاسم . قال : ثنى الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لِمَهْلِكِهِمْ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء الحجاز والعراق (لِمُهْلَكِهِمْ) بضمّ الميم وفتح اللام على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أهلكوا إهلاكا . وقرأه عاصم (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام على توجيهه إلى المصدر من هلكوا هلاكا ومهلكا .

وأولى القراءتين بالصواب عندى فى ذلك قراءة من قرأه (لِمُهْلَكِهِمْ) بضمّ الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القرّاء عليه . واستدلالا بقوله (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ) فأن يكون المصدر من أهلكنا ، إذ كان قد تقدّم قبله أولى . وقيل : أهلكناهم ، وقد قال قبل : (وَتِلْكَ الْقُرَى) ، لأن الهلاك إنما حلّ بأهل القرى ، فعاد إلى المعنى ، وأجرى الكلام عليه دون اللفظ .

وقال بعض نحويى البصرة : قال (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) يعنى أهلها ، كما قال (وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ) ولم يجىء بلفظ القرى ، ولكن أجرى اللفظ على القوم ، وأجرى اللفظ فى القرية عليها إلى قوله (الَّتِى كُنَّا فِيهَا) ، وقال (أَهْلَكْنَاهُمْ) ولم يقل : أهلكناها حمله على القوم ، كما قال : جاءت تميم ، وجعل الفعل لبنى تميم ، ولم يجعله لتميم ، ولو فعل ذلك لقال : جاء تميم ، وهذا لايحسُن فى نحو هذا ، لأنه قد أراد غير تميم فى نحو هذا الموضع ، فجعله اسما ، ولم يحتمل إذا اعتلّ أن يحذف ما قبله كله معنى التاء من جاءت مع بنى تميم ، وترك الفعل على ما كان ليعلم أنه قد حذف شيئا قبل تميم . وقال بعضهم : إنما جاز أن يقال : تلك القرى أهلكناهم ، لأن القرية قامت مقام الأهل ، فجاز أن ترد على الأهل مرة وعليها مرّة ، ولا يجوز ذلك فى تميم ، لأن القبيلة تعرف به وليس تميم هو القبيلة ، وإنما عرفت القبيلة به ، ولو كانت القبيلة

قد سميت بالرجل لجرت عليه ، كما تقول : وقعت فى هود ، تريد فى سورة هود وليس هود اسما للسورة وإنما عرفت السورة به ، فلو سميت السورة بهود لم يجر ، فقلت وقعت فى هود يا هذا ، فلم يجر ، وكذلك لو سمى بنى تميم تميما لقيل : هذه تميم قد أقبلت ، فتأويل الكلام : وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا ، وجعلنا لإهلاكهم موعدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾

يقول عزّ ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع : (لاأبْرَحُ) يقول : لاأزال أسير (حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاأبْرَحُ) قال : لاأنتهى . وقيل : عنى بقوله (مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) اجتماع بحر فارس والروم ، والمجمع : مصدر من قولهم : جمع يجمع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة . قوله (حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) والبحران : بحر فارس وبحر الروم ، وبحر الروم مما يلى المغرب ، وبحر فارس مما يلى المشرق .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . قوله (مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) قال : بحر فارس ، وبحر الروم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (مجمَعَ البَحْرَين) قال : بحر الروم ، وبحر فارس ، أحدهما قِبَل المشرق ، والآخر قِبَل المغرب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال (مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، فى قوله (لاأبْرَحُ حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ) قال : طنجة .

وقوله (أوْ أمْضِيَ حُقُبا) يقول : أو أسير زمانا ودهرا وهو واحد ، ويجمع كثيره وقليله : أحقاب وقد تقول العرب : كنت عنده حقبة من الدهر ، ويجمعونها حُقُبا . وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله (لاأبْرَحُ) : أى لاأزول ، ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق :

فمَا بَرِحُوا حتى تَهادَتْ نِساؤُهُمْ ... بِبَطْحاءِ ذِى قارٍ عِيابَ اللَّطائِمِ (٢)

يقول : ما زالوا .

(١) بياض بالأصل ، وفى الدر عن ابن عباس « تفسير مجمع البحرين : بملتقى البحرين » .

(٢) البيت فى ديوان الفرزدق طبعة الصاوى ص ٧٧٣ من مقطوعة يمدح بها عبد الله بن عبد الأعلى الشيبانى ، عدتها تسعة أبيات .

وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحقب فى لغة قيس : سنة . فأما أهل التأويل فإنهم يقولون: فى ذلك ما أنا ذاكره . وهو أنهم اختلفوا فيه . فقال بعضهم : هو ثمانون سنة .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن هشيم ، قال : ثنا أبو بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الحقب : ثمانون سنة .

وقال آخرون : هو سبعون سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) قال : سبعين خريفا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون فى ذلك ، بنحو الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) قال : دهرا .

حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (حُقُبًا) قال : الحقب : زمان .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله : (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) قال : الحقب : الزمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ ٦١

يعنى تعالى ذكره : فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين ، كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) قال : بين البحرين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (نَسِيَا حُوتَهُمَا) يعنى بقوله : نسيا : تركا .

= والواو فى برحوا عائدة على بنى تميم الذين فخر بأعمالهم فى يوم ذى قار ؛ والعياب : جمع عيبة ، وهى الحقيبة ؛ واللطائم : جمع لطيمة ، وهى الإبل يحمل عليها البز والطيب خاصة . والبيت شاهد على أن بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله « لا أبرح » أى لا أزال .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (نَسِيَا حُوتَهُما) قال : أضلاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أضلاه .

قال بعض أهل العربية : إن الحوت كان مع يوشع ، وهو الذي نسيه ، فأضيف النسيان إليهما ، كما قال (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ) وإنما يخرج من الملح دون العذب [1] .

وإنما جاز عندي أن يقال (نَسِيا) لأنهما كانا جميعا تزوّداه لسفرهما ، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما ، كما يقال : خرج القوم من موضع كذا ، وحملوا معهم كذا من الزاد ، وإنما حمله أحدهم ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم ، فكذلك إذا نسيه حامله فى موضع قيل نسي القوم زادهم ، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك ، فيجرى الكلام على الجميع ، والفعل من واحد ، فكذلك ذلك فى قوله (نَسِيا حُوتَهُما) لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها ، وما يتعارفونه بينهم من الكلام .

وأما قوله (يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤُ والمَرْجانُ) فإن القول فى ذلك عندنا بخلاف ما قال فيه ، وسنبينه إن شاء الله تعالى إذا انتهينا إليه .

وأما قوله (فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا) فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذى سلكه فى البحر سربا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا) قال : الحوت اتخذ . ويعني بالسرب : المسلك والمذهب ، يسرب فيه : يذهب فيه ويسلكه .

ثم اختلف أهل العلم فى صفة اتخاذه سبيله فى البحر سربا ، فقال بعضهم : صار طريقه الذى يسلك فيه كالحجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : قوله (سَرَبا) قال : أثره كأنه حجر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلك : « ما انْجابَ ماءٌ مُنْذُ كانَ النَّاسُ غيرُهُ ثَبَتَ مَكانُ الحُوتِ الَّذِي فِيهِ [2] فانْجابَ كالكُوَّةِ حَتَّى رَجَعَ إلَيْهِ مُوسَى ، فَرَأى مَسْلَكَهُ ، فقالَ ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِي » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ،

(١) هذا كلام الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ الورقة ١٨٩) .

(٢) كذا فى الأصل ، والذى فى الدر هكذا : غير بيت ماء كان الحوت دخل منه ... الخ . وفى تفسير ابن كثير : غير مسير مكان الحوت الخ .

عن ابن عباس ، فى قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) قال : جاء فرأى أثر جناحيه فى الطين حين وقع فى الماء ، قال ابن عباس (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) وحلق بيده[1] .

وقال آخرون : بل صار طريقه فى البحر ماء جامدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : سرب : من الجر[2] حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك ، فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا .

وقال آخرون : بل صار طريقه فى البحر حجرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة .

وقال آخرون : بل إنما اتخذ سبيله سربا فى البرّ إلى الماء ، حتى وصل إليه لا فى البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا) قال : قال : حشر الحوت فى البطحاء بعد موته حين أحياه الله . قال ابن زيد ، وأخبرنى أبو شجاع أنه رآه قال : أتيت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة ، وشقّ آخر ليس فيه شيء .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ : واتخذ الحوت طريقه فى البحر سربا . وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض ؛ وجائز أن يكون كان بجمود الماء ؛ وجائز أن يكون كان بتحوّله حجرا .

وأصحّ الأقوال فيه ما رُوى الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرنا عن أبىّ عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : (فلما جاوز) موسى وفتاه مجمع البحرين ، (قال) موسى (لفتاه) يوشع (آتِنَا غَدَاءَنَا) يقول : جئنا بغدائنا وأعطناه ، وقال : آتنا غداءنا ، كما يقال : أتى الغداء وأتيته ، مثل ذهب وأذهبته ، (لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا) يقول : لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا ، وقال ذلك موسى ، فيما ذُكر ، بعد ما جاوز الصخرة ، حين ألقى عليه الجوع ليتذكر الحوت ، ويرجع إلى موضع مطلبه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾

(١) فى (البخارى : كتاب التفسير ، من رواية سعيد بن جبير) : وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما .

(٢) لعل المراد بالجر هنا : الوهدة من الأرض ، كما فى (اللسان : جر) .

يقول تعالى ذكره : قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت هنالك (وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ) يقول: وما أنسانى الحوت إلا الشيطان (أَنْ أَذْكُرَهُ) فأن فى موضع نصب ردّا على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنسانى أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، وردّ عليه قوله (أَنْ أَذْكُرَهُ) وقد ذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله : وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان .

حدثنى بذلك بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ؛ حدثنى العباس بن الوليد قال : سمعت محمد بن معقل ، يحدّث عن أبيه ، أن الصخرة التى أوى إليها موسى هى الصخرة التى دون نهر الذئب[1] على الطريق (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) يُعْجَبُ منه .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : موسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ودوراته التى غاب فيها ، فوجد عندها خضرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى لما اتخذ سبيله فى البحر عجبا ، يعجب من سرب الحوت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال : عجب والله حوت كان يؤكل منه أدهرا ، أىّ شىء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ، ثم صار حيا حتى حشر فى البحر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جعل الحوت لا يمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم يعجب من ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الحسن بن عطية ، قال : ثنا عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) قال: يعنى كان سرب الحوت فى البحر لموسى عجبا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

يقول تعالى ذكره : ف(قال) موسى لفتاه (ذَلِكَ) يعنى بذلك : نسيانك الحوت (مَا كُنَّا نَبْغِ) يقول: الذى كنا نلتمس ونطلب ، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذى تريده حيث تنسى الحوت .

(١) فى (عرائس المجالس للثعلبى المفسر ، طبعة الحلبى ص ٢١٨) : دون نهر الزيت .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح . عن مجاهد ، قوله (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ) قال موسى : فذلك حين أخبرت أنى واجد خضرا حيث يفوتنى الحوت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : حيث يفارقنى الحوت .

وقوله (فارْتَدَّا على آثارِهِما قَصَصًا) يقول : فرجعا فى الطريق الذى كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التى كانا سلكاهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (قَصَصًا) قال : اتبع موسى وفتاه أثر الحوت . فشقا البحر راجعين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (فارْتَدَّا على آثارِهِما قَصَصًا) قال : اتباع موسى وفتاه أثر الحوت بشق البحر ، وموسى وفتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الحوت فى البحر ، ودوراته التى غاب فيها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : رجعا عودهما على بدئهما (فارْتَدَّا عَلَى آثارِهِما قَصَصًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ فارْتَدَّا عَلَى آثارِهِما قَصَصًا) أىْ يَقْتُصَّانِ آثارَهما حتى انْتَهَيا إلى مَدْخَلِ الحُوتِ » .

وقوله (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبادِنا آتَيْناه رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا) يقول : وهبنا له رحمة من عندنا (وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) يقول : وعلمناه من عندنا أيضا علما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) : أى من عندنا علما .

وكان سبب سفر موسى صلى الله عليه وسلم وفتاه ، ولقائه هذا العالم الذى ذكره الله فى هذا الموضع فيما ذكر ، أن موسى سئل ، هل فى الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال : لا ، أو حدثته نفسه بذلك ، فكره ذلك له ، فأراد الله تعريفه أن من عباده فى الأرض من هو أعلم منه ، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به ، ولكن كان ينبغى له أن يكل ذلك إلى عالمه .

وقال آخرون : بل كان سبب ذلك أنه سأل الله جلّ ثناؤه أن يدله على عالم يزداد من علمه إلى علم نفسه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : «سأل موسى ربه وقال : ربّ أىّ عبادك أحبّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ؛ قال : فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحقّ ولا يتبع الهوى ؛ قال : أى ربّ أىّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علم نفسه ، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردى ؛ قال : ربّ فهل فى الأرض أحدا(١) ؟ قال : نعم ؛ قال : ربّ ، فمن هو ؟ قال : الخضر ؛ قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل عند الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ؛ قال : فخرج موسى يطلبه ، حتى كان ما ذكر الله ، وانتهى إليه موسى عند الصخرة ، فسلم كلّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى ؛ قال : إنك لن تطيق صحبتى ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتنى (فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا . قَالَ : أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ؛ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ، قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ؟ قَالَ : لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) . . . إلى قوله (لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) قال : فكان قول موسى فى الجدار لنفسه ، ولطلب شىء من الدنيا ، وكان قوله فى السفينة وفى الغلام لله ؛ (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) فأخبره بما قال أما السفينة وأما الغلام وأما الجدار ، قال : فسار به فى البحر حتى انتهى إلى مجمع البحور ، وليس فى الأرض مكان أكثر ماء منه ، قال : وبعث ربك الخُطَّاف فجعل يستقى منه بمنقاره ، فقيل لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ(٢) من هذا الماء ؟ قال : ما أقلّ ما رزأ ، قال : ياموسى فإن علمى وعلمك فى علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء ؛ وكان موسى قد حدّث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثم أمر أن يأتى الخضر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خطب موسى بنى إسرائيل ، فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره منى ، فأوحى الله إليه أن يأتى هذا الرجل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة أنه قيل له : إن آية لقيك إياه أن تنسى بعض متاعك ، فخرج هو وفتاه يوشع بن نون ، وتزوّدا حوتا مملوحا ، حتى إذا كانا حيث شاء الله ، ردّ الله إلى الحوت روحه ، فسرب فى البحر ، فاتخذ الحوت طريقه سربا فى البحر ، فسرب فيه (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) . . . حتى

(١) أى أعلم ، فتنبه . (٢) رزأ : أصاب أو نقص .

بلغ (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا) فكان موسى اتخذ سبيله فى البحر عجبا ، فكان يعجب من سرب الحوت .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما اقتص موسى أثر الحوت انتهى إلى رجل ، راقد قد سجى عليه ثوبه فسلم عليه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب وردّ عليه السلام وقال : من أنت ؟ قال : موسى . قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : أوَ ما كان لك فى بنى إسرائيل شغل ؟ قال : بلى ، ولكنى أُمرت أن آتيك وأصحبك . قال : إنك لن تستطيع معى صبرا ، كما قصّ الله ، (حتى) بلغ فاما (رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا) صاحب موسى (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : نُكرا (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ، قَالَ : أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس : إن نوفا يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى ، فقال : كذب عدوّ الله . حدثنا أبيّ بن كعب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مُوسَى قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيبًا فَقِيلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ فَقَالَ : أنا ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : بَلَى عَبْدٌ لِي عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ : يَارَبِّ كَيْفَ بِهِ ؟ فَقِيلَ : تَأْخُذُ حُوتًا ، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ ، ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ : إِذَا فَقَدْتَ هَذَا الْحُوتَ فَأَخْبِرْنِي ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى أَتَيَا صَخْرَةً ، فَرَقَدَ مُوسَى ، فَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ ، فَخَرَجَ فَوَقَعَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْمَاءِ ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ ، فَصَارَتْ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَكَانَ لَهُمَا عَجَبًا ، ثُمَّ انْطَلَقَا ، فَلَمَّا كَانَ حِينَ الْغَدِ ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ : آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ، قَالَ : وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ قَالَ : فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ، وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ، قَالَ : فَقَالَ : ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ، قَالَ : يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا ، قَالَ : فَأَتَيَا الصَّخْرَةَ ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَقَالَ : وَأَنَّى بِأَرْضِنَا السَّلَامُ ؟ فَقَالَ : أنا مُوسَى ، قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِن عِلْمِهِ عَلَّمَكَهُ لَا أَعْلَمُهُ . قَالَ : فَإِنِّي أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ، قَالَ : فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ ، فَعَرَفَ الْخَضِرُ ، فَحُمِلَ بِغَيْرِ نَوْلٍ ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَنَقَرَ ، أَوْ فَنَقَدَ فِي الْمَاءِ ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى : مَا نَقَصَ

عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إلاَّ مِقْدَارَ ما نَقَرَ أوْ نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ » . أبوجعفر الطبرى يشكّ ، وهو فى كتابه نقر ، قال : فَبَيْنما هُوَ إذْ لَمْ يَفْجَأْهُ مُوسَى إلاَّ وَهُوَ يَتِدُ وَتِداً أوْ يَنْزِعُ تَخْتا مِنْها، فَقالَ لَهُ مُوسَى : حُمِلْنابغَيْرِ نَوْل وَتَخْرِقُها لِتُغْرِقَ أهْلَها؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إمْرًا ، قالَ : أَلَمْ أَقُل إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ، قالَ : لاتُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ، قالَ : وكانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيانا ؛ قالَ : ثُمَّ خَرَجا فانْطَلَقا يَمْشِيان ، فَأَبْصَرَا غُلاما يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمان ، فَأَخَذَ برأْسِه فَقَتَلَهُ ، فَقالَ لَهُ مُوسَى : أقَتَلْتَ نَفْسا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ، قالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قالَ : إنْ سأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا . قالَ : فانْطَلَقا حَتى إذَا أتَيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَها ، فَلَمْ يَجِدَا أحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلا يَسْقِيهِمْ ، فَوَجَدَا فِيها جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ ، فأقامَهُ بِيَدِهِ ، قالَ : مَسَحَهُ بِيَدِهِ ؛ فَقالَ لَهُ مُوسَى : لَمْ يُضَيِّفُونا وَلَمْ يُنْزِلُونا ، لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْرًا ، قالَ : هَذَا فِراقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَوَدِدْتُ أنَّهُ كانَ صَبَرَ حَتى يَقُصَّ عَلَيْنا قَصَصَهُمْ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جلست فأسْنَدَ ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب . فقال بعضهم : ياأبا العباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب ، أن موسى النبيّ الذى طلب العالم ، إنما هو موسى بن ميشا ، قال سعيد ، قال ابن عباس : أنوف يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له نعم ، أنا سمعت نوفا يقول ذلك ، قال : أنت سمعته ياسعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نوف ، ثم قال ابن عباس : حدثنى أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ مُوسَى ، هُوَ نَبِيُّ بَنِي إسْرائِيلَ سأَلَ رَبَّهُ فَقالَ : أيْ رَبِّ إنْ كانَ فِي عِبادِكَ أحَدٌ هُوَ أعْلَمُ مِنِّي فادْلُلْنِي عَلَيْهِ . فَقالَ لَهُ : نَعَمْ فِي عِبادِي مَنْ هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ ، ثُمَّ نَعَتَ لَهُ مَكانَهُ ، وأذِنَ لَهُ فِي لُقِيِّهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى مَعَهُ فَتاه وَمَعَهُ حُوتٌ مَلِيحٌ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : إذَا حَيِيَ هَذَا الحُوتُ فِي مَكان فَصاحِبُكَ هُنالكَ وَقَدْ أدْرَكْتَ حاجَتَكَ ؛ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتاهُ ، وَمَعَهُ ذلكَ الحُوتُ يَحْمِلانِه ، فَسارَ حَتى جَهَدَهُ السَّيْرُ ، وَانْتَهَى إلى الصَّخْرَةِ وَإلى ذلكَ المَاءِ ، ماءِ الحَياة ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ خَلَدَ ، وَلا يُقارِبُهُ شَيْءٌ مَيِّتٌ إلاَّ حَيِيَ ؛ فَلَمَّا نَزَلا ، وَمَسَّ الحُوتَ المَاءُ حَيِيَ . فاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا ، فانْطَلَقا ، فَلَمَّا جاوَزَا مُنْقَلَبَهُ قالَ مُوسَى : آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَبا ، قالَ الفَتَى وَذَكَرَ : أرَأَيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فإنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاَّ الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ واتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبا » قال ابن عباس : فظهر موسى على الصخرة حين انتهيا إليها ، فإذا رجل متلفف فى كساء له ، فسلم موسى ، فردّ عليه العالم ، ثم قال له :

وماجاء بك ؟ إن كان لك فى قومك لشغل ؟ قال له موسى : جئتك لتعلمنى مما علمت رشدا ، (قالَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ، وكان رجلا يعلم علم الغيب قد علِّم ذلك ، فقال موسى : بلى (قالَ وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) : أى إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ، ولم تُحط من علم الغيب بما أعلم (قالَ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أعْصِي لَكَ أمْرًا) وإن رأيتَ ما يخالفنى ، (قالَ فإنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْألْنِي عَنْ شَيْءٍ) وإن أنكرته (حَتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، يتعرّضان الناس ، يلتمسان من يحملهما ، حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنا فيها ، ولجت بهما مع أهلها ، أخرج منقارا له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها ، ثم أخذ لوحا فطبقه عليها ، ثم جلس عليها يرقعها ، قال له موسى ورأى أمرا فظع به (أخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إمْرًا . قالَ ألَمْ أقُلْ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قالَ : لا تؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) : أى ما تركت من عهدك (وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْرًا) ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فإذا غلمان يلعبون خلفها ، فيهم غلام ليس فى الغلمان أظرف منه ، ولا أثرى ولا أوضأ منه ، فأخذه بيده ، وأخذ حجرا ، قال : فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله ، قال : فرأى موسى أمرا فظيعا لا صبر عليه ، صبيّ صغير لا ذنب له (قالَ : أقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى صغيرة بغير نفس (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ، قالَ : ألَمْ أقُلْ لَكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ قالَ إنْ سَألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) : أى قد أعذرتَ فى شأنى (فانْطَلَقَا حتى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أهْلَهَا ، فأبَوْا أنْ يُضَيِّفُوهُمَا ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ) فهدمه ، ثم قعد يبنيه ، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكليف لما ليس عليه صبر ، فقال (لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْرًا) : أى قد استطعمناهم فلم يطعمونا ، وضفناهم فلم يضيفونا ، ثم قعدت فى غير صنيعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجرا فى عمله (قالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سأُنَبِّئُكَ بتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ، أمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فأرَدْتُ أنْ أعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) ، وفى قراءة أبيّ بن كعب : كلّ سفينة صالحة ، وإنما عبتها لأردّه عنها ، فسلمت حين رأى العيب الذى صنعت بها . (وأمَّا الغُلامُ فَكَانَ أبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وكُفْرًا . فأرَدْنَا أنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وأقْرَبَ رُحْمًا ، وأمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وكَانَ أبُوهُمَا صَالِحًا ، فأرَادَ رَبُّكَ أنْ يَبْلُغَا أشُدَّهُمَا ويَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي) : أى ما فعلته عن نفسى (ذلكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة قال : قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث ، وقدكان معه ١ فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال : شرب الفتى من الماء فخلِّد ، فأخذه العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاأَبْرَحُ حَتى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر ؛ فلما استقرّت بهم الدار أنزل الله عليه أن (ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوّهم ، وما استخلفهم الله فى الأرض ، وقال : كلم الله نبيكم تكليما ، واصطفانى لنفسه ، وأنزل علىّ محبة منه ، وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه ، فنبيكم أفضل أهل الأرض ، وأنتم تقرءون التوراة ، فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها ، وعرّفها إياهم ، فقال له رجل من بنى إسرائيل : هم كذلك يا نبىّ الله ، قد عرفنا الذى تقول : فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبىّ الله ، قال : لا ، فبعث الله جبرئيل إلى موسى عليهما السلام ، فقال : إن الله يقول : وما يدريك أين أضع علمى ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلا أعلم منك ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فسأل موسى ربه أن يريه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتا ، فخذه فادفعه إلى فتاك ، ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيتَ الحوت وهلك منك ، فثمّ تجد العبد الصالح الذى تطلب ؛ فلما طال سفر موسى نبىّ الله ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله فى البحر سَرَبًا ، فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة ، فوجد الحوت يضرب فى البحر ، ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدّم عصاه يفرُج بها عن الماء يتبع الحوت ، وجعل الحوت لاتمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبىّ الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها فسلم عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض ، ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له الخضر : أصاحبُ بنى إسرائيل ؟ قال : نعم فرحب به ، وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئتك على أن تعلمنى مما علِّمت رُشدا (قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قال : لاتطيق ذلك ، قال : موسى (سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) قال : فانطلق به وقال له : لاتسألنى عن شىء أصنعه حتى أبيِّن لك شأنه ، فذلك قوله (حَتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) فركبا فى السفينة يريدان البرّ ، فقام الخضر فخرق السفينة ، فقال له موسى (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) .

(١) الذى فى الدر بدل هذا : لم نسمع : يعنى موسى يذكر من حديث فتاه ، وقد كان . . . الخ .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا) ذُكِر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون، جمع بنى إسرائيل، فخطبهم فقال : أنتم خير أهل الأرض وأعلمه ، قد أهلك الله عدوّكم ، وأقطعكم البحر ، وأنزل عليكم التوراة ؛ قال : فقيل له : إن ههنا رجلا هو أعلم منك . قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه، وتزوّدا سمكة مملوحة فى مكتل لهما . وقيل لهما : إذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلا عالما يقال له الخضر ؛ فلما أتيا ذلك المكان ، ردّ الله إلى الحوت روحه ، فسرب له من الجسر حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا . قال : ومضى موسى وفتاه، يقول الله عزّ وجلّ (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ) . . . ثم تلا إلى قوله (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) فلقيا رجلا عالما يقال له الخَضِر . فذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا سُمِّىَ الخَضِرُ خَضِرًا لأنهُ قَعَدَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ : فاهْتَزَّتْ بِهِ خَضْراء »(١) .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا الأوزاعىّ ، قال : ثنا الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حصن الفزارىّ فى صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خَضِر ، فمرّ بهما أبىّ بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إنى تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلى لقيه ، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا مُوسَى فى مَلأٍ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ تَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قالَ مُوسَى : لا، فَأَوْحَى اللهُ إلى مُوسَى : بَلَى عَبْدُنا خَضِرٌ ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إلى لُقِيِّه ، فَجَعَلَ اللهُ لهُ الحُوتَ آيَةً ، وَقِيلَ لَهُ : إذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ فإنَّكَ سَتَلْقاهُ ، فَكَانَ مُوسَى يَتْبَعُ أَثَرَ الحُوتِ فى البَحْرِ ، فَقَال فَتَى مُوسَى لِمُوسَى : أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ ، فإنِّى نَسِيتُ الحُوتَ ، قالَ مُوسَى : ذلكَ ما كُنَّا نَبْغِ ، فارْتَدَّا عَلَى آثارِهِما قَصَصًا ، فَوَجَدَا عَبْدَنا خَضِرًا ، وكانَ مِنْ شأنِهِما ما قَصَّ اللهُ فى كِتابِهِ » .

حدثنى محمد بن مرزوق ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا عبد الله بن عمر النميرى، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهرىّ يحدّث ، قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس ، أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ، ثم ذكر نحو حديث العباس ، عن أُبَىّ بن كعب ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى (عرائس المجالس للثعلبى المفسر ص ٢٢٠ طبعة الحلبى) : فإذا هى تهتز تحته خضراء .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ) من العلم الذى علمك الله ماهو رشاد إلى الحق، ودليل على هدى؟ (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) يقول تعالى ذكره قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معى، وذلك أنى أعمل بباطن علم علمنيه الله. ولا علم لك إلا بالظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبلُ من أنه كان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾

﴿ يقول عزّ ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر ياموسى على ماترى منى من الأفعال التى لاعلم لك بوجوه صوابها، وتقيم معى عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطئ بالظاهر الذى عندك، وبمبلغ علمك وأفعالى تقع بغير دليل ظاهر لرأى عينك على صوابها، لأنها تبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لاعلم لك بالحادث عنها، لأنها غيب. ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما. قال (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا) على ما أرى منك وإن كان خلافا لما هو عندى صواب (وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) يقول: وأنتهى إلى ما تأمرنى، وإن لم يكن موافقا هواى.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿ يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتنى الآن فلا تسألنى عن شىء أعمله مما تستنكره، فإنى قد أعلمتك أنى أعمل العمل على الغيب الذى لاتحيط به علما (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التى أفعلها التى تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها.

كما حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس (فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) يعنى عن شىء أصنعه حتى أبين لك شأنه.

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (٧١)

يقول تعالى ذكره : فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها . حتى إذا أصاباها ركبا في السفينة ، فلما ركباها ، خرق العالم السفينة . قال له موسى : أخرقتها بعد ما لججنا في البحر (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : لقد جئت شيئا عظيما ، وفعلت فعلا منكرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) : أى عجبا . إن قوما لججوا سفينتهم فخرقتها ، كأحوج ما نكون إليها ، ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه ، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) يقول : نكرا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) قال : منكرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والإمر : في كلام العرب : الداهية ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الأَقْرَانُ مِنِّي نُكْرَا ... دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِدًّا إِمْرَا(١)

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : أصله : كل شيء شديد كثير ، ويقول منه : قيل للقوم : قد أمِروا : إذا كثروا واشتد أمرهم . قال : والمصدر منه : الأَمَر ، والاسم : الإمْر .

واختلفت القراء في قراءة قوله (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) بالتاء في لتغرق ، ونصب الأهل ، بمعنى : لتُغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذي خرقت فيها . وقرأه عامة قراء الكوفة (لِيَغْرَقَ) بالياء أهلها بالرفع ، على أن الأهل هم الذين يغرقون .

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن) ١ : ٤٠٩ قال في تفسير قوله تعالى : « جئت شيئا إمرا » : أي داهية نكرا عظيمة . وفي آية أخرى شيئا إدا . قال : « قد بق الأقران . . . البيت » . وفي (اللسان : إمرا) : الأخفش : يقال : أمر أمره يأمر أمرا (الفعل كفرح يفرح) أي اشتد . والاسم : الإمر بكسر الهمزة . قال الراجز : « قد لقي . . . . البيت » ويقال : عجبا . وأمر إمرا : منكر ، وفي التنزيل العزيز : « لقد جئت شيئا إمرا » قال أبو إسحاق : أي جئت شيئا عظيما من المنكر . وقيل : الإمر بالكسر ، الأمر العظيم الشنيع . وقيل : العجيب . قال : ونكرا أقل من قوله : إمرا ؛ لأن تغريق من في السفينة أنكر من قتل نفس واحدة . قال ابن سيده : وذهب الكسائي إلى أن معنى إمرا : شيئا داهيا منكرا عجبا ، واشتقه من قولهم : أمر القوم : إذا كثروا . اهـ.

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب .

وإنما قلنا : هما متفقتا المعنى ، لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرئ بالتاء ونصب الأهل ، أو بالياء ورفع الأهل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾

يقول عزّ ذكره : (قَالَ) العالِم لموسى إذ قال له ما قال (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا) على ما ترى من أفعالى ، لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرا ، قال له موسى (لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ) .

فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالِم معارضة ، لأنه كان نسى عهده ، وما كان تقدّم فيه حين استصحبه بقوله (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن يحيى بن زياد ، قال : ثنى يحيى بن المهلب ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، عن أبىّ ابن كعب الأنصارىّ فى قوله (لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ) قال : لم ينس ، ولكنها من معاريض الكلام .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تؤاخذنى بتركى عهدك . ووجه أن معنى النسيان : الترك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ) : أى بما تركت من عهدك .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسى فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه ، وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن ذلك معناه من الخبر ، وذلك ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ) قالَ : كانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيانا .

وقوله (وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا) يقول : لا تغشنى من أمرى عسرا ، يقول : لا تضيق علىّ أمرى معك ، وصحبتى إياك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾

يقول تعالى ذكره : (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله) العالم ، ف(قال) له موسى: (أقتلت نفسا زكية) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) وقالوا معنى ذلك : المطهرة التى لاذنب لها ، ولم تذنب قطّ لصغرها . وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (نَفْسًا زَكِيَّةً) بمعنى : التائبة المغفور لها ذنوبها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) والزكية : التائبة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) قال : الزكية : التائبة .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) قال : قال الحسن : تائبة ، هكذا فى حديث الحسن وشهْر زاكية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (نَفْسًا زَكِيَّةً) قال : تائبة .

ذكر من قال : معناها المسلمة التى لاذنب لها

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى يعلى بن مسلم، أنه سمع سعيد بن جبير يقول : وجد خضر غلمانا يلعبون ، فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين . قال : وأخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبئى قال : اسم الغلام الذى قتله الخضر : جيسور (قالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) قال : مسلمة . قال : وقرأها ابن عباس (زَكِيَّةً) كقولك : زكيا .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول : معنى الزكية والزاكية واحد ، كالقاسية والقسية ، ويقول : هى التى لم تجن شيئا وذلك هو الصواب عندى لأنى لم أجد فرقا بينهما فى شىء من كلام العرب.

فإذا كان ذلك كذلك ، فبأىّ القراءتين قرأ ذلك القارئُ فمصيب ، لأنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار بمعنى واحد .

وقوله (بِغَيْرِ نَفْسٍ) يقول : بغير قصاص بنفس قتلت ، فلزمها القتل قودا بها . وقوله (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) يقول : لقد جئت بشىء منكر ، وفعلت فعلا غير معروف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) والنُّكْرُ أشدّ من الإمر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال العالم لموسى (أَلَمْ أَقُلْ لكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) على ما ترى من أفعالى التى لم تُحط بها خبرا ، قال موسى له : (إِنْ سأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها) يقول : بعد هذه المرّة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) يقول : ففارقنى ، فلا تكن لى مصاحبا (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) يقول : قد بلغت العذر فى شأنى .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (مِنْ لَدُنِي عُذْرًا) بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون . وقرأه عامة قرّاء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضمّ الدال وتشديد النون . وقرأه بعض قرّاء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون . وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التى فى لدن السلامة من الحركة ، إذ كانت فى الأصل ساكنة ، ولو لم تشدّد لتحرّكت ، فشدّدوها كراهة منهم تحريكها ، كما فعلوا فى « من ، وعن » إذ أضافوهما إلى مكنىّ المخبر عن نفسه ، فشدّدوهما ، فقالوا منّى وعنّى . وأما الذين خفّفوها ، فإنهم وجدوا مكنىّ المخبر عن نفسه فى حال الخفض ياء وحدها لا نون معها ، فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم فى ذلك مع سائر الأشياء غيرها .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما لغتان فصيحتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء بالقرآن ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلىّ فى ذلك قراءة من فتح اللام وضمّ الدال وشدّد النون ، لعلتين : إحداهما أنها أشهر اللغتين ، والأخرى أن محمد بن نافع البصرى حدثنا ، قال : ثنا أمية بن خالد ، قال : ثنا أبو الجارية العبدى ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) مثقلة .

حدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن حمزة الزيات ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبىّ بن كعب ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم مثله ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال « اسْتَحْيَا فِى اللهِ مُوسَى » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا بدل بن المحبر ، قال : ثنا عباد بن راشد ، قال : ثنا داود ، فى قول

الله عزّ وجلّ (إنْ سألتُكَ عنْ شيءٍ بعدَها فلا تُصاحِبْني قدْ بلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرًا) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « استَحيا في اللهِ موسى عندَها ».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا حجاج بن محمد، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبيّ بن كعب، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: « رحمةُ اللهِ علينا وعلى موسى، لو لبثَ معَ صاحبِه لأبصرَ العجبَ، ولكنّهُ قالَ: إنْ سألتُكَ عنْ شيءٍ بعدَها فلا تُصاحِبْني قدْ بلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرًا » مُثقلة.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم (حتّى إذا أتيا أهلَ قريةٍ استطعما أهلَها) من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم (فأبَوْا أن يُضيِّفوهُما، فوجدا فيها جدارًا يُريدُ أنْ ينقضّ) يقول: وجدا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع؛ يقال منه: انقضّت الدار: إذا انهدمت وسقطت؛ ومنه انقضاض الكوكب. وذلك سقوطه وزواله عن مكانه؛ ومنه قول ذي الرُّمّة:

فانقضَّ كالكوكبِ الدُّرّي مُنْصلِتا[1]

وقد رُوي عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك (يُريدُ أنْ ينقاضّ).

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرئ ذلك كذلك في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم: مجاز ينقاضّ: أي ينقلع من أصله، ويتصدّع بمنزلة قولهم: قد انقاضت السنّ: أي تصدّعت، وتصدّعت من أصلها، يقال: فراق كقيض السنّ: أي لا يجتمع أهله. وقال بعض أهل الكوفة[2] منهم: الانقياض: الشقّ في طول الحائط في طيّ البئر وفي سنّ الرجل، يقال: قد انقاضت سنه: إذا انشقّت طولا. وقيل: إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه، فأبوا أن يضيفوهما: الأيلة.

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي، قال: ثنا حماد أبو صالح، عن محمد بن سيرين، قال: انتابوا الأيلة؛ فإنه قلّ من يأتيها فيرجع منها خائبا، وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما، وهي أبعد أرض الله من السماء.

---

(١) هذا صدر بيت لذي الرمة. وفي (اللسان: قض): انقض الجدار: تصدع من غير أن يسقط. وقيل: انقض: سقط. وفي التنزيل العزيز: « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض » هكذا عده أبو عبيد وغيره ثنائيا، وجعله أبو علي ثلاثيا من نقض، فهو عنده « افعل » بتشديد اللام. وفي التهذيب: ينقض: أي ينكسر، يقال: قضضت الشيء: إذا دققته. والمنصلت: المسرع من كل شيء.

(٢) هو الفراء (انظر معاني القرآن له، مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ص ١٩٠).

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) ، وتلا إلى قوله (لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) شرّ القرى التي لا تُضيف الضيف . ولا تعرف لابن السبيل حقه .

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عزّ وجلّ (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) فقال بعض أهل البصرة : ليس للحائط إرادة ولا للمَوَات ، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته . وهذا كقول العرب في غيره :

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ … وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عُقَيْلِ [1]

وقال آخر منهم : إنما كلم القوم بما يعقلون . قال : وذلك لما دنا من الانقضاض ، جاز أن يقول : يريد أن ينقضّ ، قال : ومثله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ) وقولهم : إني لأكاد أطير من الفرح ، وأنت لم تقرب من ذلك ، ولم تهمّ به ، ولكن لعظيم الأمر عندك . وقال بعض الكوفيين منهم : من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط ؛ قال : ومثله من قول العرب قول الشاعر :

إِنَّ دَهْرًا يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ … لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ [2]

وقول الآخر :

يَشْكُو إِلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى … صَبْرًا جَمِيلاً فَكِلَانَا مُبْتَلَى [3]

قال : والجمل لم يشك ، إنما تكلّم به على أنه لو تكلم لقال ذلك ، قال : وكذلك قول عنترة :

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ … وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ [4]

قال : ومنه قول الله عزّ وجلّ (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ) والغضب لا يسكت ، وإنما يسكت

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٠) قال في تفسير قوله تعالى : « يريد أن ينقض » ليس للحائط إرادة ولا للموات ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة ، فهو إرادته . وهذا قول العرب في غيره ؛ قال الحارثي : « يريد الرمح . . . البيت » . وفي « اللسان : رود » : وقوله عزوجل « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » أي أقامه الخضر ، وقال : يريد ، والإرادة إنما تكون من الحيوان ، والجدار لا يريد إرادة حقيقية ؛ لأن تهيؤه للسقوط قد ظهر كما تظهر أفعال المريدين ، فوصف الجدار بالإرادة ، إذا كانت الصورتان واحدة ، ومثل هذا كثير في اللغة والشعر ، قال الراعي :

في مهمه قلقت به هاماتها … قلق الفئوس إذا أردن نصولا

وقال الآخر : « يريد الرمح صدر أبي براء » . . . البيت .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ١٩٠ من مصورة الجامعة) قال : « يريد أن ينقض » : يقال : كيف يريد الجدار أن ينقض ؟ وذلك من كلام العرب أن يقولوا : الجدار يريد أن يسقط . ومثله قول الله : « ولما سكت عن موسى الغضب » والغضب لا يسكت ، إنما يسكت صاحبه ، ومعناه : سكن . وقوله : فإذا عزم الأمر : إنما يعزم الأمر أهله . وقال الشاعر : « إن دهرا . . . » البيت . وقال الآخر « شكا إلى جملي . . . البيت » . (وسيجيء بعد هذا) . والجمل لم يشك ، إنما تكلم به على أنه لو نطق لقال ذلك ، وكذلك قول عنترة : « وازور من وقع القنا . . . . البيت » ؛ (سيجيء بعد هذا) . . وقال أبوعبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١١) : ومجاز « أن ينقض » مجاز : يقع . يقال : انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ، وقرأ قوم « أن ينقاض » ، ومجازه : أن ينقلع من أصله ويتصدع ؛ بمنزلة قولهم : قد انقاضت السن : أي انصدعت ، وتقلعت من أصلها .

(٣) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق عليه وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن .

(٤) سبق الكلام على البيت في الشاهد السابق على الذي قبله . ولبانه : صدره ؛ والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح . وهو من شواهد الفراء .

صاحبه . وإنما معناه : سكن. وقوله (فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ) إنما يعزم أهله . وقال آخر منهم : هذا من أفصح كلام العرب . وقال : إنما إرادة الجدار : ميله . كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم « لا تَتَرَاءى نارَاهُما » وإنما هو أن تكون ناران كلّ واحدة من صاحبتها بموضع لو قام فيه إنسان رأى الأخرى فى القُرب ؛ قال : وهو كقول الله عزّ وجلّ فى الأصنام (وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) قال : والعرب تقول : دارى تنظر إلى دار فلان . تعنى : قرب ما بينهما ؛ واستشهد بقول ذى الرُّمَّة فى وصفه حوضا أو منزلا دارسا :

قَدْ كادَ أَوْ قَدْ هَمَّ بِالبُيُودِ [١]

قال : فجعله يهمّ . وإنما معناه : أنه قد تغير للبلى . والذى نقول به فى ذلك أن الله عزّ ذكره بلطفه . جعل الكلامَ بين خلقه رحمة منه بهم . ليبين بعضهم لبعض عما فى ضمائرهم . مما لا تحسُّه أبصارهم . وقد عقلت العرب معنى القائل :

فى مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُها قَلَقَ الفُئُوسِ إذا أَرَدْنَ نُصُولا [٢]

وفهمت أن الفئوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياها بأنها تريد. وعلمت ما يريد القائل بقوله :

كَمِثْلِ هَيْلِ النَّقا طافَ المُشاةُ بِهِ يَنْهالُ حِينا ويَنْهاهُ الثَّرَى حِينا [٣]

وإنما لم يرد أن الثرى نطق . ولكنه أراد به أنه تلبّد بالندى . فمنعه من الانهيال ؛ فكان منعه إياه من ذلك كالنهى من ذوى المنطق فلا ينهال . وكذلك قوله (جِدارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) قد علمت أن معناه : قد قارب من أن يقع أو يسقط . وإنما خاطب جلّ ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحى بلسانه. وقد عقلوا ما عنى به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى ، وضلّ فيه ذوو الجهالة والغبا .

وقوله (فَأَقامَهُ) ذكر عن ابن عباس أنه قال : هدمه ثم قعد يبنيه .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير (فوجدا فيها جِدارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) قال : رفع الجدار بيده فاستقام .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عزّ ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جدارا يريد أن ينقضّ فأقامه صاحب موسى ؛ بمعنى : عَدَّل مَيَلانه حتى عاد مستويا . وجائز أن يكون كان

(١) هذا بيت من الرجز . لذى الرمة . والبيود : مصدر باد يبيد : إذا هلك . والشاهد فيه مثل الشواهد السابقة عليه .

(٢) هذا البيت للراعى ، وقد سبق الكلام عليه قبل فى أكثر من موضع .

(٣) هال التراب والرمل هيلا وأهاله فانهال ، وهيله فتهيل أى دفعه فانهال . والنقا : الكثيب من الرمل النقى . والبيت كالشواهد السابقة عليه فى أن قوله ينهاه الثرى : أى يمسكه الثرى عن التهيل ، جعل ذلك بمنزلة نهيه عن السقوط ، مع أن الثرى لا ينهى ولا يأمر ، ولكنه جاء كذلك على لسان العرب ، كما جاء قوله تعالى فى القرآن « يريد أن ينقض » . وقد اتضح معناه بما لا مزيد عليه فى الشواهد السابقة قريبا .

ذلك بإصلاح بعد هدم . وجائز أن يكون كان بوفع منه له بيده ؛ فاستوى بقدرة الله، وزال عنه ميله بلطفه ، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأيّ ذلك كان من أيّ .

وقوله (قالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) يقول : قال موسى لصاحبه: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على إقامتك أجرا ؛ فقال بعضهم: إنما عَنَى موسى بالأجر الذى قال له (لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) القِرى : أى حتى يَقْرُونا ؛ فإنهم قد أبوا أن يضيّفونا .

وقال آخرون : بل عنى بذلك العِوَض والجزاء على إقامته الحائط المائل .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ؛ فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والكوفة (لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) على التوجيه منهم له إلى أنه لافتعلت من الأخذ. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة (لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ) بتخفيف التاء وكسر الخاء ، وأصله : لافتعلت ، غير أنهم جعلوا التاء كأنها من أصل الكلمة . ولأن الكلام عندهم فى فعل ويفعل من ذلك : تخِذ فلان كذا يَتْخَذُه تَخْذا. وهى لغة فيما ذكر لهُذَيل . وقال بعض الشعراء :

وَقَدْ تَخِذَتْ رِجْلِي لَدَى جَنْبِ غَرْزِها نَسِيفا كأُفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ [1]

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد ؛ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . غير أنى أختار قراءته بتشديد التاء على لافتعلت . لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما ، وأكثرهما على ألسن العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال صاحب موسى لموسى : هذا الذى قلته وهو قوله (لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) (فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) . يقول : فرقة ما بينى وبينك : أى مفرق بينى وبينك . (سأُنَبِّئُكَ) يقول : سأخبرك (بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقول : بما يئول إليه عاقبة أفعالى التى فعلتها : فلم تستطع على ترك المسألة عنها ؛ وعن النكير علىّ فيها صبرا ؛ والله أعلم .

---

(١) البيت للممزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، شاعر جاهلى قديم . وهو من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن (١ : ٤١١) قال : « لوشئت لتخذت عليه أجرا » : الخاء مكسورة ، ومعناها معنى أخذت ، فكان مخرجها مخرج فعلت تفعل (من باب فرح يفرح) قال الممزق العبدى (من عبد القيس) : « وقد تخذت رجلى . . . البيت » . وفى اللسان : والغرز للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو مايضع الراكب فيه قدمه عند الركوب . والأفحوص : مجثم القطاة ، لأنها تفحص الموضع ، ثم تبيض فيه ، وكذلك هو للدجاجة ، قال الممزق العبدى : « وقد تخذت رجلى . . . » البيت . والنسيف : أثر عض الغرز فى جنب الناقة ، من عضة أو انحصاص وبر . والمطرق من وصف القطاة . يقال : طرقت المرأة وكل حامل تطرق : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب فيقال : طرقت ثم خلصت . وقيل التطريق للقطاة : إذا فحصت للبيض ، كأنها تجعل له طريقا .

تمّ الجزء الخامس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ .

ويليه : الجزء السادس عشَر

وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى (أمَّا السَّفِينَةُ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السادس عشر

دار الفكر

فهارس الجزء السادس عشر
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

---

١ — فهرس الآيات

٢ ــ فهرس الموضوعات

٣ — فهرس القوافى

٤ ــ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

يقول : أما فِعْلي مافعلت بالسفينة ، فلأنها كانت لقوم مساكين (يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) بالخَرق الذى خرقتها .

كما حدثنى ابن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله عزّ وجلّ (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) قال : أخرقها .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) وكان أمامهم وقُدّامهم ملك .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) قال قتادة : أمامهم . ألا ترى أنه يقول (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) وهى بين أيديهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان فى القراءة : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا . وقد ذُكر عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قرأ ذلك : وكان أمامهم ملك .

قال أبو جعفر : وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب « وراء » من حروف الأضداد ، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه ، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر :

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِى وطاعَتِى ... وَقَوْمِى تَمِيمٌ والفَـلاةُ وَرَائِيَا[1]

(1) البيت لسوار بن المضرب (اللسان : ورى) . وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن : ١ : ٤١٢) قال فى تفسير قوله تعالى : « وكان وراءهم ملك » : أى بين أيديهم وأمامهم . قال : « أترجو بنو مروان . . . البيت » : أى أمامى . اهـ . وفى (اللسان : ورى) : وقوله عز وجل : « وكان وراءهم ملك » أى أمامهم . قال ابن برى : ومثله قول سوار بن المضرب : « أيرجو بنو مروان . . . البيت » .

بمعنى أمامى ، وقد أغفل وجه الصواب فى ذلك . وإنما قيل لما بين يديه : هو ورائى ، لأنك من ورائه ، فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك ، فصار : إذ كان ملاقيك ، كأنه من ورائك وأنت أمامه . وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لايجيز أن يقال لرجل بين يديك : هو ورائى ؛ ولا إذا كان وراءك أن يقال : هو أمامى ، ويقول : إنما يجوز ذلك فى المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل : وراءك برد شديد ، وبين يديك حرّ شديد ، لأنك أنت وراءه ، فجاز لأنه شيء يأتى ، فكأنه إذا لحقك صار من ورائك ، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك . قال : فلذلك جاز الوجهان .

وقوله (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) فيقول القائل : فما أغنى خَرْق هذا العالم السفينة التى ركبها عن أهلها ، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها ، مَعيبها وغير معيبها ، وما كان وجه اعتلاله فى خرقها بأنه خرقها ، لأن وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا ؟ قيل : إن معنى ذلك ، أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ، ويدع منها كلّ معيبة ، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها . فإن قال : وما الدليل على أن ذلك كذلك ؟ قيل : قوله (فأرَدْتُ أنْ أعِيبَها) فأبان بذلك أنه إنما عابها ، لأن المعيبة منها لا يعرض لها ، فاكتفى بذلك من أن يقال : وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصبا ، على أن ذلك فى بعض القراءات كذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : هى فى حرف ابن مسعود : (وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى الحسن بن دينار ، عن الحكم بن عيينة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : فى قراءة أُبَىّ : (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غَصْباً) وإنما عبتها لأردّه عنها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها . قال ابن جريج : أخبرنى وهب ابن سليمان ، عن شعيب الجَبَئِىّ ، أن اسم الرجل الذى كان يأخذ كلّ سفينة غصبا : هُدَدُ بنُ بُدد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الغلام ، فإنه كان كافرا ، وكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا أنه يرهقهما : يقول يغشيهما طغيانا ، وهو الاستكبار على الله ، وكفرا به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وقد ذُكر ذلك فى بعض الحروف . وأما الغلام فكان كافرا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : (وأمَّا الغُلامُ فَكانَ

كافِرًا) فى حرف أُبيّ ، وكان أبواه مؤمنين (فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْما) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَمَّا الغُلامُ فَكانَ أَبَوَاه مُؤْمِنَيْنِ) وكان كافرا فى بعض القراءة ، قوله (فَخَشِينا) وهى فى مصحف عبد الله (فَخافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وكُفْرًا) .

حدثنا عمرو بنْ عليّ ، قال : ثنا أبوقتيبة ، قال : ثنا عبد الجبار بن عباس الهمْدانى ، عن أبى إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغُلامُ الَّذِى قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كافِرًا » . والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظنّ ، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذى يُدرك من غير جهة الحسّ والعيان. وقد بيّنا ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : معنى قوله (خَشِينا) فى هذا الموضع : كرهنا ، لأنّ الله لايخشَى . وقال فى بعض القراءات : فخاف ربك ، قال : وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا ، وهو لايخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما .

وقوله (فأَرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما) : اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصريين (فأَرَدْنا أنْ يُبَدّلَهُما رَبُّهُما) . وكان بعضهم يعتلّ لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدّدا فى عامّة القرآن ، كقول الله عزّ وجلّ (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) ، وقوله (وَإِذَا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ) ، فألحق قوله (فأَرَدْنا أنْ يُبَدِلَهُما بِهِ) . وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة (فأَرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما) بتخفيف الدال . وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول : أبدل يُبْدِل بالتخفيف وبَدّل يُبدّل بالتشديد : بمعنى واحد .

۞ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب . وقيل : إن الله عزّ وجلّ أبدل أبَوَى الغلام الذى قتله صاحب موسى منه بجارية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، قال : ثنا المبارك بن سعيد ، قال : ثنا عمرو بن قيس فى قوله (فأَرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْرًا مِنْهُ زَكاةً وأَقْرَبَ رُحْما) قال : بلغنى أنها جارية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، أخبرنى سليمان بن أميّة أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول : أُبْدِلا مكان الغلام جارية .

قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن عثمان بن خُثَيم ، أنه سمع سعيد بن جبير يقول : أبدلا مكان الغلام جارية .

وقال آخرون : أبدلهما ربهما بغلام مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْرًا مِنْهُ زَكاةً وأقْرَبَ رُحْما) قال : كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان : عن معمر ، عن قتادة ، أنه ذكر الغلام الذى قتله الخضر ، فقال : قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقى كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحبّ .

وقوله (خَيْرًا مِنْهُ زَكاةً) يقول : خيرا من الغلام الذى قتله صلاحا ودينا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَأَرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْرًا مِنْه زَكاةً) قال : الإسلام .

وقوله (وأقْرَبَ رُحْما) اختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرعن قتادة (وأقْرَبَ رُحْما) : أبرّ بوالديه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأقْرَبَ رُحْما) ، أى أقرب خيرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وأقْرَبَ رُحْما) : أرحم به منهما بالذى قتل الخضر . وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك : وأقرب أن يرحماه ؛ والرُّحْم : مصدر رحمت ؛ يقال : رَحِمته رَحْمة ورُحما . وكان بعض البصريين يقول : من الرَّحِم والقرابة . وقد يقال : رُحْم ورُحُم مثل عُسْر وعُسُر ، وهُلْك وهُلُك ، واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج :

وَلَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا[1]

ولاوجه للرَّحِم فى هذا الموضع ، لأن المقتول كان الذى أبدل الله منه والديه ولدا لأبوى المقتول ، فقرابتهما من والديه ، وقربهما منه فى الرَّحِم سواء . وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما

---

(١) البيت من مشطور الرجز . وهو للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٠) وهو من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٤١٢) قال فى تفسير قوله تعالى : « وأقرب رحما » : معناها : معنى رحما ، مثل عسر ويسر ، وهلك وهلك قال العجاج : « ولم تعوج . . . البيت . » وفى (اللسان : رحم) : الرحم ، بالضم : الرحمة . وفى التنزيل : « وأقرب رحما » ، وقرئت رحما (بضمتين) . وقال أبو إسحاق : أى أقرب عطفا وأمس بالقرابة . والرحم والرحم (بضم الراء المشددة فيهما ، مع سكون الحاء أو ضمها) فى اللغة : العطف والرحمة .

قال قتادة . وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه : وأقرب أن يرحماه ، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوّله كذلك ، فإذ لم يكن فيه قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بيّنا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى : وأما الحائط الذى أقمته ، فإنه كان لغلامين يتيمين فى المدينة ، وكان تحته كنز لهما .

اختلف أهل التأويل فى ذلك الكنز ، فقال بعضهم : كان صُحُفا فيها عِلم مدفونة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : كان تحته كنزُ علم .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : كان كنز علم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : علم .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : علم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : صحف لغلامين فيها علم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : صحف علم .

حدثنى أحمد بن حازم الغفارىّ ، قال : ثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية ، قالت : سمعت صاحبى حماد بن الوليد الثقفى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول فى قول الله عزّ وجلّ (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : سطران ونصف ، لم يتمّ الثالث : «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح » وقد قال (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا

بِها وكَفَى بِنا حاسِبِينَ) قالت : وذكر أنهما حُفِظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر منهما صلاح ، وكان بينهما وبين الأب الذى حُفِظا به سبعة آباء . كان نساجا .

حدثنى يعقوب . قال : ثنا الحسن بن حبيب بن ندبة . قال : ثنا سلمة بن محمد ، عن نعيم العنبرىّ ، وكان من جُلساء الحسن . قال : سمعت الحسن يقول ، فى قوله (وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : لوح من ذهب مكتوب فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم : عجبت لمن يؤمن كيف يحزن ؟ وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها ، كيف يطمئنّ إليها ؟ لاإله إلا الله، محمد رسول الله .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة . قال : ثنى ابن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما كان الكنز إلا عِلْما :

حدثنا الحسن بن يحيى : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد، فى قوله (وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : صُحُف من علم :

حدثنى يونس : قال : أخبرنا ابن وهب، قال : أخبرنى عبد الله بن عياش ، عن عمر مولى غُفْرة[1] ، قال : إن الكنز الذى قال الله فى السورة التى يذكر فيها الكهف (وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : كان لوحا من ذهب مصمت . مكتوبا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . عَجَبٌ ممن عرف الموت ثم ضحك، عَجَبٌ ممن أيقن بالقدر ثم نَصِب ، عَجَبٌ ممن أيقن بالموت ثم أمن ، أشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وقال آخرون : بل كان مالا مكنوزا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال: أخبرنا حصين ، عن عكرمة (وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : كنز مال :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، عن شعبة ، قال : أخبرنى أبو حُصَين ، عن عكرمة ، مثله ، قال شعبة : ولم نسمعه منه :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) قال : مال لهما ، قال قتادة : أُحِلَّ الكنز لمن كان قبلنا ، وحُرِّم علينا ، فإن الله يُحِلّ من أمره ما يشاء ، ويحرِّم ، وهى السنن والفرائض ، ويحلّ لأمة ، ويحرّم على أخرى ، ولكنّ الله لايقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له .

⁂ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب : القول الذى قاله عِكْرِمة ، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال ، وأن كلّ ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز ، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ، مالم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك ، لعلل قد بيَّنَّاها فى غير موضع .

(١) عمر بن عبد الله المدنى ، مولى غفرة ، بضم المعجمة ، قيل : هى أخت بلال بن رباح . توفى سنة ١٤٥ هـ (الخزرجى) .

وقوله (أَبُوهُما صَالِحا ، فأرادَ رَبُّكَ أنْ يَبْلُغا أشُدَّهُما) يقول : فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذى أقمته ، رحمة من ربك بهما ، يقول: فعلت فعل هذا بالجدار ، رحمة من ربك لليتيمين .

وكان ابن عباس يقول فى ذلك ما حدثنى موسى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، قال: قال ابن عباس ، فى قوله (وَكانَ أبُوهُما صَالِحا) قال : حُفِظا بصلاح أبيهما ، وما ذكر منهما صلاح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا سفيان ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بمثله .

وقوله (وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِى) يقول: وما فعلت ياموسى جميع الذى رأيتنى فعلته عن رأيى ، ومن تلقاء نفسى ، وإنما فعلته عن أمر الله إياى به .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِى) كان عبدا مأمورا ، فمضى لأمر الله .

حدثنا ابن حميد، قال : ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِى) ما رأيت أجمع مافعلته عن نفسى .

وقوله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقول: هذا الذى ذكرت لك من الأسباب التى من أجلها فعلت الأفعال التى استنكرتها منى ، تأويل . يقول : ما تئول إليه وترجع الأفعال التى لم تسطع على ترك مسئلتك إياى عنها ، وإنكارك لها صبرا .

وهذه القصص التى أخبر الله عزّ وجلّ نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له، وتقدّمٌ إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذّبوه واستهزءوا به وبكتابه ، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجرى مثله أحيانا لأوليائه ، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة فى الظاهر عند موسى ، إذ لم يكن عالما بعواقبها ، وهى ماضية على الصحة فى الحقيقة وآئلة إلى الصواب فى العاقبة ، ينبئُ عن صحة ذلك قوله : (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ العَذَابَ، بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا) . ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه ، يعلم نبيه أن تركه جلّ جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين ، بغير نظر منه لهم ، وإن كان ذلك فيما يَحْسِب من لاعلم له بما الله مدبر فيهم ، نظرا منه لهم ، لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف فى الدنيا واستحقاقهم من الله فى الآخرة الخزى الدائم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝﴾

❀ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ويسألك يامحمد هؤلاء المشركون عن ذى القرنين ما كان شأنه ، وما كانت قصته ، فقل لهم : سأتلو عليكم من خبره ذكرا : يقول : سأقص عليكم منه خبرا . وقد قيل : إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذى القرنين ، كانوا قوما من أهل الكتاب . فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركى قومه فقد ذكرناه قبل .

وأما الخبر بأن الذين سألوه ، كانوا قوما من أهل الكتاب ، فحدثنا به أبوكريب ، قال : ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة ، قال : ثنى عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن شيخين من تجيب ، قال أحدهما لصاحبه : انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث ، قالا : فأتياه فقالا : جئنا لتحدثنا ، فقال : «كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت من عنده ، فلقينى قوم من أهل الكتاب ، فقالوا : نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذن لنا عليه ، فدخلت عليه ، فأخبرته ، فقال مالى ومالهم مالى علم إلا ما علمنى الله ، ثم قال : اسكب لى ماء ، فتوضأ ثم صلى ، قال : فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه ، ثم قال : أدخلهم علىّ ، ومن رأيت من أصحابى فدخلوا فقاموا بين يديه ، فقال : إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبا ، وإن شئتم أخبرتكم ، قالوا : بلى أخبرنا ، قال : جئتم تسألونى عن ذى القرنين ، وما تجدونه فى كتابكم : كان شابا من الروم ، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية ؛ فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء ، فقال له ما ترى ، فقال : أرى مدينتى ومدائن ، ثم علا به ، فقال : ما ترى ؟ فقال : أرى مدينتى ، ثم علا به فقال : ما ترى ؟ قال : أرى الأرض ، قال : فهذا اليم محيط بالدنيا ، إن الله بعثنى إليك تعلم الجاهل ، وتثبت العالم ، فأتى به السدّ ، وهو جبلان لينان يزْلَق عنهما كل شىء ، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به إلى أمة أخرى ، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم» .

واختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله قيل لذى القرنين : ذوالقرنين ، فقال بعضهم : قيل له ذلك من أجل أنه ضُرِب على قَرْنه فهلك ، ثم أُحْيِى فضُرب على القرن الآخر فهلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن عبيد المُكْتِب ، عن أبى الطُّفَيل ، قال : سأل ابن الكوّاء عليا عن ذى القرنين ، فقال : هو عبد أحبّ الله فأحبه ، وناصح الله فنصحه ، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قَرْنه فقتلوه ، ثم بعثه الله ، فضربوه على قرنه فمات .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، قال : سئل علىّ رضوان الله عليه عن ذى القرنين ، فقال : كان عبدا ناصَحَ الله فناصحه ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه فمات ، فأحياه الله ، فدعا قومه إلى الله ، فضربوه على قرنه فمات ، فسمى ذا القرنين .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن القاسم بن أبى بَزّة ، عن أبى الطفيل ، قال : سمعت عليا وسألوه عن ذى القرنين أنبيا كان؟ قال : كان عبدا صالحا ، أحبّ الله فأحبه ، وناصَحَ الله فنصحه ، فبعثه الله إلى قومه ، فضربوه ضربتين فى رأسه ، فسمى ذا القرنين ، وفيكم اليوم مثله .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد بن سهل البخارىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين مَلِكا ، فقيل له : فلم سُمّى ذا القرنين؟ قال : اختلف فيه أهل الكتاب ، فقال بعضهم : مَلَكَ الروم وفارس . وقال بعضهم : كان فى رأسه شبه القرنين .

وقال آخرون : إنما سمى ذلك لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، قال : ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه اليمانى ، قال : إنما سمى ذا القرنين أن صفحتى رأسه كانتا من نحاس .

وقوله (إنَّا مَكَّنّا لَهُ فِى الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) يقول : إنا وطأنا له فى الأرض . (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) يقول : وآتيناه من كل شىء : يعنى ما يتسبب إليه وهو العلم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) يقول : علما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) : أى علما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) قال : من كل شىء علما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) قال : علم كل شىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) علما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) يقول : علما .

وقوله (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة . فاتّبع بوصل الألف. وتشديد التاء. بمعنى : سلك وسار، من قول القائل: اتّبعتُ أثر فلان : إذا قفوته ؛ وسرت وراءه . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (فَأَتْبَعَ) بهمز الألف . وتخفيف التاء ، بمعنى لحق .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه (فاتَّبَعَ) بوصل الألف، وتشديد التاء ؛ لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين في الأرض التي مكن له فيها ، لا عن لحاقه السبب . وبذلك جاء تأويل أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي، عن أبيه ، عن ابن عباس (فاتَّبَعَ سَبَبًا) يعني بالسبب : المنزل .

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (سَبَبًا) قال : منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني محمد بن عُمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد (فاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : طريقا في الأرض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فاتَّبَعَ سَبَبًا) : اتبع منازل الأرض ومعالمها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : هذه الآن سبب الطرق [1] كما قال فرعون(يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحا لَعَلِّي أبْلُغُ الأسْبابَ ، أسْبابَ السَّمَوَاتِ) قال : طُرق السموات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : منازل الأرض .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله (فاتَّبَعَ سَبَبًا) قال : المنازل .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾

(١) عبارة الدر : هذه الآن الطرق ، ثم قال : والشيء يكون اسمه واحدا ، وهو متفرق في المعنى .

⁂ يقول تعالى ذكره : (حتى إذا بلغ) ذو القرنين (مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ، فاختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة (فى عين حمئة) بمعنى : أنها تغرب فى عين ماء ذات حمأة ، وقرأته جماعة من قراء المدينة ، وعامّة قرّاء الكوفة (فى عين حامية) يعنى أنها تغرب فى عين ماء حارّة .

واختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القرّاء فى قراءته :

ذكر من قال (تغرب فى عين حمئة)

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وجدها تغرب فى عين حمئة) قال : فى طين أسود .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (فى عين حمئة) قال : ذات حمأة .

حدثنا الحسين بن الجنيد ، قال : ثنا سعيد بن مسلمة ، قال : ثنا إسماعيل بن علية ، عن عثمان بن حاضر ، قال : سمعت عبد الله بن عباس يقول : قرأ معاوية هذه الآية ، فقال : (عين حامية) فقال ابن عباس : إنها عين حمئة ، قال : فجعلا كعبا بينهما ، قال : فأرسلا إلى كعب الأحبار ، فسألاه ؛ فقال كعب : أما الشمس فإنها تغيب فى ثأط ، فكانت على ما قال ابن عباس ، والثأط : الطين .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى نافع بن أبى نعيم ، قال : سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول : كان ابن عباس يقول (فى عين حمئة) ثم فسرها : ذات حمأة ، قال نافع : وسئل عنها كعب ، فقال : أنتم أعلم بالقرآن منى ، ولكنى أجدها فى الكتاب تغيب فى طينة سوداء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وجدها تغرب فى عين حمئة) قال : هى الحمأة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فى عين حمئة) قال : ثأط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى قول الله عزّ ذكره (تغرب فى عين حمئة) قال : ثأطة .

قال : وأخبرنى عمرو بن دينار ، عن عطاء بن أبى رباح ، عن ابن عباس ، قال : قرأت (فى عين حمئة) وقرأ عمرو بن العاص (فى عين حامية) فأرسلنا إلى كعب ، فقال : إنها تغرب فى حمأة طينة سوداء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (تغرب فى عين حمئة) والحمئة : الحمأة السوداء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن ورقاء ، قال : سمعت سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف (فى عين حمئة) ويقول : حمأة سوداء تغرب فيها الشمس .

وقال آخرون : بل هي تغيب في عين حارّة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يقول : في عين حارّة .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) قال : حارّة .

حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله (فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) قال : حارّة ، وكذلك قرأها الحسن .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، ولكلّ واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم ، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه ، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارّة ذات حمأة وطين ، فيكون القارئ في عين حامية بصفتها التي هي لها ، وهي الحرارة ، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين . وقد رُوي بكلا صيغتيها اللتين قلت إنهما من صفتيها أخبار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوّام ، قال : ثني مولى لعبد الله بن عمرو ، عن عبد الله ، قال : « نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت ، فقال : فِي نَارِ اللهِ الحَامِيَةِ ، فِي نَارِ اللهِ الحَامِيَةِ ، لَوْلا ما يَزَعُهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ لأَحْرَقَتْ ما عَلَى الأَرْضِ » .

حدثني الفضل بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا محمد بن دينار ، عن سعد بن أوس ، عن مصدع ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أقرأه (حَمِئَةٍ) .

وقوله (وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا) ذكر أن أولئك القوم يقال لهم : ناسك . وقوله (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ) يقول : إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله ، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم (وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) يقول : وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

يقول جلّ ثناؤه (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) يقول : أما من كفر فسوف نقتله .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) قال : هو القتل . وقوله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) يقول : ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله ، فيعذّبه عذابا عظيما ، وهو النكر ، وذلك عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

يقول : وأما من صدّق الله منهم ووحّده ، وعمل بطاعته ، فله عند الله الحسنى ، وهى الجنة ، جزاء يعنى ثوابا على إيمانه ، وطاعته ربه .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة (فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى) برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى .

وإذا قرئ ذلك كذلك ، فله وجهان من التأويل :

أحدهما : أن يجعل الحسنى مرادا بها إيمانه وأعماله الصالحة ، فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك : وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها ، يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة .

والوجه الثانى : أن يكون معنيا بالحسنى : الجنة ، وأضيف الجزاء إليها ، كما قيل (وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ) والدار : هى الآخرة ، وكما قال (وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ) والدين : هو القيم .

وقرأ آخرون : (فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى) بمعنى : فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر ، بمعنى : يجازيهم جزاء الجنة .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه (فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنَى) بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذى وصفت ، من أن لهم الجنة جزاء ، فيكون الجزاء نصبا على التفسير .

وقوله (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) يقول : وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقرّبه إلى الله ويلين له من القول . وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا فى ذلك .

حدّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) قال معروفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) يعنى منزلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) منازل الأرض ومعالمها

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) : يقول تعالى ذكره : ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، وذلك أن أرضهم لاجبل فيها ولا شجر ، ولا تحتمل بناء . فيسكنوا البيوت . وإنما يغورون فى المياه ، أو يتسربون فى الأسراب.

كما حدثنى إبراهيم بن المستمر . قال : ثنا سليمان بن داود وأبو داود ، قال : ثنا سهل بن أبى الصلت السراج . عن الحسن (تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : كانت أرضا لاتحتمل البناء . وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا فى الماء ، فإذا غربت خرجوا يتراعون ، كما ترعى البهائم ، قال : ثم قال الحسن : هذا حديث سَمُرة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) ذُكِر لنا أنهم كانوا فى مكان لايستقرّ عليه البناء ، وإنما يكونون فى أسراب لهم ، حتى إذا زالت عنهم ، الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم ، قال : كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج فى قوله (وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : لم يبنوا فيها بناء قطّ ، ولم يُبْنَ عليهم فيها بناء قطّ ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس ، أو دخلوا البحر ، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل ، وجاءهم جيش مرّة ، فقال لهم أهلها : لاتطلُعنّ عليكم الشمس وأنتم بها ، فقالوا : لانبرح حتى تطلع الشمس ، ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جِيَف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا فماتوا ، قال : فذهبوا هاربين فى الأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : بلغنا أنهم كانوا فى مكان لايثبت عليهم بناء ، فكانوا يدخلون فى أسراب لهم إذا طلعت الشمسُ ، حتى تزول عنهم ، ثم يخرجون إلى معايشهم .

وقال آخرون : هم الزَّنج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا) قال : يقال : هم الزَّنْج .

وأما قوله (كَذَلِكَ) فإن معناه : ثم أتبع سببا كذلك ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس ؛ وكذلك : من صلة أتبع . وإنما معنى الكلام : ثم أتبع سببا . حتى بلغ مطلع الشمس ، كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها ؛

وقوله (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) يقول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما ، لايخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ، ولا من غيرهم ، شىء .

وبالذى قلنا فى معنى الخبر ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (خُبْرًا) قال : علما .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَذَلِكَ وَقَدْ أحَطْنا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا) قال : علما .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : ثم سار طرقا ومنازل ، وسلك سبلا (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين (حَتَّى إذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ) بضمّ السين وكذلك جميع ما فى القرآن من ذلك بضم السين . وكان بعض قرّاء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله . وكان أبوعمرو بن العلاء يفتح السين فى هذه السورة ، ويضمّ السين فى يس ، ويقول : السَّد بالفتح : هو الحاجز بينك وبين الشيء ؛ والسُّد بالضم : ماكان من غشاوة فى العين . وأما الكوفيون فان قراءة عامتهم فى جميع القرآن بفتح السين غير قوله (حتى إذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) فانهم ضموا السين فى ذلك خاصة .

ورُوى عن عكرمة فى ذلك ، ما حدثنا به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن أيوب ، عن عكرمة ، قال : ماكان من صنعة بنى آدم فهو السَّد ، يعنى بالفتح ، وما كان من صنع الله فهو السدّ . وكان الكسائى يقول : هما لغتان بمعنى واحد .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار ، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، ولا معنى للفرق الذى ذكر عن أبى عمرو بن العلاء ، وعكرمة بين السُّد والسَّد ، لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ماحكى عنهما . ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذى رُوى لنا عنهم فى ذلك قول ، لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ، ولوكانا مختلفى المعنى لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله ، ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق ، فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك . وأما ما ذُكر عن عكرمة فى ذلك ، فإن الذى نقل ذلك عن أيوب هارون ، وفى نقله نظر ، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه . والسَّد والسُّد جميعا : الحاجز بين الشيئين ، وهما ههنا فيما ذُكر جبلان سدّ ما بينهما ، فردم ذوالقرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ، ليقطع مادّ غوائلهم وعيثهم عنهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (حتى إذَا بَلَغَ بينَ السُّدَّيْنِ) قال : الجبلين الردم الذى بين يأجوج ومأجوج ، أمتين من وراء ردم ذى القرنين ، قال : الجبلان : أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى إذَا بَلَغَ بينَ السُّدَّيْنِ) وهما جبلان .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بينَ السُّدَّيْنِ) يعنى بين جبلين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بينَ السُّدَّيْنِ) قال : هما جبلان .

وقوله (وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْمًا لايَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) يقول عزّ ذكره : وجد من دون السدّين قوما لايكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَفْقَهُونَ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (يَفْقَهُونَ قَوْلاً) بفتح القاف والياء ، مِن فقِه الرجل يفقَه فقها . وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (يُفْقِهُونَ قَوْلاً) بضمّ الياء وكسر القاف : من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها : إذا فهمته ذلك .

۞ والصواب عندى من القول فى ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرَأة الأمصار ، غير دافعة إحداهما الأخرى ، وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لايكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم ، فيكون صوابا القراءة بذلك . وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لايكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل : إما بألسنتهم ، وإما بمنطقهم ، فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا .

وقوله (إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ) اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إنَّ يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ) فقرأت القرّاء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم (إنَّ ياجُوجَ وماجُوجَ) بغير همز على فاعول من يججت ومججت ، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين ، غير عاصم بن أبى النجود والأعرج ، فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا ، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام ، وكأنهما جعلا يأجوج : يفعول من أججت ، ومأجوج : مفعول .

۞ والقراءة التى هى القراءة الصحيحة عندنا ، أن (ياجُوجَ وماجُوجَ) بألف بغير همز لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ؛ ومنه قول رؤبة بن العجاج .

لَوْ أنَّ ياجُوجَ وَماجُوجَ مَعَا   وعادَ عادُوا واسْتَجاشُوا تُبَّعا[1]

رهم أُمتّان من وراء السدّ .

(١) البيت لرؤبة بن العجاج (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٩٢) قال : «يأجوج ومأجوج ، لا ينصرفان . وبعضم يهمز ألفيهما ،

وقوله (مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) اختلف أهل التأويل فى معنى الإفساد الذى وصف الله به هاتين الأمتين ، فقال بعضهم : كانوا يأكلون الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا إبراهيم بن أيوب الحوزانى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول فى قوله (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) قال : كانوا يأكلون الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن يأجوج ومأجوج سيفسدون فى الأرض ، لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون .

ذكر من قال ذلك ، وذكر صفة اتباع ذى القرنين الأسباب التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وذكر سبب بنائه للردم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثنى بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب ، ممن قد أسلم ، مما توارثوا من علم ذى القرنين ، أن ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مردّبة اليونانى ، من ولد يونن بن يافث بن نوح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعى ، وكان خالد رجلا قد أدرك الناس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين ، فقال : مَلِكٌ مَسَحَ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالأَسْبَابِ » قال خالد : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول : ياذا القرنين ، فقال : اللهمّ غفرا ، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء ، حتى تسموا بأسماء الملائكة ؟ فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فالحقّ ماقال ، والباطل ما خالفه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : فحدثنى من لا أتهم عن وهب ابن منبه اليمانى ، وكان له علم بالأحاديث الأول ، أنه كان يقول : ذوالقرنين رجل من الروم ، ابن عجوز من عجائزهم ، ليس لها ولد غيره ، وكان اسمه الإسكندر . وإنما سمى ذا القرنين أن صفحتى رأسه كانتا من نحاس ؛ فلما بلغ وكان عبدا صالحا ، قال الله عزّ وجلّ له : يا ذا القرنين إنى باعثك إلى أمم الأرض ، وهى أمم مختلفة ألسنتهم ، وهم جميع أهل الأرض ؛ ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ؛ ومنهم أمتان

= وبعضهم لايهمزها؛قال رؤبة : « لو أن يأجوج ومأجوج معا » فلم يصرفهما . (وفى اللسان : أجج) . ويأجوج ومأجوج : قبيلتان من خلق الله ، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز . قال : وجاء فى الحديث « إن الخلق عشرة أجزاء ، تسعة منها يأجوج ومأجوج . و هما اسمان أعجميان ، واشتقاق مثلهما من كلام العرب ، يخرج من أجت النار ، ومن الماء الأجاج ، وهو الشديد الملوحة ، المحرق من ملوحته . قال : ويكون التقدير فى يأجوج : « يفعول » . وكذلك مأجوج . قال : وهذا لو كان الاسمان عربيان ، لكان هذا اشتقاقهما ؛ فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية . ومن لا يهمز وجعل الألفين زائدتين ، يقول : ياجوج : من يججت ، وماجوج : من مججت وهما غير مصروفين ؛ قال رؤبة : لو أن ياجوج وماجوج معا وعاد عادوا واستجاشوا تبعا اهـ .

بينهما عرض الأرض كله ، وأمم فى وسط الأرض منهم الجنّ والإنس ويأجوج ومأجوج . فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض : فأمة عند مغرب الشمس ، يقال لها : ناسك . وأما الأخرى : فعند مطلعها يقال لها : منسك . وأما اللتان بينهما عرض الأرض ، فأمة فى قطر الأرض الأيمن ، فقال لها : هاويل . وأما الأخرى التى فى قطر الأرض الأيسر ، فأمة يقال لها : تاويل ؛ فلما قال الله له ذلك ، قال له ذوالقرنين : إلهى إنك قد ندبتنى لأمر عظيم لايقدر قدره إلا أنت ، فأخبرنى عن هذه الأمم التى بعثتنى إليها ، بأىّ قوّة أكابرهم ، وبأىّ جمع أكاثرهم ، وبأىّ حيلة أكايدهم ، وبأىّ صبر أقاسيهم ، وبأىّ لسان أناطقهم ، وكيف لى بأن أفقه لغاتهم ، وبأىّ سمع أعى قولهم ، وبأىّ بصر أنفذهم ، وبأىّ حجة أخاصمهم ، وبأىّ قلب أعقل عنهم ، وبأىّ حكمة أدبر أمرهم ، وبأىّ قسط أعدل بينهم ، وبأىّ حلم أصابرهم ، وبأىّ معرفة أفصل بينهم ، وبأىّ علم أتقن أمورهم ، وبأىّ يد أسطو عليهم ، وبأىّ رجل أطؤهم ، وبأىّ طاقة أخصمهم ، وبأىّ جند أقاتلهم ، وبأىّ رفق أستألفهم ، فإنه ليس عندى يا إلهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم ، وأنت الربّ الرحيم ، الذى لايكلّف نفسا إلا وسعها ، ولا يحملها إلا طاقتها ، ولا يعنتها ولا يفدحها ، بل أنت ترأفها [1] وترحمها. قال الله عزّ وجلّ : إنى سأطوّقك ماحمّلتك ، أشرح لك صدرك ، فيسع كلّ شىء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شىء ، وأبسط لك لسانك ، فتنطق بكلّ شىء ، وأفتح لك سمعك فتعى كلّ شىء ، وأمدّ لك بصرك ، فتنفذ كلّ شىء ، وأدبر لك أمرك فتتقن كلّ شىء ، وأحصى لك فلا يفوتك شىء ، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شىء ، وأشدّ لك ظهرك ، فلا يهدّك شىء ، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شىء ، وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شىء ، وأسخر لك النور والظلمة ، فأجعلهما جندا من جنودك ، يهديك النور أمامك ، وتحوطك الظلمة من ورائك ، وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شىء ، وأبسط لك من بين يديك ، فتسطو فوق كلّ شىء ، وأشدّ لك وطأتك ، فتهدّ كلّ شىء ، وألبسك الهيبة فلا يرومك شىء .

ولما قيل له ذلك ، انطلق يؤمّ الأمة التى عند مغرب الشمس ، فلما بلغهم ، وجد جمعا وعددا لايحصيه إلا الله، وقوّة وبأسا لايطيقه إلا الله ، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة ، وقلوبا متفرّقة ؛ فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها ، فأحاطتهم من كلّ مكان ، وحاشتهم حتى جمعتهم فى مكان واحد ، ثم أخذ عليهم بالنور ، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته ، فمنهم من آمن له ، ومنهم من صدّ ، فعمد إلى الذين تولوا عنه ، فأدخل عليهم الظلمة ، فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ، ودخلت فى بيوتهم ودورهم ، وغشيتهم من فوقهم ، ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم ، فماجوا فيها وتحيروا ؛ فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ، فدخلوا فى دعوته ، فجنّد من أهل المغرب أمما عظيمة ، فجعلهم جندا واحدا ، ثم انطلق بهم يقودهم ، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم ، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم ، وهو يسير فى ناحية الأرض اليمنى ، وهو يريد الأمة

(١) يقال : رأف به يرأف : إذا رحمه ، وهو بوزن فتح وكرم وفرح ، ويعدى بالباء ، كما فى اللسان ، ولعل هنا مضمن معنى رحمه ، فعدى بنفسه ، ، أو محرف عن ترأمها .

التى فى قطر الأرض الأيمن التى يقال لها هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره ، فلا يخطئ إذا ائتمر ، وإذا عمل عملا أتقنه . فانطلق يقود تلك الأمم وهى تتبعه ، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال ، فنظمها فى ساعة ، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود ، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ، ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله ، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل ، فعمل فيها كعمله فى ناسك . فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها وجند منها جنودا ، كفعله فى الأمتين اللتين قبلها ، ثم كرّ مقبلا فى ناحية الأرض اليسرى ، وهو يريد تاويل وهى الأمة التى بحيال هاويل ، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله ؛ فلما بلغها عمل فيها ، وجند منها كفعله فيما قبلها ؛ فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التى وسط الأرض من الجنّ وسائر الناس ، ويأجوج ومأجوج ؛ فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق ، قالت له أمة من الإنس صالحة : ياذا القرنين ، إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ، وكثير منهم مشابه للإنس [1] ، وهم أشباه البهائم ، يأكلون العشب ، ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع ، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب ، وكلّ ذى روح مما خلق الله فى الأرض ، وليس لله خلق ينمو نماءهم فى العام الواحد ، ولا يزداد كزيادتهم ، ولا يكثر ككثرتهم ، فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم ، فلا شكّ أنهم سيملئون الأرض ، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها ، وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم ، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا . قَالَ : مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) أعدّوا إلىّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم ، وأعلم علمهم ، وأقيس ما بين جبليهم . ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم ، فوجدهم على مقدار واحد ، ذكرهم وأنثاهم ، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا ، لهم مخالب فى موضع الأظفار من أيدينا ، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحناك كأحناك الإبل ، قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرّة من الإبل ، أو كقضم الفحل المسنّ ، أو الفرس القوىّ ، وهم هلب ، عليهم من الشعر فى أجسادهم ما يواريهم ، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم ؛ ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان : إحداهما وبرة ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها ، تسعانه إذا لبسهما ، يلتحف إحداهما ، ويفترش الأخرى ، ويصيف فى إحداهما ، ويشتّى فى الأخرى ، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه ، ومنقطع عمره ، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد ، فإذا كان ذلك أيقن بالموت ، وهم يرزقون التنين أيام الربيع ، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه ؛ فيقذفون منه كلّ سنة بواحد ، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل ، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم ، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا ، ورؤى أثره عليهم ، فدرّت عليهم الإناث ، وشبقت منهم الرجال

(١) فى (عرائس المجالس للثعلبى المفسر ، طبعة : الحلبى ص ٣٦٥) ليس فيهم مشابهة من الإنس ، وهو أليق بالمقام .

الذكور ، وإذا أخطأهم هزّلوا وأجدبوا ، وجفرت الذكور ، وحالت الإناث ، وتبين أثر ذلك عليهم ، وهم يتداعَون تداعي الحَمام ، ويعوُون عُواء الكلاب ، ويتسافدون حيث التقَوا تسافد البهائم .

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصّدَفين ، فقاس ما بينهما وهو فى منقطع أرض الترك مما يلى مشرق الشمس ، فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ ؛ فلما أنشأ فى عمله ، حفر له أساسا حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ، وجعل حشوه الصخور ، وطينه النحاس ، يذاب ثم يُصبّ عليه ، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض ، ثم علاه وشرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر ، فصار كأنه بُرد محبّر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد ؛ فلما فرغ منه وأحكمه ، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجنّ ، فبينا هو يسير ، دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون ، فوجد أمة مقسطة مقتصدة ، يقسمون بالسوية ، ويحكمون بالعدل ، ويتآسون ويتراحمون ، حالهم واحدة ، وكلمتهم واحدة ، وأخلاقهم مشتبهة ، وطريقتهم مستقيمة ، وقلوبهم متألفة ، وسيرتهم حسنة ، وقبورهم بأبواب بيوتهم ؛ وليس على بيوتهم أبواب . وليس عليهم أمراء ، وليس بينهم قضاة ، وليس بينهم أغنياء ، ولا ملوك ، ولا أشراف ، ولا يتفاوتون ، ولا يتفاضلون ، ولا يختلفون ، ولا يتنازعون ، ولا يستبُّون ، ولا يقتتلون ، ولا يَقْحَطون ، ولا يحردون ، ولا تصيبهم الآفات التى تصيب الناس ، وهم أطول الناس أعمارا ، وليس فيهم مسكين ، ولا فقير ، ولا فظّ ، ولا غليظ ؛ فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم ، عجب منه ! وقال : أخبرونى أيها القوم خبركم ، فإنى قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها ، وشرقها وغربها ، ونورها وظلمتها ، فلم أجد مثلكم ، فأخبرونى خبركم ؛ قالوا : نعم ، فسلنا عما تريد ، قال : أخبرونى ، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم ؟ قالوا : عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ، ولا يخرج ذِكره من قلوبنا ؛ قال : فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب ؟ قالوا : ليس فينا متهم ، وليس منا إلا أمين مؤتمن ؛ قال : فما لكم ليس عليكم أمراء ؟ قالوا : لا نتظالم ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم حكام ؟ قالوا : لا نختصم ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم أغنياء ؟ قالوا : لا نتكاثر ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم ملوك ؟ قالوا : لا نتكابر ؛ قال : فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون ؟ قالوا : من قِبَل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا ؛ قال : فما بالكم لا تستبُّون ولا تقتتلون ؟ قالوا : من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم ، وسسنا أنفسنا بالأحلام ؛ قال : فما بالكم كلمتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة مستوية ؟ قالوا : من قبل أنا لا نتكاذب ، ولا نتخادع ، ولا يغتاب بعضنا بعضا ؛ قال : فأخبرونى من أين تشابهت قلوبكم ، واعتدلت سيرتكم ؟ قالوا : صحّت صدورنا ، فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير ؟ قالوا : من قبل أنا نقتسم بالسوية ؛ قال : فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ ؟ قالوا : من قبل الذلّ والتواضع ؛ قال : فما جعلكم أطول الناس أعمارا ؟ قالوا : من قِبَل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل ؛ قال : فما بالكم لا تَقْحَطون ؟ قالوا : لا نغفل عن الاستغفار ؛ قال : فما بالكم لا تَحْرَدون ؟ قالوا : من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا ، وأحببناه وحرصنا عليه ، فعرينا منه ؛ قال : فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس ؟ قالوا : لا نتوكل على غير الله ، ولا نعمل

بالأنواء والنجوم ؛ قال : حدثونى أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون ؟ قالوا : نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ، ويُواسون فقراءهم ، ويعفون عمن ظلمهم ، ويُحسنون إلى من أساء إليهم ، ويحلُمون عمن جهل عليهم ، ويستغفرون لمن سبهم ، ويصلون أرحامهم ، ويؤدّون أماناتهم ، ويحفظون وقتهم لصلاتهم ، ويُوفُون بعهودهم ، ويصدُقون فى مواعيدهم ، ولا يرغبون عن أكفائهم ، ولا يستنكفون عن أقاربهم ، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم ، وحفظهم ما كانوا أحياء ، وكان حقا على الله أن يحفظهم فى تركتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ يَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ، حتى إذَا كادُوا يَرَوْنَ شُعاعَ الشَّمْسِ قالَ الَّذِى عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدًا ، فَيُعِيدُهُ اللهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ ، حتى إذَا جاءَ الوَقْتُ قالَ : إنْ شاءَ اللهُ . فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ ، فَيَنْشِفُونَ المِياهَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ فى حُصُونِهِمْ ، فَيَرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السَّماءِ ، فَيَرْجِعُ فِيها كَهَيْئَةِ الدَّماءِ ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنا أهْلَ الأرْضِ ، وَعَلَوْنا أهْلَ السَّماءِ ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فى أقْفائِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إنَّ دَوَابَّ الأرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ مِنْ لُحُومِهِمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارىّ ثم الظَّفرىّ ، عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل ، عن أبى سعيد الخدرىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ كَمَا قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَغْشَوْنَ الأرْضَ ، وَيَنْحازُ المُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيَضُمُّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرْضِ ، حتى إنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ ما فيهِ ، حتى يَتْرُكُوهُ يابِسا ، حتى إنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذلكَ النَّهْرِ ، فَيَقُولُ : لَقَدْ كانَ هَاهُنا ماءٌ مَرَّةً ، حتى لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أحَدٌ إلاَّ انْحازَ إلى حِصْنٍ أوْ مَدِينَةٍ ، قالَ قائِلُهُمْ : هَؤُلاءِ أهْلُ الأرْضِ قَدْ فَرَغْنا مِنْهُمْ ، بَقِيَ أهْلُ السَّماءِ ، قالَ : ثُمَّ يَهُزُّ أحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ يَرْمِى بِها إلى السَّماءِ ، فَتَرْجِعُ إلَيْهِ مُخَضَّبَةً دَما لِلْبَلاءِ وَالفِتْنَةِ ، فَبَيْنَاهُمْ على ذلكَ ، بَعَثَ اللهُ عَلَيْهِمْ دُودًا فى أعْناقِهِمْ كالنَّغَفِ ، فَتَخْرُجُ فى أعْناقِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، لايُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ ، فَيَقُولُ المُسْلِمُونَ : ألا رَجُلٌ يَشْرِى لَنا نَفْسَهُ ، فَيَنْظُرُ ما فعل العدوّ ، قال : فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لذلكَ مُحْتَسِبا لِنَفْسِهِ ، قَدْ وَطَّنَها على أنَّهُ مَقْتُولٌ ، فَيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى ، بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ ، فَيُنادِى : يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ، ألا أبْشِرُوا ، فإنَّ اللهَ قَدْ كَفاكُمْ عَدُوَّكُمْ ، فَيَخْرُجونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ ، فَمَا يَكُونُ لَها رَعْىٌ إلاَّ لُحُومُهُمْ ، فَتَشْكَرُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما شَكِرَتْ عَنْ شَىْءٍ مِنَ النَّباتِ أصابَتْ قَطُّ » .

حدثنى بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى معاوية ، عن أبى الزاهرية وشريح بن عبيد : أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف : صنف طولهم كطول الأرز ، وصنف طوله وعرضه سواء ، وصنف يفترش أحدهم أذنه ، ويلتحف بالأخرى فتغطى سائر جسده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) قال : كان أبو سعيد الخدرى يقول : « إن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل » . قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه .

فالخبر الذى ذكرناه عن وهب بن منبه فى قصة يأجوج ومأجوج ، يدل على أن الذين قالوا لذى القرنين (إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد فى الأرض ، لا أنهم شكوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو فى غيرهم . والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد فى الأرض ، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذى القرنين السد الذى أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس فى الناس غيرهم إفساد .

فإذا كان ذلك كذلك بالذى بينا ، فالصحيح من تأويل قوله (إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) إن يأجوج ومأجوج سيفسدون فى الأرض .

وقوله (فهل نجعل لك خرجا) اختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (فهل نجعل لك خرجا) كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس ، وذلك جعله . وقرأته عامة قراء الكوفيين (فهل نجعل لك خراجا) بالألف ، وكأنهم نحوا به نحو الاسم ، وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم .

⁂ وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه (فهل نجعل لك خراجا) بالألف ، لأن القوم فيما ذكر عنهم ، إنما عرضوا على ذى القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد ، وقد بين ذلك بقوله (فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما) ولم يعرضوا عليه جزية رءوسهم . والخراج عند العرب : هو الغلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (فهل نجعل لك خراجا) قال : أجرا (على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فهل نجعل لك خراجا) قال : أجرا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا) قال : أجرا .

وقوله (عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) يقول : قالوا له : هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ، ويمنعهم من الخروج إلينا ، وهو السدّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال ذوالقرنين : الذى مكننى فى عمل ما سألتمونى من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربى ، ووطأه لى ، وقوّانى عليه ، خير من جُعلكم ، والأجرة التى تعرضونها علىّ لبناء ذلك ، وأكثر وأطيب ، ولكن أعينونى منكم بقوّة ، أعينونى بفَعَلَة وصناع يُحسنون البناء والعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) قال : برجال (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) وقال مامكنى ، فأدغم إحدى النونين فى الأخرى ، وإنما هو ما مكننى فيه . وقوله : (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) يقول : أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما . والردم : حاجز الحائط والسدّ ، إلا أنه أمنع منه وأشدّ ، يقال منه : قد ردم فلان موضع كذا يَرْدِمه رَدْما ورُدَاما[1] ويقال أيضا : رَدَّم ثوبه يردمه ، وهو ثوب مُرَدَّم : إذا كان كثير الرقاع ؛ ومنه قول عنترة :

هَلْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ　　　أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) قال : هو كأشدّ الحجاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يا نبىّ الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج ، قالَ : انْعَتْهُ لى ، قال : كأنه البرد المحبّر ، طريقة سوداء ، وطريقة حمراء ، قالَ : قَدْ رأيْتَهُ » .

---

(١) الردام : مصدر ردم يردم (بالضم فى المضارع) رداما : ضرط . (عن اللسان) .

(٢) البيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى ، من معلقته المشهورة (انظره فى شرح الزوزنى للمعلقات السبع ، وشرح التبريزى للقصائد العشر ، ومختار الشعر الجاهلى بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ٣٦٩) قال شارحه : متردم : موضع يسترقع ويستفلح لوهنه ووهيه ، من قولهم : ردمت الشىء إذا أصلحته ، وقويت ما وهى منه . ويروى : مترنم ، من الترنم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين . يقول : هل ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد أصلحوه ، أوهل تركت الشعراء شيئا إلا رجعوا نغماته بإنشاء الشعر فى وصفه ؟ والمعنى : لم يترك الأول للآخر شيئا . ثم أضرب عن ذلك ، وسأل نفسه : هل عرفت دار عشيقتك ، بعد شكك فيها ؟ وفى (اللسان : ردم) : والمتردم : الموضع الذى يرقع . ويقال : تردم الرجل ثوبه : أى رقعه يتعدى ، ولا يتعدى . ابن سيده : ثوب مردم ، ومرتدم ، ومتردم ، وملوم : خلق مرقع ؛ قال عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم * ... البيت » . معناه : أي مستصلح . قال ابن سيده : أي من كلام يلصق بعضه ببعض ويلبق : أى قد سبقونا إلى القول فلم يدعوا مقالا لقائل .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۝ ﴾

يقول عزّ ذكره : قال ذوالقرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدًّا (آتُونِي) : أي جيئوني بزُبَر الحديد . وهي جمع زُبْرة ، والزُّبْرة : القطعة من الحديد .

كما حدثني عليّ . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (زُبَرَ الحَدِيدِ) يقول : قطع الحديد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عليّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (زُبَرَ الحَدِيدِ) قال : قطع الحديد .

حدثني محمد بن عمارة الأسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيي عن مجاهد ، قوله (آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) : أي فِلَق الحديد .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (آتُونِي زُبَرُ الحَدِيدِ) قال : قطع الحديد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ) قال : قطع الحديد .

وقوله (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) يقول عزّ ذكره : فآتوه زُبَر الحديد ، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبر الحديد ، ويقال : سوّى . والصدفان : ما بين ناحيتي الجبلين ورؤوسهما ؛ ومنه قول الراجز :

قدْ أخَذَتْ مابينَ عَرْضِ الصُّدُفَيْنِ ناحِيَتَيْها وأعالى الرُّكْنَيْنِ[1]

---

(١) البيتان من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٤١٤) قال : « بين الصدفين » : فبعضهم يضمها ، وبعضهم يفتحها (الصاد المشددة) يحرك الدال . ومجازاهما : ما بين الناحيتين من الجبلين . وقال : « قد أخذت . . . . البيتين » . ولم ينسبهما . وفي (اللسان : صدف) : والصدفان (بالتحريك) والصدفان بضمهما : جبلان متلاقيان بيننا وبين يأجوج ومأجوج . وفي التنزيل العزيز : « حتى إذاساوى بين الصدفين » : قرئ الصدفين (بالتحريك) والصدفين وبضمهما ، والصدفين (بضم الأول وفتح الثاني) . وفي هامش اللسان : « وبقيت رابعة : الصدفين كعضوين كما في القاموس . (ثم قال في اللسان : وفي الحديث « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مر بصدف أو هدف مائل أسرع المشي » . ابن الأثير : هو بفتحتين وضمتين . قال أبو عبيدة : الصدف والهدف : واحد ، وهو كل بناء مرتفع عظيم . قال الأزهري : وهو مثل صدف الجبل ، شبهه به ، وهو ما قابلك من جانبه . اهـ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (بينَ الصَّدَفَيْنِ) يقول : بين الجبلين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (حتى إذَا بلَغَ بينَ السَّدَّيْنِ) قال : هو سدّ كان بين صدَفين ، والصدفان : الجبلان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الصَّدَفَيْنِ) رءوس الجبلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (بينَ الصَّدَفَيْنِ) يعنى الجبلين ، وهما من قبل أرمينية وأذربيجان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (حتى إذَا ساوَى بينَ الصَّدَفَيْنِ) وهما الجبلان .

حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قرأها (بينَ الصَّدَفَيْنِ) منصوبة الصاد والدال ، وقال : بين الجبلين ، وللعرب فى الصدفين : لغات ثلاث ، وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القرّاء الفتح فى الصاد والدال ، وذلك قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ؛ والضمّ فيهما ، وهى قراءة أهل البصرة ؛ والضم فى الصاد وتسكين الدال ، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة . والفتح فى الصاد والدال أشهر هذه اللغات ، والقراءة بها أعجب إلىّ ، وإن كنت مستجيزا القراءة بجميعها ، لاتفاق معانيها . وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة .

وقوله (قالَ انْفُخُوا) يقول عزّ ذكره ، قال للفعلة : انفخوا النار على هذه الزُّبر من الحديد .

وقوله (حتى إذَا جَعَلَهُ نارًا) وفى الكلام متروك ، وهو : فنفخوا ، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا (قالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) فاختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (قالَ آتُونِى) بمدّ الألف من (آتُونِى) بمعنى : أعطونى قطرا أفرغ عليه . وقرأه بعض قرّاء الكوفة ، قال (ائْتُونِى) بوصل الألف ، بمعنى : جيئونى قِطْرا أفرغ عليه ، كما يقال : أخذت الخطام ، وأخذت بالخطام ، وجئتك زيدا ، وجئتك بزيد . وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرئ كذلك إلى معنى أعطونى ، فيكون كأنّ قارئه أراد مدّ الألف من آتونى ، فترك الهمزة الأولى من آتونى ، وإذا سقطت الأولى همز الثانية .

وقوله (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) يقول : أصبّ عليه قِطرا ، والقِطْر : النُّحاس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) قال : القِطر : النحاس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) : يعنى النحاس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) أى النحاس ليلزمه به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) قال : نحاسا .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : القِطر : الحديد المذاب ، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر :

حُساما كَلَوْنِ المِلْحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَازًا مِنَ اقْطارِ الحَدِيدِ المُنَعَّتِ [١]

وقوله (فَمَا اسْطاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ) يقول عزّ ذكره : فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلُوا الردم الذى جعله ذو القرنين حاجزا بينهم ، وبين من دونهم من الناس ، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس ، يقال منه : ظهر فلان فوق البيت : إذا علاه ؛ ومنه قول الناس : ظهر فلان على فلان : إذا قهره وعلاه (وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبًا) يقول : ولم يستطيعوا أن ينقُبوه من أسفله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا اسْطاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ) من فوقه (وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبًا) : أى من أسفله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَمَا اسْطاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ) قال : ما استطاعوا أن ينزعوه .

---

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى (مجاز القرآن ١ : ٤١٥) عند تفسير قوله تعالى : (أفرغ عليه قطرا) قال : أى أصب عليه حديدا ذائبا ، قال : « حساما . . . البيت » : جمع قطر ، وجعله بعضهم الرصاص النقرة . اهـ . وفى (اللسان : قطر) والقطر بالكسر : النحاس الذائب ، وقيل ضرب منه آ هـ . وفى (اللسان : جرز) : وسيف جراز : قاطع . قال : ويقال : سيف جراز : إذا كان مستأصلا . والجراز من السيوف : الماضى النافذ . اهـ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن قتادة (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : أن يرتقوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : أن يرتقوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ) قال : يعلوه (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) : أى ينقبوه من أسفله .

واختلف أهل العربية فى وجه حذف التاء من قوله (فَمَا اسْطَاعُوا) فقال بعض نحويى البصرة : فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول : اسطاع يسطيع ، يريدون بها : استطاع يستطيع ، ولكن حذفوا التاء إذا جُمعت مع الطاء ومخرجهما واحد . قال : وقال بعضهم : استاع ، فحذف الطاء لذلك . وقال بعضهم : أسطاع يسطيع ، فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع ، فجعل السين عوضا من إسكان الواو (١) . وقال بعض نحويِّ الكوفة : هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ (٩٨)

يقول عزّ ذكره : فلما رأى ذوالقرنين أن يأجوج ومأجوج لايستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم ، ولا يقدرون على نقبه ، قال : هذا الذى بنيته وسوّيته حاجزا بين هذه الأمة ، ومن دون الردم رحمة من ربى رحم بها من دون الردم من الناس ، فأعاننى برحمته لهم حتى بنيته وسوّيته ليكفّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم .

وقوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) يقول : فإذا جاء وعد ربى الذى جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم ، جعله دكاء ، يقول : سوّاه بالأرض ، فألزقه بها من قولهم : ناقة دكاء : : مستوية الظهر لاسنام لها . وإنما معنى الكلام : جعله مدكوكا ، فقيل : دكاء .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ) قال : لاأدرى الجبلين يعنى به ، أو ما بينهما .

وذُكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال .

ذكر الخبر بذلك

حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقى ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوّام ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفارة العبدى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَقِيتُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ ، وَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لاعِلْمَ لِى بِهَا ، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : لاعِلْمَ لِى بِهَا ،

(١) أى عوضا من ذهاب حركة الواو ، كما فى اللسان .

فَرَدُّوا الأَمْرَ إلى عيسى ؛ قالَ عيسى : أمَّا قِيامُ السَّاعةِ لايَعْلَمُهُ إلاَّ اللهُ ، ولكِنْ رَبِّى قَدْ عَهِدَ إلَىَّ بِمَا هُوَ كائِنٌ دُونَ وَقْتِها . عَهِدَ إلَىَّ أنَّ الدَّجَّالَ خارِجٌ ، وأنَّهُ مُهْبِطِى إلَيْهِ . فَذَكَرَ أنَّ مَعَهُ قَصَبتَيْنِ ، فإذَا رآنى أهْلَكَهُ اللهُ ؛ قالَ : فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصاصُ ، حتى إنَّ الحَجَرَ والشَّجَرَ لَيَقُولُ : يا مُسْلِمُ هَذَا كافِرٌ فاقْتُلْهُ ، فيُهْلِكُهُمُ اللهُ ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إلى بِلادِهِمْ وأَوْطانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لايَأْتُونَ عَلَى شَىْءٍ إلاَّ أكَلُوهُ ؛ وَلا يَمُرُّونَ عَلَى ماءٍ إلاَّ شَرِبُوهُ ، فَيَرْجِعُ النَّاسُ إلَىَّ ، فَيَشْكُونَهُمْ ، فأَدْعُوا اللهَ عَلَيْهِمْ فَيُمِيتُهُمْ حتى تَجْوَى الأرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ ، فَيَنْزِلُ المَطَرُ ، فَيَجُرُّ أجْسادَهُمْ ، فَيُلْقِيهِمْ فى البَحْرِ ، ثُمَّ يَنْسِفُ الجِبالَ حتى تَكُونَ الأرْضُ كالأدِيمِ ، فَعَهِدَ إلَىَّ رَبِّى أنَّ ذلكَ إذا كان كذلك ، فَإنَّ السَّاعَةَ مِنْهُمْ كالحامِلِ المُتِمِّ الَّتِى لايَدْرِى أهْلُها مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلادِها ، لَيْلاً أوْ نَهارًا » .

حدثنى عبيد بن إسماعيل ، قال : ثنا المحاربىّ ، عن أصبع بن زيد ، عن العوّام بن حوشب ، عن جبلة ابن سحيم ، عن مؤثر بن عَفازَة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما أُسْرِى برسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . فتذاكروا أمر الساعة » فذكر نحو حديث إبراهيم الدورقى عن هشيم ، وزاد فيه : قال العوّام بن حوشب : فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى ، قال الله عزّ وجل (حتى إذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فإذَا هِىَ شاخِصَةٌ أبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقال (فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّاءَ ، وكانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا) يقول : وكان وعد ربى الذى وعد خلقه فى دكّ هذا الردم ، وخروج هؤلاء القوم على الناس ، وعيثهم فيه ، وغير ذلك من وعده حقا ، لأنه لايخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذى وعدناهم ، بأنا ندكّ الجبال ونَنْسِفها عن الأرض نسفا ، فنذرها قاعا صفصفا ، بعضهم يموج فى بعض ، يقول : يختلط جنهم بإنسهم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن هارون بن عنترة ، عن شيخ من بنى فزارة ، فى قوله (وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فى بَعْضٍ) قال : إذا ماج الجنّ والإنس ، قال إبليس : فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر ، فيظعن إلى المشرق ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يظعن إلى المغرب ، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض ، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض ، فيجد الملائكة قطعوا الأرض ، فيقول : ما من مَحِيص ، فبينا هو كذلك ، إذ عرض له طريق كالشراك ، فأخذ عليه هو وذرّيته ، فبينما هم

عليه ، إذ هجموا على النار ، . فأخرج الله خازنا من خزّان النار ، قال : يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ، ألم تكن فى الجنان ؟ فيقول : ليس هذا يوم عتاب ، لو أن الله فرض علىّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه ، فيقول : فإن الله قد فرض عليك فريضة ، فيقول : ماهى ؟ فيقول : يأمرك أن تدخل النار ، فيتلكأ عليه ، فيقول ١ به وبذرّيته بجناحيه ، فيقذفهم فى النار ، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملَك مقرّب ، ولا نبىّ مرسل إلا جثى لركبتيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) قال : هذا أوّل القيامة ، ثم نفخ فى الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ؛

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى فى الصُّور ، وما هو ، وما عُنِى به . واخترنا الصواب من القول فى ذلك بشواهده المغنية عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر فى هذا الموضع بعض ما لم نذكر فى ذلك الموضع من الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : ثنا أسلم ، عن بشر بن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصُّور ، قال : « قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن سليمان التيمىّ ، عن العجلى ، عن بشر ابن شغاف ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن الحارث القنطرى ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكير ، قال : كنت فى جنازة عمر بن ذرّ فلقيت مالك بن مغول ، فحدثنا عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ وَحَنَى الجَبْهَةَ ، وأصْغَى بالأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ ، فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا ، وَلَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ مِنًى ما أقالُوا ذلكَ القَرْنَ » كذا قال ، وإنما هو ما أقلوا .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن عطية ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وَحَنَى ظَهْرَهُ ، وَجَحَظَ بعَيْنَيْهِ ، قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ ، تَوَكَّلْنا عَلَى اللهِ » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ ، يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ فِيهِ ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف نقول ؟ قال : تَقُولُونَ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، تَوَكَّلْنا عَلَى اللهِ » .

---

(١) يقول : بمعنى يدفع به ويحركه .

حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة ، قالا : ثنا أسباط ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا شعيب بن حرب ، قال : ثنا خالد أبو العلاء ، قال : ثنا عطية العوفيّ ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَحَنَى الجَبْهَةَ ، وأصْغَى بالأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ أنْ يَنْفُخَ ، وَلَوْ أنَّ أهْلَ مِنًى اجْتَمَعُوا عَلى القَرْنِ عَلَى أنْ يُقِلُّوهُ مِنَ الأرْضِ ، ما قَدَرُوا عَلَيْهِ » ، قال : فأُبلِسَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشقّ عليهم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُولُوا : حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ ، عن إسماعيل بن رافع المدنى ، عن يزيد بن فلان ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ، خَلَقَ الصُّورَ ، فأعْطاهُ إسْرَافِيلَ ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فِيهِ شاخِصٌ بَصَرُهُ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ » ، قال أبو هريرة : يا رسول الله ، ما الصُّور؟ قال : « قَرْنٌ » ، قال : وكيف هو؟ قال : « قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ : الأُولى : نَفْخَةُ الفَزَعِ ، والثَّانِيَةُ : نَفْخَةُ الصَّعْقِ ، والثَّالِثَةُ : نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ » .

وقوله (فَجَمَعْناهُمْ جَمْعًا) يقول : فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا . وقوله (وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكافِرِينَ عَرْضًا) يقول : وأبرزنا جهنم يوم ينفخ فى الصور ، فأظهرناها للكافرين بالله ، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ؛ ولو جعل الفعل لها قيل : أعرضت إذا استبانت ، كما قال عمرو بن كلثوم :

وأعْرَضَتِ اليَمامَةُ واشْمَخَرَّتْ ... كأسْيافٍ بأيْدِي مُصْلِتِينا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، قال : يقوم الخلق لله إذا نفخ فى الصور ، قيام رجل واحد ، ثم يتمثّل الله

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى فى (جمهرة أشعار العرب ٧٤ – ٨٤ ، وفى شرحى الزوزنى والتبريزى للمعلقات) . وأعرضت : ظهرت ، وعرضت الشيء : أظهرته ، ومنه قوله عز وجل (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وهذا من النوادر عرضت الشيء فأعرض ، ومثله كببته فأكب ، واشمخرت : طالت وارتفعت . والمعنى بدت مستطيلة . والكاف فى قوله كأسياف : فى موضع نصب ، على أنها نعت لمصدر محذوف . والمصلت الشاهر سيفه ، يقال : أصلت السيف : إذا سللته . والمعنى : ظهرت لنا قرى اليمامة ، وارتفعت فى أعيننا ، كأسياف بأيدى رجال سالين سيوفهم ، فاشتقت لذلك لما رأيت موضعها الذى تصير إليه . والشاهد فى قوله : أعرضت بمعنى ظهرت .

عزّ وجلّ للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه ، قال : فيلقى اليهود فيقول : من تعبدون ؟ قال : فيقولون : نعبد عُزَيرا ، قال : فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ، ثم قرأ (وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِينَ عَرْضًا) ثم يلقى النصارى فيقول : من تعبدون ؟ فيقولون : نعبد المسيح ، فيقول : هل يسركم الماء ؟ فيقولون نعم ، قال : فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا ، ثم قرأ عبد الله (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾

يقول تعالى : وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لاينظرون فى آيات الله ، فيتفكّرون فيها ولا يتأمّلون حججه ، فيعتبرون بها ، فيتذكرون وينيبون إلى توحيد الله ، وينقادون لأمره ونهيه ، وكانوا لايستطيعون سمعا ، يقول : وكانوا لايطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذى ذكّرهم به ، وبيانه الذى بيّنه لهم فى آى كتابه ، بخذلان الله إياهم ، وغلبة الشقاء عليهم ، وشُغْلِهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان ، فيتعظون به ، ويتدبّرونه ، فيعرفون الهدى من الضلالة ، والكفر من الإيمان .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَسْتَطِيعُونَ سَمْعا) قال : لايعقلون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وكانُوا لايَسْتَطِيعُونَ سَمْعا) قال : لايعلمون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى) . . . الآية ، قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

يقول عزّ ذكره : أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح ، أن يتخذوا عبادى الذين عبدوهم من دون الله أولياء ، يقول : كلا بل هم لهم أعداء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) قال : يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة ، وهم عباد الله ، ولم يكونوا للكفار أولياء . وبهذه القراءة ، أعني بكسر السين من (أَفَحَسِبَ) بمعنى الظنّ قرأت هذا الحرف قرّاء الأمصار . ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد أنهم قرءوا ذلك (أَفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتسكين السين ، ورفع الحرف بعدها ، بمعنى : أفحسبهم ذلك : أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عباداتي وموالاتي .

كما حُدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة (أَفَحَسْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) قال : أفحسبهم ذلك ، والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ) بكسر السين ، بمعنى أفظنّ ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وقوله (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا) يقول : أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾

☆ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد لهؤلاء الذين يبغون عَنَتَك ويجادلونك بالباطل ، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين : اليهود ، والنصارى (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ) أيها القوم (بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا ، فنالوا به عَطَبًا وهلاكا ولم يدركوا طلبا ، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا ، فخاب رجاؤه ، وخسر بيعه ، ووكس في الذي رجا فضله .

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بذلك ، فقال بعضهم : عُنِي به الرهبانُ والقسوس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا المقبري ، قال : ثنا حيوة بن شريح ، قال : أخبرني السكن بن أبي كريمة ، أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصة عبد الله بن قيس يقول : سمعت عليّ بن أبي طالب يقول في هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت حيوة يقول : ثني السكن بن أبي كريمة ، عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول : سمعت عليّ بن أبي طالب يقول ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ،

عن مصعب بن سعد ، قال : قلت لأبى (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) أهم الحرورية ؟ قال : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا فضالة بن الفضل ، قال : قال بزيع : سأل رجل الضحاك عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) قال : هم القسيسون والرهبان .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن هلال ابن يساف ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : هم أصحاب الصوامع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن سعد ، قال : قلت لسعد : يا أبت (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) أهم الحرورية ، فقال : لا ، ولكنهم أصحاب الصوامع ، ولكن الحرورية قوم زاغوا ، فأزاغ الله قلوبهم .

وقال آخرون : بل هم جميع أهل الكتابين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مصعب ابن سعد ، قال : سألت أبى عن هذه الآية (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أهم الحرورية ؟ قال : لا ، هم أهل الكتاب ، اليهود والنصارى . أما اليهود فكذبوا بمحمد . وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا : ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الحرورية (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فكان سعد يسميهم الفاسقين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن إبراهيم بن أبى حرّة عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه ، فى قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى حرب بن أبى الأسود عن زاذان ، عن علىّ بن أبى طالب ، أنه سئل عن قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً) قال هم كفرة أهل الكتاب ، كأن أوائلهم على حقّ ، فأشركوا بربهم ، وابتدعوا فى دينهم ، الذين يجتهدون فى الباطل ، ويحسبون أنهم على حقّ ، ويجتهدون فى الضلالة ، ويحسبون أنهم على هدى ، فضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ثم رفع صوته ، فقال : وما أهل النار منهم ببعيد .

وقال آخرون : بل هم الخوارج .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان بن سلمة ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الطفيل ،

قال : سأل عبد الله بن الكوّاء عليا عن قوله (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً) قال : أنتم يا أهل حَرُوراء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، عن أبى صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن أبى الصهباء البكرىّ ، عن علىّ بن أبى طالب ، أن ابن الكوّاء سأله ، عن قول الله عزّ وجلّ (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً) فقال علىّ : أنت وأصحابك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبى الطفيل ، قال : قام ابن الكوّاء إلى علىّ ، فقال : مَن الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، قال : وَيْلك أهلُ حَرُوراء منهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد ابن عَثْمة [1] ، قال : ثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله ، قال : ثنى أبو الحويرث ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، قال : قال ابن الكوّاء لعلىّ بن أبى طالب : ما الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا ؟ قال : أنت وأصحابك .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن يقال : إن الله عزّ وجلّ عنى بقوله (هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً) كلّ عامل عملا يحسبه فيه مصيبا ، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض ، وهو بفعله ذلك لله مسخط ، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد فى ضلالتهم ، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة ، من أهل أىّ دين كانوا .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (أعمالاً) ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : نصب ذلك لأنه لما أدخل الألف واللام والنون فى الأخسرين لم يوصل إلى الإضافة ، وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب ، وقال غيره : هذا باب الأفعل والفُعْلَى ، مثل الأفضل والفُضْلَى ، والأخسر والخُسْرَى ، ولا تدخل فيه الواو ، ولا يكون فيه مفسر ، لأنه قد انفصل بمن هو كقوله الأفضل والفُضْلَى ، وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخر ، وقال : ألاترى أنك تقول : مررت برجل حَسَنٍ وجها ، فيكون الحسن للرجل والوجه ، وكذلك كبير عقلا ، وما أشبهه قال : وإنما جاز فى الأخسرين ، لأنه ردّه إلى الأفْعَل والأَفْعَلَة . قال : وسمعت العرب تقول : الأوّلات دخولا ، والآخِرات خروجا ، فصار للأوّل والثانى كسائر الباب قال : وعلى هذا يقاس .

وقوله (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا) يقول : هم الذين لم يكن عملهم الذى عملوه فى حياتهم الدنيا على هدى واستقامة ، بل كان على جور وضلالة ، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : يقول : وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون ، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون ، وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لايكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم

(١) هى أم محمد ، وخالد أبوه ، فيلزم إثبات الألف اه .

فى هذه الآية ، أن سعيهم الذى سعوا فى الدنيا ذهب ضلالا ، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون فى صنعهم ذلك ، و أخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ، ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم ، لوجب أن يكون هؤلاء القوم فى عماهم الذى أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه ، كانوا مثابين مأجورين عليها ، ولكن القول بخلاف ما قالوا ، فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة ، وأن أعمالهم حابطة . وعنى بقوله (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا ، والصُّنع : والصَّنعة والصنيع واحد ، يقال : فرس صنيع بمعنى مصنوع .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا صفتهم ، الأخسرون أعمالا ، الذين كفروا بحُجج ربهم وأدلته ، وأنكروا لقاءه (فَحَبِطَتْ أعمالُهُمْ) يقول : فبطلت أعمالهم ، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها فى الآخرة ، بل لهم منها عذاب وخزى طويل (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْنًا) يقول تعالى ذكره : فلا نجعل لهم ثقلا . وإنما عنى بذلك : أنهم لا تثقل بهم موازينهم ، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة ، وليس لهؤلاء شىء من الأعمال الصالحة ، فتثقل به موازينهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر ، عن أبى يحيى عن كعب ، قال : يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة ، اقرءوا (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْنا) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن الصلت ، قال : ثنا ابن أبى الزناد ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يُؤْتَى بالأَكُولِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ ، فَيُوزَنُ فَلا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، ثم قرأ (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْنا) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله ، واتخاذهم آيات كتابه ، وحجج رسله سُخْريا ، واستهزائهم برسله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأقرّوا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته ، كانت لهم بساتين الفردوس ، والفردوس : معظم الجنة ، كما قال أمية :

كانَتْ مَنازِلُهُمْ إذْ ذاكَ ظاهِرَةً فيها الفَرادِيسُ والفُومانُ والبَصَلُ[1]

واختلف أهل التأويل فى معنى الفردوس ؛ فقال بعضهم : عنى به أفضل الجنة وأوسطها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عباس بن الوليد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قال : الفردوس : ربْوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازى ، قال : ثنا الهيثم أبو بشر ، قال : أخبرنا الفرج بن فضالة ، عن لقمان ، عن عامر ، قال : سئل أبو أسامة عن الفردوس ، فقال : هى سرّة الجنة .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا حماد بن عمرو النصيبى ، عن أبى علىّ ، عن كعب ، قال : ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس ، وفيها الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر .

وقال آخرون : هو البستان بالرومية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سهل الرملى ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : الفردوس : بستان بالرومية .

حدثنا العباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرنى عبد الله عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : هو البستان الذى فيه الأعناب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عباس بن محمد ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن كعب ، قال : جنات الفردوس التى فيها الأعناب .

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (اللسان : فوم) . قال : وقال أمية فى جمع الفوم ، «كانت لهم جنة إذ ذاك ظاهرة » . . . البيت . قال : ويروى الفراريس . قال أبو الإصبع الفراريس : البصل . وقال : الزجاج : الفوم الحنطة ويقال الحبوب ، لااختلاف بين أهل اللغة أن الفوم الحنطة وسائر الحبوب التى تختبز يلحقها اسم الفوم ، قال : ومن قال : الفوم ههنا الثوم ، فإن هذا لايعرف . وقال أبو منصور : فإن قرأها ابن مسعود بالثاء ، فمعناه الفومُ وهو الحنطة . وفى « (اللسان : فردس) الفردوس : البستان . قال الفراء : هو عربى . وقال ابن سيده : الفردوس : الوادى الخصيب عند العرب ، كالبستان وهو بلسان الروم : البستان . والفردوس : الروضة عن السيرافى . والفردوس : خضرة الأعناب . قال الزجاج : وحقيقته : أنه البستان الذى يجمع ما يكون فى البساتين ، وكذلك هو عند أهل كل لغة . والفردوس : حديقة فى الجنة . والفردوس : أصله رومى عرب ، وهو البستان .

والصواب من القول فى ذلك ، ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبى سريج ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا همام بن يحيى ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ ، ما بينَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ عامٍ والفِرْدَوْسُ أعْلاها دَرَجَةً ، ومِنْها الأنهارُ الأرْبَعَةُ ، والفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِها ، فإذَا سألْتُمُ اللهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ » .

حدثنا موسى بن سهل ، قال : ثنا موسى بن داود ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن عُبادة بن الصامت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجَنَّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ ما بينَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بينَ السَّماءِ والأرْضِ ، أعْلاها الفِرْدَوْسُ ، ومِنْها تُفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ الأرْبَعَةُ ، فإذَا سألْتُمُ اللهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ » .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو يحيى بن سليمان ، عن هلال بن أسامة ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى هريرة ، أو أبى سعيد الخُدرىّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذَا سألْتُمُ اللهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فإنَّها أوْسَطُ الجَنَّةِ وأعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَها عَرْشُ الرَّحْمنِ تَبارَكَ وَتَعالَى ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبوعامر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال ، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم مثله ، إلا أنه قال : «وَسَطُ الجَنَّةِ » وقالَ أيضا : « وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أو تَتَفَجَّرُ » .

حدثنى عمار بن بكار الكلاعى ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا عبد العزيز بن محمد ، قال : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، ما بينَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بينَ السَّماءِ والأرْضِ ، والفِرْدَوْسُ أعْلَى الجَنَّةِ وأوْسَطُها، وفَوْقَها عَرْشُ الرَّحْمنِ ، ومِنْها تَفَجَّرُ أنهارُ الجَنَّةِ ، فإذَا سألْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ »

حدثنا أحمد بن منصور ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : ثنا الحارث بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعَةٌ ، اثْنَتان مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما ، وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ ، وَاثْنَتانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما، وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ » .

حدثنا أحمد بن أبى سريج ،قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا أبوقدامة ، عن أبى عمران الجونى ، عن أبى بكر ابن عبد الله بن قيس ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعٌ : ثِنْتانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما ، وَثِنْتانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شمر ، قال : خلق الله جنة الفردوس بيده ، فهو يفتحها فى كلّ يوم خميس ، فيقول : ازدادى طيبا لأوليائى ، ازدادى حسنا لأوليائى .

حدثنا ابن البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردىّ ، قالا : ثنا زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ للْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا كَمَا بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ ، أعْلَى دَرَجَةٍ مِنْها الفِرْدَوْسُ » .

حدثنى أحمد بن يحيى الصوفىّ ، قال : ثنا أحمد بن الفرج الطائىّ ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد ابن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدُب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الجَنَّةِ ، هِيَ أوْسَطُها وأحْسَنُها » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : أنبأنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنَّ الفِرْدَوْسَ هِيَ أعْلَى الجَنَّةِ وأحْسَنُها وأرْفَعُها » .

حدثنى محمد بن مرزوق ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال للربيع ابنة النضر : « يا أُمَّ حارِثَةَ ، إنَّها جِنانٌ ، وإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى » . والفردوس : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

وقوله (نُزُلاً) يقول : منازل ومساكن ، والمنزل : من النزول ، وهو من نزول بعض الناس على بعض . وأما النَّزْل : فهو الرَّيْع ، يقال : ما لطعامكم هـذا نَزْل ، يراد به الرَّيْع ، وما وجدنا عندكم نزلا : أى نزولا .

وقوله (خالِدِينَ) يقول : لابثين فيها أبدا (لايَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً) يقول : لايريدون عنها تحوّلا ، وهو مصدر تحوّلت ، أخرج إلى أصله ، كما يقال : صغُر يصغُر صِغَرا ، وعاج يعوج عِوَجا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لايَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً) قال : متحوّلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت مخلد بن الحسين يقول : وسئل عنها ، قال : سمعت بعض أصحاب أنس يقول : قال : يقول : « أوّلهم دخولا إنما أدخلنى الله أوّلهم ، لأنه ليس أحد أفضل منى ، ويقول آخرهم دخولا : إنما أخرنى الله ، لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل الذى أعطانى » .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ) يامحمد : (لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِ)لقلم الذى يُكتب به (كَلِماتِ رَبِّى لَنَفِدَ) ماء(الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مدداً) يقول : ولو مددنا البحر بمثل مافيه من الماء مددا ، من قول القائل : جئتك مددا لك ، وذلك من معنى الزيادة . وقد ذُكر عن بعضهم : ولو جئنا بمثله مددا ، كأن قارئ ذلك كذلك أراد : لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو زدنا بمثل مافيه من المداد الذى يكتب به مدادا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى «ح» وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (الْبَحْرُ مِداداً لكلمات ربى) للقلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّى) يقول : إذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المشركين يامحمد : إنما أنا بشر مثلكم من بنى آدم لاعلم لى إلا ماعلمنى الله وإن الله يوحى إلىّ أن معبودكم الذى يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، معبود واحد لاثانى له ، ولا شريك (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ) يقول : فمن يخاف ربه يوم لقائه ، ويراقبه على معاصيه ، ويرجو ثوابه على طاعته (فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً) يقول : فليخلص له العبادة ، وليفرد له الربوبية .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الربيع بن أبى راشد ، عن سعيد بن جبير (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ) قال : ثواب ربه .

وقوله (وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا) يقول : ولا يجعل له شريكا فى عبادته إياه ، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا راءى بعمله الذى ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عمرو بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا) [1] .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان (وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا) قال : لا يرائى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن طاوس ، قال : « جاء رجل ، فقال : يانبىّ الله إنى أحبّ الجهاد فى سبيل الله ، وأحبّ أن يرى موطنى ويرى مكانى ، فأنزل الله عزّ وجلّ (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحا ، وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجى عن صدقة بن يسار ، قال : « جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، وزاد فيه : وإنى أعمل العمل وأتصدّق وأحبّ أن يراه الناس » وسائر الحديث نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، قال : ثنا حمزة أبو عمارة مولى بنى هاشم ، عن شهر بن حوشب ، قال : « جاء رجل إلى عُبادة بن الصامت ، فسأله فقال : أنبئنى عما أسألك عنه ، أرأيت رجلا يصلى يبتغى وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ويصوم ويبتغى وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ، فقال عبادة : ليس له شىء ، إن الله عزّ وجلّ يقول : أنا خير شريك ، فمن كان له معى شريك فهو له كله ، لا حاجة لى فيه » .

حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السَّكونى ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا عمرو بن قيس الكندى ، أنه سمع معاوية بن أبى سفيان تلا هذه الآية (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحا ، وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَدًا) وقال : إنها آخر آية أنزلت من القرآن .

آخر تفسير سورة الكهف

---

(١) كذا فى المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير ، بدار الكتب المصرية ، وفى الدر عن سعيد : لا يشرك : لا يرائى بعبادة ربه أحدا .

(١٩) سورة مريم مكية
وآياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ كهيعص ۝ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى ذكره : كاف من (كهيعص) فقال بعضهم : تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذى هو كبير ، دلّ به عليه ، واستغنى بذكره عن ذكر باقى الاسم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوحصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس فى هذه الآية (كهيعص) قال : كبير ، يعنى بالكبير : الكاف من (كهيعص) .

حدثنا هنادبن السرىّ، قال : ثناأبو الأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول (كهيعص) قال : كاف : كبير .

حدثنى أبوالسائب ، قال : أخبرنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير فى (كهيعص) قال : كاف : كبير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

وقال آخرون : بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذى هو كاف .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، فى قوله (كهيعص) قال : كاف : كافٍ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم فى قوله (كهيعص) قال : كاف : كافٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن الكلبى مثله .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو كريم .

٦ - ١٦

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (كهيعص) قال : كاف من كريم .

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص : حرف من حروف اسمه الذى هو هاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أبوحصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول فى الهاء من (كهيعص) هاد .

حدثنا أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد ، مثله .

حدثنى أبوالسائب ، قال: ثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير نحوه.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حُصَين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، قال : ها : هاد .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبوروق ، عن الضحاك بن مزاحم ، فى قوله (كهيعص) قال : ها : هاد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلبىّ ، مثله .

واختلفوا فى تأويل الياء من ذلك ، فقال بعضهم : هو حرف من حروف اسمه الذى هو يمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : « يا » من (كهيعص) ياء يمين .

حدثنى أبوحصين ، قال : ثنا عَبْثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « يا » من (كهيعص) ياء يمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن حُصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن حُصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ياء : يمين .

وقال آخرون : بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو حكيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (كهيعص) قال : يا : من حكيم .

وقال آخرون : بل هى حرف من قول القائل : يا من يجير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا إبراهيم بن الضريس ، قال : سمعت الربيع بن أنس فى قوله (كهيعص) قال : يا من يجير ولا يجار عليه .

واختلف متأولو ذلك كذلك فى معنى العين ، فقال بعضهم : هى حرف من حروف اسمه الذى هو عالم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء، عن سعيد (كهيعص) قال : عين من عالم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبى ، مثله .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن المسيب بن رافع ، عن أبيه ، فى قوله (كهيعص) قال : عين : من عالم .

وقال آخرون : بل هى حرف من حروف اسمه الذى هو عزيز .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (كهيعص) عين : عزيز .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى أبوالسائب ، قال: ثنا ابن إدريس ، عن حصين، عن إسماعيل بن راشد، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (كهيعص) قال : عين عزيز .

وقال آخرون : بل هى حرف من حروف اسمه الذى هو عدل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (كهيعص) قال : عين : عدل .

وقال الذين تأوّلوا ذلك هذا التأويل : الصاد من قوله (كهيعص) : حرف من حروف اسمه الذى هو صادق .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقول في (كهيعص) صاد : صادق .

حدثني أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبيرمثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس، عن حصين ، عن إسماعيل بن راشد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا أبو روق ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : صاد : صادق .

حدثني يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، قال : صادق ، يعني الصاد من (كهيعص) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد(كهيعص) قال : صاد صادق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن الكلبي ، قال : صادق .

وقال آخرون : بل هذه الكلمة كلها اسم من أسماء الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خداش ، قال : ثني سالم بن قتيبة ، عن أبي بكر الهُذَلي ، عن عاتكة ، عن فاطمة ابنة علي قالت : كان علي يقول : يا (كهيعص) : اغفر لي .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : (كهيعص) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجلّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهدى ، عن عبد العزيز بن مسلم القسملى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال (كهيعص) ليس منها حرف إلا وهو اسم .

وقال آخرون : هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله (كهيعص) قال : اسم من أسماء القرآن .

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندنا نظير القول فى (الم) وسائر فواتح سور القرآن التى افتتحت أوائلها بحروف المعجم ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ ﴾

اختلف أهل العربية فى الرافع للذكر ، والناصب للعبد . فقال بعض نحويى البصرة فى معنى ذلك كأنه قال : مما نقص عليك ذكر رحمة ربك عبده ، وانتصب العبد بالرحمة كما تقول : ذكر ضرب زيد عمرا . وقال بعض نحويى الكوفة : رفعت الذكر بكهيعص ، وإن شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك ؛ قال : والمعنى ذكر ربك عبده برحمته تقديم وتأخير .

قال أبو جعفر : والقول الذى هو الصواب عندى فى ذلك أن يقال : الذكر مرفوع بمضمر محذوف ، وهو هذا كما فعل ذلك فى غيرها من السور ، وذلك كقول الله (بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) وكقوله : (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاها) ونحو ذلك . والعبد منصوب بالرحمة ، وزكريا فى موضع نصب ، لأنه بيان عن العبد ، فتأويل الكلام : هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا .

وقوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) يقول حين دعا ربه ، وسأله بنداء خفى ؛ يعنى : وهو مستسر بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) أى سرا ، وإن الله يعلم القلب النقى ، ويسمع الصوت الخفى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) قال : لا يريد رياء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : رغب زكريا

فى الولد . فقام فصلى . ثم دعا ربه سرا . فقال (رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) . . . إلى (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) . . . وقوله (قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) يقول تعالى ذكره ، فكان نداؤه الخفىّ الذى نادى به ربه أن قال : (رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) يعنى بقوله (وَهَنَ) ضعف ورقّ من الكبر :

كما حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) أى ضعف العظم منى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد . فى قوله (وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى) قال : نحل العظم ، قال عبد الرزاق ، قال الثورىّ : وبلغنى أن زكريا كان ابن سبعين سنة .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه النصب فى الشَّيْب ، فقال بعض نحويّى البصرة : نصب على المصدر من معنى الكلام ، كأنه حين قال : اشتعل ، قال : شاب ، فقال : شَيْبًا على المصدر . قال : وليس هو فى معنى : تفقأت شحما وامتلأت ماء ، لأن ذلك ليس بمصدر . وقال غيره : نصب الشيب على التفسير ، لأنه يقال : اشتعل شيبُ رأسى ، واشتعل رأسى شيبا ، كما يقال : تفقّأت شحما ، وتفقّأ شحمى .

وقوله (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) يقول : ولم أشق يا ربّ بدعائك ، لأنك لم تخيب دعائى قبل إذ كنت أدعوك فى حاجتى إليك ، بل كنت تجيب وتقضى حاجتى قبلك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، قوله (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) يقول : قد كنت تعرّفنى الإجابة فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝

يقول : وإنى خفت بنى عمى وعصبتى من ورائى : يقول : من بعدى أن يرثونى ، وقيل : عنى بقوله (مِنْ وَرَائِى) من قدّامى ومن بين يدىّ ؛ وقد بيّنت جواز ذلك فيما مضى قبل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) يعنى بالموالى : الكلالة الأولياء أن يرثوه ، فوهب الله له يحيى .

حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح فى قوله (وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) قال : العصبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح فى قوله (وإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) قال : خاف موالىَ الكلالة .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح بنحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح (وإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) قال : يعني الكلالة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) قال : العَصَبَة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (إِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) قال : العصبة .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) والموالى : هنّ العصبة ، والموالى : جمع مولى ، والمولى والولىّ فى كلام العرب واحد . وقرأت قراء الأمصار (وإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ) بمعنى : الخوف الذى هو خلاف الأمن . وروى عن عثمان بن عفان أنه قرأه : (وإِنِّى خَفَّتِ الْمَوَالِى) بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة ، كأنه وجه تأويل الكلام : وإنى ذهبت عصبتى ومن يرثني من بنى أعمامى . وإذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالى مسكنة غير متحركة ، لأنها تكون فى موضع رفع بخفّت .

وقوله (وكَانَتِ امْرَأَتِى عاقِرًا) يقول : وكانت زوجتي لاتلد ، يقال منه : رجل عاقر ، وامرأة عاقر بلفظ واحد ، كما قال الشاعر :

لَبِئْسَ الفَتَى أنْ كُنْتُ أعْوَرَ عاقِرًا جَبانا فَمَا عُــذْرِى لَدَى كُلِّ مَحْضَرِ[1]

وقوله (فَهَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) يقول : فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا .

وقوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يقول : يرثني من بعد وفاتي مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوّة ، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) يقول : يرث مالى ، ويرث من آل يعقوب النبوّة .

(١) البيت فى ديوان عامر بن الطفيل ، طبعة ليدن سنة ١٩١٣ . والرواية فيه « فبئس » فى مكان : « لبئس » . وفى اللسان : العاقر التى لاتحمل ، ورجل عاقر : لا يولد له ، ونساء عقر ، ورجال عقر ، بضم العين وتشديد القاف المفتوحة . وقد استشهد به المؤلف على معنى العاقر ، فى سورة آل عمران (٣ : ٢٥٧) وأعاده فى هذا الموضع ، ومحل الاستشهاد فى الموضعين واحد .

حدثنا مجاهد ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن أبي صالح في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرث مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوّة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرثني مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوّة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : وكان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرّية يعقوب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : كان وراثته علما ، وكان زكريا من ذرية يعقوب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : نبوّته وعلمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن مبارك ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ أخِي زَكَرِيَّا ، ماكانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةِ مالِهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : كان الحسن يقول : يرث نبوّته وعلمه ، قال قتادة : ذُكر لنا « أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية ، وأتى على (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَرْحَمُ اللهُ زَكَرِيَّا وَما كانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَتِهِ ، وَيَرْحَمُ اللهُ لُوطا إنْ كانَ لَيَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ » .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) قال : يرث نبوّتي ونبوّة آل يعقوب .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) فقرأت ذلك عامّة قرّاء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة (يَرِثُنِي وَيَرِثُ) برفع الحرفين كليهما ، بمعنى : فهب الذي يرثني ويرث من آل يعقوب ، على أن يرثني ويرث من آل يعقوب ، من صلة الوليّ . وقرأ ذلك جماعة من قرّاء أهل الكوفة والبصرة (يَرِثْنِي وَيَرِثْ) بجزم الحرفين على الجزاء والشرط ، بمعنى : فهب لي من لدنك وليا فإنه

يرثني إذا وهبته لي . وقال الذين قرءوا ذلك كذلك : إنما حسُن ذلك في هذا الموضع ، لأن يرثني من آية غير التي قبلها : قالوا ، وإنما يحسُن أن يكون مثل هذا صلة ، إذا كان غير منقطع عما هو له صلة . كقوله (رِدْءًا يُصَدِّقُنِي).

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للولي ، لأن الولي نكرة ، وأن زكريا إنما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة ، كما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه سأله وليا ، ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفته ، لأن ذلك لو كان كذلك ، كان ذلك من زكريا دخولا في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه .

وقوله (وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) يقول : واجعل يا ربّ الوليّ الذي تهبه لي مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخُلُقا وخَلْقا . والرضي : فعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره : فاستجاب له ربه ، فقال له : يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى . كان قتادة يقول : إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) عبد أحياه الله للإيمان .

وقوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه لم تلد مثله عاقر قط .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ليحيى (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) يقول : لم تلد العواقر مثله ولدا قط .

وقال آخرون : بل معناه : لم نجعل له من قبله مثلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو الربيع ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : شبيها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحرث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : مثلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك ، أنه لم يسمّ باسمه أحد قبله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) لم يسمّ به أحد قبله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : لم يسمّ يحيى أحد قبله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قول الله (لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) قال : لم يسمّ أحد قبله بهذا الاسم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) لم يسمّ أحد قبله يحيى .

قال أبو جعفر : وهذا القول أعنى قول من قال : لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمى باسمه أشبه بتأويل ذلك ، وإنما معنى الكلام : لم نجعل للغلام الذى نهب لك الذى اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه ، والسمىّ : فعيل صرف من مفعول إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ٨

يقول تعالى ذكره : قال زكريا لما بشره الله بيحيى : (ربّ أنّى يكونُ لى غُلام) ، ومن أىّ وجه يكون لى ذلك ، وامرأتى عاقر لا تحبل ، وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقوّينى على ماضعفت عنه من ذلك ، وتجعل زوجتى ولودا ، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء ، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتى العاقر ، يستثبت ربه الخبر ، عن الوجه الذى يكون من قبله له الولد ، الذى بشره الله به ، لا إنكارا منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد ، وكيف يكون ذلك منه إنكارا لأن يرزقه الولد الذى بشّره به ، وهو المبتدئ مسئلة ربه ذلك بقوله (فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) بعد قوله (إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) .

وقال السدىّ فى ذلك : ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : نادى جبرائيل زكريا (إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) فلما سمع النداء ، جاءه الشيطان فقال : يازكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله ، إنما هو من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحى إليك غيره من الأمر ، فشكّ وقال : (أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ) يقول : من أين يكون (وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ) .

وقوله (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) يقول : وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام

يابسها ، يقال منه للعود اليابس : عود عاتٍ وعاسٍ ، وقد عتا يعتو عِتِيًّا وعُتُوًّا ، وعسى يعسو عِسِيا وعسوًّا ، وكلّ متناه إلى غايته فى كبر أو فساد ، أو كفر ، فهو عات وعاس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قد علمتُ السنة كلها ، غير أنى لا أدرى أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الظهر والعصر أم لا ، ولا أدرى كيف كان يقرأ هذا الحرف (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) أو (عِسِيًّا) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) قال : يعنى بالعتىّ : الكبر . .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (عِتِيًّا) قال : نُحول العظم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) قال : سنًّا ، وكان ابن بضع وسبعين سنة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) قال : العتىّ : الذى قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا) قال : هو الكبر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله لزكريا مجيبا له (قالَ كَذلكَ) يقول : هكذا الأمر كما تقول من أنّ امرأتك عاقر ، وأنك قد بلغت من الكبر العتىّ ، ولكن ربك يقول : خلق ما بشّرتك به من الغلام الذى ذكرت لك أن اسمه يحيى علىّ هين ، فهو إذن من قوله (قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) كناية عن الخلق .

وقوله (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذى ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك ، وعقم زوجتك بأعجب من خلقيك ، فإنى قد خلقتك ، فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلقى ما بشرتك بأنى واهبه لك من الولد ، ولم تك شيئا ،

فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر، مع عتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك.

وقوله (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) يقول تعالى ذكره: قال زكريا: يا ربّ اجعل لي علما ودليلا على ما بشَّرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك، ليطمئنّ إلى ذلك قلبي.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) قال: قال ربّ اجعل لي آية أن هذا منك.

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: قال ربّ، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية (قال) الله (آيَتُكَ) لذلك (أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) يقول جلّ ثناؤه: علامتك لذلك، ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سويّ صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام.

وبنحو الذي قلنا في ذلك: قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) قال: اعتقل لسانه من غير مرض.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) يقول: من غير خرس.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) قال: لا يمنعك من الكلام مرض.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) قال: صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) من غير بأس ولا خرس، وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة، أُخذ بلسانه حتى ما كان يفيض الكلام إلا أومأ إيماء.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن عكرمة، في قوله (ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) قال: سويا من غير خرس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) وأنت صحيح، قال: فحبس لسانه، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا، وهو في ذلك يسبح، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل، فإذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، قال: أخذ الله بلسانه من غير سوء، فجعل لا يطيق الكلام، وإنما كلامه لقومه بالإشارة، حتى مضت الثلاثة الأيام التي جعلها الله آية لمصداق ما وعده من هبته له.

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا) يقول : من غير خَرَس إلا رمزا ، فاعتُقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال .

وقال آخرون : السوىّ من صفة الأيام ، قالوا : ومعنى الكلام : قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ آيَتُكَ ألاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا) : قال : ثلاث ليال متتابعات .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : فخرج زكريا على قومه من مُصَلاه حين حُبس لسانه عن كلام الناس ، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد .

فكان ابن جريج يقول فى معنى خروجه من محرابه ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَخَرَجَ على قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ) قال : أشرف على قومه من المحراب .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنا معنى المحراب فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ) قال : المحراب : مُصَلاه ، وقرأ (فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قائِمٌ يُصَلِّى فِى المِحْرَابِ) .

وقوله (فَأَوْحَى إلَيْهِمْ) يقول : أشار إليهم ، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك ، مما يفهم به عنه ما يريد . وللعرب فى ذلك لغتان : وَحَى ، وأوحى ؛ فمن قال : وَحَى ، قال فى يفعل : يَحِى ؛ ومن قال : أوحى ، قال : يُوحِى ، وكذلك أَوْمَى ووَمَى ، فمن قال : وَمَى ، قال فى يفعل يَمِى ؛ ومن قال أَوْمَى ، قال يُومِى .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى به أوحى إلى قومه ، فقال بعضهم : أوحى إليهم إشارة باليد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَأَوْحَى) : فأشار زكريا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه (فَأَوْحَى إلَيْهِمْ) قال : الوحى : الإشارة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) قال : أومى إليهم .

وقال آخرون : معنى أوحى : كتب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمود بن خداش . قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين . عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : كتب لهم فى الأرض .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثورىّ ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) قال : كتب لهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) فكتب لهم فى كتاب (أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) ، وذلك قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : أمرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : ما أدرى كتابا كتبه لهم ، أو إشارة أشارها ، والله أعلم ، قال : أمرهم أن سبّحوا بكرة وعشيا ، وهو لايكلمهم .

وقوله (أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قد بيّنت فيما مضى الوجوه التى ينصرف فيها التسبيح ، وقد يجوز فى هذا الموضع أن يكون عَنَى به التسبيح الذى هو ذكر الله ، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله فى طرف النهار بالتسبيح ، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة ، فيكون أمرهم بالصلاة فى هذين الوقتين .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : أَوْمَى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : فولد لزكريا يحيى ، فلما ولد ، قال الله له : يا يحيى ، خذ هذا الكتاب بقوّة ، يعنى كتاب الله الذى أنزله على موسى ، وهو التوراة . بقوّة ، يقول : بجدّ .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) قال : بجدّ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ) قال : بجدّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا يَحْيَى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ) قال : القوّة : أن يعمل ما أمره الله به ، ويجانب فيه ما نهاه الله .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا ، فى سورة آل عمران ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه الفهم لكتاب الله فى حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال .

وقد حدثنا أحمد بن منيع ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنى معمر ، ولم يذكره عن أحد فى هذه الآية (وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا) قال : بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى : اذهب بنا نلعب ، فقال : ما للعب خُلِقتُ ، فأنزل الله (وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا) .

وقوله (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) يقول تعالى ذكره : ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الحنان ، فقال بعضهم : معناه : الرحمة ، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذى وجهناه إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) يقول : ورحمة من عندنا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى هذه الآية (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) قال : رحمة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) قال : رحمة من عندنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، قوله : (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) قال : رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَحَنانا مِنْ لَدُنَّا) يقول : رحمة من عندنا ، لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ورحمة من عندنا لزكريا ، آتيناه الحكم صبيا ، وفعلنا به الذى فعلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) يقول : رحمة من عندنا .

وقال آخرون : معنى ذلك : وتعطفا من عندنا عليه ، فعلنا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) قال : تعطفا من ربه عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : بل معنى الحنان : المحبة . ووجهوا معنى الكلام إلى : ومحبة من عندنا فعلنا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن يحيى بن سعيد ، عن عكرمة (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) قال : محبة عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحَنَانًا) قال : أما الحنان فالمحبة .

وقال آخرون معناه تعظيما منا له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء بن أبي رباح (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا) قال : تعظيما من لدنا . وقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا أدري ما الحنان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله ما أدري ما حنانا . وللعرب في حَنَانَك لغتان : حَنَانَك ياربنا ، وحَنَانَيك ؛ كما قال طَرَفة بن العبد في حنانيك :

أبا مُنْذِرٍ أفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بَعْضَنا حَنَانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ أهْوَنُ مِن بعض [١]

وقال امرؤ القيس في اللغة الأخرى :

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري (اللسان : حنن) . والشاهد في قوله حنانيك ، أي تحننا على بعد تحنن . وحكى الأزهري عن الليث : حنانيك يافلان افعل كذا . ولا تفعل كذا ، يذكره الرحمة والبر ، وأنشد بيت طرفة . قال ابن سيده : وقد قالوا حنانا ، فصلوه من الإضافة في حد الإفراد ، وكل ذلك بدل من اللفظ بالفعل .

وَيَمْنَحُها بَنُو شَمَجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمُ حَنَانَكَ ذَا الحَنانِ[1]

وقد اختلف أهل العربية فى « حنانيك » فقال بعضهم : هو تثنية « حنان » . وقال آخرون : بل هى لغة ليست بتثنية ؛ قالوا : وذلك كقولهم : حَوَاليك ؛ وكما قال الشاعر:

ضَرْبًا هَذَا ذَيْكَ وطَعْنا وَخْضًا[2]

وقد سوّى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانيك تثنية ، فى أن كل ذلك تثنية . وأصل ذلك أعنى الحنان ، من قول القائل : حنّ فلان إلى كذا ، وذلك إذا ارتاح إليه واشتاق ، ثم يقال : تحَنّنَ فلان على فلان ، إذا وصف بالتعطّف عليه والرقة به ، والرحمة له ، كما قال الشاعر :

تَحَــنّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَلِيــكُ فإنَّ لِكُلِّ مَقامٍ مَقالا[3]

بمعنى : تعطّف علىّ . فالحنان : مصدر من قول القائل : حنّ فلان على فلان ، يقال منه : حننت عليه ، فأنا أحنّ عليه حنينا وحنانا ، ومن ذلك قيل لزوجة الرجل : حَنّتُه ، لتحننه عليها وتعطفه ، كما قال الراجز :

وَلَيْلَةٍ ذَاتِ دُجًى سَرَيْتُ وَلَم تَضِرْنِى حَنَّــةٌ وَبَيْتُ[4]

وقوله (وَزَكَاةً) يقول تعالى ذكره : وآتينا يحيى الحكم صبيا ، وزكاة : وهوالطهارة من الذنوب ، واستعمال بدنه فى طاعة ربه ، فالزكاة عطف على الحكم من قوله (وآتَيْنَاهُ الحُكْمَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وزَكَاةً) قال : الزكاة : العمل الصالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وزَكَاةً) قال : العمل الصالح الزكىّ .

---

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر (اللسان : حنن) و (مختار الشعر الجاهلى ، بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبى ص ١١٠) قال شارحه ويمنحها : هذه رواية الأصمعى ، أى يعطيها . ويروى : ويمنعها ، وهى أشبه بمعنى البيت . وقوله حنانك ذا الحنان : فسره ابن الأعرابى : رحمتك يا رحمن ، فأغنى عنهم . وعلى أية حال . فالشاعر برم بمجاورة بنى شمجى بن جرم ، متسخط فعلهم ، زار عليهم ، إذ منعوه المعزى . فأما إذا منحوه إياها (على رواية الأصمعى) فإنه يكون ساخطا ، لا ضطراره إلى أن يقبل منح أمثالهم ، مع ماله من الشرف والعراقة فى الملك ؛ كأنه يقول فى نفسه : أبعد ما كان لنا من العز الشامخ ، تذل نفسى وتضطر إلى قبول المنح والصلات من الناس . وفى اللسان : فرواية ابن الأعرابى تسخط وذم ، وكذلك تفسيره ؛ ورواية الأصمعى : تشكر وحمد ودعاء لهم ، وكذلك تفسيره .

(٢) البيت فى (اللسان : هذذ) غير منسوب . قال : الهذ والهذذ : سرعة القطع ، وسرعة القراءة . قال : ضربا هذا ذيك : أى هذا بعد هذ ، يعنى قطعا بعد قطع . وعلى هذا استشهد به المؤلف . والوخض : قال الأصمعى : إذا خالطت الطعنة الجوف ولم تنفذ، فذلك الوخض ، والوخط . اه . يقال : وخضه بالرمح وخضا .

(٣) البيت للحطيئة (لسان العرب : حنن) . قال : وتحنن عليه : ترحم ، وأنشد ابن برى للحطيئة : تحنن على . . . البيت .

(٤) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لأبى محمد الفقعسى ، وبينهما بيت ثالث ، وهو قوله « ولم يلتنى عن سراها ليت (اللسان : حنن) . وقد استشهد بالبيتين الأولين منهما صاحب اللسان فى (ليت) . واستشهد بهما المؤلف فى أول الجزء الخامس عشر عند تفسير قوله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده » وموضع الشاهد هنا فى البيت الثالث وهو قوله : « حنة » . قال : وحنة الرجل : امرأته ، قال أبو محمد الفقعسى : « وليلة » . . . . . الخ الأبيات الثلاثة . قال : وهى طلته وكنينته ونهضته وحاصنته وحاضنته .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وزكاةً) يعنى العمل الصالح الزاكىّ .

وقوله (وكانَ تَقِيًّا) يقول تعالى ذكره : وكان لله خائفا مؤدّيا فرائضه ، مجتنبا محارمه مسارعا فى طاعته .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَزَكاةً وكانَ تَقِيًّا) قال : طهر فلم يعمل بذنب .

حدثنى يونس قال : خبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَزَكاةً وكانَ تَقِيًّا) قال أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وكان برّا بوالديه ، مسارعا فى طاعتهما ومحبتهما ، غير عاقّ بهما (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) يقول جلّ ثناؤه : ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا ، يأتمر لما أمر به ، وينتهى عما نُهِى عنه ، لا يَعْصِى ربه ، ولا والديه

وقوله (عَصِيًّا) فعيل بمعنى أنه ذو عصيان ، من قول القائل : عَصَى فلان ربه ، فهو يعصيه عصيا .

وقوله (سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) يقول : وأمان من الله يوم ولد ، من أن يناله الشيطان من السوء ، بما ينال به بنى آدم ، وذلك أنه رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إلاَّ ما كانَ مِنْ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيَّا » .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ثنى ابن العاص ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (جَبَّارًا عَصِيًّا) قال : كان ابن المسيب يذكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ أحَدٍ يَلْقَى اللهَ يَوْمَ القِيامَةِ ، إلاَّ ذَا ذَنْبٍ ، إلاَّ يَحْيَي بْنَ زَكَرِيَّا » .

قال : وقال قتادة : ما أذنب ، ولا هم بإمرأة .

وقوله (وَيَوْمَ يَمُوتُ) يقول : وأمان من الله تعالى ذكره له من فتَّانى القبر ، ومن هول المطلع (وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) يقول : وأمان له من عذاب الله يوم القيامة ، يوم الفزع الأكبر ، من أن يروعه شىء ، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق .

وقد ذكر عن ابن عيينة فى ذلك ما حدثنى أحمد بن منصور الفيروزىّ ، قال : أخبرنى صدقة بن الفضل

قال : سمعت ابن عطية يقول : أوحش ما يكون الخلق فى ثلاثة مواطن : يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ، ويوم يُبعث فيرى نفسه فى محشر عظيم ، قال : فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا ، فخصه بالسلام عليه ، فقال (وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن الحسن قال : إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى : استغفر لى ،أنت خير منى ، فقال له الآخر : استغفر لى ،أنت خير منى ، فقال له عيسى : أنت خير منى ، سلّمت على نفسى ، وسلّم الله عليك ، فعرف والله فضلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد فى كتاب الله الذى أنزله عليك بالحقّ مريم بنة عمران ، حين اعتزلت من أهلها ، وانفردت عنهم ، وهو افتعل من النّبذ ، والنّبذ : الطّرْح ، وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى قبلُ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَاذْكُرْ فِي الكِتابِ مَرْيَمَ إذِ انْتَبَذَتْ) أى انفردت من أهلها .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصَّلْت ، قال : ثنا أبوكُدَينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِها مَكانا شَرْقِيًّا) قال : خرجت مكانا شرقيا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها ، وهو قوله : [1] فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا : فى شرقىّ المحراب .

وقوله (مَكانا شَرْقِيًّا) يقول : فتنحت واعتزلت من أهلها فى موضع قِبَلَ مَشرق الشمس دون مَغربها كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَكانا شَرْقِيًّا) قال : من قِبَل المشرق .

حدثنى إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : إنى لأعلم خلق الله لأىّ شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة ؟ لقول الله : فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة .

(١) كذا هنا ، وفى موضعين بعد : فانتبذت ، والقراءة : إذ انتبذت .

حدثنا ابن المثنى . قال : ثنى عبد الأعلى . قال : ثنا داود . عن عامر ، عن ابن عباس . مثله .

حدثنى سليمان بن عبد الجبار . قال : أخبرنا محمد بن الصلت . قال : ثنا أبو كدينة . عن قابوس . عن أبيه ، عن ابن عباس . قال : إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت ، والحج لله . وما صرفهم عنهما إلا قيل ربك (انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكانا شَرْقِيًّا) فصلوا قبل مطلع الشمس .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة (إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكانا شَرْقِيًّا) قال : شاسعا متنحيا . وقيل : إنها إنما صارت بمكان يلى مشرق الشمس ، لأن مايلى المشرق عندهم كان خيرا مما يلى المغرب . وكذلك ذلك فيما ذُكر عند العرب .

وقوله (فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجابا) يقول : فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس . وذُكر عن ابن عباس ، أنها صارت بمكان يلى المشرق ، لأن الله أظلها بالشمس ، وجعل لها منها حجابا .

حدثنى محمد بن سعد . قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكانا شَرْقِيًّا) قال : مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم .

وقال غيره فى ذلك ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجابا) من الجدران .

وقوله (فَأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا) يقول تعالى ذكره : فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، واتخذت من دونهم حجابا : جبريل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك : قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا) قال : أرسل إليها فيما ذُكر لنا جبريل .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا) قال : جبريل .

حدثنى محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل بن أخى وهب ، قال : سمعت وهب بن منبه ، قال : أرسل الله جبريل إلى مريم ، فتمثل لها بشرا سويا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : فلما طهرت ، يعنى مريم من حيضها ، إذا هى برجل معها ، وهو قوله (فَأَرْسَلْنا إلَيْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَرًا سَوِيًّا) يقول تعالى ذكره : فتشبه لها فى صورة آدمى سوى الخلق منهم ، يعنى فى صورة رجل من بنى آدم معتدل الخلق .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : فخافت مريم رسولنا ، إذ تمثّل لها بشرا سويا ، وظنته رجلا يريدها على نفسها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) قال : خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا) فلما رأته فزعت منه وقالت : (إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) فقالت : إنى أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك ، تقول : أستجير بالرحمن منك أن تنال منى ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقى محارمه . وتجتنب معاصيه ؛ لأن من كان لله تقيا ، فإنه يجتنب ذلك . ولو وجه ذلك إلى أنها عنت : إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقى الله فى استجارتى واستعاذتى به منك كان وجها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه (قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) ولا ترى إلا أنه رجل من بنى آدم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، قال : قال ابن زيد : وذكر قصص مريم فقال : قد علمت أن التقىّ ذو نُهية حين قالت (إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ) يقول تعالى ذكره : فقال لها روحنا : إنما أنا رسول ربك يامريم أرسلنى إليك (لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق غير أبى عمرو (لِأَهَبَ لَكِ) بمعنى : إنما أنا رسول ربك ؛ يقول : أرسلنى إليك لأهب لك (غُلَامًا زَكِيًّا) على الحكاية . وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء (لِيَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) بمعنى : إنما أنا رسول ربك أرسلنى إليك ليهب الله لك غلاما زكيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ، ما عليه قرّاء الأمصار ، وهو (لِأَهَبَ لَكِ) بالألف دون الياء ، لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين ، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم ، غير أبى عمرو ، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم ، والغلام الزكىّ : هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب : غلام زاكٍ وزكىّ ، وعالٍ وعلىّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : قالت مريم لجبريل (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ) من أي وجه يكون لي غلام ؟ أمن قِبَل زوج أتزوج ، فأرزقه منه ، أم يبتدئ الله في خلقه ابتداء (وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) من ولد آدم بنكاح حلال (وَلَمْ أَكُ) إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال (بَغِيًّا) بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام ، فحملته من زنا .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) يقول : زانية (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) يقول تعالى ذكره : قال لها جبريل : هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا ، ولكن ربك قال : هو علي هين : أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك علي هين لا يتعذر علي خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحلك .

(وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ) يقول : وكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلقي أهبه لك .

(وَرَحْمَةً مِنَّا) يقول : ورحمة منا لك ، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) يقول : وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني من لا أتهم ، عن وهب بن منبه (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) أي إن الله قد عزم على ذلك ، فليس منه بد .

القول في تأويل قوله تعالى :

* فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) بغلام (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) وبذلك جاء تأويل أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثني عبد الصمد بن معقل ابن أخي وهب بن منبه ، قال : سمعت وهبا قال : لما أرسل الله جبريل إلى مريم تمثل لها بشرا سويا فقالت له (إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا) ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال : لما قال ذلك ، يعني لما قال جبريل (قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) ... الآية استسلمت لأمر الله ، فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها ، فأخذ جبريل بكميها ، فنفخ في جيب درعها ، وكان مشقوقا من قدامها ، فدخلت النفخة صدرها ، فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها ؛ فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة

زكريا : يا مريم أشعرت أنى حبلى ، قالت مريم : أشعرت أيضا أنى حُبلى ، قالت : امرأة زكريا : إنى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ، فذلك قوله (مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : يقولون : إنه إنما نفخ فى جيب درعها وكمها .

وقوله (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) يقول : فاعتزلت بالذى حملته ، وهو عيسى ، وتنحّت به عن الناس مكانا قصيا : يقول : مكانا نائيا قاصيا عن الناس ، يقال : هو بمكان قاص ، وقصىّ بمعنى واحد ، كما قال الراجز :

لَتَقْعُدِنَّ مَقْعَدَ القَصِيِّ   مِنِّى ذى القاذُورَةِ المَقْلِيِّ[1]

يقال منه : قصا المكان يقصو قصوا : إذا تباعد ، وأقصيت الشىء : إذا أبعدته وأخّرته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) قال : مكانا نائيا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَكَانًا قَصِيًّا) قال : قاصيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقى منه فأتت أقصاه .

وقوله (فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) يقول تعالى ذكره : فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة ، ثم قيل : لما أسقطت الباء منه أجاءها ، كما يقال : أتيتك بزيد ، فإذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جلّ ثناؤه (آتُونِى زُبَرَ الحَدِيدِ) والمعنى : ائتونى بزُبَر الحديد ، ولكن الألف مُدّت لما حذفت الباء ، وكما قالوا : خرجت به وأخرجته ، وذهبت به وأذهبته ، وإنما هو أفعل من المجىء ، كما يقال : جاء هو ، وأجأته أنا : أى جئت به ، ومثل من أمثال العرب : « شرّ ما أجاءنى إلى مُخّة عرقوب » ، وأشاء ويقال : شرّ ما يُجيئك ويُشيئك إلى ذلك ؛ ومنه قول زهير :

---

(١) البيتان لرؤبة بن العجاج الراجز (انظر فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد للعينى ص ١١٥ — ١١٦) وبعدهما بيتان آخران وهما :

أو تحلفى بربك العلى   أنى أبو ذيالك الصبى

ومقعد القصى : إما مفعول مطلق ، على أن يكون المقعد بمعنى القعود أو على أنه مفعول فيه ، أى فى مقعد القصى ، أى البعيد ، من قصا المكان يقصو : إذا بعد . ويقال رجل قاذورة : أى لا يخالط الناس ، لسوء خلقه . والمقلى المبغض من قلاه يقليه قلى بالكسر . وهما صفتان للقصى . وفى (لسان العرب : قصا) قصا عنه قصوا ، وقصوا وقصا وقصاء ، وقصى (بكسر الصاد) : بعد . وقصا المكان يقصو قصوا (على فعول) : بعد . والقصى والقاصى : البعيد ، والجمع : أقصاء فيهما ، كشاهد وأشهاد ، ونصير وأنصار .

وَجَارٍ سارَ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أجاءَتْهُ المَخافَــةُ وَالرَّجاءُ (١)

يعني : جاء به . وأجاءه إلينا وأشاءك : من لغة تميم . وأجاءك من لغة أهل العالية ، وإنما تأول من تأول ذلك بمعنى : ألجأها . لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة : كان قد ألجأها إليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث : قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء . جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فأجاءَها المَخاضُ) قال : المخاض ألجأها .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : ألجأها المخاض . قال ابن جريج : وقال ابن عباس : ألجأها المخاض إلى جذع النخلة .

حدثنا موسى : قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ) يقول : ألجأها المخاض إلى جذع النخلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : اضطرها إلى جذع النخلة :

واختلفوا فى أىّ المكان الذى انتبذتْ مريم بعيسى لوضعه ، وأجاءها إليه المخاض ، فقال بعضهم : كان ذلك فى أدنى أرض مصر ؛ وآخر أرض الشأم ، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت ، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سهل ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقِل ، أنه سمع وهب بن منبه يقول : لما اشتملت مريم على الحمل ، كان معها قَرابة لها ، يقال له يوسف النجّار ، وكانا منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صِهْيَون ، وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم ، فكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد ، فى ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا فى ذلك ، فكانا يليان معالجته بأنفسهما ، تجبيره وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادا وعبادة منهما ، فكان أوّل من أنكر حَمْل مريم صاحبُها يوسف ؛ فلما رأى الذى بها استفظعه ، وعظُم عليه ، وفُظِع به ، فلم يدر على ماذا يضع أمرها ؛ فإذا أراد يوسف أن يتهمها ، ذكر صلاحها وبراءتها ، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ ؛ وإذا أراد أن يبرئها ، رأى الذى ظهر عليها ؛ فلما اشتدّ عليه ذلك كلّمها ،

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى (اللسان : جيأ) . قال : وأجاءه إلى شىء : جاء به ، وألجأه ، واضطره إليه . قال زهير بن أبى سلمى : « وجار . . . . » البيت . قال الفراء : أصله من جئت ، وقد جعلته العرب إلجاء . وفى المثل : « شر ما أجاءك إلى مخة العرقوب . وشر ما يجيئك إلى مخة عرقوب » قال الأصمعى : وذلك أن العرقوب لا مخ فيه ، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شىء . ومنهم من يقول : شر ما ألجأك : والمعنى واحد . وتميم تقول : شر ما أشاءك .

فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها : إنه قد حدث فى نفسى من أمرك أمر قد خشيته، وقد حرَصت على أن أميته وأكتمه فى نفسى ، فغلبنى ذلك ، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدرى ، قالت : فقل قولا جميلا ، قال : ما كنت لأقول لك إلا ذلك ، فحدثينى ، هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر ؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول : لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ؟ قال يوسف لها : لا أقول هذا ، ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على مايشاء يقول لذلك كن فيكون ، قالت مريم : أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك ، وقع فى نفسه أن الذى بها شىء من الله تبارك وتعالى ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه ، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ، ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه ، وذلك لما رأى من رقة جسمها ، واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، ونتوّ بطنها ، وضعف قوّتها ، ودأب نظرها ، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجى من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيروك ، وقتلوا ولدك ، فأفضت ذلك إلى أختها ، وأختها حينئذ حُبلى ، وقد بشرت بيحيى ، فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما فى بطنها خرّ لوجهه ساجدا معترفا لعيسى ، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شىء ، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر فى منقطع بلاد قومها ، أدرك مريم النفاس ، ألجأها إلى أرىّ حمار ، يعنى مذود الحمار ، وأصل نخلة ، وذلك فى زمان أحسبه بردا أو حرّا « الشكّ من أبى جعفر » ، فاشتدّ على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفا محدقين بها .

وقد رُوى عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا ، وذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما حضر ولادُها ، يعنى مريم ، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق ، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء ، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم ، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء ، فوضعته عندها .

وقال آخرون : بل خرجت لما حضر وضعها ما فى بطنها إلى جانب المحراب الشرقى منه ، فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، وذلك قول السدى ، وقد ذكرت الرواية به قبل .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت ابن عباس يقول : ما هى إلا أن حملت فوضعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : وأخبرنى المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول : ليس إلا أن حملتْ فولدتْ .

وقوله (يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) ذكر أنها قالت ذلك فى حال الطلق استحياء من الناس .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس(يالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيًّا) تقول : يا ليتنى متّ قبل هذا الكرب الذى أنا فيه ، والحزن بولادتى المولود من غير بعْل،وكنت نِسيا منسيا : شيئا نُسى فتُرك طلبه كخرق الحيض التى إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر ، وكذلك كل شيء نسى وترك ولم يطلب فهو نسى . ونسى بفتح النون وكسرها لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد ، مثل الوَتر والوِتر ، والجَسر والجِسر . وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا ؛ وبالكسر قرأت عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ؛ وبالفتح قرأه أهل الكوفة ؛ ومنه قول الشاعر :

كأنَّ لَهَا فِي الأرْضِ نِسْيا تَقُصُّــهُ إذَا ماغَدَتْ وَإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ[1]

ويعنى بقوله : تقصه : تطلبه ، لأنها كانت نسيته حتى ضاع ، ثم ذكرته فطلبته ، ويعنى بقوله : تبلت : تحسن وتصدّق ، ولو وجه النسى إلى المصدر من النسيان كان صوابا ، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول : نسيته نسيانا ، ونسيا ، كما قال بعضهم من طاعة الربّ وعصى الشيطان ، يعنى وعصيان ، وكما تقول أتيته إتيانا وأتيا ، كما قال الشاعر :

أتِيُّ الفَوَاحِشِ فِيهِمُ مَعْرُوفَةٌ ويَرَوْنَ فِعْلَ المَكْرُماتِ حَرَامَا[2]

وقوله (مَنْسِيًّا) مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت : ليتنى كنت الشيء الذى أُلقى ، فترك ونسى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس ، قوله (يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيًّا) لم أخلق ، ولم أك شيئا .

حدثنا موسى ، قال : ثناعمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيًّا) يقول : نِسيا : نُسى ذكرى ، ومنسيا : تقول : نسى أثرى ، فلا يرى لى أثر ولا عين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيًّا) : أى شيئا لايعرف ولا يذكر .

---

(١) البيت للشنفرى (اللسان : نسى) قال : والنسى : الشيء المنسى الذى لا يذكر . وقال الأخفش : النسى : ما أغفل من شيء حقير ونسى . وقال الزجاج النسى فى كلام العرب الشيء المطروح ، لا يؤبه له . وقال الشنفرى : « وكأن لها . . . . البيت » قال ابن برى : بلت ، بالفتح : إذا قطع ، وبلت بالكسر : إذا سكن . وقال الفراء : النسى والنسى (بكسر النون المشددة وفتحها) لغتان فيما تلقيه المرأة من خرق اعتلالها (حيضها) مثل وتر ووتر . قال ولو أراد بالنسى (بالفتح) مصدر النسيان ، كان صوابا .

(٢) فى (اللسان : أتى) : الإتيان : المجيء . أتيته : المجيء . أتيته أتيا وإتيانا وإتيانة ومأتاة : جئته . واستشهد المؤلف بالبيت على أن العرب تقول نسيته نسيانا ونسيا ، كما تقول أتيته إتيانا وأتيا . وقوله معروفة : أنث الخبر بالتاء مع أن المبتدأ وهو الأتى مذكر ، لكنه لما أضيف إلى الفواحش ، وهى جمع فاحشة . اكتسب منها التأنيث ، فلذلك أنث الخبر بالتاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) قال : لا أعرف ولا يدرى من أنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس (نَسْيًا مَنْسِيًّا) قال : هو السقط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) لم أكن فى الأرض شيئا قط .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) بمعنى : فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم فى تأويله ؛ فمن متأوّل منهم إذا قرأه (مِنْ تَحْتِهَا) كذلك ؛ ومن متأوّل منهم أنه عيسى ، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته . وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة (فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا) بفتح التاءين من تحت ، بمعنى : فناداها الذى تحتها ، على أن الذى تحتها عيسى ، وأنه الذى نادى أمه .

ذكر من قال : الذى ناداها من تحتها المَلَك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت ابن عباس قرأ (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) يعنى : جبرائيل .

حدثنى أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس ، قال : أخبرنا عَبْثَر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِىّ ، قال : الذى ناداها الملك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة . أنه قرأ : فخاطبها من تحتها .

حدثنا الرفاعى ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة أنه قرأها كذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال : جبرائيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) : أى من تحت النخلة .

حدثنا موسى . قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَنَادَاهَا) جبرائيل (مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال : الملَك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) يعنى : جبرائيل كان أسفل منها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال : ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها .

ذكر من قال : ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال : عيسى بن مريم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) ابنها .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن : هو ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه (فَنَادَاهَا) عيسى (مِنْ تَحْتِهَا أَنْ لَا تَحْزَنِي) .

حدثنى أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصى ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان ، عن سعيد بن جبير ، قوله (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال عيسى : أما تسمع الله يقول : (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال عيسى : ناداها (أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حُدثت عن عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحىّ ، عن أُبىّ ابن كعب قال : الذى خاطبها هو الذى حملته فى جوفها ودخل من فيها .

✲ قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندنا قول من قال : الذى ناداها ابنها عيسى ، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل ، فردّه على الذى هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذى هو أبعد منه . ألا ترى فى سياق قوله (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) يعنى به : فحملت عيسى فانتبذت

به ، ثم قيل : فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه . ولعلة أخرى ، وهى قوله (فأشارَتْ إليْهِ) ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق فى حاله تلك ، وللذى كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها (أنْ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيرى للقوم إليه ، ولو كان ذلك قولا من جبرائيل ، لكان خليقا أن يكون فى ظاهر الخبر ، مبينا أن عيسى سينطق ، ويحتجّ عنها للقوم ، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله .

فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذى بيّنا ، فبين أن كلتا القراءتين ، أعنى (مِنْ تَحْتِها) بالكسر ، و (مَنْ تَحْتَها) بالفتح صواب . وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان فى قوله (فَنادَاها) ذكر من عيسى . وإذا قرئ (مَنْ تَحْتَها) بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى . فتأويل الكلام إذن : فناداها المولود من تحتها أن لاتحزنى يا أمه (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَنادَاها مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَنِي) قالت : وكيف لاأحزن وأنت معى ، لاذات زوج فأقول من زوج ، ولا مملوكة فأقول من سيدى ، أىّ شىء عذرى عند الناس (يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) فقال لها عيسى : أنا أكفيك الكلام .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالسرىّ فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى به : النهر الصغير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : الجدول .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت البراء يقول فى هذه الآية (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : الجدول .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) وهو نهر عيسى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : السرىّ : النهر الذى كان تحت مريم حين ولدته كان يجرى يسمى سَريا .

حدثنى أبوحصين ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن ميمون الأَوْدِىّ ، قال فى هذه الآية (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : السرىّ : نهر يُشرب منه .

حدثنا يعقوب وأبوكريب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، فى قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : هو الجدول .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (سَرِيًّا) قال : نهر بالسريانية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، قال ابن جريج : نهر إلى جنبها .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : كان سريا فقال حميد بن عبدالرحمن : إن السريّ : الجدول ، فقال : غلبتنا عليك الأمراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) قال : هو الجدول ، النهر الصغير ، وهو بالنبطية : السريّ .

حدثني أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا محمد بن مهاجر ، عن ثابت بن عجلان قال : سألت سعيد بن جبير ، عن السريّ ، قال : نهر .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : النهر الصغير .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه قال : هو النهر الصغير : يعني الجدول ، يعني قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك ، قال : جدول صغير بالسريانية .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَحْتَكِ سَرِيًّا) : الجدول الصغير من الأنهار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ : هو الجدول ، تسميه أهل الحجاز .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله (سَرِيًّا) قال : هو جدول .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم وعن وهب بن منبه (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني ربيع الماء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ : هو النهر .

وقال آخرون : عني به عيسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) والسريّ : عيسى نفسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ

تَحْتَكِ سَرِيًّا) يعني نفسه ، قال : وأىّ شيء أسرى منه ، قال : والذين يقولون : السرىّ : هو النهر ليس كذلك النهر ، لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها ، ولا يكون النهر تحتها .

قال أبو جعفر : وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قيل من قال : عنى به الجدول ، وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذى جعله عندها ، وقال لها (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى) من هذا الرطب (وَاشْرَبِى) من هذا الماء (وَقَرِّى عَيْنًا) بولدك ، والسرىّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِىِّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلاَّمُها [1]

ويُروى مسا [2] مسجورة ، ويُروى أيضا : فغادرا .

وقوله (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا ، وأمرها أن تهزّه ، وذلك فى أيام الشتاء ، وهزّه إياه كان تحريكه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : حركيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : كان جذعا يابسا ، فقال لها : هزّيه (تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقول : كانت نخلة يابسة .

حدثنى محمد بن سهل بن عسكر ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : ثنى عبد الصمد بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) وكان جذعا منها مقطوعا فهزّته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها فى المحراب نهر ، فتساقطت النخلة رطبا جنيا فقال لها (كُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا) .

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامرى ، من معلقته المشهورة (انظره فى شرح الزوزنى على المعلقات السبع ، وفى شرح التبريزى على القصائد العشر ، وفى جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ — ٧٤) . قال صاحب الجمهرة : توسطا ؛ : أى دخلا وسطه . وعرض السرى : أى ناحية النهر ، وأهل الحجاز يسمون النهر سريا . وصدعا : أى فرقا . ومسجورة : أى عينا مملوءة ؛ قال الله تعالى : « والبحر المسجور » . وأقلامها ، ويروى قلامها ، وهو ضرب من شجر الحمض ، والأقلام : قصب اليراع . وقال الزوزنى : يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير ، وشقا عينا مملوءة ماء ، قد تجاوز قلامها ، أى قد كثر هذا الضرب من النبت عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عينا ممتلئة ماء ، فدخلا فيها من عرض نهرها ، وقد تجاور نبتها . والشاهد فى قوله « السرى » ، وهو اسم للنهر الصغير .

(٢) كذا فى المخطوطة بغير نقط ، ولم نقف على هذه الرواية .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهزّى إليك بالنخلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : قال مجاهد (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : النخلة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عيسى بن ميمون ، عن مجاهد ، فى قوله (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) قال : العجوة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن ميمون ، أنه تلا هذه الآية (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) قال : فقال عمرو : ما من شىء خير للنفساء من التمر والرطب ، وأدخلت الباء فى قوله (وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كما يقال : زوجتك فلانة ، وزوّجتك بفلانة ؛ وكما قال (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) بمعنى : تنبت الدهن . وإنما تفعل العرب ذلك ، لأن الأفعال تكنى عنها بالباء ، فيقال إذا كنيت عن ضربت عمرا : فعلت به ، وكذلك كلّ فعل ، فلذلك تدخل الباء فى الأفعال وتخرج ، فيكون دخولها وخروجها بمعنى ، فمعنى الكلام : وهزّى إليك جذع النخلة ، وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك : وهزّى إليك رطبا بجذع النخلة ، بمعنى : على جذع النخلة وجها صحيحا ، ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك . ومن الشاهد على دخول الباء فى موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر :

بِوَادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ السِّدْرَ صَدْرُهُ وأَسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَّبَهانِ (١)

واختلف القرّاء فى قراءة قوله (تَسَّاقَطُ) فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة (تَسَّاقَطُ) بالتاء من تساقط وتشديد السين ، بمعنى : تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا ، ثم تُدغم إحدى التاءين فى الأخرى فتشدد (٢) ، وكأن الذين قرءوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام : إلى وهزّى إليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا . وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (تَسَاقَطُ) بالتاء وتخفيف السين ، ووجه معنى

---

(١) فى (اللسان : سدر) السدر : شجر النبق ، واحدتها سدرة . . والمرخ : شجر كثير الورى سريعه . وفى (اللسان : شبه) الشبهان : نبت يشبه الثمام ، ويقال له الشبهان . قال ابن سيده : والشبهان (بالتحريك) والشبهان (بضمتين) : ضرب من العضاه ؛ وقيل : هو الثمام ، يمانية ، حكاها ابن دريد . قال رجل من عبد القيس : * بواد يمان ينبت الشث صدره * . . . البيت . قال ابن برى قال أبو عبيدة : البيت للأحول اليشكرى . واسمه يعلى . قال : وتقديره : وينبت أسفله المرخ . على أن تكون الباء زائدة . وإن شئت قدرته : وينبت أسفله بالمرخ ، فتكون الباء للتعدية . لما قدرت الفعل ثلاثيا . وفى الصحاح : وقيل : الشبهان : هو الثمام من الرياحين . و (فى اللسان : شث) الشث : ضرب من الشجر عن ابن دريد ، وأنشد البيت : * بواد يمان ينبت الشث فرعه * الخ . وقيل : الشث : شجر طيب الريح ، مر الطعم ، يدبغ به . قال أبو الدقيش : وينبت فى جبال الغور وتهامة ونجد . والبيت شاهد على أن الباء فى قوله « بالمرخ » زائدة ، دخولها كخروجها وهى مثل الباء فى قوله تعالى : وهزى إليك بجذع النخلة . قال فى (اللسان : هز) الهز : تحريك الشىء ، كما تهز القناة ، فتضطرب وتهتز . وهزه يهزه هزا وهز به ، وفى التنزيل العزيز « وهزى إليك بجذع النخلة » أى حركى . والعرب تقول : هزه وهز به إذا حركه . ومثله : خذ الخطام ، وخذ بالخطام ، و تعلق زيدا وتعلق بزيد . قال ابن سيده : وإنما عداه بالباء ، لأن فى هزى معنى جرى ، (أمر من الجر) .

(٢) عبارة الجلالين ، بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين .

الكلام ، إلى مثل ما وجه إليه مشددوها ، غير أنهم خالفوهم فى القراءة . ورُوى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك (يُساقِط) بالياء .

حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام : إلى وهزّى إليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا .

ورُوى عن أبى نَهيك أنه كان يقرؤه (تُسْقِطُ) بضم التاء وإسقاط الألف .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نَهيك يقرؤه كذلك ، وكأنه وجه معنى الكلام إلى : تسقط النخلة عليك رطبا جنيا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن هذه القراءات الثلاث ، أعنى (تَسَّاقَطُ) بالتاء وتشديد السين ، وبالتاء وتخفيف السين ، وبالياء وتشديد السين ، قراءات متقاربات المعانى ، قد قرأ بكل واحدة منهن قرّاء أهل معرفة بالقرآن ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه ، وذلك أن الجذع إذا تساقط رطبا ، وهو ثابت غير مقطوع ، فقد تساقطت النخلة رطبا ، وإذا تساقطت النخلة رطبا ، فقد تساقطت النخلة بأجمعها ، جذعها وغير جذعها ، وذلك أن النخلة مادامت قائمة على أصلها ، فإنما هى جذع وجريد وسعف ، فإذا قطعت صارت جذعا ، فالجذع الذى أمرت مريم بهزّه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السدىّ ، وقد زعم أنه عاد بهزّها إياه نخلة ، فقد صار معناه ومعنى من قال : كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا ، فتبين بذلك صحة ما قلنا .

وقوله (جَنِيًّا) يعنى مجنيا ، وإنما كان أصله مفعولا فصرف إلى فعيل ، والمجنى المأخوذ طريا ، وكل ما أخذ من ثمرة ، أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتنى ، ولذلك قيل : فلان يجتنى الكمأة ؛ ومنه قول ابن أخت جذيمة :

هَـــذَا جَنَاىَ وخِيارُهُ فِيـــهْ … إذْ كُلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيـــهْ [1]

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره : فكلى من الرطب الذى يتساقط عليك ، واشربى من ماء السرىّ الذى جعله ربك

(١) البيت فى (اللسان : جنى) قال : قال أبو عبيد : يضرب هذا مثلا للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده . قال أبو عبيد : وذكر ابن الكلبى أن المثل لعمرو بن عدى اللخمى ابن أخت جذيمة ، وهو أول من قاله ، وإن جذيمة نزل منزلا ، وأمر الناس أن يجتنوا له الكمأة ، فكان بعضهم يستأثر بخير ما يجد ، ويأكل طيبها ، وعمرو يأتيه بخير ما يجد ، ولا يأكل منها شيئا ، فلما أتى خاله جذيمة قال : هذا . . . البيت . والجنى : ما يجنى من الشجر . ويروى : * هذا جناى وهجانه فيه * أى خياره . اه . وقال : وجنيت الثمرة أجنيها واجتنيتها : بمعنى . ابن سيده : جنى الثمرة ونحوها وتجناها ، كل ذلك : تناولها من شجرتها . وعلى هذا استشهد المؤلف بالبيت

تحتك ، لا تخشى جوعا ولا عطشا (وَقَرِّى عَيْنًا) يقول: وطيبى نفسا وافرحى بولادتك إياى ولا تحزنى ونصبت العين لأنها هى الموصوفة بالقرار . وإنما معنى الكلام : ولتقرر عينك بولدك ، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين ، فنصبت العين إذ كان الفعل لها فى الأصل على التفسير ، نظير ما فعل بقوله (فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) وإنما هو: فإن طابت أنفسهن لكم . وقوله (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) ومنه قوله (يُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) إنما هو يساقط عليك رطب الجذع ، فحوّل الفعل إلى الجذع ، فى قراءة من قرأه بالياء.وفى قراءة من قرأه (تُسَاقِطْ) بالتاء، معناه : يساقط عليك رطب النخلة ، ثم حوّل الفعل إلى النخلة .

وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله (وقرّى) فأما أهل المدينة فقرءوه (وَقَرِّى) بفتح القاف على لغة من قال : قَرِرت بالمكان أَقَرّ به،وقَرِرت عينا،أَقَرّ به قُرورا ، وهى لغة قريش فيما ذكر لى وعليها القراءة وأما أهل نجد فإنها تقول قررت به عينا أقربه قرارا ، وقررت بالمكان أقر به ، فالقراءة على لغتهم (وَقِرِى عَيْنًا) بكسر القاف ، والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف .

وقوله (فإمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا) يقول : فإن رأيت من بنى آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شىء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه (فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) يقول : فقولى : إنى أوجبت على نفسى لله صمتا ألا أكلم أحدا من بنى آدم اليوم (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الصوم ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول فى هذه الآية (إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) صمتا .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا حجاج ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى المغيرة بن عثمان ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول(إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : صمتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : يعنى بالصوم : الصمت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمىّ ، قال : سمعت أنسا قرأ (إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا وَصَمْتًا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) أما قوله (صَوْمًا) فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال : كان من بنى إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله، فقال لها ذلك ، فقالت : إنى أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام ، إلا من ذكر الله؛

فلما كلموها أشارت إليه ، فقالوا (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) فأجابهم فقال : (إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ) حتى بلغ (ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .

واختلفوا فى السبب الذى من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر ، فقال بعضهم : أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة ، وذلك أنها جاءت وهى أيِّم بولد بالكفّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها . .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هارون بن إسحاق الهمدانى ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا إسرائيل ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن جارثة ، قال : كنت عند ابن مسعود ، فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر ، فقال : ما شأنك ؟ فقال أصحابه : حلف أن لايكلم الناس اليوم ، فقال عبد الله : كلم الناس وسلم عليهم ، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لايصدّقها أنها حملت من غير زوج ، يعنى بذلك مريم عليها السلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم (لَا تَحْزَنِي) قالت : وكيف لاأحزن وأنت معى ، لاذات زوج ولا مملوكة ، أىّ شىء عذرى عند الناس (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) قال : هذا كله كلام عيسى لأمه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) فإنى سأكفيك الكلام

وقال آخرون : إنما كان ذلك آية لمريم وابنها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) قال فى بعض الحروف : صمتا ، وذلك أنك لاتلقى امرأة جاهلة تقول : نذرت كما نذرت مريم ، ألا تكلم يوما إلى الليل ، وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ، ولا يحلّ لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فقرأ (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا) وكانت تقرأ فى الحرف الأوّل : صمتا ، وإنما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها .

وقال آخرون : بل كانت صائمة فى ذلك اليوم ، والصائم فى ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس ، فأذن لمريم فى قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهى صائمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا)

يكلمك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسى ، فقيل لها : لاتزيدى على هذا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها ، وسلّمت لأمر الله ، وحملته حتى أتت به قومها .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : أنساها يعنى مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى ، حتى إذا كلّمها ، يعنى عيسى ، وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها .

وقال السدىّ فى ذلك ماحدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما ولدته ذهب الشيطان ، فأخبر بنى إسرائيل أن مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدّون ، فدعوها (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ)

وقوله (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) يقول تعالى ذكره : فلما رأوا مريم ، ورأوا معها الولد الذى ولدته ، قالوا لها : يا مريم لقد جئت بأمر عجيب ، وأحدثت حدثا عظيما ، وكلّ عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه ، كما قال الراجز :

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقَلًا حُجْرِيًّا قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيًّا [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى (فَرِيًّا) قال : عظيما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) فى (اللسان : دقل) : الدقل من التمر : معروف ، قيل : هو أردأ أنواعه . وفى (اللسان : فرى) : التهذيب : ويقال للرجل إذا كان جادا فى الأمر قويا : تركته يفرى الفرا ويقد . والعرب تقول : تركته يفرى الفرى : إذا عمل العمل أو السقى فأجاد . . . وأنشد الفراء لزرارة بن صعب يخاطب العامرية :

قَدْ أَطْعَمَتْنِي دَقَلًا حَوْلِيًّا مُسَوِّسًا مُدَوِّدًا حَجْرِيًّا
قد كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيًّا

أى كنت تكثرين فيه القول وتعظمينه . يقال : فلان يفرى الفرى : إذا كان يأتى بالعجب فى عمله . ثم قال : وفى التنزيل العزيز فى قصة مريم : « لقد جئت شيئا فريا » . قال الفراء : الفرى الأمر العظيم ، أى جئت شيئا عظيما . وقيل : جئت شيئا فريا : أى مصنوعا مختلقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) قال : عظيما .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيا) قال : عظيما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رأوها ورأوه معها ، قالوا : يا مريم (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) : أى الفاحشة غير المقاربة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ ٢٨

اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل لها : يا أخت هارون ، ومن كان هارون هذا الذى ذكره الله ، وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته ، فقال بعضهم : قيل لها (يا أُخْتَ هارُونَ) نسبة منهم لها إلى الصلاح ، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون ، وليس بهارون أخى موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يا أُخْتَ هارُونَ) قال : كان رجلا صالحا فى بنى إسرائيل يسمى هارون ، فشبّهوها به ، فقالوا : يا شبيهة هارون فى الصلاح .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) قال : كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح ، ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بالصلاح ويتوالدون به ، وآخرون يُعرفون بالفساد ويتوالدون به ، وكان هارون مصلحا محببا فى عشيرته ، وليس بهارون أخى موسى ، ولكنه هارون آخر . قال : وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا ، كلهم يسمون هارون من بنى إسرائيل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن كعبا قال : إن قوله (يا أُخْتَ هارُونَ) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ، إن كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر ، وإلا فإنى أجد بينهما ستّ مئة سنة ، قال : فسكتت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أُخْتَ هارُونَ) قال : اسم واطأ اسما ، كم بين هارون وبينهما من الأمم أمم كثيرة .

حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس الأودى ، قال : سمعت أبى يذكر عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : بعثنى

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران، فقالوا لى: ألستم تقرءون (يا أُخْتَ هارُونَ) ؟ قلت: بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : « ألا أخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بِأنْبِيائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن سماك بن حرب ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : أرسلنى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بعض حوائجه إلى أهل نجران ، فقالوا : أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى ؟ فلم أدر ما أردّ عليهم حتى رجعت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك ، فقال : « إنَّهُمْ كانُوا يُسَمُّونَ بأسْماءِ مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ » .

وقال بعضهم : عنى به هارون أخو موسى ، ونُسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده، يقال للتميمىّ: يا أخا تميم ، وللمُضَرِىّ : يا أخا مُضَر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أُخْتَ هارُونَ) قال : كانت من بنى هارون أخى موسى ، وهو كما تقول : يا أخا بنى فلان .

وقال آخرون : بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق ، فنسبوها إليه .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ذكرناه ، وأنها نسبت إلى رجل من قومها .

وقوله (ما كانَ أبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) يقول : ما كان أبوك رجل سوء يأتى الفواحش (وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) يقول : وما كانت أمك زانية .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) قال : زانية . وقال (وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) ولم يقل : بغيّة ، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال ، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق ، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم : ملحفة جديدة وامرأة قتيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم ، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما قالوا لها (ما كانَ أبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) قالت لهم: ما أمرها الله به ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه ، إلى عيسى .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فأشارَتْ إليهِ) قال: أمرتهم بكلامه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه (فأشارَتْ إليهِ) يقول: أشارت إليه أن كلّموه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قوله (فأشارَتْ إليهِ) أن كلّموه.

وقوله (قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) يقول تعالى ذكره، قال قومها لها: كيف نكلم من وُجد فى المهد؟، وكان فى قوله (مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) معناها التمام، لا التى تقتضى الخبر، وذلك شبيه المعنى بكان التى فى قوله (هَلْ كُنْتُ إلاَّ بَشَرًا رَسُولاً) وإنما معنى ذلك: هل أنا إلا بشر رسول؟ وهل وجدت أو بعثت؛ وكما قال زهير بن أبى سُلْمَى:

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أرْحَبِيَّةً وَقَدْ كانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الأرَنْدَجِ [1]

بمعنى: وقد صار أو وُجد. وقيل: إنه عنى بالمهد فى هذا الموضع: حجر أمه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) والمهد: الحجر.

قال أبوجعفر: وقد بيّنا معنى المهد فيما مضى بشواهده، فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره: فلما قال قوم مريم لها (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، قال عيسى لهم متكلما عن أمه (إنّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ) وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا.

كما حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبىّ أشدّ علينا من زناها (قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا).

(١) البيت فى (ديوان زهير بن أبى سلمى طبعة دار الكتب المصرية بشرح أبى العباس ثعلب، ص ٣٢٣) ورواية الأصل: أجرت تحريف. وقوله عليه: على ذلك الطريق. وحرة: كريمة. وأرحبية: منسوبة إلى أرحب، وأرحب بطن من همدان، تنسب إليهم النجائب الأرحبية، وقيل: هوموضع. وقال الأزهرى: يحتمل أن يكون أرحب فحلا تنسب إليه النجائب لأنها من نسله. والأرندج واليرندج: السواد يسود به الخف، أو هو الجلد الأسود. أى زجرت على هذا الطريق هذه الناقة، والليل أسود مثل الأرندج.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه (قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) فأجابهم عيسى عنها فقال لهم (إنِّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ ، وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) قال لهم : (إنِّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) فقرأ حتى بلغ (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) فقالوا : إن هذا لأمر عظيم .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا قال إنِّى عَبْدُ اللهِ) لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين (قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا) وقوله (آتانِيَ الكِتابَ) يقول القائل : أو آتاه الكتاب والوحى قبل أن يخلق فى بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف مايظن ، وإنما معناه : وقضى يوم قضى أمور خلقه إلىّ أن يؤتيني الكتاب .

كما حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك ، يعني ابن مخلد ، عن سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة (قال آتانِيَ الكِتابَ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا سفيان ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (إنِّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ) قال : القضاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قول الله (إنِّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ) قال : قضى أن يؤتيني الكتاب .

وقوله (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) وقد بيَّنت معنى النبىّ واختلاف المختلفين فيه ، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وكان مجاهد يقول فى معنى النبىّ وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال النبىّ وحده الذى يكلم وينزل عليه الوحى ولا يرسل .

وقوله (وَجَعَلَنِي مُبارَكًا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وجعلني نفاعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحى ، قال : ثنا العلاء ، عن عائشة امرأة ليث ، عن ليث ، عن مجاهد (وَجَعَلَنِي مُبارَكًا) قال : نفاعا .

وقال آخرون : كانت بركته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومى ، قال : سمعت وُهيب بن

ابن الورد مولى بنى مخزوم ، قال : لقى عالم عالما لما هو فوقه فى العلم ، فقال له : يرحمك الله ، ماالذى أعلن من علمى ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإنه دين الله الذى بعث به أنبياءه إلى عباده ، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ) وقيل : ما بركته ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أينما كان .

وقال آخرون : معنى ذلك : جعلنى معلّم الخير .

ذكر من كان ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سفيان فى قوله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ) قال : معلما للخير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ) قال : معلما للخير حيثما كنت .

وقوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) يقول : وقضى أن يوصينى بالصلاة والزكاة ، يعنى المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على مافرضها علىّ . وفى الزكاة معنيان : أحدهما : زكاة الأموال أن يؤدّيها . والآخر : تطهير الجسد من دنس الذنوب ؛ فيكون معناه : وأوصانى بترك الذنوب واجتناب المعاصى .

وقوله (مَا دُمْتُ حَيًّا) يقول : ما كنت حيا فى الدنيا موجودا ، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة فى هذا الموضع : تطهير البدن من الذنوب ، لأن الذى يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لايدّخر شيئا لغد ، فتجب عليه زكاة المال ، إلا أن تكون الزكاة التى كانت فرضت عليه الصدقة بكلّ ما فضل عن قوته ، فيكون ذلك وجها صحيحا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : مخبرا عن قيل عيسى للقوم : وجعلنى مباركا وبرّا : أى جعلنى برّا بوالدتى . والبرّ هو البارّ ، يقال : هو برّ بوالده ، وبارّ به ، وبفتح الباء قرأتْ هذا الحرف قرّاء الأمصار .

ورُوى عن أبى نهيك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبى نهيك أنه قرأ (وبِرًّا بِوَالِدَتِي) من قول عيسى عليه السلام ، قال أبو نهيك : أوصانى بالصلاة والزكاة والبرّ بالوالدين ، كما أوصانى بذلك ، فكأنّ أبا نهيك وجه تأويل الكلام إلى قوله (وَبِرًّا بِوَالِدَتِي) هو من خبر عيسى ، عن وصية الله إياه به ، كما أن قوله (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) من خبره عن وصية الله إياه بذلك ؛ فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرّ بمعنى عمل الوصية فيه ، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين فى اللفظ ، فإنهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما .

وقوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) يقول : ولم يجعلنى مستكبرا على الله فيما أمرنى به ، ونهانى عنه. شقيا ، ولكن ذللنى لطاعته ، وجعلنى متواضعا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه يعنى عيسى ، كان يقول : سلونى ، فإن قلبى لَيِّن ، وإنى صغير فى نفسى مما أعطاه الله من التواضع .

وحدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ، ويُبرئ الأكمه والأبرص، فى آيات سلطه الله عليهن ، وأذن له فيهن . فقالت : طوبى للبطن الذى حملك، والثدى الذى أُرضعت به، فقال نبيّ الله ابن مريم يجيبها ، طوبى لمن تلا كتاب الله ، واتبع ما فيه (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا شَقِيًّا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد أبى رجاء ، عن بعض أهل العلم ، قال : لاتجد عاقًا إلا وجدته جبارا شقيا . ثم قرأ(وَبَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) قال : ولا تجد سيئ الملكة إلا وجدته مختالا فخورا ، ثم قرأ (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) .

وقوله (والسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقول : والأمنة من الله علىّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا منى ماينالون ممن يولد عند الولادة ، من الطعن فيه ، ويوم أموت ، من هول المطلع ، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالنى الفزع الذى ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) قال: يخبرهم فى قصة خبره عن نفسه ، أنه لاأب له وأنه سيموت ثم يُبعث حيا ، يقول الله تبارك وتعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذى بيَّنت لكم صفته ، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذى حملته مريم، هو عيسى ابن مريم ، وهذه الصفه صفته ، وهذا الخبر خبره ، وهو (قَوْلُ الْحَقِّ) يعنى أن هذا الخبر الذى قصصته عليكم قول الحقّ ، والكلام الذى تلوته عليكم قول الله وخبره ، لاخبر غيره، الذى يقع فيه الوهم والشكّ، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره : فقولوا فى عيسى أيها الناس، هذا القول الذى اخبركم الله به عنه ، لاما قالته اليهود ، الذين زعموا أنه لغير رِشْدَة ، وأنه كان ساحرا كذّابا ، ولا ماقالته النصارى ، من أنه كان لله ولدا ، وإن الله لم يتخذ ولدا ، ولا ينبغى ذلك له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ) قال : الله الحقّ .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : كانوا يقولون فى هذا الحرف فى قراءة عبد الله ، قال : (الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) ، قال : كلمة الله .

ولو وُجّه تأويل ذلك إلى : ذلك عيسى بن مريم القول الحقّ ، بمعنى ذلك القول الحقّ ، ثم حذفت الألف واللام من القول ، وأضيف إلى الحقّ ، كما قيل : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) . وكما قيل : (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) ، كان تأويلا صحيحا .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق (قَوْلُ الحَقِّ) ، برفع القول ، على ما وصفت من المعنى ، وجعلوه فى إعرابه تابعا لعيسى ، كالنعت له ، وليس الأمر فى إعرابه عندى على ماقاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى ، إلا أن يكون معنى القول الكلمة ، على ماذكرنا عن إبراهيم ، من تأويله ذلك كذلك ، فيصحّ حينئذ أن يكون نعتا لعيسى ، وإلا فرفعه عندى بمضمر ، وهو هذا قول الحقّ على الابتداء ، وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) ثم ابتدأ الخبر بأن الحقّ فيما فيه تمترى الأمم من أمر عيسى ، هو هذا القول ، الذى أخبر الله به عنه عباده ، دون غيره . وقد قرأ ذلك عاصم بن أبى النَّجُود وعبد الله بن عامر بالنصب ، وكأنهما أرادا بذلك المصدر : ذلك عيسى ابن مريم قولا حقا ، ثم أدخلت فيه الألف واللام . وأما ما ذُكر عن ابن مسعود من قراءته (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قالُ الحقّ) ، فإنه بمعنى قول الحقّ ، مثل العاب والعيب ، والذام والذيم .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا : الرفع ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وأما قوله تعالى ذكره (الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) فإنه يعنى : الذى فيه يختصمون ويختلفون ، من قولهم : ماريت فلانا : إذا جادلته وخاصمته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) امترت فيه اليهود والنصارى ؛ فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذّاب ؛ وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وإله ، وكذبوا كلهم ، ولكنه عبدالله ورسوله ، وكلمته وروحه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ) قال : اختلفوا ، فقالت فرقة : هو عبد الله ونبيه ، فآمنوا به . وقالت فرقة : بل هو الله . وقالت فرقة : هو ابن الله . تبارك وتعالى عما يقولون علوّا كبيرا . قال : فذلك قوله (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ)

والتي في الزخرف ، قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب . قال أحدهم حين رفع الله عيسى : هو الله ، وقال الآخر : ابن الله ، وقال الآخر : كلمة الله وعبده ، فقال المتريان : إن قولي هو أشبه بقولك ، وقولك بقولي من قول هذا ، فهلمّ فلنقاتلهم . فقاتلوهم وأوطئوهم إسرائيل ، فأخرجوا منهم أربعة نفر ، أخرج كلّ قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رُفع ، فقال أحدهم : هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية ، فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال اثنان منهم للثالث ، قل أنت فيه ، قال : هو ابن الله وهم النسطورية ، فقال الاثنان : كذبت ، ثم قال أحد الاثنين للآخر : قل فيه ، قال : هو ثالث ثلاثة : الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى ؛ قال الرابع : كذبت ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ، وهم المسلمون ، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال ، فاقتتلوا ، فظهر على المسلمين ، وذلك قول الله (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) قال قتادة : هم الذين قال الله (فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : لقد كفرت الذين قالوا : إن عيسى ابن الله ، وأعظموا الفرية عليه ، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا ، ولا يصلح ذلك له ولا يكون ، بل كلّ شيء دونه فخلقه ، وذلك نظير قول عمرو بن أحمر:

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ لا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلا جَبَلُ [1]

وأن من قوله (أَنْ يَتَّخِذَ) في موضع رفع بكان . وقوله (سُبْحَانَهُ) يقول : تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون : عيسى ابن الله . وقوله (إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) يقول جل ثناؤه : إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء ، وأنشأه إنشاء ، من غير فحل افتحل أمه ، ولكنه قال له (كُنْ فَيَكُونُ) لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها ، إنما يقول : إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه : كن فيكون موجودا حادثا ، لا يعظم عليه خلقه ، لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة ، ولا ينشئه بمعالجة وشدّة .

وقوله (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) واختلف أهل العربية في وجه فتح « أن » إذا فتحت ، فقال

(١) البيت لعمرو بن أحمر . (اللسان : عنق) قال : وأما قول ابن أحمر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ لا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلا جَبَلُ

فإنه يصف جبلا ، يقول : لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها . اهـ . قلت : والخلقاء : الصخرة الملساء . والعنقاء : البعيدة في السماء . والمشرفة : العالية . ورواية الشطر الثاني في الأصل : * ما ينبغي دونها سهل ولا جبل *

بعض نحويّى الكوفة : فُتحت ردّا على عيسى وعطفا عليه ، بمعنى : ذلك عيسى ابن مريم . وذلك أن الله ربى وربكم . وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا ، وتكون بتأويل خفض، كما قال(ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) قال : ولو فتحت على قوله (وأَوْصَانِي) بأن الله ، كان وجها ، وكان بعض البصريين يقول : وذُكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل (وَقَضَى) أن الله ربى وربُّكم . وكانت عامة قرّاء الكوفيين يقرءونه (وَإِنَّ اللهَ) بكسر إن بمعنى النسق على قوله (فإنّما يَقُولُ لَهُ) وذُكر عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرؤه (فإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، إنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) بغير واو .

قال أبو جعفر : والقراءة التى نختار فى ذلك :الكسر على الابتداء . وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع ، وقد يجوز أنّ يكون عطفا على « إنّ» التى مع قوله (قالَ إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ - وإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ) ولو قال قائل ، ممن قرأ ذلك نصبا : نصب على العطف على الكتاب ، بمعنى : آتانى الكتاب ، وآتانى أن الله ربى وربُّكم ، كان وجها حسنا . ومعنى الكلام: وإنى وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لايتهم ، عن وهب بن منبه ، قال : عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه (أَنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ ، هذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ) أى إنى وإياكم عبيد الله ، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره .

وقوله (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) يقول : هذا الذى أوصيتكم به ، وأخبرتكم أن الله أمرنى به هو الطريق المستقيم ، الذى من سلكه نجا ، ومن ركبه اهتدى ، لأنه دين الله الذى أمر به أنبياءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : فاختلف المختلفون فى عيسى ، فصاروا أحزابا متفرّقين من بين قومه .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنى الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) قال : أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) ذُكر لنا أنه لما رُفع ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم ، فقالوا للأوّل : ماتقول

فى عيسى ؟ قال : هو الله هبط إلى الأرض ، فخلق ماخلق ، وأحيا ما أحيا ، ثم صعد إلى السماء ، فتابعه على ذلك ناس من الناس ، فكانت اليعقوبية من النصارى ؛ وقال الثلاثة الآخرون : نشهد أنك كاذب ، فقالوا للثانى : ما تقول فى عيسى ؟ قال : هو ابن الله ، فتابعه على ذلك ناس من الناس ، فكانت النسطورية من النصارى ؛ وقال الاثنان الآخران : نشهد أنك كاذب ، فقالوا للثالث : ما تقول فى عيسى ؟ قال : هو إله ، وأمه إله ، والله إله ، فتابعه على ذلك ناس من الناس ، فكانت الإسرائيلية من النصارى ، فقال الرابع : أشهد أنك كاذب ، ولكنه عبد الله ورسوله ، هو كلمة الله وروحه ؛ فاختصم القوم ، فقال المرء المسلم : أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام ، وأن الله تبارك وتعالى : لايطعم الطعام قالوا : اللهمّ نعم ، قال : هل تعلمون أن عيسى كان ينام ؟ قالوا : اللهمّ نعم ، قال : فخصمهم المسلم ؛ قال : فاقتتل القوم . قال : فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون ، فأنزل الله فى ذلك القرآن (إنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ الله ، ويَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بغَيْرِ حَقٍّ ، ويَقْتُلُونَ الَّذينَ يَأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، فَبَشِّرْهُمْ بعَذَابٍ أليمٍ) .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرّزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) اختلفوا فيه فصاروا أحزابا . .

وقوله (فَوَيْلٌ للَّذينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يقول : فوادى جهنم الذى يدعى ويلا للذين كفروا بالله ، من الزاعمين أن عيسى لله ولد ، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه ، وذلك يوم القيامة .

وكان قتادة يقول فى تأويل ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (فَوَيْلٌ للَّذينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) شهدوا هولا إذا عظيما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به ، الجاعلين له أندادا ، والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه فى الآخرة ، لئن كانوا فى الدنيا عميا عن إبصار الحقّ ، والنظر إلى حجج الله التى تدلّ على وحدانيته صما عن سماع آى كتابه ، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده ، وما بعث به أنبياءه ، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم فى الآخرة ، وأبصرهم يومئذ حين لاينفعهم الإبصار والسماع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ) ذاك والله يوم القيامة ، سمعوا حين لاينفعهم السمع ، وأبصروا حين لاينفعهم البصر.

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) قال : أسمعُ قومٍ وأبصرُهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، قال (أَسْمِعْ) بحديثهم اليوم (وَأَبْصِرْ) كيف يصنع بهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا) قال : هذا يوم القيامة ، فأما الدنيا فلا ، كانت على أبصارهم غشاوة ، وفى آذانهم وقر فى الدنيا ؛ فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا ، وقرأ (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) .

وقوله (لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره : لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته ، وافتروا عليه الكذب اليوم فى الدنيا ، فى ضلال مبين : يقول : فى ذهاب عن سبيل الحقّ ، وأخذ على غير استقامة ، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى ، لمن تأمله وفكّر فيه ، فهُدى لرشده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٩

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم ، على ما فرّطوا فى جنب الله ، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له ، وادخاؤهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار ، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم ، والحياة التى لاموت بعدها ، فيالها حسرةً وندامة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدىّ ، قال : ثنا سفيان ، عن سَلَمة بن كُهَيل ، قال : ثنا أبوالزعراء ، عن عبد الله فى قصة ذكرها ، قال : ما من نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة ، وبيت فى النار ، وهو يوم الحسرة ، فيرى أهل النار البيت الذى كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا ، فيقال لهم : لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذى ترونه فى الجنة ، فتأخذهم الحسرة ، ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار ، فيقال : لولا أن منّ الله عليكم .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُجاءُ بالمَوْتِ يَوْمَ القيامَةِ ، فَيُوقَفُ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ كأنَّه كَبْشٌ

أمْلَحُ ، قال : فَيُقَالُ يا أهْلَ الجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ ، هَذَا المَوْتُ . فَيُقَالُ : يا أهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا المَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ ، قال : فَيَقُولُ يا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ . وَيا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) وأشار بيده فى الدنيا » .

حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ) قال : « يُنادَى يا أهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ . فَيَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُنادَى يا أهْلَ النَّارِ فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ ، فَيُقالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ المَوْتَ ؟ قال : فَيَقُولُونَ : لا ، قال : فَيُجاءُ بالمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ ، فيُقال هَذَا المَوْتُ ، ثُمَّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ ، قالَ : ثُمَّ يُنادِي يا أهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، وَيا أهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ ، قال : ثم قرأ (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ) » .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ) قال : يصوّر الله الموت فى صورة كبش أملح ، فيذبح ، قال : فييأس أهل النار من الموت ، فلا يرجونه ، فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود فى النار ، وفيها أيضا الفزع الأكبر ، ويأمن أهل الجنة الموت ، فلا يخشونه ، وأمنوا الموت ، وهو الفزع الأكبر ، لأنهم يخلدون فى الجنة . قال ابن جريج : يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون ، فذلك قوله (إذْ قُضِيَ الأمْرُ) قال : ذبح الموت (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبيه ، أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير فى قصصه يقول : يؤتَى بالموت كأنه دابة ، فيذبح والناس ينظرون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ) قال : يوم القيامة ، وقرأ (أنْ تَقُولَ نَفْسٌ ياحَسْرَتا عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ) .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ) من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده . وقوله (إذْ قُضِيَ الأمْرُ) يقول : إذ فُرِغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ، ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها ، بذبح الموت . وقوله (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) يقول : وهؤلاء المشركون فى غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم ، من تخليده إياهم فى جهنم ، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم (وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : وهم لا يصدّقون بالقيامة والبعث ، ومجازاة الله إياهم على سيئ أعمالهم ، بما أخبر أنه مجازيهم به .

القول في تأويل قوله تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لايحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يامحمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لامالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه: (وَاذْكُرْ) يامحمد فى كتاب الله (إِبْرَاهِيمَ) خليل الرحمن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه، (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً) يقول: كان من أهل الصدق فى حديثه وأخباره ومواعيده لايكذب، والصدّيق هوالفعيل من الصدق.

وقد بيّنا ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته فىهذا الموضع (نَبِيًّا) يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه.

وقوله (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) يقول: اذكره حين قال لأبيه (يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لايَسْمَعُ) يقول: ما تصنع بعبادة الوثن الذى لايسمع (وَلا يُبْصِرُ) شيئا (وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء، إنما هو صورة مصوّرة لاتضرّ ولا تنفع. يقول: ما تصنع بعبادة ماهذه صفته؟ اعبد الذى إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك.

واختلف أهل العربية فى وجه دخول الهاء فى قوله (يا أَبَتِ) فكان بعض نحويّى أهل البصرة يقول: إذا وقفت عليها قلت: يا أبه، وهى هاء زيدت نحو قولك: يا أمه، ثم يقال: يا أم إذا وصل، ولكنه لما كان الأب على حرفين، كان كأنه قد أُخِلّ به، فصارت الهاء لازمة، وصارت الياء كأنها بعدها، فلذلك قالوا: يا أبة أقبل، وجعل التاء للتأنيث، ويجوز الترخيم من يا أب أقبل، لأنه يجوز أن تدعو ماتضيفه إلى نفسك فى المعنى مضموما، نحو قول العرب: يا ربّ اغفر لى، وتقف فى القرآن: يا أبه فى الكتاب. وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء. وقال بعض نحويّى الكوفة: الهاء مع أبة وأمة هاء وقف، كثرت فى كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث، وأدخلوا عليها الإضافة، فمن طلب الإضافة، فهى بالتاء لاغير، لأنك تطلب بعدها الياء، ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء، كقولك: يا أبت لاغير، ومن قال: يا أبه، فهو الذى يقف بالهاء، لأنه لايطلب بعدها ياء؛ ومن قال: يا أبتا، فإنه يقف عليها بالتاء، ويجوز بالهاء؛ فأما

بالتاء ، فلطلب ألف الندبة ، فصارت الهاء تاء لذلك ، والوقف بالهاء بعيد ، إلا فيمن قال : « يا أميمةَ ناصبِ »[1] فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم ، وكأن هذا طرف الاسم ، قال : وهذا بعيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾ ٤٣

✿ يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه : يا أبت إنى قد آتانى الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعنى : يقول : فاقبل منى نصيحتى (أَهْدِكَ صِرَاطا سَوِيًّا) يقول : أبصرك هدى الطريق المستوى الذى لاتضلّ فيه إن لزمته ، وهو دين الله الذى لاعوجاج فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ ٤٤

✿ يقول تعالى ذكره : يا أبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصيا ، والعصىّ هو ذوالعصيان ، كما العليم ذو العلم . وقد قال قوم من أهل العربية : العصىّ : هو العاصى ، والعليم هو العالم ، والعريف هو العارف ، واستشهدوا لقولهم ذلك ، بقول طريف بن تميم العنبرىّ .

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ[2]

وقالوا : قال عريفهم وهو يريد : عارفهم ، والله أعلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ ٤٥

✿ يقول : يا أبت إنى أعلم أنك إن متّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) يقول : تكون له وليا دون الله ، ويتبرأ الله منك ، فتهلك ، والخوف فى هذا الموضع بمعنى العلم ، كما الخشية بمعنى العلم ، فى قوله (فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانا وَكُفْرًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾ ٤٦

✿ يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم لإبراهيم ، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان ، والبراءة من الأوثان والأصنام : (أَرَاغِبٌ أَنْتَ) يا إبراهيم عن عبادة آلهتى ؟ (لَئِنْ) أنت (لَمْ تَنْتَهِ)عن ذكرها بسوء (لَأَرْجُمَنَّكَ) يقول : لأرجمنك بالكلام ، وذلك السبّ ، والقول القبيح .

(١) هذا جزء من بيت للنابغة (سبق الاستشهاد به فى ١٤ : ٢١) وهو :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَاأُمَيْمَةَ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

(٢) البيت فى (اللسان : عرف) ونسبه إلى طريف بن مالك العنبرى ، وقيل طريف بن عمرو . قال : والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم . قال سيبويه : هو فعيل بمعنى فاعل ، كقولهم ضريب قداح . والجمع عرفاء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قال : أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ) بالشتيمة والقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، فى قوله (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ) قال : بالقول ؛ لأشتمنك .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (لَأَرْجُمَنَّكَ) يعنى : رجْم القول .

وأما قوله (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : واهجرنى حينا طويلا ودهرا . ووجّهوا معنى الملىّ إلى المُلاوة من الزمان ، وهو الطويل منه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا محمد بن أبى الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، فى قوله (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : دهرا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَلِيًّا) قال : حينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال طويلا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله : (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : زمانا طويلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) يقول : دهرا ، والدهر : الملىّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال دهرا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : أبدا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : واهجرنى سَوِيًّا سالما من عقوبتى إياك ، ووجّهوا معنى الملىّ إلى قول الناس : فلان ملىّ بهذا الأمر : إذا كان مضطلعا به غنيا فيه . وكأن معنى الكلام كان عندهم : واهجرنى وعرضُك وافر من عقوبتى ، وجسمك معافًى من أذاى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) يقول : اجتنبنى سَوِيًّا .

حدثنى محمد بن سعد . قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى . قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : اجتنبنى سالما قبل أن يصيبك منى عقوبة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد . عن قتادة ، قوله (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : سالما .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر : عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عطية الجدلى (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) قال : سالما .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) : اجتنبنى سالما لايصيبك منى معرّة .

قال أبو جعفر : وأولى القولين بتأويل الآية عندى قول من قال : معنى ذلك : واهجرنى سويا ، سلما من عقوبتى ، لأنه عقيب قوله (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ) وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ ، والذى هو أولى بأن يتبع ذلك التقدّم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لأبيه حين توعّده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة : سلام عليك يا أبت ، يقول : أمنة منى لك أن أعاودك فيما كرهت ، ولدعائك إلىّ ماتوعدتنى عليه بالعقوبة ، ولكنى (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى) يقول : ولكنى سأسأل ربى أن يستّر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها (إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) يقول : إن ربى عهدته بى لطيفا يجيب دعائى إذا دعوته ، يقال منه : تحفى بى فلان . وقد بيّنت ذلك بشواهده فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) يقول : لطيفا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) قال : إنه كان بى لطيفا ، فإن الحفىّ : اللطيف .

وقوله (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : وأجتنبكم وما تدعون من دون الله

من الأوثان والأصنام (وأدْعُو رَبّى) يقول : وأدعو ربى ، بإخلاص العبادة له . وإفراده بالربوبية (عَسَى أنْ لاأكُونَ بِدُعاءِ رَبّى شَقِيًّا) يقول : عسى أن لاأشقى بدعاء ربى ، ولكن يجيب دعائى ، ويعطينى ما أسأله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم ، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم ، فوهبنا له ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق (وكُلاً جَعَلْنا نَبِيًّا) يقول : وجعلناهم كلهم ، يعنى بالكلّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء ، وقال تعالى ذكره (وكُلاً جَعَلْنا نَبِيًّا) فوحد ، ولم يقل أنبياء ، لتوحيد لفظ كلّ (وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا) يقول جلّ ثناؤه : ورزقنا جميعهم ، يعنى إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا ، وكان الذى وهب لهم من رحمته ، ما بسط لهم فى عاجل الدنيا من سعة رزقه ، وأغناهم بفضله .

وقوله (وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول تعالى ذكره : ورزقناهم الثناء الحسن ، والذكر الجميل من الناس .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) يقول : الثناء الحسن ، وإنما وصف جلّ ثناؤه اللسان الذى جعل لهم بالعلوّ ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم ، والعرب تقول : قد جاءنى لسان فلان ، تعنى ثناءه أو ذمه ؛ ومنه قول عامر بن الحارث .

إنّى أتَتْنِى لِسانٌ لا أُسَرُّ بِها ... مِنْ عَلْوَ لاعَجَبٌ مِنْها وَلا سَخَرُ[1]

ويُروى : لاكذب فيها ولا سخر .

جاءَتْ مُرَجِّمَةً قد كُنْتُ أحْذَرُها ... لَوْ كانَ يَنْفَعُنِى الإشْفاقُ والحَذَرُ[2]

مرجّمة : يظنّ بها .

(١) البيت لأعشى باهله واسمه عامر ابن الحارث (جمهرة أشعار العرب ص ١٣٥) وهى إحدى المراثى الجياد . وفى (اللسان : لسن) اللسان : جارحة الكلام ، وقد يكنى بها عن الكلمة ، فيؤنث حينئذ . قال أعشى باهلة : « إنى أتتنى لسان . . . البيت » . قال ابن برى اللسان هنا : الرسالة والمقالة . وقد يذكر على معنى الكلام . ثم قال : قال اللحيانى : اللسان فى الكلام يذكر ويؤنث ، يقال إن لسان الناس عليك لحسنة وحسن ، أى ثناؤهم . اهـ . واللسان : الثناء ، وقوله عز وجل : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » : معناه : اجعل لى ثناء حسنا باقيا إلى آخر الدهر . اهـ . وفى (تاج العروس : علا) : وأما قول أعشى باهلة « من علو » فيروى بضم الواو وفتحها وكسرها ، أى أتانى خبر من أعالى نجد . اهـ . وفى جمهرة أشعار العرب : السخر : الاستهزاء . اهـ . وقد استشهد المؤلف بالبيت على أن اللسان قد يجىء بمعنى الثناء ، مع أن اللغويين فسروه بمعنى الخبر أو الرسالة أو المقالة .

(٢) هذا البيت لأعشى باهلة أيضا ، وهو بعد البيت السابق عليه فى القصيدة نفسها ، كما فى (جمهرة أشعار العرب ص ١٣٦) . ومعنى =

القول في تأويل قوله تعالى:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : واذكر يامحمد فى كتابنا الذى أنزلناه إليك موسى ابن عمران . واقصص على قومك أنه كان مخلصا .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا) بكسر اللام من المُخْلِص، بمعنى : إنه كان يخلص لله العبادة، ويفرده بالألوهة، من غير أن يجعل له فيها شريكا، وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة خلا عاصم (إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بفتح اللام من مُخْلَص ، بمعنى : إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته ، وجعله نبيا مرسلا .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى : أنه كان صلى الله عليه وسلم مُخْلِصا عبادة الله، مُخْلَصا للرسالة والنبوّة ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب .

(وَكَانَ رَسُولاً) يقول : وكان لله رسولا إلى قومه بنى إسرائيل ، ومن أرسله إليه نبيا .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وناديناموسى من ناحية الجبل ، ويعنى بالأيمن : يمين موسى ، لأن الجبل لايمين له ولا شمال ، وإنما ذلك كما يقال : قام عن يمين القبلة و عن شمالها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ) قال : جانب الجبل الأيمن . وقد بيَّنا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ، ودللنا على الصواب من القول فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) يقول تعالى ذكره : وأدنيناه مناجيا ، كما يقال : فلان نديم فلان ومنادمه ، وجليس فلان ومجالسه ، وذُكر أن الله جلّ ثناؤه أدناه ، حتى سمع صريف القلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم .

= مرجمة : أى مظنونة ، لايوقف على حقيقتها . ويقال : كلام مرجم : عن غير يقين . ولعل الشاعر أراد أن الناس كلهم لم يصدقوا خبر هذه الفاجعة التى نزلت بهم ، فهم بين مصدق ومكذب .

حدثنا محمد بن منصور الطُّوسيّ ، قال : ثنا يحيى بن أبى بكر ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، قال : أراه عن مجاهد ، فى قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : بين السماء الرابعة ، أو قال : السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب : حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمة ؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، وسمع [1] صَرِيف القلم (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال : قرّبه منه حتى سمع صريف القلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : أُدْنِيَ حتى سمع صريف القلم فى اللوح ، وقال شعبة : أردفه جبرائيل عليه السلام .

وقال قتادة فى ذلك ، ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) قال : نجا بصدقه .

وقوله (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ) يقول : ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون (نَبِيًّا) يقول : أيّدناه بنبوّته ، وأعنّاه بها .

كما حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا) قال : كان هارون أكبر من موسى ، ولكن أراد وهب له نبوّته .

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يامحمد فى هذا الكتاب إسماعيل بن إبراهيم ، فاقصص خبره إنه كان لايكذب وعده ، ولا يخلف ، ولكنه كان إذا وعد ربه ، أو عبدا من عباده وعدا وفى به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) قال لم يَعِدْ ربه عِدة إلا أنجزها .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل ، حدّثه أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظلّ به إسماعيل ، وبات حتى جاء الرجل من الغد ، فقال : مابرحت من هاهنا ؟ قال: لا ، قال : إنى نسيت ، قال : لم أكن لأبرح حتى تأتى ، فبذلك كان صادقا .

---

(١) عبارة الدر المنثور للسيوطى : حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع . . . الخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره (وكانَ يأْمُرُ أهْلَهُ بِ) إقامة (الصَّلاةِ و) إيتاء (الزَّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) عمله . محمودا فيما كلفه ربه . غير مقصر فى طاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر يامحمد فى كتابنا هذا إدريس (إنَّهُ كانَ صِدّيقا) لايقول الكذب ، (نَبِيًّا) نوحى إليه من أمرنا ما نشاء (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) ذكر أن الله رفعه وهو حيّ إلى السماء الرابعة ، فذلك معنى قوله (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) يعنى به إلى مكان ذى علوّ وارتفاع . وقال بعضهم : رُفع إلى السماء السادسة . وقال آخرون : الرابعة .

ذكر الرواية بذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى جرير بن حازم ، عن سليمان الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن هلال بن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر ، فقال له : ماقول الله تعالى لإدريس (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) قال كعب : أما إدريس ، فإن الله أوحى إليه : إنى رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بنى آدم ، فأحبّ أن تزداد عملا ، فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال : إن الله أوحى إلىّ كذا وكذا ، فكلّمْ لى ملك الموت ، فليؤخرنى حتى أزداد عملا ، فحمله بين جناحيه ، ثم صعد به إلى السماء ؛ فلما كان فى السماء الرابعة ، تلقاهم ملك الموت منحدرا ، فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس ، فقال : وأين إدريس ؟ فقال : هوذا على ظهرى ، قال ملك الموت ، فالعجب بعثت أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة ، فجعلت أقول : كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض ؟ فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) قال : إدريس رُفع فلم يمت ، كما رُفع عيسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ولم يمت .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيًّا) قال : رفع إلى السماء السادسة ، فمات فيها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) إدريس أدركه الموت فى السماء السادسة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (ورفعناه مكانا عليا) قال : السماء الرابعة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبى هارون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرىّ (ورفعناه مكانا عليا) قال : فى السماء الرابعة .

حدثنا علىّ بن سهيل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية الرياحى ، عن أبى هريرة أو غيره « شكّ أبو جعفر الرازى » قال : لما أسرى بالنبىّ صلى الله عليه وسلم صعد به جبريل إلى السماء الرابعة ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبرائيل ، قالوا : ومن معه ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجىء جاء ، قال : فدخل فإذا هو برجل ، قال : هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال : حدثنا أنس بن مالك أن نبىّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على إدريس فى السماء الرابعة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ ٥٨

* يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم فى هذه السورة يا محمد ، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه ، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريّة آدم ، ومن ذرّية من حملنا مع نوح فى الفُلك ، ومن ذرّية إبراهيم خليل الرحمن ، ومن ذرّية إسرائيل ، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا ؛ يقول : وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا ، فالذى عنى به من ذرية آدم إدريس ، والذى عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم ، والذى عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل ، والذى عنى به من ذرّية إسرائيل : موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم ، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح فى السفينة ، وهو إدريس ، وإدريس جدّ نوح .

وقوله تعالى ذكره (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ) يقول : إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التى أنزلها عليهم فى كتبه ، خرّوا لله سجدا ، استكانة له وتذللا وخضوعا

لأمره وانقيادا . (وَبُكِيًّا) يقول : خرّوا سجدا وهم باكون . والبُكِيّ : جمع باك ، كما العُتِيّ جمع عات والجُثِيّ : جمع جاث ، فجمع وهو فاعل على فعول ، كما يجمع القاعد قعودا ، والجالس جلوسا ، وكان القياس أن يكون : وبُكوّا وعتوّا ، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء ، كما قيل فى جمع دلو أدل . وفى جمع البهو أبه ؛ وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو ، فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالا ، وفى ذلك لغتان مستفيضتان ؛ قد قرأ بكلّ واحدة علماء من القرّاء بالقرآن بكيا وعتوّا بالضمّ ، وبكيا وعتيا بالكسر . وقد يجوز أن يكون البكيّ هو البكاء بعينه .

وقد حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال : هذا السجود ، فأين البكيّ ، يريد : فأين البكاء .

القول في تأويل قوله تعالى :

* ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره : فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم ، ووصفت صفتهم فى هذه السورة ، خلْف سوء خلفوهم فى الأرض أضاعوا الصلاة .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة إضاعتهم الصلاة ، فقال بعضهم : كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها ، وتضييعهم أوقاتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن سعد الكندى ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعى ، عن موسى بن سليمان ، عن القاسم بن مخيمرة ، فى قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ) قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركا كان كفرا .

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابى ، قال : ثنا الفريابى ، عن الأوزاعى ، عن القاسم بن مخيمرة ، نحوه .

حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنى الوليد بن مسلم ، عن أبى عمرو ، عن القاسم بن مخيمرة ، قال : أضاعوا المواقيت ، ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعى ، عن القاسم ، نحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى ، عن الأوزاعى ، عن إبراهيم بن يزيد ، أن عمر ابن عبد العزيز بعث رجلا إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين ، فخرج إلى حرسه ، وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه ، قال : فأوسعوا له ، فجلس بينهم فقال : أيكم يعرف الرجل الذى بعثناه إلى مصر؟ فقالوا : كلنا نعرفه ، قال : فليقم أحدثكم سنا ، فليدعه ، فأتاه الرسول فقال : لا تعجلنى أشدّ علىّ ثيابى ، فأتاه فقال : إن اليوم الجمعة ، فلا تبرحن حتى تصلى ، وإنا بعثناك فى أمر أعجله للمسلمين ، فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها ، فإنك مصليها لا محالة ، ثم قرأ (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

أَضَاعُوا الصَّلاةَ ، واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ثم قال : لم يكن إضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن المسعودى ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، والحسن بن مسعود ، عن ابن مسعود، أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة فى القرآن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ - وعَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ - وعَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) فقال ابن مسعود رضى الله عنه : على مواقيتها ، قالوا : ما كنا نرى ذلك إلا على الترك ، قال : ذاك الكفر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عمر أبو حفص الأبار ، عن منصور بن المعتمر ، قال قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس ، فيكتب من الغافلين ، وفى إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن .

وقال آخرون : بل كانت إضاعتهموها : تركها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أبو صخر ، عن القرظى ، أنه قال فى هذه الآية (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) يقول : تركوا الصلاة .

❊ قال أبو جعفر : وأولى التأويلين فى ذلك عندى بتأويل الآية ، قول من قال : إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك ، وذلك قوله جل ثناؤه (إِلَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحًا) فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن ، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله ، وقد قيل : إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون فى آخر الزمان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : عند قيام الساعة ، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض فى الأزقة . قال محمد بن عمرو : زنا . وقال الحارث : زناة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله ، وقال : زنا كما قال ابن عمرو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبى حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد وعطاء بن أبى رباح (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) . . . الآية ، قال : هم أمة محمد .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا شريك ، عن أبى تميم بن مهاجر فى قول الله : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ) قال : هم فى هذه الأمة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر فى الطرق ، لا يخافون الله فى السماء ، ولا يستحيون الناس فى الأرض .

وأما قوله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) فإنه يعني أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا . وهو اسم واد من أودية جهنم ، أو اسم بئر من آبارها .

كما حدثني عباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد بن رزان[1] ، قال : ثنا شرقي بن قطامي ، عن لقمان بن عامر الخزاعي . قال : جئت أبا أمامة صدىّ بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدّثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فدعا بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أنَّ صَخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ أوَاقٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسِينَ خَرِيفا ، ثُمَّ تَنْتَهِي إلى غَيٍّ وأثامٍ . قال : قُلْتُ وَما غيّ وَما أثام ؟ قالَ : بِئْرانِ فِي أسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِما صَدِيدُ أهْلِ النَّارِ ، وَهُما اللَّتانِ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتابِهِ (أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) ، وقوله في الفرقان (وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما) .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : واديا في جهنم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : واديا في النار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : الغيّ : نهرجهنم في النار ، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن أبيه ، في قوله (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : الغيّ : نهرجهنم في النار ، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله (أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : نهر في النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات .

وقال آخرون : بل عنى بالغيّ في هذا الموضع : الخسران .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) يقول : خسرانا .

---

(١) ذكر صاحب تاج العروس : الحافظ أبا بكر : محمد بن علي بن عاصم بن رازان ، بسند أصبهان المعروف بابن المقرى ، بألف بعد الراء ، فلعل « رزان » هنا محرف عن « رازان » .

وقال آخرون : بل عنى به الشرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) قال : الغىّ : الشرّ ؛ ومنه قول الشاعر :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ ... وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَىِّ لائمًا[1]

قال أبوجعفر : وكلّ هذه الأقوال متقاربات المعانى ، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والوادى الذى ذكره ابن مسعود فى جهنم ، فدخل ذلك ، فقد لاقى خسرانا وشرّا . حسبه به شرّا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾

يقول تعالى ذكره : فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا ، إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله ، والإيمان به وبرسوله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه ، وأدّى فرائضه ، واجتنب محارمه (فأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ) يقول : فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره ، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات . وقوله (وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا) يقول : ولا يبخسون من جزاء أعمالهم شيئا ، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم ، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم فى جهنم ، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾

يقول تعالى ذكره : فأولئك يدخلون الجنة (جَنَّاتِ عَدْنٍ) . وقوله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) نصب ترجمة عن الجنة . ويعنى بقوله (جَنَّاتِ عَدْنٍ) : بساتين إقامة . وقد بيَّنت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن إعادته . وقوله (التى وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبادَهُ بالغَيْبِ) يقول : هذه الجنات هى الجنات التى وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب ، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها ، فهى غيب لهم . وقوله (إنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مأتِيًّا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان وعده ، ووعده فى هذا الموضع موعوده ، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله . وقال بعض نحويى الكوفة : خرج الخبر على أن الوعد هو المأتىّ ، ومعناه : أنه هو الذى يأتى ، ولم يقل : وكان وعده آتيا ، لأن كلّ ما أتاك فأنت تأتيه ،

(١) البيت للمرقش الأصغر : ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو ابن أخى المرقش الأكبر ، وعم طرفة بن العبد (المفضليات طبع القاهرة ص ١١٨) . وفى (اللسان : غوى) قال : الغى : الضلال والخيبة . غوى (بالفتح) غيا ، وغوى (بالكسر) غواية . الأخيرة عن أبى عبيد : ضل . ورجل غاو ، وغو ، وغوى ، وغيان : ضال . وأغواه هو . وأنشد للمرقش : « فمن يلق . . . . . البيت » .

وقال : ألا ترى أنك تقول : أتيت على خمسين سنة ، وأتت علىّ خمسون سنة ، وكلّ ذلك صواب ، وقد بيّنت القول فيه . والهاء فى قوله (إنّه) من ذكر الرحمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾

يقول تعالى ذكره : لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا ، وهو الهذى والباطل من القول والكلام (إلاّ سَلاَماً) وهذا من الاستثناء المنقطع . ومعناه : ولكن يسمعون سلاما ، وهو تحية الملائكة إياهم . وقوله (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) يقول : ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب فى قدر وقت البُكرة ووقت العشىّ من نهار أيام الدنيا ، وإنما يعنى أن الذى بين غدائهم وعشائهم فى الجنة قدر ما بين غداء أحدنا فى الدنيا وعشائه ، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل فى الجنة ولا نهار ، وذلك كقوله (خَلَقَ الأَرْضَ فى يومَيْنِ و خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام) يعنى به : من أيام الدنيا .

كما حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : سألت زهير بن محمد ، عن قول الله : (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : ليس فى الجنة ليل ، هم فى نور أبدا ، ولهم مقدار الليل والنهار ، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب ، وفتح الأبواب .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا الوليد ، عن خليد ، عن الحسن ، وذكر أبواب الجنة ، فقال : أبواب يُرى ظاهرها من باطنها ، فتَكلم وتُكلم ، فتهمهم انفتحى انغلقى ، فتفعل .

حدثنى ابن حرب ، قال : ثنا موسى بن إسماعيل ، قال : ثنا عامر بن يساف ، عن يحيى ، قال : كانت العرب فى زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء ، فذاك الناعم فى أنفسهم ، فأنزل الله (وَلَهُمْ رِزْقُهُم فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا) : قدر ما بين غدائكم فى الدنيا إلى عشائكم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا) قال : كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء عجب له ، فأخبرهم الله أن لهم فى الجنة بكرة وعشيا ، قدر ذلك الغداء والعشاء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ليس بكرة ولا عشىّ ، ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وعَشِيًّا) فيها ساعتان بكرة وعشىّ ، فإن ذلك لهم ليس ثم ليل ، إنما هو ضوء ونور .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ ٦٣

يقول تعالى ذكره : هذه الجنة التى وصفت لكم أيها الناس صفتها ، هى الجنة التى نورثها ، يقول : نورث مساكن أهل النار فيها (مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا) يقول : من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ ٦٤

ذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحى ، وقد ذكرت بعض الرواية ، ونذكر إن شاء الله باقى ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الله، قال : ثنا عبد الله بن أبان العجلى ، وقبيصة ووكيع ؛ وحدثنا سفيان بن وكيع قال : ثنا أبى ، جميعا عن عمر بن ذرّ ، قال : سمعت أبى يذكر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن محمدا قال لجبرائيل : « ما يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنا فنزلت هذه الآية (وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بينَ ذلكَ ، وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)» قال : هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى محمد بن معمر ، قال : ثنا عبد الملك بن عمرو ، قال : ثنا عمر بن ذرّ ، قال : ثنى أبى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل : « ما يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنا ؟ فنزلت (وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) » .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) . . . إلى (وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) قال : احتبس جبرائيل عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن ، فأتاه جبرائيل فقال : يامحمد (وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بينَ ذلكَ ، وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لبث جبرائيل عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكأن النبىّ استبطأه ، فلما أتاه قال له جبرائيل (وَما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) . . . الآية .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا) قال : هذا قول جبرائيل ، احتبس جبرائيل فى بعض الوحى ، فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم : « ما جِئْتَ حتى اشْتَقْتُ إلَيْكَ » ، فقال له جبرائيل : (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا) » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تبارك وتعالى (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) قال : قول الملائكة حين استراثهم محمد صلى الله عليه وسلم ، كالتى فى الضحى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : لبث جبرائيل عن محمد اثنتى عشرة ليلة ، ويقولون : قُلى ، فلما جاءه قال : أىْ جِبْرائيلُ لَقَدْ رِثْتَ عَلَيَّ حتى لَقَدْ ظَنَّ المُشْرِكُونَ كُلَّ ظَنّ . فنزلت (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ ، لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بينَ ذلكَ ، وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) احتبس عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون فى ذلك ، واشتدّ ذلك على نبيّ الله ، فأتاه جبرائيل ، فقال : اشتدّ عليك احتباسنا عنك ، وتكلم فى ذلك المشركون ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، إذا أمرنى بأمر أطعته (وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ) يقول : بقول ربك .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَهُ ما بينَ أيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بينَ ذلكَ) فقال بعضهم : يعنى بقوله (ما بينَ أيْدِينا) من الدنيا ، وبقوله (وَما خَلْفَنا) الآخرة (وَما بينَ ذلكَ) النفختين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (لَهُ ما بينَ أيْدِينا) يعنى الدنيا (وَما خَلْفَنا) الآخرة (وَما بينَ ذلكَ) النفختين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قال (ما بينَ أيْدِينا) من الدنيا (وَما خَلْفَنا) من أمر الآخرة (وَما بينَ ذلكَ) ما بين النفختين .

وقال آخرون : (ما بينَ أيْدِينا) الآخرة (وَما خَلْفَنا) الدنيا (وَما بينَ ذلكَ) ما بين الدنيا والآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (بينَ أيْدِينا) الآخرة (وَما خَلْفَنا) من الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُ ما بينَ أيْدِينا) من أمر الآخرة (وَما خَلْفَنا) من أمر الدنيا (وَما بينَ ذلك) ما بين الدنيا والآخرة (وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (لَهُ ما بينَ أيْدِينا) من الآخرة (وَما خَلْفَنَا) من الدنيا (وَما بينَ ذلكَ) ما بين النفختين .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ما بينَ أيْدِينا) من الآخرة (وَما خَلْفَنَا) من الدنيا .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (ما بينَ أيْدِينا) قال : ما مضى أمامنا من الدنيا (وَما خَلْفَنَا) ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة (وَما بينَ ذلكَ) قال : ما بين ما مضى أمامهم ، وبين ما يكون بعدهم .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأوّل ذلك له (ما بينَ أيْدِينا) قبل أن نخلق (وَما خَلْفَنَا) بعد الفناء (وَما بينَ ذلك) حين كنا .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : له ما بين أيدينا من أمر الآخرة ، لأن ذلك لم يجئ وهو جاء ، فهو بين أيديهم ، فان الأغلب فى استعمال الناس إذا قالوا هذا الأمر بين يديك ، أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاء ، فلذلك قلنا : ذلك أولى بالصواب : وما خلفنا من أمر الدنيا ، وذلك ما قد خلفوه فمضى ، فصار خلفهم بتخليفهم إياه ، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه ، ووراءه وما بين ذلك : ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة ، لأن ذلك هو الذى بين ذينك الوقتين .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات به ، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب ، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ، مالم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له . فتأمل الكلام إذن : فلا تستبطئنا يا محمد فى تخلفنا عنك ، فانا لا نتنزّل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها ، لله ما هو حادث من أمور الآخرة التى لم تأت وهى آتية ، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا ، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة ، بيده ذلك كله ، وهو مالكه ومصرّفه ، لا يملك ذلك غيره ، فليس لنا أن نحدث فى سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به (وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) يقول : ولم يكن ربك ذا نسيان ، فيتأخر نزولى إليك بنسيانه إياك بل هو الذى لا يعزُب عنه شيء فى السماء ولا فى الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضى فى خلقه جل ثناؤه

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) قال : ما نسيك ربك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : لم يكن ربك يا محمد ربّ السموات والأرض وما بينهما نسيا ، لأنه لوكان نسيا لم يستقم ذلك ، ولهلك لولا حفظه إياه ، فالربّ مرفوع ردّا على قوله (رَبُّكَ) . وقوله (فاعْبُدْهُ) يقول : فالزم طاعته ، وذلّ لأمره ونهيه (وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ) يقول : واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فانه الإله الذى لامثل له ولا عدل ولا شبيه فى جوده وكرمه وفضاه (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا الذى أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلا فى كرمه وجوده ، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ، ما ذلك بموجود .

وبنحو ماقلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) يقول : هل تعلم للربّ مثلا أو شبيها .

حدثنى سعيد بن عثمان التنوخى ، قال : ثنا إبراهيم بن مهدى عن عباد بن عوّام ، عن شعبة ، عن الحسن بن عمارة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، فى قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال : شبيها .

حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مجاهد فى هذه الآية (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيا) قال : هل تعلم له شبيها ، هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) لاسمىّ لله ولاعدل له ، كلّ خلقه يقرّ له ، ويعترف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية (وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) قال : يقول : لاشريك له ولا مثل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره (ويقولُ الإنسانُ) الكافر الذى لايصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا ، فأُبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكارا منه ذلك ، يقول الله تعالى ذكره (أوْ لايذكرُ الإنسانُ) المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه ، وإيجاده بعد عدمه فى خلق نفسه ، أن الله خلقه من قبل مماته ، فأنشأه بشرا سويا من غير شىء (ولمْ يكُ) من قبل إنشائه إياه (شَيْئاً) فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شىء لايعجز عن إحيائه بعد مماته ، وإيجاده بعد فنائه .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (أَوَلا يَذْكُرُ الإنْسانُ) فقرأه بعض قرّاء المدينة والكوفة : (أوَلا يَذْكُرُ) بتخفيف الذال ، وقد قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة والحجاز (أوَلا يَذَّكَّرُ) بتشديد الذال والكاف ، بمعنى : أو لا يتذكر ، والتشديد أعجب إلىّ ، وإن كانت الأخرى جائزة ، لأن معنى ذلك : أو لا يتفكر فيعتبر .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فوربك يامحمد لنحشرنّ هؤلاء القائلين : أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم ، مقرنين بأوليائهم من الشياطين (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) والجثى : جمع الجاثى .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا) يعنى : القعود ، وهو مثل قوله (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً)

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾

يقول تعالى ذكره ، ثم لنأخذنّ من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوّا ، وتمرّدا فلنبدأنّ بهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) قال : نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : أيهم أشدّ للرحمن معصية ، وهى معصيته فى الشرك .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) يقول : عصيا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) قال : أمة .

وقوله (عِتِيًّا) قال : كفرا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد فيه ابن جريج : فلنبدأن بهم .

قال أبو جعفر : والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور . يقال من ذلك : تشايع القوم : إذا تعاونوا ؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع : إنه لمشيع : أى معان . فمعنى الكلام : ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله ، أشدهم على الله عتوا ، فلنبدأن بإصلائه جهنم . والتشايع فى غير هذا الموضع : التفرق ؛ ومنه قول الله عز ذكره (وكانوا شيعا) يعنى : فرقا ؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد ؛ إنى أكره أن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : شيعت بين أمتى ، بمعنى : فرقت .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب ، وأحقهم بعظيم العقوبة .

وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا) قال : أولى بالخلود فى جهنم .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله ابن جريج ، قول لامعنى له ، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا ، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مخلد فى النار ، فلا وجه ؛ وجميعهم مخلدون فى جهنم ، لأن يقال : ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين . ولكن المعنى فى ذلك ماذكرنا . وقد يحتمل أن يكون معناه : ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا . والصلى : مصدر صليت تصلى صليا ، والصلى : فعول ، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت فى الياء التى بعدها التى هى لام الفعل ، فصارت ياء مشددة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره : وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم ، كان على ربك يا محمد إيرادهموها قضاء مقضيا ، قد قضى ذلك وأوجبه فى أم الكتاب .

واختلف أهل العلم فى معنى الورود الذى ذكره الله فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو ، قال : أخبرنى من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ، فقال ابن عباس : الورود : الدخول ، وقال نافع لا ، فقرأ

ابن عباس (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) أزرود هو أم لا ؟ وقال (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ) أورود هو أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل نخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك ، قال : فضحك نافع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : قال أبو راشد الحرورىّ : ذكروا هذا فقال : الحرورىّ لايسمعون حَسِيسها ،قال ابن عباس : ويلك أمجنون أنت ؟ أين قوله تعالى (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الوِرْدِ المَوْرُودُ). (وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها) والله إن كان دعاء من مضى : اللهمّ أخرجنى من النار سالما ،وأدخلنى الجنة غانما .

قال ابن جريج : يقول : الورود الذى ذكره الله فى القرآن : الدخول ، ليردنها كل برّ وفاجر فى القرآن أربعة أوراد (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَحَصَبُ جَهَنَّمَ ، أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ؛ وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا) ، وقوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها ، كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) يعرف البرّ والفاجر ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ، وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ) ، وقال (وَنَسُوق المُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا) فسمى الورود فى النار دخولا ، وليس بصادر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن بكار بن أبى مروان ، عن خالد بن معدان ، قال : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار ؟ قال : قد مررتم عليها وهى خامدة .

قال ابن عرفة ، قال مروان بن معاوية ، قال بكار بن أبى مروان ، أو قال : جامدة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا مرحوم بن عبد العزيز ، قال : ثنى أبوعمران الجَوْنىّ ، عن أبى خالد قال : تكون الأرض يوما نارا ، فماذا أعددتم لها ؟ قال : فذلك قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها ، كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا) .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريرىّ ، عن أبى السليل ، عن غنيم بن قيس ، قال : ذكروا ورود النار ،فقال كعب : تُمْسِكُ النارُ للناس كأنها متن إهالة ، حتى يستوىَ عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم ، ثم يناديها مناد : أن أمسكى أصحابك ، ودعى أصحابى ، قال : فيُخْسَف بكلّ ولىّ لها ، ولهى أعلم بهم من الرجل بولده ، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم . قال : وقال كعب : ما بين منكبى الخازن من خزنتها مسيرة سنة ، مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان ، يدفع به الدّفْعة ، فيصرع به فى النار سبع مئة ألف ؛

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مالك بن مغول ، عن أبى إسحاق ، قال : كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه ، قال : يا ليت أمى لم تلدنى ، ثم يبكى ، فقيل : وما يبكيك يا أبا ميسرة ؟ قال : أخبرنا أنا واردوها ، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : بكى عبد الله بن رواحة فى مرضه ، فبكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ، قالت : رأيتك تبكى فبكيت ، قال : ابن رواحة : إنى قد علمت أنى وارد النار فما أدرى أناج منها أنا أم لا ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان ، قال : سمعت السدىّ يذكر عن مرّة الهمدانى ، عن ابن مسعود (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) قال : داخلها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) قال : يدخلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس ابن أبى حازم ، قال : كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه فى حجر امرأته ، فبكى ، فبكت امرأته ، قال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكى فبكيت ، قال : إنى ذكرت قول الله (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) فلا أدرى أنجو منها ، أم لا ؟ .

وقال آخرون : بل هو المرّ عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) يعنى جهنم مرّ الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُها) قال : هو المرّ عليها .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله « فى قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) قال : الصراط على جهنم مثل حدّ السيف فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم . ثم يمرّون والملائكة يقولون : اللهمّ سلم سلم » .

وقال آخرون : بل الورود : هو الدخول ، ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرنى عبد الله بن السائب ، عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها (وَإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) يعنى الكفار ، قال : لا يردها مؤمن .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمرو بن الوليد الشَّنِّى ، قال : سمعت عكرمة يقول (وإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) يعنى الكفار .

وقال آخرون : بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر ، غير أن ورود المؤمن المرور ، وورود الكافر الدخول .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها ، قال : وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « الزَّالُّونَ والزَّالاَّتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أحاطَ الجِسْرَ سِماطانِ مِنَ المَلائِكَةِ ، دَعْوَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يا أللهُ سَلِّمْ سَلِّمْ » .

وقال آخرون : ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمَّى ومرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد قال : الحمى حظّ كلّ مؤمن من النار ، ثم قرأ (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) .

حدثنى عمران بن بكار الكلاعى ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم ، قال : ثنا إسماعيل بن عبيد الله ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك وأنا معه ، ثم قال : إن الله يقول : هى نارى أسلطها على عبدى المؤمن ، لتكون حظه من النار فى الآخرة .

وقال آخرون : يردُها الجميع ، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنى السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) قال : يردُونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا شعبة ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله ، بنحوه .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا أسباط ، عن عبد الملك ، عن عبيد الله ، عن مجاهد ، قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل يقال له أبو راشد ، وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها ، كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا) قال : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا ؟ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو الزبير « أنه سمع جابر ابن عبد الله يُسأل عن الورود ، فقال : نحن يوم القيامة على كوى أو كرى ، فوق الناس ، فتدعى الأمم

بأوثانها . وما كانت تعبد الأوّل فالأوّل . فينطلق بهم ويتبعونه ، قال: ويعطى كلّ إنسان منافق ومؤمن نورا ، ويغشى ظلمة ثم يتبعونه. وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله، فَيطفأ نور المنافق ، وينجو المؤمنون . فتنجو أوّل زمرة كالقمر ليلة البدر ، وسبعون ألفا لاحساب عليهم ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم فى السماء . ثم كذلك ثم ، تحلّ الشفاعة فيشفعون ، ويخرج من النار من قال لاإله إلا الله ممن فى قلبه وزن شعيرة من خير ، ثم يلقون تلقاء الجنة ، ويهريق عليهم أهل الجنة الماء ، فينبتون نبات الشىء فى السيل ، ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن المبارك ، عن الحسن ، قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك بأنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا ، قال: ففيم الضحك ؟ قال : فما رؤى ضاحكا حتى لحق بالله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيرا حدّثه أنه قال لبسر ابن سعيد : إن فلانا يقول : إن ورود النار القيام عليها . قال بسر : أما أبوهريرة فسمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة ، يجتمع الناس نادى مناد : ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون ، فيقوم هذا إلى الحجر ، وهذا إلى الفرس ، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله ، فيأتيهم الله ، فإذا رأوه قاموا إليه ، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط ، وفيه عليق ، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة، فيمرّ الناس، والنبيون يقولون : اللهمّ سلم سلم . قال بكير : فكان ابن عميرة يقول : فناج مسلم ومنكوس فى جهنم ومخدوش ، ثم ناج » .

❁ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوى فيها الكفار وورودهموها هو ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناج مسلم ومكدس فيها .

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت حفصة : « لايَدْخُلُ النَّارَ أحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ ، قالت: فقالت حفصة : يا رسول الله ، أليس الله يقول (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَمَهْ (ثُمَّ يُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوا) » .

حدثنا الحسن بن مدرك ، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال : ثنا أبوعوانة ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، عن أمّ مبشر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن جابر ، عن أمّ مبشر ، عن حفصة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّى لأَرْجُو أنْ لايَدْخُلَ النَّارَ أحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا والحُدَيْبِيَةَ ، قالت : فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها)؟ قال : فَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ (ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيها جِثِيًّا) » ؟

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثنى عبيد الله بن المغيرة ابن معيقب ، عن سليمان بن عمرو بن عبد العتْوارىّ ، أحد بنى ليث ، وكان فى حجر أبى سعيد ، قال : سمعت أبا سعيد الخُدرىّ يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يُوضَعُ الصِّراطُ بينَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ ، عَلَيْهِ حَسَكٌ كحَسَكِ السَّعْدانِ ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسُ ، فَنَاجٍ مُسْلِمٌ وَمَجْرُوحٌ بِهِ ، ثُمَّ ناجٍ وُمُحْتَبِسٌ ومُكَدَّسٌ فيها ، حتى إذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضاءِ بينَ العبادِ تَفَقَّدَ المُؤْمِنُونَ رِجالاً كانُوا مَعَهُمْ فِى الدُّنْيا يُصَلُّونَ صَلاتَهُمْ ، وَيُزَكُّونَ زَكاتَهُمْ وَيَصُومُونَ صِيامَهُمْ ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ ، ويَغْزُونَ غَزْوَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : أىْ رَبَّنا عِبادٌ مِنْ عِبادِكَ كانُوا مَعَنا فِى الدنْيا ، يُصَلُّونَ صَلاتَنا ، وَيُزَكُّونَ زَكاتَنا ، وَيَصُومُونَ صِيامَنا ، وَيَحُجُّونَ حَجَّنا ، ويَغْزُونَ غَزْوَنا ، لانَرَاهُمْ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا إلى النَّارِ ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيها مِنْهُمْ فأخْرِجُوهُ ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أخَذَتْهُمُ النَّارُ عَلَى قَدْرِ أعْمالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ النَّارُ إلى قَدَمَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى نِصْفِ ساقَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى ثَدْيَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى عُنُقِهِ ولَمْ تَغْشَ الوُجُوهَ ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْها ، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِى ماءِ الحَياةِ ؛ قِيلَ : وَماماءُ الحَياةِ يارَسول اللهِ ؟ قالَ غُسْلُ أهْلِ الجَنَّةِ ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِى غُثاءِ السَّيْلِ ، ثُمَّ تَشْفَعُ الأنْبِياءُ فِى كُلِّ مَنْ كانَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصًا ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْها ، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيها ، فَمَا يَتْرُكُ فِيها عَبْدًا فِى قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمَانِ إلاَّ أخْرَجَهُ مِنْها » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أبى وشعيب بن الليث ، عن الليث بن خالد ، عن يزيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤْتَى بالجسْرِ - يعنى يوم القيامة - فَيُجْعَلُ بينَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ ، قلنا يارسول الله وما الجسر؟ قال : مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ ، عَلَيْهِ خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ ، يُقالُ لَهَا السَّعْدانُ ، يَمُرُّ المُؤْمِنُونَ عَلَيْها كالطَّرْفِ والبَرْقِ وكالرِّيحِ ، وكأجاوِدِ الخَيْلِ والرِّكابِ ؛ فَنَاجٍ مُسْلِمٌ ، وَمَخْدُوشٌ مُسْلِمٌ ، ومَكْدُوسٌ فى جَهَنَّمَ ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ، فَمَا أنْتُمْ بأشَدَّ مُناشَدَةً لى فى الحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ، مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلجَبَّارِ تَبارَكَ وتَعالى ، إذَا رَأوْهُمْ قَدْ نَجَوْا وَبَقِىَ إخْوانُهُمْ » .

حدثنى أحمد بن عيسى ، قال : ثنا سعيد بن كثير بن عُفَير ، قال : ثنا ابن لهيعة ، عن أبى الزبير ، قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هُوَ الدُّخولُ ، يَرِدُونَ النَّارَ حتى يَخْرُجُوا مِنْها ، فآخِرُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلَى الصِّراطِ يَزْحَفُ ، فَيَرْفَعُ اللهُ

لهُ شَجَرَةَ ، قالَ : فيَقُولُ : أىْ رَبِّ أدْنِنِي مِنْها ، قالَ : فيُدْنِيهِ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى مِنْها ، قالَ : ثُمَّ يَقُولُ : أىْ رَبِّ أدْخِلْنِي الجَنَّةَ ، قالَ : فيَقُولُ : سَلْ ، قالَ : فيَسْألُ ، قال : فيَقُولُ ذلكَ لكَ وعَشْرَةُ أضْعافِهِ أوْ نَحْوُها ؛ قالَ : فيَقُولُ : يا رَبِّ تَسْتَهْزِئُ بِي ؟ قالَ : فيَضْحَكُ حتى تَبْدُو لَهَواتُهُ وأضْراسُهُ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يحيى بن أيوب « ح » ؛ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن زيد ، عن رشدين جميعا ، عن زياد بن فائد ، عن سهل بن معاذ ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ المُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعا ، لايأخُذُهُ سُلْطانٌ بحرَسٍ ، لَمْ يرَ النَّارَ بعَيْنِهِ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى يَقُولُ (وَإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها) » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرَّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، أخبرني الزهريّ ، عن ابن المسيب عن أبي هريرة ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ ماتَ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ » يعني : الورود .

وأما قوله (كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْما مَقْضِيًّا) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم معناه : كان على ربك قضاء مقضيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (حَتْما) قال : قضاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (حَتْما مَقْضِيًّا) قال : قضاء.

وقال آخرون : بل معناه : كان على ربك قسما واجبا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو عمرو داود بن الزِّبْرِقان ، قال : سمعت السديّ يذكر عن مرّة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود (كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْما مَقْضِيًّا) قال : قسما واجبا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (كانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْما مَقْضِيًّا) يقول : قسما واجبا .

قال أبو جعفر : وقد بيَّنت القول في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

⁂ يقول تعالى ذكره: ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم إياها، الذين اتقوا فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) يقول جلّ ثناؤه: وندع الذين ظلموا أنفسهم، فعبدوا غير الله، وعصَوا ربهم، وخالفوا أمره ونهيه فى النار. جثيا، يقول: بروكا على ركبهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم.

حدثنا الحسن ابن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) على ركبهم.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) قال: الجُثِيّ: شرّ الجلوس لا يجلس، الرجل جاثيا إلا عند كرب ينزل به.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) إن الناس وردوا جهنم وهى سوداء مظلمة، فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم، فأنجوا منها. وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم، واحتُبِسوا بذنوبهم.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝

⁂ يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على الناس آياتنا التى أنزلناها على رسولنا محمد بينات، يعنى واضحات لمن تأمّلها وفكّر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده، قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته، وهم قريش، للذين آمنوا فصدّقوا به، وهم أصحاب محمد (أيُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما؟) يَعْنى بالمَقام: موضع إقامتهم، وهى مساكنهم ومنازلهم (وأحْسَنُ نَدِيًّا) وهو المجلس، يقال منه: ندوت القوم أندوهم نَدْوا: إذا جمعتهم فى مجلس، ويقال: هو فى نديّ قومه وفى ناديهم: بمعنى واحد، ومن النديّ قول حاتم:

ودُعِيتُ فِى أُولى النَّدِيّ ولَمْ ... يُنْظَرْ إلىّ بأعْيُنٍ خُزْرِ[1]

(١) البيت لحاتم الطائى، من شعره فى كتاب (شعراء النصرانية: القسم الأول ص ١١٥) وفى (اللسان: ندى): والندىّ: المجالسة وناديته: جالسته، وتنادوا: تجالسوا فى النادى، والندى: المجلس ما داموا مجتمعين فيه، فإذا تفرقوا عنه فليس بندى. وقيل: الندى: مجلس القوم نهارا عن كراع. والنادى: كالندى. التهذيب: النادى المجلس، يندو إليه من حواليه، ولا يسمى ناديا حتى يكون فيه أهله، وإذا تفرقوا لم يكن ناديا، وهو الندى، والجمع الأندية. اهـ. والخزر: جمع خزراء من الخزر، وهو كما فى (اللسان خزر): كسر العين بصرها خلقة. وقيل: هو ضيق العين وصغرها. وقيل هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين، ثم استشهد ببيت حاتم، وبه استشهد المؤلف به، على أن معنى الندى: مجلس القوم.

وتأويل الكلام : وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيِّنات ، قال الذين كفروا للذين آمنوا : أىّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا ، وأنعم بالا ، وأفضل مسكنا ، وأحسن مجلسا ، وأجمع عددا وغاشية فى المجلس ، نحن أم أنتم ؟ وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، عن ابن عباس ، قوله (خَيْرٌ مَقاماً وأَحْسَنُ نَدِيًّا) قال : المقام : المنزل ، والندىّ : المجلس .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس بمثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا : أَىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ؟) قال : المقام : المسكن ، والندىّ : المجلس والنِّعمة والبهجة التى كانوا فيها ، وهو كما قال الله لقوم فرعون ، حين أهلكهم وقصّ شأنهم فى القرآن فقال (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) فالمقام : المسكن والنعيم ، والندىّ : المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه ، وقال الله فيما قصّ على رسوله فى أمر لوط إذ قال (وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ المُنْكَرَ) ، والعرب تسمى المجلس : النادى .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قام : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأَحْسَنَ نَدِيًّا) يقول : مجلسا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَىُّ الفَرِيقَيْنِ) قال : قريش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وأَحْسَنُ نَدِيًّا) قال : مجالسهم ، يقولونه أيضا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنا بَيِّنَاتٍ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما وأَحْسَنُ نَدِيًّا ؟) رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة ، وفيهم قَشافة ، فَعَرَّض أهل الشرك بما تسمعون قوله (وأَحْسَنُ نَدِيًّا) يقول : مجلسا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَىُّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وأَحْسَنُ نَدِيًّا) قال : الندىّ : المجلس ، وقرأ قول الله تعالى (فَلْيَدْعُ نادِيَهُ) قال : مجلسه

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين ، إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن ، أيّ الفريقين خير مقاما ، وأحسن نديا ، مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء ، وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا ، فأهلكنا أموالهم ، وغيرنا صورهم ؛ ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأُرْجُوَانِ نَشَرْتُهُ ... لِبَيْعِ الرِّئْيِ فِي الصِّوَانِ المُكَعَّبِ[1]

يعني بالصوان : التخت الذي تصان فيه الثياب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) قال : الرئي : المنظر ، والأثاث : المتاع .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا ابن أبي عديّ عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : الرئي المنظر .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ عن ابن عباس ، قوله (أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) يقول : منظرا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) الأثاث : المال ، والرِّئي : المنظر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (أَثَاثًا وَرِئْيًا) قال : الأثاث : أحسن المتاع ، والرِّئي : قال : المال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، يقول الله تبارك وتعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) : أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرّا ، فأهلك الله أموالهم ، وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) قال : أحسن صورا ، وأكثر أموالا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعلقمة بن عبدة وهو الثاني والعشرون من قصيدته التي مطلعها : * ذهبت من الهجران في غير مذهب * (مختار الشعر الجاهلي طبعة الحلبي بشرح مصطفى السقا ص ٤٣٦) وفيه « الزداء » في موضع الرئي . قال شارحه : الكميت : الفرس الذي لونه بين السواد والحمرة . والأرجوان : صبغ أحمر مشبع . والمراد هنا : ثوب أحمر . والصوان : ثوب تصان فيه الثياب ، ويقال له التخت . والمكعب هنا : الموشى من الثياب ، وهو من صفة الرداء . ويقال : المكعب : المطوى المشدود ، وكل ما ربعته فقد كعبته ، ومنه الفتاة الكاعب : التي تكعب ثديها وبرز . وفي (اللسان : رأى) : الرئي (على فعيل) والبرئي (على فعل بكسر أوله) الثوب ينشر للبيع . عن علي . التهذيب : الرئي ، بهمزة مسكنة : الثوب الفاخر الذي ينشر ليرى حسنه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أثاثا) قال : المتاع (وَرِئْيا) قال : فيما يرى الناس.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ ، قالا : ثنا جرير بن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأثاث : المال ، والرِّئى : المنظر الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (وَرِئْيا) منظرا فى اللون والحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (وَرِئْيا) منظر فى اللون والحسن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا) قال : الرئى : المنظر ، والأثاث : المتاع ، أحسن متاعا ، وأحسن منظرا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول فى قوله (أَحْسَنُ أثاثا) يعنى المال (وَرِئْيا) يعنى : المنظر الحسن .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (وَرِيًّا) غير مهموز ، وذلك إذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين : أحدهما : أن يكون قارئه أراد الهمزة ، فأبدل منها ياء ، فاجتمعت الياء المُبدلة من الهمز والياء التى هى لام الفعل ، فأدغمتا ، فجعلتا ياء واحدة مشددة ليُلْحِقُوا ذلك ، إذ كان رأس آية ، بنظائره من سائر رءوس الآيات قبله وبعده ، والآخر أن يكون من رويت أروى روية وريًّا ، وإذا أريد به ذلك كان معنى الكلام : وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هم أحسن متاعا ، وأحسن نظرا لماله ، ومعرفة لتدبيره ، وذلك أن العرب تقول : ما أحسن رؤية فلان فى هذا الأمر إذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به . وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق والكوفة والبصرة (وَرِئْيا) بهمزها ، بمعنى : رؤية العين ، كأنه أراد : أحسن متاعا ومرآة . وحُكى عن بعضهم أنه قرأ : أحسن أثاثا وزيا ، بالزاى ، كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا ، وذلك أن الزىّ هو الهيئة والمنظر من قولهم : زيّيت الجارية ، بمعنى : زينتها وهيأتها .

قال أبو جعفر : وأولى القراءات فى ذلك بالصواب ، قراءة من قرأ (أثاثا وَرِئْيا) بالراء والهمز ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه : المنظر ، وذلك هو من رؤية العين ، لا من الروية ، فلذلك كان المهموز أولى به ، فإن قرأ قارئ ذلك بترك الهمز ، وهو يريد هذا المعنى ، فغير مخطئ فى قراءته ، وأما قراءته بالزاى ، فقراءة خارجة ، عن قراءة القرّاء ، فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم ، وإن كان لهم فى التأويل وجه صحيح .

واختلف أهل العربية فى الأثاث أجمع هو أم واحد ، فكان الأحمر فيما ذُكر لى عنه يقول : هو جمع واحدتها أثاثة ، كما الحمام جمع واحدتها حمامة ، والسحاب جمع واحدتها سحابة ، وأما الفراء فإنه كان يقول :

لاواحد له ، كما أن المتاع لاواحد له . قال : والعرب تجمع المتاع : أمتعة ، وأماتيع ، ومتع . قال : ولو جمعت الأثاث لقلت : ثلاثة آثّة وأثث . وأما الرئى فإن جمعه : آراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين بربهم ، القائلين : إذا تتلى عليهم آياتنا ، أيّ الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا ، من كان منا ومنكم فى الضلالة جائرا عن طريق الحقّ ، سالكا غير سبيل الهدى ، فليمدد له الرحمن مدّا : يقول : فليطوّل له الله فى ضلالته ، وليمله فيها إملاء .

و بنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) فليدعه الله فى طغيانه .

وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ) يقول تعالى ذكره : قل لهم : من كان منا ومنكم فى الضلالة ، فليمدد له الرحمن فى ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله ، إما عذاب عاجل ، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التى وعد الله خلقه أن يجمعهم لها ، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين (فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا) ومسكنا منكم ومنهم (وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أهم أم أنتم ؟ ويتبينون حينئذ أيّ الفريقين خير مقاما ، وأحسن نديا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ويزيد الله من سلك قصد المحجة ، واهتدى لسبيل الرشد ، فآمن بربه ، وصدّق بآياته ، فعمل بما أمره به ، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التى يفرضها عليه ، ويقرّ بلزوم فرضها إياه ، ويعمل بها ، فذلك زيادة من الله فى اهتدائه بآياته هدى على هداه ، وذلك نظير قوله (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) . وقد كان بعضهم يتأوّل ذلك : ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

بناسخ القرآن ومنسوخه . فيؤمن بالناسخ . كما آمن من قبل بالمنسوخ . فذلك زيادة هدى من الله له على هُداه من قبل (وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا) يقول تعالى ذكره : والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم . الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات . خير عند ربك جزاء لأهلها (وَخَيْرٌ مَرَدًّا) عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله . وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا .

وقد بيَّنا معنى الباقيات الصالحات . وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك . ودللنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبد الرزاق . قال : أخبرنا عمر بن راشد . عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف . قال : «جلس النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم . فأخذ عودا يابسا . فحطّ ورقه ثم قال : إنّ قَوْلَ لا إلهَ إلاّ اللهُ . وَاللهُ أكْبَرُ . والحَمْدُ لِلهِ وَسُبْحانَ اللهِ . تَحُطُّ الخَطايا . كَمَا تَحُطُّ وَرَقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الرِّيحُ . خُذْهُنَّ يا أبا الدَّرْداءِ قَبْلَ أنْ يُحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ . هُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحاتُ . وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» . قال أبوسلمة : فكان أبوالدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال : لأهللنّ الله . ولأكبرنّ الله . ولأسبحنّ الله . حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (أَفَرَأَيْتَ) يا محمد (الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا) حججنا فلم يصدّق بها . وأنكر وعيدنا من أهل الكفر (وَقالَ) وهو بالله كافر وبرسوله (لأُوتَيَنَّ) في الآخرة (مالاً وَوَلَدًا) . وذُكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص .

ذكر الرواية بذلك .

حدثنا أبوالسائب وسعيد بن يحيى . قالا : ثنا أبومعاوية . عن الأعمش . عن مسلم . عن مسروق . عن خباب . قال : كنت رجلا قينا . وكان لي على العاص بن وائل دين . فأتيته أتقاضاه . فقال : والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد . فقلت : والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث . قال : فقال : فإذا أنا متّ ثم بُعثت كما تقول . جئتني ولي مال وولد . قال : فأنزل الله تعالى (أفَرأيْتَ الَّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَدًا . أطَّلَعَ الغَيْبَ . أمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدًا) . . . إلى قوله : (وَيأْتِينا فَرْدًا) .

حدثني به أبوالسائب . وقرأ في الحديث : وولدا .

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي . قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن أبيه . عن ابن عباس .

أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاصَ بن وائل السَّهْميَّ بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: ألستم تزعمون أن فى الجنة فضة وذهبا وحريرا، ومن كلّ الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتينّ مالا وولدا، ولأوتينّ مثل كتابكم الذى جئتم به، فضرب الله مثله فى القرآن، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً) . . . إلى قوله (وَيَأْتِينَا فَرْدًا).

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، فى قول الله (لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا) قال: العاصُ ابن وائل يقوله.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا) فذُكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا، فقال: أليس يزعم صاحبكم أن فى الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى، قال فميعادكم الجنة، فوالله لا أومن بكتابكم الذى جئتم به، استهزاء بكتاب الله، ولأُوتينّ مالا وولدا، يقول الله (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) ؟

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا الثورىّ، عن الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق، قال: قال خبّاب بن الأرَتّ: كنت قينا بمكة، فكنت أعمل للعاص بن وائل، فاجتمعت لى عليه دراهم، فجئت لأتقاضاه، فقال لى: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بُعثت كان لى مال وولد، قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ؟) . . . إلى (وَيَأْتِينَا فَرْدًا).

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَوَلَدًا) فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (وَوَلَدًا) بفتح الواو من الولد فى كلّ القرآن، غير أن أبا عمرو بن العلاء خصّ التى فى سورة نوح بالضمّ، فقرأها (مالُهُ وَوُلْدُهُ). وأما عامّة قرّاء الكوفة غير عاصم، فإنهم قرءوا من هذه السورة من قوله (مالاً وَوَلَدًا) إلى آخر السورة، واللتين فى الزخرف، والتى فى نوح، بالضمّ وسكون اللام.

وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك إذا ضمت واوه، فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد، وإنما هما لغتان، مثل قولهم العُدْم والعَدَم، والحُزْن والحَزَن. واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر:

فَلَيْتَ فُلانا كانَ فى بَطْنِ أُمِّهِ ... وَلَيْتَ فُلانا كانَ وُلْدَ حِمارِ[1]

(١) البيت فى (اللسان: ولد) ولم ينسبه. قال: الولد والولد: واحد، مثل العرب والعرب، والعجم والعجم، ونحو ذلك. وأنشد الفراء: « فليت فلانا . . . » البيت. فهذا واحد. قال: وقيس تجعل الولد جمعا، والولد (بالتحريك) واحدا. ابن السكيت يقال فى الولد: الولد (بكسر أوله) والولد (بضم أوله). قال: ويكون الولد (بضم أوله) واحدا وجمعا، قال: وقد يكون الولد (بالضم) جمع الولد، مثل أسد وأسد. (وهذا قريب مما نقله المؤلف عن الفراء فى معانى القرآن).

ويقول الحارث بن حِلِّزة :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَعَاشِرًا قَدْ ثَمَّرُوا مالاً وَوُلْدًا(١)

وقول رُؤْبة :

الْحَمْدُ للهِ العَزِيزِ فَرْدًا لَمْ يَتَّخِذْ مِنْ وُلْدٍ شَيْءٍ وُلْدًا(٢)

وتقول العرب فى مثلها : وُلْدُكِ مِنْ دَمَّى عَقِبَيْكِ . قال : وهذا كله واحد ، بمعنى الولد. وقد ذُكر لى أن قيسا تجعل الوُلْد جمعا ، والوَلَد واحدا . ولعلّ الذين قرءوا ذلك بالضمّ فيما اختاروا فيه الضمّ ، إنما قرءوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك عندى أن الفتح فى الواو من الوَلَد والضمّ فيها بمعنى واحد ، وهما لغتان . فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها. فالقراءة به أعجبُ إلىّ لذلك .

وقوله (أَطَّلَعَ الغَيْبَ) يقول عزّ ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب ، فعلم أن له فى الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه (أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) يقول : أم آمن بالله وعمل بما أمر به ، وانتهى عما نهاه عنه ، فكان له بذلك عندالله عهدا أن يؤتيه مايقول من المال والولد.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَطَّلَعَ الغَيْبَ ، أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بعمل صالح قدّمه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : كلا ليس الأمر كذلك ، ما اطلع الغيب ، فعلم صدق ما يقول ، وحقيقة ما يذكر ، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان بالله ورسوله ، والعمل بطاعته ، بل كذب وكفر ، ثم قال تعالى ذكره (سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ) : أى سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه ، القائل (لأُوتَيَنَّ) فى الآخرة (مالاً وَوَلَدًا وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدًّا) يقول : ونزيده من العذاب فى جهنم بقيله الكذب والباطل فى الدنيا ، زيادة على عذابه بكفره بالله .

وقوله (وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ) يقول عزّ ذكره : ونسلب هذا القائل : لأوتينّ فى الآخرة مالا وولدا، ماله وولده ، ويصير لنا ماله وولده دونه ، ويأتينا هو يوم القيامة فردا ، وحدَه لامال معه ولا ولد .

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، وهو من شواهد (لسان العرب : ولد) مثل الشاهد الذى قبله . واستشهد به الفراء أيضا فى معانى القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ١٩٥) ثم قال : والولد والولد : لغتان مثل ما قالوا : العدم والعدم .

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج ، وهما من مشطور الرجز ، والفرد : المتفرد بالربوبية ، وبالأمر دون خلقه ، وهو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا ثانى . والبيت ساقه المؤلف مع الشاهدين السابقين عليه . شواهد على أن الولد ، بضم الواو وسكون اللام ، بمعنى الولد، بالتحريك . وأنه مفرد ، وقد يجىء بمعنى الجمع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) : ماله وولده ، وذلك الذى قال العاصى بن وائل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا) : لامال له ولا ولد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) قال : ماعنده ، وهو قوله (لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) وفى حرف ابن مسعود : ونرثه ماعنده .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) قال : ماجمع من الدنيا وما عمل فيها . قال (وَيَأْتِينَا فَرْدًا) قال : فردا من ذلك ، لايتبعه قليل ولا كثير .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) : نرثه[1] .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : واتخذ يامحمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله ، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزّا ، يمنعونهم من عذاب الله ، ويتخذون عبادتهموها عند الله زُلْفَى . وقوله (كَلَّا) يقول عزّ ذكره : ليس الأمر كما ظنوا وأمّلوا من هذه الآلهة التى يعبدونها من دون الله ، فى أنها تنقذهم من عذاب الله ، وتنجيهم منه ، ومن سوء إن أراده بهم ربهم . وقوله (سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ) يقول عزّ ذكره : ولكن سيكفر الآلهة فى الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها ، وكفرهم بها قيلهم لربهم : تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك ، وتبرءوا منهم ، وذلك كفرهم بعبادتهم . وأما قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وتكون آلهتهم عليهم عونا ، وقالوا : الضدّ : العون .

(١) كذا فى ابن كثير أيضا ، والذى فى الدر عن ابن عباس : ونرثه ما يقول : ماله وولده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) يقول : أعوانا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : أوثانهم يوم القيامة فى النار .

وقال آخرون : بل عنى بالضدّ فى هذا الموضع : القُرَناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) يقول : يكونون عليهم قرناء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قرناء فى النار ، يلعن بعضهم بعضا ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ضِدًّا) قال : قرناء فى النار .

وقال آخرون : معنى الضدّ ههنا : العدوّ .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : أعداء .

وقال آخرون : معنى الضدّ فى هذا الموضع : البلاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) قال : يكونون عليهم بلاء . الضدّ : البلاء ، والضدّ فى كلام العرب : هو الخلاف ، يقال : فلان يضادّ فلانا فى كذا . إذا كان يخالفه فى صنيعه ، فيفسد ما أصلحه ، ويصلح ما أفسده ، وإذ كان ذلك معناه ، وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع يتبرّءون منهم ، وينتفون يومئذ ، صاروا لهم أضدادا ، فوصفوا بذلك .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه توحيد الضدّ ، وهو صفة لجماعة . فكان بعض نحويّى البصرة يقول :

وحد لأنه يكون جماعة ، وواحدا مثل الرصد والأرصاد . قال : ويكون الرَّصَد أيضا لجماعة . وقال بعض نحويي الكوفة وحد ، لأن معناه عونا . وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك الأزدى يقرأ (كَلاًّ سَيَكْفُرُون) يعنى الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله (تَؤُزُّهُمْ) يقول : تحرّكهم بالإغواء والإضلال ، فتزعجهم إلى معاصى الله ، وتغريهم بها حتى يواقعوها (أزّا) إزعاجا وإغواء .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أزّا) يقول : تغريهم إغراء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : تؤزّ الكافرين إغراء فى الشرك ، امض امض فى هذا الأمر حتى توقعهم فى النار ، امضوا فى الغىّ امضوا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو إدريس ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (تَؤُزُّهُمْ أزّا) قال : تغريهم إغراء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَؤُزُّهُمْ أزًّا) قال : تزعجهم إزعاجا فى معصية الله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة فى قول الله (تَؤُزُّهُمْ أزّا) قال : تزعجهم إلى معاصى الله إزعاجا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (تَؤُزُّهُمْ أزًّا) قال : تزعجهم إزعاجا فى معاصى الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ على الكافرينَ تَؤُزُّهُمْ أزّا) فقرأ (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال : تؤزّهم أزّا ، قال : تشليهم إشلاء على معاصى الله تبارك وتعالى ، وتغريهم عليها ،

كما يغرى الإنسان الآخر على الشيء . يقال منه : أززت فلانا بكذا . إذا أغريته به أؤزه أزا وأزيزا ، وسمعت أزيز القدر : وهو صوت غليانها على النار ؛ ومنه حديث مطرف عن أبيه ، أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلى . ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

وقوله (فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) يقول عزّ ذكره : فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك . يا محمد إنما نعدّ لهم عدًّا . يقول : فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما. ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها. ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم. وبنحو الذى قلنا فى ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ . قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية . عن علىّ . عن ابن عباس . قوله (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا) يقول : أنفاسهم التى يتنفسون فى الدنيا . فهى معدودة كسنهم وآجالهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : يوم نجمع الذين اتقوا فى الدنيا فخافوا عقابه . فاجتنبوا لذلك معاصيه، وأدّوا فرائضه إلى ربهم (وَفْدًا) يعنى بالوفد : الركبان ، يقال : وفدت على فلان : إذا قدمت عليه ، وأوفد القوم وفدا على أميرهم . إذا بعثوا من قبلهم بعثا . والوفد فى هذا الموضع بمعنى الجمع ، ولكنه وحد : لأنه مصدر واحدهم وافد . وقد يجمع الوفد : الوفود ، كما قال بعض بنى حنيفة :

إِنِّى لَمُمْتَدِحٌ فَمَا هُوَ صَانِعٌ رأسُ الوُفُودِ مُزَاحِمُ بنُ جِسَاسِ [١]

وقد يكون الوفود فى هذا الموضع جمع وافد ، كما الجلوس جمع جالس .

وبنحو ماقلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عبدالرحمن بن إسحاق ، عن النعمان ابن سعد ، عن علىّ ، فى قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا) قال : أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ، ولا يساقون سوقا ، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها ، عليها رحال الذهب ، وأزمتها الزبرجد ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة .

---

(١) البيت لبعض بنى حنيفة ، كما قال المؤلف . وفى (تاج العروس : جثث : جساس بوزن كتاب ابن نشبة بن ربيع التيمى ؛ ابن عمرو بن عبد الله بن لؤى بن عمرو بن الحارث بن تيم الله بن عبد مناة بن أد : أبو قبيلة ، من ولده مزاحم بن زفر بن علاج ابن الحارث بن عامر بن جساس عن شعبة عنه أبو الربيع الزهرانى ، وأخوه عثمان بن زفر ؛ حدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره . وفى خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجى : مزاحم بن زفر بن الحارث الكوفى ، عن عمر بن عبد العزيز ؛ وعنه شعبة وسفيان ؛ وثقه ابن معين . وفى (اللسان : وفد) : قال الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا » : قيل الوفد : الركبان المكرمون . . . وهم الوفد والوفود . فأما الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافد . . . . وجمع الوفد : أوفاد ووفود .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبى هريرة (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال : على الإبل .

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) يقول : ركبانا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة ، وأطيبها ريحا ، فيقول : هل تعرفنى فيقول : لا إلا أن الله طيب ريحك وحسّن صورتك ، فيقول : كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا ، فاركبنى أنت اليوم ، وتلا (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال : وفدا إلى الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال : على النجائب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : سمعت سفيان الثورى يقول (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) قال : على الإبل النوق .

وقوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) يقول تعالى ذكره : ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا . والورد : مصدر من قول القائل : وردت كذا أرده وِردا ، ولذلك لم يجمع ، وقد وصف به الجمع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنى عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) يقول : عطاشا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن شعبة ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن أبى هريرة (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) قال : عطاشا .

حدثنى يعقوب والفضل بن صباح ، قالا : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن يقول فى قوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) قال : عطاشا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) قال : ظماء إلى النار .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) سوقوا إليها وهم ظمء عطاش.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : سمعت سفيان يقول فى قوله (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) قال : عطاشا .

القول في تأويل قوله تعالى:

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

يقول تعالى ذكره : لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد ، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة ، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله ، فيشفع بعضهم لبعض (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ) منهم (عِندَ الرَّحْمَٰنِ) فى الدنيا (عَهْدًا) بالإيمان به ، وتصديق رسوله ، والإقرار بما جاء به ، والعمل بما أمر به .

كما حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) قال : العهد : شهادة أن لا إله إلا الله ، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) قال : المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء (إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) قال : عملا صالحا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) : أى بطاعته ، وقال فى آية أخرى (لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض ، ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّ فِي أُمَّتِي رَجُلًا لَيُدْخِلَنَّ اللهُ بِشَفَاعَتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » ، وكنا نحدث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى المليح ، عن عوف بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ شَفَاعَتِي لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا »

و « مَنِ » فى قوله (إِلَّا مَنْ) فى موضع نصب على الاستثناء ، ولا يكون خفضا بضمير اللام ، ولكن قد يكون نصبا فى الكلام فى غير هذا الموضع ، وذلك كقول القائل : أردت المرور اليوم إلا العدو ، فإنى لا أمر به ، فيستثنى العدو من المعنى ، وليس ذلك كذلك فى قوله (لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) لأن معنى الكلام : لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله ، فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، فإنه ينبغى أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين ، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، لا يملكون الشفاعة ، إلا من اتخذ

عند الرحمن عهدا . فيكون معناه عند ذلك : إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا . فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين ، فإن « من » تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع ، فيكون معنى الكلام : لا يملكون الشفاعة ، لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه : لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (شَيْئًا إِدًّا) يقول : قولا عظيما .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) يقول : لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، ثنا ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (شَيْئًا إِدًّا) قال : عظيما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (شَيْئًا إِدًّا) قال : عظيما .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) قال : جئتم شيئا كبيرا من الأمر حين دعوا للرحمن ولدا . وفى الإدّ لغات ثلاث ، يقال : لقد جئت شيئا إدّا ، بكسر الألف ، وأدّا بفتح الألف ، وآدّا بفتح الألف ومدّها ، على مثال مادّ فاعل . وقرأ قرّاء الأمصار ، وبها نقرأ ، وقد ذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك بفتح الألف ، ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرّاء الأمصار . والعرب تقول لكلّ أمر عظيم : إدّ ، وإمر ، ونكر ؛ ومنه قول الراجز :

قَدْ لَقِيَ الأعْدَاءُ مِنِّى نُكْرَا		دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدًّا إمْرَا [1]

(1) هذان بيتان من مشطور الرجز . وقد سبق استشهاد المؤلف بهما عند قوله تعالى فى سورة الكهف (١٥ : ١٨٤) « لقد جئت شيئا إمرا » . وقد شرحناهما ثمت .

ومنه قول الآخر : فِى لَهْثٍ مِنْهُ وَحَثْلٍ إِدًّا[1]

وقوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) يقول تعالى ذكره : تكاد السموات يتشققن قطعا من قيلهم (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) ، ومنه قيل : فَطَرَ نابُه : إذا انشقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) قال : إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال ، وجميع الخلائق إلا الثقلين ، وكادت أن تزول منه لعظمة الله ، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك ، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحِّدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقِّنُوا مَوْتاكُمْ شَهادَةَ أَنْ لاإلهَ إلاَّ اللهُ ، فَمَنْ قالَها عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، قالُوا يا رسول الله ، فمن قالها فى صحته ؟ قال : تلكَ أَوْجَبُ وأَوْجَبُ . ثم قال : وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ جِىءَ بالسَّمَوَاتِ والأَرَضِينَ وَما فِيهِنَّ وَما بَيْنَهُنَّ وَما تَحْتَهُنَّ ، فَوُضِعْنَ فى كِفَّةِ المِيزَانِ ، وَوُضِعَتْ شَهادَةُ أَنْ لاإلهَ إلاَّ اللهُ فِى الكِفَّةِ الأُخْرَى ، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ، وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ ، وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا) ذُكر لنا أن كعبا كان يقول : غضبت الملائكة ، واستعرت جهنم ، حين قالوا ما قالوا .

وقوله (وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ) يقول : وتكاد الأرض تنشقّ ، فتنصدع من ذلك (وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا) يقول : وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا ، والهدّ : السقوط ، وهو مصدر هددت ، فأنا أهدّ هدًّا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا) يقول : هدما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس : (وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا) قال : الهدّ : الانقضاض .

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لم أعرف قائله . واللهث واللهاث : حر العطش فى الجوف . وفى (اللسان : لهث) ابن سيده : لهث الكلب بالفتح ، ولهث يلهث فيهما لهثا : دلع لسانه من شدة العطش والحر ، وكذلك الطائر إذا أخرج لسانه من حر أو عطش . ولهث الرجل ولهث (بفتح الهاء فى الأول وكسرها فى الثانى) يلهث (بالفتح) فى اللغتين جميعا ، لهثا فهو لهثان : أعيا . وأما الحثل فلم أجد فى مادة (حثل) فى المعاجم معنى يناسب البيت ، ولعله محرف عن الحبل ، وهو فساد الأعضاء . أو عن الختل ، وهو التخادع عن غفلة ، ولعل الراجز يصف كلب صيد أو فرسا . وأما الإد فهو العجب ، والأمر الفظيع ، وهو محل الشاهد فى كلام المؤلف ، كالبيتين قبله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا) قال : غضبا لله ، قال : ولقد دعا هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذى غضبت السموات والأرض والجبال من قولهم : لقد استتابهم ودعاهم إلى التوبة ، فقال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ) قالوا : هو وصاحبته وابنه ، جعلوهما إلهين معه (وَما مِنْ إلهٍ إلاَّ إلهٌ وَاحِدٌ) . . . إلى قوله (وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

يقول تعالى ذكره : وتكاد الجبال أن تخرّ انقضاضا ، لأنْ دَعَوا للرحمن ولدا ، فـ « أن » فى موضع نصب فى قول بعض أهل العربية ، لاتصالها بالفعل ، وفى قول غيره فى موضع خفض بضمير الخافض ـ وقد بيّنا الصواب من القول فى ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا ـ بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقال (أنْ دَعَوْا للرَّحْمَنِ وَلَدًا) يعنى بقوله (أنْ دَعَوْا) : أن جعلوا له ولدا ، كما قال الشاعر :

ألا رُبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحا وَإنْ تَغِبْ تَجِدْهُ بغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصَّدْرِ[1]

وقال ابن أحمر :

أهْوَى لَهَا مِشْقَصًا حَشْرًا فَشَبْرَقَها وكنتُ أدْعُو قَذَاها الإثْمِدَ القَرِدَا[2]

وقوله (وَما يَنْبَغِي للرَّحْمَنِ أنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) يقول : وما يصلح لله أن يتخذ ولدا ، لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات ، وتضطرّهم اللذّات إلى جماع الإناث ، ولا ولد يحدث إلا من أنثى ، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه ، وذلك كقول ابن أحمر :

فِي رأسِ خَلْقاءَ مِنْ عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ما ينبغى دُونَها سَهْلٌ وَلا جَبَلُ[3]

يعنى : لا يصلح ولا يكون .

(١) انظر شرح هذا الشاهد مع شرح تاليه .

(٢) البيت فى (اللسان : دعا) . ونسبه إلى ابن أحمر الباهلى . قال : ودعوته بزيد ، ودعوته إياه : سميته به ، تعدى الفعل بعد إسقاط الحرف ؛ قال ابن أحمر الباهلى : « أهوى لها . . . » البيت . أى اسميه ، وأراد : أهوى لها بمشقص ، فحذف الحرف وأوصل . وقوله عز وجل « أن دعوا للرحمن ولدا » : أى جعلوا ، وأنشد بيت ابن أحمر أيضا وقال : أى كنت أجعل وأسمى ؛ ومثله قول الشاعر : « ألا رب من تدعو نصيحا . . . البيت » . والمشقص من النصال : ما كان طويلا غير عريض ، فإذا كان عريضا فهو المعبلة (اللسان : شقص) . وسهم محشور وحشر : مستوى قذذ الريش ، وكل لطيف دقيق حشر . وشبرقها : مزقها ، يقال : ثوب مشبرق : مقطع ممزق . وفى كتاب (المعانى الكبير لابن قتيبة طبع حيدر أباد ص ٩٨٨) : يقول : كنت من إشفاقى عليها أسمى ما يصلحها قذى ، فكيف ما يؤذيها . وقوله « أدعو » أى أسمى ؛ تقول : ما تدعون هذا فيكم ؟ أى ما تسمونه؟ والحشر : السهم الخفيف الريش الذى قد شد قصبه ورصافه . والإثمد الكحل الأسود . والقرد : هو الذى ينقطع فى العين ؛ وقيل القرد : الذى لصق بعضه ببعض . والمعنى : كنت أسمى الإثمد قذى ، من حذرى عليها .

(٣) تقدم الاستشهاد بهذا البيت قريبا فى هذا الجزء ص ٨٤ وشرحناه ثمة .

(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) يقول : ما جميع من فى السموات من الملائكة ، وفى الأرض من البشر والإنس والجن (إلاَّ آتى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) يقول : إلا يأتى ربه يوم القيامة عبدا له ، ذليلا خاضعا ، مقرّا له بالعبودية ، لا نسب بينه وبينه . وقوله (آتى الرَّحْمَنِ) إنما هو فاعل من أتيته ، فأنا آتيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

يقول تعالى ذكره : لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم ، وعدّهم عدا ، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ، وعرف عددهم ، فلا يعزب عنه منهم أحد (وكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) يقول : وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله ، ولا دافع عنه ، فيقضى الله فيه ماهو قاض ، ويصنع به ماهو صانع .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدّقوا بما جاءهم من عند ربهم ، فعملوا به ، فأحلوا حلاله ، وحرّموا حرامه (سيجعلُ لهمُ الرحمنُ وُدًّا) فى الدنيا ، فى صدور عباده المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن مسلم الملائى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة فى الناس فى الدنيا .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : حبا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : الودّ من المسلمين فى الدنيا ، والرزق الحسن : واللسان الصادق

حدثنى يحيى بن طلحة ، قال : ثنا شريك ، عن عبيد المُكْتِب ، عن مجاهد ، فى قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : محبة فى المسلمين فى الدنيا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله : (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) قال : يحبهم ويحببهم إلى خلقه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا) قال : يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علىّ بن هاشم ، عن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يحبهم ويحببهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو ، عن قتادة ، فى قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا) قال : ما أقبل عبد إلى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه ، وزاده من عنده .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا) : إى والله فى قلوب أهل الإيمان . ذُكر لنا أن هَرِم بن حيان كان يقول : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه ، حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أن عثمان بن عفان كان يقول : ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا شرًّا ، إلا كساه الله رداء عمله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، عن الثورىّ ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، فى قوله (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّا) قال : محبة . وذُكر أن هذه الآية نزلت فى عبد الرحمن ابن عوف .

حدثنى محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطىّ ، قال : أخبرنا يعقوب بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن عثمان بن أبى سليمان بن جُبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن أمه أمّ إبراهيم ابنة أبى عبيدة ابن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيها ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه لما هاجر إلى المدينة ، وجَد فى نفسه على فراق أصحابه بمكة ، منهم شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأميّة بن خلَف ، فأنزل الله تعالى (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) .

وقوله (فإنَّمَا يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : فإنما يسّرنا يامحمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه ، لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، بالجنة. (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا) يقول : ولتنذر بهذا القرآن عذابَ الله قومَك من قريش ، فإنهم أهل لَدَد وجدل بالباطل ، لايقبلون الحقّ ، واللَّدّ : شدّة الخصومة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لُدّا) قال : لايستقيمون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا) يقول : لتنذر به قوما ظَلَمة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدًّا) : أى جدالا بالباطل ، ذوى لَدَد وخصومة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدًّا) قال : فُجّارا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (قَوْما لُدًّا) قال : جدالا بالباطل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدًّا) قال : الألدّ : الظلوم ، وقرأ قول الله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) .

حدثنا أبو صالح الضرارىّ[1] ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، قال : ثنا مهدىّ بن ميمون ، عن الحسن فى قول الله عزّ وجلّ (وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدًّا) قال : صُمّا عن الحقّ .

حدثنى ابن سنان ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن هارون ، عن الحسن ، مثله .

وقد بيّنا معنى الألدّ فيما مضى بشواهده ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركى قريش . من قرن ، يعنى من جماعة من الناس ، إذ سلكوا فى خلافى وركوب معاصىّ مسلكهم ، هل تحسّ منهم من أحد : يقول : فهل تحسّ أنت منهم أحدا يا محمد ، فتراه وتعاينه (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يقول : أو تسمع لهم صوتا ، بل بادوا وهلكوا ، وخلَت منهم دورهم ، وأوحشت منهم منازلهم ، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه ، فكذلك قومك هؤلاء ، صائرون إلى ما صار إليه أولئك ، إن لم يُعاجلوا التوبة قبل الهلاك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) قال : صوتا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) قال : هل ترى عينا ، أو تسمع صوتا .

(١) أبو صالح الضرارى : بالضاد المعجمة ، كما فى (تاج العروس : ضرر) . وفى الأصل : بالصاد المهملة ، تحريف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) يقول : هل تسمع من صوت ، أو ترى من عين ؟ .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) يعنى : صوتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : رِكْز الناس : أصواتهم . قال أبو كريب : قال سفيان : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) ؟

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ؟) قال : أو تسمع لهم حِسًّا . قال : والركز : الحس .

قال أبو جعفر : والركز فى كلام العرب : الصوت الخفىّ ، كما قال الشاعر :

فَتَوَجَّسَتْ ذِكْرَ الأَنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأَنِيسُ سَقَامُهَا(١)

آخر تفسير سورة مريم ، والحمد لله ربّ العالمين

---

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلاثُونَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۝ ﴾

قال أبو جعفر محمد بن جرير : اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (طَهَ) فقال بعضهم : معناه يارجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن بن واقد ، عن يزيد النحوىّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : طه : بالنَّبَطية : يارجل .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى) فإن قومه قالوا : لقد شَقِىَ هذا الرجل بربه ، فأنزل الله تعالى ذكره (طَهَ) يعنى : يا رجل (ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى) .

---

(١) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة العامرى (جمهرة أشعار العرب ص ٦٣ — ٧٤ وشرح الزوزنى للمعلقات السبع . وشرح التبريزى للقصائد العشر) . والرواية فى الجمهرة : « وتسمعت رجز الأنيس » . قال : والرجز الصوت الخفى . قال الله تعالى : « أو تسمع لهم ركزا » . ويروى (رزا بالتشديد . والأنيس : الإنس . عن ظهر غيب : أى مكان خفى . والغيب ما توارى عنك من أرض أو علم . وفى التبريزى : وتسمعت رز الأنيس . قال : ويروى : توجست رجز الأنيس . أى تسمعت البقرة صوت الناس . فأفزعها ، ولم تر الناس . والرز والرجز الصوت الخفى . وقوله « عن ظهر غيب » معناه : من وراء حجاب ، أى تطمع من حيث لاترى . « الأنيس سقامها : » : معناه : والأنيس هلاكها ، أى يصيدها . وراعها أى أفزعها . وفاعل تسمعت : ضمير البقرة . وفاعل راعها : ضمير الرز ، وفى الزوزنى وتوجست رز الأنيس ، ثم شرح البيت بمثل شرح التبريزى له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عبد الله بن مسلم : أو يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير أنه قال : طه : يا رجل بالسريانية .

قال ابن جريج : وأخبرنى زمعة بن صالح ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، بذلك أيضا . قال ابن جُرَيج ، وقال مجاهد ، ذلك أيضا .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا عُمارة ، عن عكرمة ، فى قوله : (طَه) قال : يا رجل ، كلمه بالنبطية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد الله ، عن عكرمة ، فى قوله (طَه) قال : بالنبطية : يا إنسان .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن قرة بن خالد ، عن الضحاك ، فى قوله (طَه) قال : يارجل بالنبطية .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حُصَين ، عن عكرمة فى قوله (طَه) قال : يارجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (طَه) قال : يارجل ، وهى بالسريانية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرّزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن فى قوله (طَه) قالا : يا رجل .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، يعنى ابن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (طَه) قال : يا رجل .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء الله ، وقَسَم أقسم الله به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (طَه) قال : فإنه قسم أقسم الله به ، وهو اسم من أسماء الله .

وقال آخرون : هو حروف هجاء .

وقال آخرون : هو حروف مقطَّعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى ، واختلفوا فى ذلك اختلافهم فى الم ، وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه ، وبيّنّا ذلك بشواهده .

❁ والذى هو أولى بالصواب عندى من الأقوال فيه : قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة فى عكٍّ فيما بلغنى ، وأن معناها فيهم : يا رجل ، أنشدت لمتمم بن نُويرة :

هَتَفْتُ بطَهَ فِى القِتالِ فَلَمْ يُجِبْ فخِفْتُ عَلَيْهِ أنْ يَكونَ مُوائِلا [1]

وقال آخر :

إنَّ السَّفاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ لابارَكَ اللهُ فِى القَوْمِ المَلاعِينِ [2]

فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ماذكرنا ، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين .

فتأويل الكلام إذن : يارجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، ما أنزلناه عليك فنكلفك ما لاطاقة لك به من العمل ، وذُكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النَّصَب والعناء والسهر فى قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى) قال : هى مثل قوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) فكانوا يعلقون الحبال فى صدورهم فى الصلاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى) قال فى الصلاة كقوله (فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ) فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ما أنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى) لا والله ما جعله الله شقيا ، ولكن جعله رحمة ونورا ، ودليلا إلى الجنة .

وقوله (إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) يقول تعالى ذكره : ما أنزلنا عليك هذا القرآن إلا تذكرة لمن يخشى عقاب الله ، فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) وإن الله أنزل كتبه ، وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ، ليتذكر ذاكر ، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله ، وهو ذكر له أنزل الله فيه حلاله وحرامه ، فقال (تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرْضَ والسَّمَوَاتِ العُلَى) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى) قال : الذى أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى .

---

(١) البيت لمتمم بن نويرة كما قال المؤلف . وفى (اللسان : طهطه) : الليث فى تفسير (طه) مجزومة أنها بالحبشية : يارجل قال : ومن قرأ (طه) فحرفان . وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف ، حتى قام على أصابع قدميه خوفا ، فقال الله عز وجل : (طه) أى اطمئن . الفراء : (طه) حرف هجاء . قال : وجاء فى التفسير (طه) يارجل : يا إنسان . قال : وحدث قيس عن عاصم عن زر ، قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله : (طه) بكسرتين ، فقال الرجل : أليس إنما أمر أن يطأ قدمه ، فقال له عبد الله : هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الفراء : وكان بعض القراء يقطعها (ط.ه) وروى الأزهرى عن أبى حاتم قال : (طه) : افتتاح سورة ، ثم استقبل الكلام فخاطب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » . وقال قتادة : (طه) بالسريانية : يا رجل . وقال سعيد بن جبير وعكرمة : هى بالنبطية : يا رجل ، وروى ذلك عن ابن عباس . اه . (اللسان) .

(٢) هذا الشاهد كالذى قبله ، على أن معنى (طه) فى كلام العرب : يارجل . ولم أقف على قائل البيت .

فمعنى الكلام إذن : يارجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى .

وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : قال : إلا تذكرة بدلا من قوله لتشقى ، فجعله : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة . وكان بعض نحويى الكوفة يقول : نصبت على قوله : ما أنزلناه إلا تذكرة . وكان بعضهم ينكر قول القائل : نصبت بدلا من قوله (لِتَشْقَى) ، ويقول : ذلك غير جائز ، لأن (لِتَشْقَى) فى الجحد ، و (إلاَّ تَذْكِرَةً) فى التحقيق ، ولكنه تكرير . وكان بعضهم يقول : معنى الكلام : ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ، لالتشقى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : هذا القرآن تنزيل من الربّ الذى خلق الأرض والسموات العلى . والعُلَى : جمع عليا .

واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله (تَنْزِيلاً) فقال بعض نحويى البصرة : نصب ذلك بمعنى : نزّل الله ذلك تنزيلا . وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين ، ولكن المعنى: هوتنزيل، ثم أسقط هو ، واتصل بالكلام الذى قبله ، فخرج منه ، ولم يكن من لفظه .

قال أبوجعفر : والقولان جميعا عندى غير خطأ .

وقوله (الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى) يقول تعالى ذكره : الرحمن على عرشه ارتفع وعلا .

وقد بيّنا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع . وللرفع فى الرحمن وجهان : أحدهما بمعنى قوله : تنزيلا ، فيكون معنى الكلام : نزله من خلق الأرض والسموات ، نزله الرحمن الذى على العرش استوى . والآخر بقوله (عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى) لأن فى قوله استوى ، ذكرا من الرحمن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : لله ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما ، وما تحت الثرى، ملكا له ، وهو مدبر ذلك كله ، ومصرّف جميعه . ويعنى بالثرى : الندى ، يقال للتراب الرطب المبتلّ : ثرى منقوص ، يقال منه : ثريت الأرض تثرى ، ثرى منقوص ، والثرى : مصدر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) والثَّرَى : كلّ شيء مبتلّ .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) ما حفر من التراب مبتلا ، وإنما عنى بذلك : وما تحت الأرضين السبع .

كالذى حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران[1] ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا محمد ابن رفاعة ، عن محمد بن كعب (وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) قال : الثرى : سبع أرضين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإن تجهر يامحمد بالقول ، أو تخف به ، فسواء عند ربك الذى له ما فى السموات وما فى الأرض (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ) يقول : فإنه لايخفى عليه ما استسررته فى نفسك ، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك ، ولم تنطق به وأخفى .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنيّ بقوله (وأخْفَى) فقال بعضهم : معناه : وأخفى من السرّ ، قال : والذى هو أخفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى) قال : السرّ : ماعملته أنت وأخفى : ماقذف الله فى قلبك مما لم تعمله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى) يعنى بأخفى : ما لم يعمله ، وهو عامله ؛ وأما السرّ : فيعنى ما أسرّ فى نفسه .

حدثني علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى) قال : السرّ : ما أسرّ ابن آدم فى نفسه . وأخفى : قال : ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله ، فالله يعلم ذلك ، فعلمه فيما مضى من ذلك ، ومابقى علم واحد ، وجميع الخلائق عنده فى ذلك كنفس واحدة ، وهو قوله (ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس : السرّ : ما أسرّ الإنسان فى نفسه ؛ وأخفى : ما لايعلم الإنسان مما هو كائن .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى) قال : أخفى : الوسوسة . زاد ابن عمرو والحارث فى حديثيهما : والسرّ : العمل الذى يسرّون من الناس .

(١) فى الخلاصة للخزرجى : محمد بن إبراهيم بن صدران ، بضم المهملة الأولى ، الأزدى ، السليمى ، بتحتانية بعد اللام المكسورة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وأَخْفَى) قال : الوسوسة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : أخفى حديث نفسك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كُدَيْنة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : السرّ : ما يكون فى نفسك اليوم . وأخفى : ما يكون فى غد وبعد غد ، لا يعلمه إلا الله .

وقال آخرون : بل معناه : وأخفى من السرّ ما لم تحدّث به نفسك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جُبير ، فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : السرّ : ما أسررت فى نفسك ، وأخفى من ذلك : ما لم تحدّث به نفسك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) كنا نحدث أن السرّ ما حدّثت به نفسك ، وأن أخفى من السرّ : ما هو كائن مما لم تحدّث به نفسك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : ثنا أبو قتادة ، قوله فى (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : يعلم ما أسررت فى نفسك ، وأخفى : ما لم يكن وهو كائن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : أخفى من السرّ : ما حدّثت به نفسك ، وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) أما السرّ : فما أسررت فى نفسك . وأما أخفى من السرّ : فما لم تعمله وأنت عامله ، يعلم الله ذلك كله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه يعلم سرّ العباد ، وأخفى سرّ نفسه ، فلم يطلع عليه أحدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى) قال : يعلم أسرار العباد ، وأخفى سرّه فلا يعلم .

قال أبو جعفر : وكأن الذين وجّهوا تأويل ذلك إلى أن السرّ هو ما حدّث به الإنسان غيره سرّا . وأن أخفى : معناه : ما حدّث به نفسه ، وجهوا تأويل أخفى إلى الخفىّ . وقال بعضهم : قد توضع أفعل موضع الفاعل ، واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر :

تمنّى رجالٌ أنْ أمُوتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فيها بأوْحَدِ [1]

والصواب من القول فى ذلك ، قول من قال : معناه : يعلم السرّ وأخفى من السرّ ، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ؛ ولو كان معنى ذلك ماتأوّله ابن زيد ، لكان الكلام : وأخفى الله سرّه ، لأن أخفى : فعل واقع متعدّ ، إذ كان بمعنى فعل على ماتأوّله ابن زيد ، وفى انفراد أخفى من مفعوله ، والذى يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل . وأن تأويل الكلام : فإنه يعلم السرّ وأخفى منه . فإذ كان ذلك تأويله ، فالصواب من القول فى معنى أخفى من السرّ أن يقال : هو ما علم الله مما أخفى عن العباد ، ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن ، لأن ما ظهر وكان فغير سرّ ، وأن مالم يكن وهو غير كائن فلا شىء ، وأن مالم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ ، لأن ذلك لايعلمه إلا الله ، ثم من أعلمه ذلك من عباده .

وأما قوله تعالى ذكره (اللهُ لاإلهَ إلاّ هُوَ) فإنه يعنى به : المعبود الذى لاتصلح العبادة إلا له ، يقول فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ماسواه من الآلهة والأوثان (لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى) يقول جلّ ثناؤه : لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى ، فقال : الحسنى ، فوحّد ، وهو نعت للأسماء ، ولم يقل الأحاسن ، لأن الأسماء تقع عليها هذه ، فيقال : هذه أسماء ، وهذه فى لفظة واحدة ؛ ومنه قول الأعشى :

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتُ بِهِ رَبٌّ غَفُورٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ [2]

فوحد ذات ، وهو نعت للبيض لأنه يقع عليها هذه ، كما قال (حَدائقَ ذاتَ بهجة) ومنه قوله جلّ ثناؤه (مآرِبُ أُخْرَى) فوحد أخرى ، وهى نعت لمآرب ، والمآرب : جمع ، واحدتها : مأربة ، ولم يقل أُخر ، لما وصفنا ، ولو قيل : أُخَر ، لكان صوابا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركى قومه ، ومعرفه ما إليه صائر أمره وأمرهم ، وأنه معليه عليهم ، وموهن كيد الكافرين ، ويحثه على الجدّ فى أمره ، والصبر

(١) ورد هذا البيت فى مقطوعة خمسة أبيات كتب بها الوليد بن عبد الملك لما مرض وقد بلغه عن أخيه سليمان أنه تمنى موته ، لماله من العهد بعده ، فعاتبه الوليد فى كتاب وفيه هذه الأبيات ، وأولها : « تمنى رجال . . . الخ » . ذكرها المسعودى فى (مروج الذهب طبعة دار الرجاء ٣ : ١٠٣) . والشاهد فى قوله بأوحد ، فإنه بمعنى : بواحد .

(٢) فى (اللسان : عقب) يقال : أعقبه الله بإحسانه خيرا : والاسم العقبى ، وهو شبه العوض . واستعقب منه خيرا أو شرا : اعتاضه ، فأعقبه خيرا ، أى عوضه وأبدله . والشاهد فى البيت أن قائله وصف البيض وهو جمع بيضاء ، بكلمة (ذات) وهى واحدة ، ولم يطابق بين النعت والمنعوت فى العدد . وتأويل ذلك عند المؤلف أنه كلمة البيض وإن كانت جمعا فإنها يشار إليها بكلمة هذه وهذه فى الأصل إشارة للواحدة فلما جاز أن يشار بهذه إلى الجمع جاز أن ينعت البيض بذات التى هى للواحدة ، وذلك نظير قول القرآن : « له الأسماء الحسنى » ، والأسماء جمع ، والحسنى صفتها وهى واحدة .

على عبادته ، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم ، وفيما يزاول من الاجتهاد فى طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوّه ، ثم من قومه ، ومن بنى إسرائيل وما لقى فيه من البلاء والشدّة طفلا صغيرا ، ثم يافعا مترعرعا ، ثم رجلا كاملا (وَهَلْ أَتَاكَ) يامحمد (حَدِيثُ مُوسَى) ابن عمران (إِذْ رَأَى نَارًا) ذكر أن ذلك كان فى الشتاء ليلا ، وأن موسى كان أضلّ الطريق ؛ فلما رأى ضوء النار (قَالَ لِأَهْلِهِ) ما قال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، وعن أبى صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قضى موسى الأجل ، سار بأهله فضلّ الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان فى الشتاء ، ورُفعت لهم نار ؛ فلما رآها ظنّ أنها نار ، وكانت من نور الله (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه اليمانى ، قال : لما قضى موسى الأجل ، خرج ومعه غنم له ، ومعه زند له ، وعصاه فى يده يهشّ بها على غنمه نهارا ، فاذا أمسى اقتدح بزنده نارا ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه ، فتوكأ على عصاه ، فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته ، وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه ، أخطأ فيها الطريق حتى لايدرى أين يتوجه ، فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد زنده فلا يورى له نارا ، فقدح حتى أعياه ، لاحت[١] النار فرآها ، ف(قَالَ لأهله امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) . وعنى بقوله : (آنَسْتُ نَارًا) وجدت ، ومن أمثال العرب بعد اطلاع إيناس ، ويقال أيضا : بعد طلوع إيناس ، وهو مأخوذ من الأنس .

وقوله (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) يقول : لعلى أجيئكم من النار التى آنست بشُعْلة والقَبَس : هو النار فى طرَف العود أو القصبة ، يقول القائل لصاحبه : أقبسنى نارا ، فيعطيه إياها فى طرف عود أو قصبة . وإنما أراد موسى بقوله لأهله (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) لعلى آتيكم بذلك لتصطلوا به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ) قال : بقبس تَصْطَلون .

وقوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) دلالة تدلّ على الطريق الذى أضللناه ، إما من خبر هاد يهدينا إليه ، وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) يقول : من يدلّ على الطريق .

---

(١) المقام يقتضى أن يقول : حتى إذا أعياه ، لاحت . . . الخ أو : فلاحت ، ثم لاحت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : هاديا يهديه الطريق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) : أى هداة يهدونه الطريق .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن قتادة ، عن صاحب له ، عن حديث ابن عباس ، أنه زعم أنها أيلة (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) وقال أبى ، وزعم قتادة أنه هدى الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : من يهدينى إلى الطريق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : هدى عن علم الطريق الذى أضللنا بنعت من خبر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبى سعيد ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس (لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) قال : كانوا أضلوا عن الطريق ، فقال : لعلى أجد من يدلنى على الطريق ، أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

يقول تعالى ذكره : فلما أتى النار موسى ، ناداه ربه (يا مُوسَى إِنِّى أنا رَبُّكَ فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، قال : خرج موسى نحوها ، يعنى نحو النار ، فاذا هى فى شجر من العليق ، وبعض أهل الكتاب يقول فى عوسجة ؛ فلما دنا استأخرت عنه ؛ فلما رأى استئخارها رجع عنها ، وأوجس فى نفسه منها خيفة ؛ فلما أراد الرجعة ، دنت منه ثم كلم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله تبارك وتعالى (يا مُوسَى اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) فخلعها فألقاها .

واختلف أهل العلم فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه ، فقال بعضهم : أمره بذلك لأنهما كانتا من جلد حمار ميت ، فكره أن يطأ بهما الوادى المقدّس ، وأراد أن يمسه من بركة الوادى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبى قلابة ، عن

كعب ، أنه رآهم يخلعون نعالهم (اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) فقال : كانت من جلد حمار ميت ، فأراد الله أن يمسه القدس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعد ، عن قتادة ، قال : حدثنا ، أن نعليه كانتا من جلد حمار ، فخلعهما ثم أتاه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقيل له اخلعهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج . قال : وأخبرنى عمر بن عطاء عن عكرمة وأبوسفيان ، عن معمر ، عن جابر الجعفى ، عن علىّ بن أبى طالب (فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) قال : كانتا من جلد حمار ، فقيل له اخلعهما . قال : وقال قتادة مثل ذلك .

وقال آخرون : كانتا من جلد بقر ، ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه ، ليصل إليه بركتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال الحسن : كانتا ، يعنى نعلى موسى من بقر ، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض ، وكان قد قدس مرّتين . قال ابن جُرَيْج : وقيل لمجاهد : زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة ، قال : لا ، ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض .

حدثنى يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعنى ابن علية ، سمعت ابن أبى نجيح ، يقول فى قوله (فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : يقول : أفض بقدميك إلى بركة الوادى .

❊ قال أبوجعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادى ، إذ كان واديا مقدسا .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لأنه لادلالة فى ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ، ولاخبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة ، وإن فى قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) بعقبه دليلا واضحا ، على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا .

ولوكان الخبر الذى حدثنا به بشر قال : ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود ، عن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يَوْمَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى ، كانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ وكساءُ صُوفٍ ، وسَرَاوِيلُ صُوفٍ ، ونَعْلانِ مِنْ جِلْدِ حِمارٍ غيرِ مُذَكًّى » صحيحا لم نعده إلى غيره ، ولكن فى إسناده نظر يجب التثبت فيه .

واختلفت القراءة فى قراءة قوله (إِنِّى أنا رَبُّكَ) فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والبصرة (نُودِيَ يامُوسَى)

أَنى) بفتح الألف من « أنى » ، فأنّ على قراءتهم فى موضع رفع بقوله : نودى ، فإن معناه : كان عندهم نودى هذا القول . وقرأه بعض عامة قرّاء المدينة والكوفة بالكسر : نودى ياموسى إنى ، على الابتداء ، وأن معنى ذلك قيل : يا موسى إنى .

قال أبوجعفر : والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب ، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل فى أن قوله « يا موسى » ، وحظ قوله « نودى » أن يعمل فى أن لو كانت قبل قوله « ياموسى » . وذلك أن يقال : نودى أن يا موسى إنى أنا ربك ، ولا حظّ لها فى « إن » التى بعد موسى .

وأما قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) فإنه يقول : إنك بالوادى المطهر المبارك .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) يقول : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : قُدِّسَ بُورِكَ مرّتين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) قال : بالوادى المبارك .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (طُوًى) فقال بعضهم : معناه : إنك بالوادى المقدس طويته ، فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه ، كأنه قال : طويت الوادى المقدس طوى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) يعنى الأرض المقدسة ، وذلك أنه مرّ بواديها ليلا فطواه ، يقال : طويت وادى كذا وكذا طوى من الليل ، وارتفع إلى أعلى الوادى ، وذلك نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مرّتين ، وقال : ناداه ربه مرّتين ؛ فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه ، وذلك أن معناه عندهم : نودى يا موسى مرّتين نداءين . وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى ، أنه بمعنى مرّتين ، قول عدىّ بن زيد العبادى :

أعاذِلَ إنَّ اللَّوْمَ فى غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَىَّ طَوًى مِنْ غَيِّكِ الْمُتَرَدِّدِ[1]

وروى ذلك آخرون : « علىّ ثنى » : أى مرّة بعد أخرى ، وقالوا : طوى وثنى بمعنى واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) كنا نحدّث أنه واد قدّس مرّتين ، وأن اسمه طُوًى .

(١) البيت لعدى بن زيد (اللسان : طوى) . قال : وإذا كان طوى وطوى (بكسر الطاء وضمها) وهو الشيء المطوى مرتين ، فهو صفة بمنزلة ثنى وثنى (بكسر الثاء وضمها) ، وليس بعلم لشيء وهو مصروف لاغير ، كما قال عدى بن زيد : « أعاذل إن اللوم . . . البيت » . ورأيت فى حاشية نسخة من أمالى ابن برى أن الذى فى شعر عدى : على ثنى من غيك ، أراد اللوم المكرر » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إنه قدّس طوى مرّتين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيج ، قال الحسن : كان قد قدّس مرّتين .

وقال آخرون : بل طُوى : اسم الوادى

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله طُوى : اسم للوادى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : طُوى : قال : اسم الوادى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : ذاك الوادى هو طوى ، حيث كان موسى ، وحيث كان إليه من الله ما كان . قال : وهو نحو الطور.

وقال آخرون : بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادى بقدميه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن منصور الطوسى ، قال : ثنا صالح بن إسحاق ، عن جعفر بن برقان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قول الله تبارك وتعالى (اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى) قال : طأ الوادى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى ، قال: ثنا الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، فى قوله (طُوًى) قال: طأ الوادى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن سعيد بن جبير ، فى قول الله (طُوًى) قال : طأ الأرض حافيا ، كما تدخل الكعبة حافيا ، يقول : من بركة الوادى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (طُوًى) طأ الأرض حافيا .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرّاء المدينة (طُوَى) بضم الطاء وترك التنوين، كأنهم جعلوه اسم الأرض التى بها الوادى ، كما قال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمُ وَشَدُّوا أَزْرَهُ ... بِحُنَيْنَ حِينَ تَوَاكُلِ الأَبْطالِ [1]

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان : حنن) . والشاهد فيه أن حنين غير مصروف ، لأنه جعله اسما للبلدة، كما قال المؤلف أولبقة .

فلم يجرّ حنين ، لأنه جعله اسما للبلدة لا للوادى : ولو كان جعله اسما للوادى لأجراه كما قرأت القرّاء (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) ، وكما قال الآخر :

أَلَسْنا أكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحْلاً وأعْظَمَهُمْ بِبَطْنِ حِرَاءَ نارَا[1]

فلم يجرّ حراء ، وهو جبل ، لأنه جعله اسما للبلدة ، فكذلك (طُوَى) فى قراءة من لم يجره جعله اسما للأرض ، وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة (طُوًى) بضم الطاء والتنوين ، وقارئو ذلك كذلك مختلفون فى معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل ؛ فأما من أراد به المصدر من طويت ، فلا مؤنة فى تنوينه ؛ وأما من أراد أن يجعله اسما للوادى ، فإنه إنما ينوّنه لأنه اسم ذكر لا مؤنث ، وأن لام الفعل منه ياء ، فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ) إذ كان حنين اسم واد ، والوادى مذكر .

قال أبو جعفر : وأولى القولين عندى بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين ، لأنه إن يكن اسما للوادى فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك ، وإن كان مصدرا أو مفسرا ، فكذلك أيضا حكمه التنوين ، وهو عندى اسم الوادى . وإذ كان ذلك كذلك ، فهو فى موضع خفض ردّا على الوادى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۝

اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة القرّاء الذين قرءوا (وأنّا) بتشديد النون ، و (أنا) بفتح الألف من « أنا » ردّا على : نودى ياموسى ، كأن معنى الكلام عندهم : نودى ياموسى إنى أنا ربك ، وأنا اخترناك ، وبهذه القراءة قرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة . وأما عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرءوه (وأنا اخْتَرْتُكَ) بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء أهل العلم بالقرآن ، مع اتفاق معنييهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه . وتأويل الكلام : نودى أنّا اخترناك ، فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه (فاسْتَمِعْ إلى ما يُوحَى) يقول : فاستمع لوحينا الذى نوحيه إليك وعه ، واعمل به (إنَّنِي أنا اللهُ) يقول تعالى ذكره : إننى أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة إلا له ، لا إلَهَ إلاّ أنا فلا تعبد غيرى ، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواى (فاعْبُدْنِى) يقول : فأخلص العبادة لى دون كلّ ما عبد من دونى (وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك : أقم الصلاة لى فإنك إذا أقمتها ذكرتنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت فى (اللسان : حرى) قال الجوهرى : لم يصرف حراء ، لأنه ذهب به إلى البلدة التى هو بها . وفى الحديث « كان يتحنث بحراء » مصروفا ، وهو جبل من جبال مكة . وفى رواية اللسان : طرا ، فى موضع : رحلا .

قال : ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، في قوله (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) قال : إذا صلى ذكر ربه.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد، قوله (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) قال : إذا ذكر عَبْد ربه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقم الصلاة حين تذكرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مُغيرة ، عن إبراهيم في قوله (وأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) قال : يصليها حين يذكرها .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثني عمي عبدالله بن وهب ، قال : ثني يونس ومالك بن شهاب ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلِّها إذَا ذَكَرَها ، قال اللهُ (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) » . وكان الزهري يقرؤها : (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) بمنزلة فعلى .

قال أبو جعفر : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال : معناه : أقم الصلاة لتذكرني فيها ، لأن ذلك أظهر معنييه ؛ ولو كان معناه : حين تذكرها ، لكان التنزيل : أقم الصلاة لذكركها . وفي قوله (لِذِكْرِي) دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ؛ ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قراءة الأمصار ، كان صحيحا تأويل من تأوّله بمعنى : أقم الصلاة حين تذكرها ، وذلك أن الزهري وجّه بقراءته (أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرَى) بالألف لا بالإضافة ، إلى أقم لذكراها ، لأن الهاء والألف حذفتا ، وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رءوس الآيات ، إذ كانت بالألف والفتح . ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه ، إنما قصد الزهري بفتحها تصييره الإضافة ألفا للتوفيق بينه وبين رءوس الآيات قبله وبعده ، لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة ، وقال : إنما ذلك كقول الشاعر :

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِي ... إلى[1] أُمَّا وَيُرْوِينِي النَّقِيعُ[2]

وهو يريد : إلى أمي ، وكقول العرب : يا أبا وأما ، وهي تريد : يا أبي وأمي ، كان له بذلك مقال .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

(١) في الأصل : إذ ، ولعله تحريف عن « إلى » .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة ص ١٩٦) قال : والعرب تقول : بيتا وأما ، يريدون : بأبي وأمي ومثله (ياويلتا أعجزت) وإن شئت جعلتها بالإضافة ، وإن شئت بالندبة . اهـ . والنقيع والنقيعة : المحض من اللبن يبرد ، قال ابن بري : شاهده قول الشاعر : « . . . . ويكفيني النقيع » .

﴿ يقول تعالى ذكره : إن الساعة التى يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية (أكادُ أُخْفِيها) فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام ، بمعنى : أكاد أخفيها من نفسى ، لئلا يطلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (أكادُ أُخْفِيها) يقول : لاأظهر عليها أحدا غيرى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (إنّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها) قال : لاتأتيكم إلا بغتة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إنّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها) قال : من نفسى .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أكادُ أُخْفِيها) قال : من نفسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (أكادُ أُخْفِيها) قال : من نفسى .

حدثنى عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا محمد بن عبيد الطنافسى ، قال : ثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (أكادُ أُخْفِيها) قال : يخفيها من نفسه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أكادُ أُخْفِيها) وهى فى بعض القراءة : أخفيها من نفسى . ولعمرى لقد أخفاها الله من الملائكة المقرّبين ، ومن الأنبياء المرسلين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف (إنّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِى) .

وقال آخرون : إنما هو (أكادُ أَخْفِيها) بفتح الألف من أَخفيها بمعنى : أظهرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا محمد بن سهل ، قال : سألنى رجل فى المسجد عن هذا البيت .

دَابَ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيكاً ... بأرِيكَيْنِ يَخْفِيانِ غَمِيرًا(١)

(١) البيت لكعب (اللسان : والتاج : دمك) قالا : يقال أقمت عنده شهرا دميكا ، أى شهرا تاما ، قال كعب : « داب شهرين ثم شهرا دميكا » . اهـ . ولم يذكر الشطر الثانى من البيت . وفى (معجم ما استعجم للبكرى ص ١٤٤) : قال أبو عبيدة : أريك فى بلاد ذبيان . قال : وهما أريكان : أريك الأسود ، وأريك الأبيض . والأريك الجبل الصغير . ويخفيان : بفتح الياء يخرجان . والغمير : له معان كثيرة ، منها فى تاج العروس : الغمير : كأمير : حب البهمى الساقط من سنبله حين ييبس ، أو نبات أخضر قد غمره اليبيس . . . الخ .

فقلت : يظهران ، فقال ورقاء بن إياس وهو خلفى : أقرأنيها سعيد بن جبير (أَكادُ أَخْفِيها) بنصب الألف وقد رُوى عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا : معناه : أكاد أخفيها من نفسى .

ذكر الرواية عنه بذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ومنصور ، عن مجاهد ، قالا (إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها) قالا : من نفسى .

حدثنى عبيد بن إسماعيل الهبارى ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (أكادُ أُخْفِيها) قال : من نفسى .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل الآية من القول ، قول من قال : معناه : أكاد أخفيها من نفسى لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء . والذى ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لاأستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التى لايجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا .

فإن قال قائل : ولم وجهت تأويل قوله (أكادُ أُخْفِيها) بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفيها من نفسى ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء فى كلام العرب وجهين : أحدهما الإظهار ، والآخر الكتمان ؛ وأن الإظهار فى هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه ، إذ كان محالا أن يخفى أحد عن نفسه شيئا هو به عالم ، والله تعالى ذكره لايخفى عليه خافية ؟ قيل : الأمر فى ذلك بخلاف ما ظننت ، وإنما وجَّهنا معنى (أُخْفِيها) بضمّ الألف إلى معنى : أسترها من نفسى ، لأن المعروف من معنى الإخفاء فى كلام العرب : الستر . يقال : قد أخفيت الشىء : إذا سترته . وأن الذين وجَّهوا معناه إلى الإظهار ، اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكندى .

حُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال : أنشدنيه أبو الخطاب ، عن أهله فى بلده :

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نُخْفِهِ وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لانَقْعُدُ[1]

بضمّ النون من لانخفه ، ومعناه : لانظهره ، فكان اعتمادهم فى توجيه الإخفاء فى هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت ، على ما وصفت من ضم النون من نخفه . وقد أنشدنى الثقة عن الفرّاء :

فإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَ نَخْفِهِ

بفتح النون من نخفه ، من خفيته أخفيه ، وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب . فإذ كان ذلك

(١) البيت لامرئ القيس بن عابس الكندى . استشهد به صاحب (اللسان : خفا) على أن قوله لا نخفه ، بفتح النون أى لانظهره . وكذا قرئ قوله تعالى : « أكاد أخفيها » أى أظهرها . حكاه اللحيانى ، عن الكسائى ، عن محمد بن سهل ، عن سعيد بن جبير . اهـ . قال فى اللسان : يقال خفيت الشىء : أظهرته واستخرجته ، يقال خفى المطر الفئار : إذا أخرجهن من أنفاقهن ، أى من جحرتهن . قال امرؤ القيس يصف فرسا :

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مجلب

وخفيت الشىء أخفيه : كتمته ، وهو من الأضداد . وأخفيت الشىء : سترته وكتمته . ورواية المؤلف البيت كما فى معانى القرآن للفراء . وفى (اللسان : خفا) : « فان تكتموا السر لانخفه » .

كذلك ، وكان الفتح فى الألف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ، ثبت وصحّ الوجه الآخر ، وهو أن معنى ذلك : أكاد أسترها من نفسى .

وأما وجه صحة القول فى ذلك ، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم ؛ فلما كان معروفا فى كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة فى الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسرّ : قد كدت أن أخفى هذا الأمر عن نفسى من شدّة استسرارى به ، ولو قدرت أخفيه عن نفسى أخفيته ، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم فى ذلك من الكلام بينهم ، وما قد عرفوه فى منطقهم وقد قيل فى ذلك أقوال غير ماقلنا . وإنما اخترناهذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، إذ كنا لانستجيز الخلاف عليهم ، فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر . فأما الذين قالوا فى ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب ، من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين ، وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف ، فإنهم اختلفوا فى معناه بينهم ، فقال بعضهم : يحتمل معناه : أريد أخفيها ؛ قال : وذلك معروف فى اللغة . وذُكر أنه حُكى عن العرب أنهم يقولون : أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم ، وقال : معناه : لاأنزل إلا عليهم . قال : وحُكى : أكاد أبرح منزلى : أى ما أبرح منزلى ، واحتجّ ببيت أنشده لبعض الشعراء :

كَادَتْ وكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إرَادَةٍ　　　لَوْ عادَ مِنْ عَهْدِالصَّبابَةِ ما مَضَى [١]

وقال : يريد بكادت : أرادت ؛ قال : فيكون المعنى : أريد أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى . قال : ومما يُشبه ذلك قول زيد الخيل :

سَرِيعٌ إلى الهَيْجاءِ شاكٍ سِلاحُهُ　　　فَمَا انْ يَكادُ قِـرْنُهُ يَتَنَفَّسُ [٢]

وقال : كأنه قال : فما يتنفس قرنه ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وقال ذو الرمّة :

إذا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ　　　رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ [٣]

---

(١) البيت فى (اللسان : كيد) . قال : ويقال : فلان يكيد أمرا ما أدرى ما هو ؟ اذا كان يريغه ، ويحتال له ، ويسعى له . وقال : « بلغوا الأمر الذى كادوا » : يريد : طلبوا أو أرادوا ، وأنشد أبو بكر فى كاد بمعنى أراد ، للأفوه :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة　　　وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أراد : الذى أرادوا . وأنشد :

كادت وكدت وتلك خير إرادة　　　لو (كان) من أمر الصبابة مامضى

قال : معناه : ما أرادت . قال : ويحتمله قوله تعالى : « لم يكد يراها » لأن الذى عاين من الظلمات آيسه من التأمل ليده ، والإبصار إليها . والبيت شاهد على أن كاد بمعنى أراد ، استشهد به المؤلف عند قوله تعالى : « أكاد أخفيها » .

(٢) البيت لزيد الخيل كما قال المؤلف . واستشهد به صاحب (اللسان : كاد) على أن كاد قد تجىء صلة فى الكلام . قال : وتكون كاد صلة للكلام (زائدة) . أجاز ذلك الأخفش وقطرب وأبو حاتم . واحتج قطرب بقول الشاعر : « سريع . . . الخ » . معناه : ما يتنفس قرنه . ولكن أبا جعفر الطبرى جعله شبيها بالشاهد السابق عليه ، وتوجيه قطرب لهذا الشاهد أوضح وأحسن . وإن التى قبل يكاد : زائدة ، أو نافية مؤكدة لما النافية قبلها .

(٣) هذا البيت من حائية ذى الرمة المشهورة (ديوانه طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٧٨) قال شارحه : النأى البعد . رسيس الهوى : مسه ، وما خفى منه ، أو أوله ، ويقال : لم يجد رسيس الحمى . واستشهد المؤلف بالبيت على أن المعنى فيه : لم يبرح . =

قال : وليس المعنى : لم يكد يبرح : أى بعد يُسر ، ويبرح بعد عُسر ؛ وإنما المعنى : لم يبرح ، أو لم يرد يبرح ، وإلا ضعف المعنى ؛ قال : وكذلك قول أبى النجم :

وَإِنْ أتاكَ نَعِىٌّ فانْدُبَنَّ أبا قَدْ كادَ يَضْطَلِعُ الأعْداءَ والخُطَبَا[1]

وقال : يكون المعنى : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ولم يرد يفعل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه : أكاد أن آتى بها ؛ قال : ثم ابتدأ فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كلُّ نفس بما تسعى . قال : وذلك نظير قول ابن ضابئ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أفعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِى تَرَكْتُ على عُثمانَ تَبْكِى أقارِبُهُ[2]

فقال : كدت ، ومعناه : كدت أفعل .

وقال آخرون : معنى (أُخفيها) : أظهرها ، وقالوا : الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى الإظهار : واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق :

فَلَمَّا رأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ أسَرَّ الحَرُورِىُّ الَّذِى كانَ أضْمَرَا[3]

أو لم يرد يبرح ؛ وعلى هذا يكون الفعل (يكاد) زائدا فى الكلام ، وقد جاء فى (اللسان : رسس) رواية أخرى للبيت ، تؤيد ما ذهب إليه المؤلف ، من أن المعنى على زيادة (يكاد) ، وهى :

إذَا غَيَّرَ النَّأْىُ المُحِبِّينَ لم أجِد رَسِيسَ الهَوَى من حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

وهذه الرواية هى التى عدل إليها الشاعر ، حين خطأه ابن شبرمة قاضى البصرة لما سمعه ينشد القصيدة فى المربد . ولكن المحققين قالوا إن بديهة ذى الرمة فى الرواية الأولى ، كانت أجود من رويته ، (فى الرواية الثانية) . وقد بين العلامة المحقق رضى الله الديلى الأسترابادى : محمد بن الحسن ، صواب الرواية الأولى ، بأن معنى لم يكد : لم يقرب وأن نفى مقاربة الشىء أبلغ من نفى الشىء فيكون معنى البيت : إذا غير البعاد قلوب المحبين ، فبعاد مية عنى لا يذهب بما أحس لها من حب ثابت مقيم ولا يقارب أن يذهب به . (وانظر شرح الرضى على كافية ابن الحاجب ، طبعة الآستانة ٢ : ٣٠٦ أفعال المقاربة) . وقد أبطل الرضى زعم من زعم من النحاة أن « نفى كاد إثبات وأن إثباته نفى » وهو كلام نفيس دال على ذكائه ودقة فهمه .

(١) البيت لأبى النجم كما قال المؤلف ، والشاهد فى قوله « كاد يضطلع » فقد ذهب المؤلف أن معناه : قد اضطلع الأعداء وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ، ولم يرد يفعل ، وعلى هذا التخريج للبيت يكون الفعل (كاد) صلة (زائدة) ، مثل الشاهدين السابقين عليه عنده . ويضطلع الأعداء : أى يضطلع بهم وبالخطب ، أسقط الباء ، فعدى الفعل بنفسه إلى المعمول الذى كان مجرورا بالباء قبل إسقاطها . يقال اضطلع بحمله ، أى قوى عليه ونهض به . وهو من الضلاعة أى القوة . وفى (اللسان : ضلع) : واضطلع الحمل أى احتمله أضلاعه . وقال ابن السكيت : يقال : هو مضطلع بحمله ، أى قوى على حمله ، وهو مفتعل مج الضلاعة . والنعى : الناعى الذى يخبر بموت من مات .

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمى ، حبسه الخليفة عثمان ، لأنه كان فحاشا ، هجا قوما فأراد عثمان تأديبه ، فلما دعى ليؤدب ، شد سكينا فى ساقه ، ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه ، ثم ضرب وأعيد إلى السجن حتى مات فيه . والبيت من مقطوعة لامية له أنشدها أبو العباس المبرد انظر (رغبة الآمل ، بشرح الكامل للمرصفى ٤ : ٩١) .

فلا تتبعيني إن هلكت ملامة فليس بعار قتل من لا أقاتله
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله

والشاهد فى قوله : كدت ، أى كدت أفعل ما هممت به من قتل عثمان . وهو نظير ما فى القرآن : « إن الساعة آتية أكاد » . ذهب قوم إلى أن معناه : أكاد أن آتى بها . ثم ابتدأ فقال : ولكنى أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى والبيت لضابئ لا لابنه كما قال المؤلف .

(٣) لم أجد هذا البيت فى ديوان الفرزدق ، وهو من شواهد أبى عبيدة (اللسان : سرر) قال : أسررت الشىء : أخفيته ، وأسررته : أعلنته ، ومن الإظهار قوله تعالى : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » أى أظهروها . وأنشد للفرزدق :

وقال: عَنَى بقوله: أسرّ: أظهر. قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله (وأسَرُّوا النَّدامَةَ) وأظهروها. قال: وذلك أنهم قالوا: (يالَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآيات رَبِّنا). وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال: معنى ذلك: أكاد أخفيها من نفسي، أن يكون: أراد أخفيها من قِبلى ومن عندى. وكلّ هذه الأقوال التى ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف، وغير جائز توجيه معانى كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به، ففى ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه.

وقوله (لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كلّ نفس: يقول: لتثاب كلّ نفس امتحنها ربها بالعبادة فى الدنيا بما تسعى: يقول: بما تعمل من خير وشرّ، وطاعة ومعصية. وقوله (فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْها) يقول تعالى ذكره: فلا يردّنك ياموسى عن التأهُّب للساعة، من لايؤمن بها، يعنى: من لايقرّ بقيام الساعة، ولا يصدّق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه (فَتَرْدَى) يقول: فتهلك إن أنت انصددت عن التأهُّب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها. وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله (فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها) كناية عن ذكر الإيمان، قال: وإنما قيل عنها وهى كناية عن الإيمان كما قيل (إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) يذهب إلى الفعلة، ولم يجر الإيمان ذكر فى هذا الموضع، فيجعل ذلك من ذكره، وإنما جرى ذكر الساعة، فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾

* يقول تعالى ذكره: وما هذه التى فى يمينك يا موسى؟ فالباء فى قوله (بِيَمِينِكَ) من صلة تلك، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذى؛ ومنه قول يزيد بن مفرغ:

عَدَسْ ما لِعَبَّادٍ عَلَيْكِ إمارَةٌ … أمِنْتِ وَهَـذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ (١)

كأنه قال: والذى تحملين طليق.

* فلما رأى الحجاج جرد سيفه … البيت. قال شمر: لم أجد هذا البيت للفرزدق وما قال غير أبى عبيدة فى قوله «وأسروا الندامة» أى أظهروها. قال: ولم أسمع ذلك لغيره. قال الأزهرى: وأهل اللغة أنكروا قول أبى عبيدة أشد الإنكار. وقيل: أسروا الندامة: يعنى: الرؤساء من المشركين أسروا الندامة فى سفلتهم الذين أضلوهم، وأسروها: أخفوها وكذلك قال الزجاج، وهو قول المفسرين. والحرورى: الخارجى نسبة إلى حروراء، وهو أول مجتمعاتهم لما نابذوا أمير المؤمنين عليا، وأظهروا التحكيم «لاحكم إلا لله». قسموا المحكمة، والحرورية، والخوارج.

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميرى، يخاطب بغلته حين هرب من عبيد الله بن زياد وأخيه عباد، وكان ابن مفرغ يهجوهما إذا تأخر عليه العطاء، وله قصة مشهورة. وعدس: زجر للبغل، أو اسم له. ويروى نجوت فى مكان: أمنت (اللسان: عدس). وهذا: اسم إشارة، وقد وصل بجملة تحملين، فصار من الأسماء الموصولة فى قول بعض النحويين. هذا: مبتدأ. وجملة تحملين: صلة؛ وطليق: خبر المبتدإ. أى والذى تحملينه طليق، ليس لأحد عليه سلطان.

ولعلّ قائلا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما فى يده ؟ ألم يكن عالما بأن الذى فى يده عصا ؟ قيل له : إن ذلك على غير الذى ذهبتَ إليه ، وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى ، وهى خشبة ، فنبهه عليها ، وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها ، ويهشّ بها على غنمه ، ليعرّفه قُدرته على مايشاء ، وعظم سلطانه ، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيّة تسعى ، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى : قال موسى مجيبا لربه (هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) يقول أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمى يقال منه : هشّ فلان الشجر يهشّ هشا : إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها ؛ كما قال الراجز :

أَهُشُّ بالعَصَا عَلَى أغْنامِي مِنْ ناعِمِ الأَرَاكِ والبَشامِ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) قال : أخبط بها الشجر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) قال : أخبط .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) قال : كان نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم يهشّ على غنمه ورق الشجر .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) يقول : أضرب بها الشجر للغنم ، فيقع الورق .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) قال : يتوكأ عليها حين يمشى مع الغنم ، ويهشّ بها ، يحرّك الشجر حتى يسقط الورق الحبَلة وغيرها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسن ، عن عكرمة (وأَهُشُّ بِها عَلَى غَنَمِي) قال : أضرب بها الشجر ، فيسقط من ورقها عليّ .

(١) فى (اللسان : هش) : الهش أن تنثر ورق الشجر بعصا . هش الغصن يهشه هشا خبطه فألقى ورقه لغنمه ، ومنه قوله عز وجل : «وأهش بها غنمى » قال الفراء : أى أضرب بها الشجر اليابس ، ليسقط ورقها ، فترعاه غنمه . والأراك والبشام : نوعان من الشجر ترعيهما الماشية ، وفى أغصانها لين ، وقد تأكلها الماشية إذا كانت خضراء .

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا علىّ بن الحسن ، قال : ثنا حسين ، قال : سمعت عكرمة يقول (وأهُشُّ بِها عَلى غَنَمِى) قال : أضرب بها الشجر ، فيتساقط الورق على غنمى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وأهُشُّ بِها عَلى غَنَمِى) يقول : أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمى .

وقوله (وَلِىَ فيها مآرِبُ أُخْرَى) يقول : ولى فى عصاى هذه حوائج أخرى ، وهى جمع مأربة ، وفيها للعرب لغات ثلاث : مأرُبة بضم الراء ، ومأرَبة بفتحها ، ومأرِبة بكسرها ، وهى مفعلة من قولهم : لاأرب لى فى هذا الأمر : أى لاحاجة لى فيه . وقيل أخرى وهن مآرب جمع ، ولم يقل أُخر ، كما قيل (لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى) وقد بيّنت العلة فى توجيه ذلك هنالك .

وبنحو الذى قلنا فى معنى المآرب ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن عبدة الضبى ، قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلِى فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حوائج أخرى قد علمتها .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِى فِيها مآرِبُ أُخْرَى) يقول : حاجة أخرى.

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبى نجيح عن مجاهد(وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حاجات .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حاجات ومنافع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حاجات .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) يقول : حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حوائج أخرى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) قال : حاجات منافع أخرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (وَلِىَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى) : أى منافع أخرى .

حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) قال : حوائج أخرى سوى ذلك .

حُدثت عن الحسين . قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (مَآرِبُ أُخْرَى) قال : حاجات أخرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۞

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى : ألق عصاك التي بيمينك ياموسى ، يقول الله جل جلاله : فألقاها موسى . فجعلها الله حية تسعى ، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة ، وعصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ، فصارت حية بأمر الله .

كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبي . قال : ثنا حفص بن جميع ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما قيل لموسى : ألقها ياموسى ، ألقاها (فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) ولم تكن قبل ذلك حية ؛ قال : فمرّت بشجرة فأكلتها ، ومرّت بصخرة فابتلعتها ؛ قال : فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها ؛ قال : فولى مدبرا . فنودى أن يا موسى خذها ، فلم يأخذها ؛ ثم نودى الثانية : أن (خُذْها ولا تخفْ) ، فلم يأخذها ؛ فقيل له في الثالثة : (إنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ) فأخذها .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : قال له ، يعني لموسى ربه (أَلْقِها يا مُوسَى) يعني (فألْقاها فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى - فلَمَّا رآها تَهْتَزُّ كأنَّها جانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) فنودى (يا مُوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ) .

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه ، (قال أَلْقِها يا مُوسَى ، فألْقاها فإذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى) تهتز . لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون ، فرأى أمرا فظيعا ، فولى مُدْبِرا . وَلَم يُعَقِّب) . فناداه ربه : (يا مُوسَى أقبلْ وَلا تخفْ - سَنُعِيدُها سِيرَتَها الأُولى) .

وقوله (قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى : خذ الحية والهاء والألف من ذكر الحية (وَلا تَخَفْ) يقول : ولا تخف من هذه الحية (سَنُعِيدُها سِيرَتَها الأُولى) يقول : فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية . ونردّها عصا كما كانت . يقال لكل من كان على أمر فتركه . وتحوّل عنه ثم راجعه : عاد فلان سيرته الأولى ، وعاد لسيرته الأولى ، وعاد إلى سيرته الأولى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (سِيرَتَها الأُولى) يقول : حالتها الأولى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (سِيرَتَها الأُولى) قال : هيئتها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه (سَنُعِيدُها سِيرَتَها الأُولى) أى سنردّها عصا كما كانت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سَنُعِيدُها سِيرَتَها الأُولى) قال : إلى هيئتها الأولى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : واضمم يا موسى يدك ، فضعها تحت عضدك ، والجناحان هما اليدان ، كذلك رُوى الخبر عن أبى هُرَيرة وكعب الأحبار . وأما أهل العربية ، فإنهم يقولون : هما الجنبان . وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز :

أَضُمُّهُ للصَّدْرِ والجَنَاحِ (١)

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إلى جَنَاحِكَ) قال : كفه تحت عضده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم ، فأدخل يده فى جيبه ، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء ، من غير برص ، مثل الثلج ، ثم ردّها ، فخرجت كما كانت على لونه .

---

(١) (فى اللسان : جنح) : وجناحا الطائر : يداه . وجناح الإنسان يده . ويدا الإنسان : جناحاه . وقال الزجاج : الجناح : العضد ، ويقال : اليد كلها جناح . اهـ . وجناحا العسكر جانباه ، وجناحا الوادى : مجريان عن يمينه وشماله . اهـ . ولم أقف على قائل الرجز .

حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه .

حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارى ، قال : ثنا شريك ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، فى قوله (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بَيْضاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (مِنْ غيرِ سُوءٍ) قال : من غير برص .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا حماد بن مسعدة ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن فى قول الله (بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ) قالَ : أخرجها الله من غير سوء ، من غير برص ، فعلم موسى أنه لقى ربه .

وقوله (آيَةً أُخْرَى) يقول : وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التى أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه ، ونصب آية على اتصالها بالفعل ، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هى . وقوله (لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرَى) يقول تعالى ذكره : واضمم يدك ياموسى إلى جناحك ، تخرج بيضاء من غير سوء ، كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا ، وقال الكبرى فوحّد ، وقد قال (مِنْ آياتِنا) كما قال (لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى) وقد بيّنا ذلك هنالك . وكان بعض أهل البصرة يقول : إنما قيل الكبرى ، لأنه أريد بها التقديم ، كأن معناها : عنده لنريك الكبرى من آياتنا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه : (اذْهَبْ) ياموسى (إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى) يقول : إنه تجاوز قدره ، وتمرّد على ربه : وقد بيّنا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته ، فى هذا

الموضع ، وفى الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه ، وهو قوله (اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى) فادعه إلى توحيد الله وطاعته ، وإرسال بنى إسرائيل معك (قالَ رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرِى)يقول ربّ اشرح لى صدرى ، لأعى عنك ما تودعه من وحيك ، وأجترئ به على خطاب فرعون (وَيَسِّرْ لى أمْرِى) يقول : وسهل علىّ القيام بما تكلفنى من الرسالة ، وتحملنى من الطاعة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله (رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرِى) قال : جرأة لى .

وقوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي) يقول : وأطلق لسانى بالمنطق ، وكانت فيه فيما ذكر عُجمة عن الكلام الذى كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم همّ فرعون بقتله .

ذكر الرواية بذلك عمن قاله

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله(عُقْدَةً مِنْ لِسانِي) قال : عجمة لجمرة نار أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون ، تردّ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لايعقل ، فقال : هذا عدوّ لى ، فقالت له : إنه لايعقل .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي) لجمرة نار أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون ، تدرأ به عنه عقوبة فرعون ، حين أخذ موسى بلحيته وهو لايعقل ، فقال : هذا عدوّ لى ، فقالت له : إنه لايعقل ، هذا قول سعيد بن جبير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي) قال : عجمة الجمرة نار أدخلها فى فيه ، عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : لما تحرّك الغلام ، يعنى موسى أورته أمه آسية صبيا ، فبينما هى ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه ؛ فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، قالت آسية : (لاتَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) إنما هو صبىّ لايعقل ، وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمتَ أنه ليس فى أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت ، وأضع له جمرا ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبىّ ، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر ، فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فطرح فى يده جمرة ، فطرحها موسى فى فيه ، فأحرقت لسانه ، فهو الذى يقول الله عزّ وجلّ (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِى) ، فزالت [1] عن موسى من أجل ذلك .

وقوله (يَفْقَهُوا قَوْلِى) يقول : يفقهوا عنى ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام (وَاجْعَلْ لى

(١) فى النسخة رقم ١٠٠ بدار الكتب المصرية : فتزالت ، ولعله : فزالت ، أى العقدة .

وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي) يقول : واجعلى لى عونا من أهل بيتى (هَارُونَ أَخِي) وفى نصب هارون وجهان : أحدهما أن يكون هارون منصوبا على الترجمة عن الوزير[1] .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان هارون أكبر من موسى .

القول في تأويل قوله تعالى:

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

☆ يقول تعالى ذكره : مخبرا عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون . وإنما يعنى بقوله (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) قوّ ظهرى ، وأعنى به ، يقال منه : قد أزر فلان فلانا : إذا أعانه وشدّ ظهره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) يقول : أشدد به ظهرى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) يقول : اشدد به أمرى ، وقوّنى به ، فإن لى به قوّة .

وقوله (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) يقول : واجعله نبيا مثل ما جعلتنى نبيا ، وأرسله معى إلى فرعون (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا) يقول : كى نعظمك بالتسبيح لك كثيرا (وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) فنحمدك (إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) يقول : إنك كنت ذا بصر بنا لايخفى عليك من أفعالنا شىء .

وذُكر عن عبد الله بن أبى إسحاق أنه كان يقرأ (أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) بفتح الألف من أشدد (وأُشْرِكْه فِي أَمْرِي) بضم الألف من أشركه ، بمعنى الخبر من موسى عن نفسه ، أنه يفعل ذلك ، لاعلى وجه الدعاء ، وإذا قرئ ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء ، أوجواب الدعاء ، وذلك قراءة لاأرى القراءة بها ، وإن كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التى لايجوز خلافها .

القول في تأويل قوله تعالى:

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾

---

(١) لم يبين المؤلف الوجه الثانى فى نصب هارون ، وقد بينه الشوكانى فى تفسيره فى « فتح القدير » طبعة الحلبى. ٣ : ٣٥١ قال: وانتصاب « وزيرا » و « هارون » : على أنهما مفعولا اجعل . وقيل مفعولاه : « لى وزيرا » ، ويكون هارون عطف بيان للوزير .اهـ. قلت : وعنى المؤلف بالترجمة : البدل . وهو أخو عطف البيان .

﴿ يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم : قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك ، وحلّ عقدة لسانك ، وتصيير أخيك هارون وزيرا لك ، وشدّ أزرك به ، وإشراكه فى الرسالة معك (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى) يقول تعالى ذكره : ولقد تطوّلنا عليك ياموسى قبل هذه المرّة مرّة أخرى ، وذلك حين أوحينا إلى أمك ، إذ ولدتك فى العام الذى كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها ؛ ثم فسّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه ، فقال : هو أن اقذفيه فى التابوت ، فأن فى موضع نصب ردّا على « ما » التى فى قوله (مايُوحَى) ، وترجمة عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

﴿ يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك ياموسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك ، أن اقذفى ابنك موسى حين ولدتك فى التابوت (فاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ) يعنى باليم : النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بالساحِلِ) يقول : فاقذفيه فى اليم ، يلقه اليم بالساحل ، وهو جزاء أخرج مخرج الأمر ، كأن اليم هو المأمور ، كما قال جلّ ثناؤه : (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ، ولْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) يعنى : اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ، ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمَشْرَعة آل فرعون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما ولدت موسى أمه أرضعته ، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه ، فصنعت به ما أمرها الله تعالى ، جعلته فى تابوت صغير ، ومهدت له فيه ، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه ، وأصبح فرعون فى مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة ، فبينا هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مُزَاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقال : إن هذا لشىء فى البحر ، فأتونى به ، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبىّ فى مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه . وعنى جلّ ثناؤه بقوله (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لى وَعَدُوٌّ لَهُ) فرعون هو العدوّ ، كان لله ولموسى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (فاقْذِفِيهِ فِى الْيَمِّ) وهو البحر ، وهو النيل .

واختلف أهل التأويل فى معنى المحبة التى قال الله جلّ ثناؤه (وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى) فقال بعضهم : عنى بذلك أنه حببه إلى عباده .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى والعباس بن محمد الدورى ، قالا : ثنا حسين الجعفى عن موسى بن

قيس الحضرمى ، عن سلمة بن كهيل ، فى قول الله (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى) قال عباس : حببتك إلى عبادى ، وقال الصُّدَائى : حببتك إلى خلقى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أى حسنت خلقك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى إبراهيم بن مهدى ، عن رجل ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى) قال : حسنا وملاحة .

قال أبو جعفر : والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله ألقى محبته على موسى ، كما قال جلّ ثناؤه (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى) فحببه إلى آسية امرأة فرعون ، حتى تبنّته وغذّته وربّته ، وإلى فرعون ، حتى كفّ عنه عادبته وشرّه . وقد قيل : إنما قيل : وألقيت عليك محبة منى : لأنه حببه إلى كل من رآه . (و)معنى (أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى)حببتك إليهم ؛ يقول الرجل لآخر إذا أحبه : ألقيت عليك رحمتى : أى محبتى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ۝ ﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى) فقال بعضهم : معناه : ولتغذى وتربى على محبتى وإرادتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى) قال : هو غذاؤه ولتغذى على عينى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى) قال جعله فى بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك ، فتلك الصنعة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت بعينى فى أحوالك كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى) قال : أنت بعينى إذ جعلتك أمك فى التابوت ، ثم فى البحر ، و(إِذْ تَمْشِى أُخْتُكَ) ، وقرأ ابن نهيك (وَلِتَصْنَعَ) بفتح التاء . وتأوّله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ (وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِى) فسألته عن ذلك ، فقال : ولتعمل على عينى .

قال أبو جعفر : والقراءة التي لاأستجيز القراءة بغيرها (وَلِتُصْنَعَ) بضم التاء ، لإجماع الحجة من القرّاء عليها . وإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به ، التأويل الذى تأوّله قتادة ، وهو (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) ولتغذى على عيني ، ألقيت عليك المحبة مني . وعنى بقوله (عَلَى عَيْنِي) بمرأى مني ومحبة وإرادة .

وقوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) يقول تعالى ذكره : حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك ، ثم تأتى من يطلب المراضع لك ، فتقول : هل أدلكم على من يكفله ؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله (إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ) استغناء بدلالة الكلام عليه .

وإنما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : لما ألقته أمه فى اليم (قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) فلما التقطه آل فرعون ، وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ فقالت أخته : (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) ؟ فأخذوها وقالوا : بل قد عرفت هذا الغلام ، فدلينا على أهله ، قالت : ما أعرفه ، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت : يعنى أمّ موسى لأخته : قصّيه فانظرى ماذا يفعلون به ، فخرجت فى ذلك (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدى ، وجمعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه ، فلا يؤتى بامرأة ، فيقبل ثديها ، فيرمضهم ذلك ، فيؤتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئا منهم ، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) أى لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرّة الملك . وعنى بقوله (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ) هل أدلكم على من يضمه إليه فيحفظه ويرضعه ويربيه . وقيل : معنى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) ضمها .

وقوله (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) يقول تعالى ذكره : فرددناك إلى أمك بعد ما صرت فى أيدى آل فرعون ، كيما تقرّ عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق فى اليم ، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن سحاق ، قال : لما قالت أخت موسى لهم ماقالت ، قالوا : هات فأتت أمه فأخبرتها ، فانطلقت معها حتى أتتهم ، فناولوها إياه ؛ فلما وضعته فى حجرها أخذ ثديها ، وسرّوا بذلك منه ، وردّه الله إلى أمه كى تقرّ عينها ، ولا تحزن ، فبلغ لطف الله لها وله ، أن ردّ عليها ولدها وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذى يتخوف على غيره ، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون فى الأمان والسعة ، فكان على فرش فرعون وسرره .

وقوله (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) يعنى جلّ ثناؤه بذلك : قتله القبطى الذى قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلى ، فوكزه موسى . وقوله (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) يقول تعالى ذكره : فنجيناك من غمك بقتلك النفس التى

قتلت ، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم ، حتى هربت إلى أهل مدين ، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك .

وكان قتله إياه فيما ذكر خطأ ، كما حدثني واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن سالم ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً ، فقال اللهُ لَهُ (وَقَتَلْتَ نَفْسًا ، فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ») .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، ومحمد بن عمرو ، قالا : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) قال : من قتل النفس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) النفس التي قتل.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) فقال بعضهم : ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) يقول : اختبرناك اختبارا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) قال : ابتليت بلاء .

حدثني العباس بن الوليد الآملي ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا أصبغ بن زيد الجهني ، قال أخبرنا القاسم بن أيوب ، قال : ثني سعيد بن جبير ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن قول الله لموسى (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) فسألته على الفتون ماهي؟ فقال لي : استأنف النهار يابن جبير ، فإن لها حديثا طويلا ، قال : فلو أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ماوعدني ، قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ماوعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ؛ فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم ، فقال فرعون : فكيف ترون ؟ قال : فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار يذبحون ؛ قالوا : يوشك أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر ، فيقل أبناؤهم ، ودعوا عاما لاتقتلوا منهم أحدا ، فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم ، فتخافون مكاثرتهم إياكم ، ولن يقلوا بمن تقتلون ، فأجمعوا أمرهم على ذلك ، فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لايذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى ، فوقع في قلبها الهم والحزن ، وذلك من الفتون يا ابن جبير ، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله

إليها (أَلاَّ تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ)، وأمرها إذا ولدته أن تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم ؛ فلما ولدته فعلت ما أمرت به ، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت فى نفسها : ماصنعت بابنى لوذبح عندى ، فواريته وكفنته كان أحبّ إلىّ من أن ألقيه بيدى إلى حيتان البحر ودوابه ، فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون، فرأينه فأخذنه ، فهممن أن يفتحن الباب ، فقال بعضهنّ لبعض : إن فى هذا مالا ، وإنا إن فتحناه لم تصدّقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيئته لم يحرّكن منه شيئا ، حتى دفعنه إليها ؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام ، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس (وأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فارِغا) من كلّ شىء إلا من ذكر موسى ؛ فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه ، وذلك من الفتون يابن جُبير ؛ فقالت للذباحين : انصرفوا عنى ، فإن هذا الواحد لايزيد فى بنى إسرائيل ، فآتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم ؛ فلما أتت به فرعون قالت : (قرّةُ عينٍ لى ولكَ) قال فرعون : يكون لك وأما أنا فلاحاجة لى فيه فقال : والذى يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرّت به ، لهداه الله به كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك ، فأرسلت إلى من حولها من كلّ أنثى لها لبن ، لتختار له ظئرا ، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أمّ موسى ، فقالت لأخته : قصيه واطلبيه ، هل تسمعين له ذكرا ، أحىّ ابنى ، أو قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه ، ونسيت الذى كان الله وعدها ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لايشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات : أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ، فأخذوها وقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ، هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك ، وذلك من الفتون يا ابن جُبير ؛ فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه ، رغبتهم فى ظؤورة الملك ، ورجاء منفعته ، فتركوها ؛ فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت ؛ فلما وضعته فى حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البُشَراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا ، فأرسلت إليها ، فأتيت بها وبه ؛ فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثى عندى حتى ترضعى ابنى هذا فإنى لم أحبّ حبه شيئا قطّ ؛ قال : فقالت : لاأستطيع أن أدع بيتى وولدى ، فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه ، فأذهب به إلى بيتى فيكون معى لا آلوه خيرا فعلت ، وإلا فإنى غير تاركة بيتى وولدى ، وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنبته الله نباتا حسنا ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون فى ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التى كانت فيهم ؛ فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى : أزيرينى ابنى ، فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه ، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها : لايبقين أحد منكم إلا استقبل ابنى بهدية وكرامة ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة تحصى كلّ مايصنع كلّ إنسان منكم ؛

فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ؛ فلما دخل عليها نحلته وأكرمته ، وفرحت به ، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه ، وقالت : الطلقن به إلى فرعون ، فلينحله ، وليكرمه ، فلما دخلوا به عليه جعلته فى حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها فقال عدوّ من أعداء الله : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك . فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جُبير ، بعد كلّ بلاء ابتلى به وأريد به ؛ فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدا لك فى هذا الصبىّ الذى قد وهبته لى ؟ قال : ألا ترين يزعم أنه سيصرعنى ويعلونى ، فقالت : اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحقّ ، ائت بجمرتين ولؤلؤتين ، فقرّبهنّ إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل ؛ وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرّب ذلك إليه ، فتناول الجمرتين ، فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به ، وكان الله بالغا فيه أمره .

فلما بلغ أشدّه ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان ، أحدهما من بنى إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى ، فغضب موسى واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبَل الرضاعة غير أمّ موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ؛ فوكز موسى الفرعونى فقتله ، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلى ، فقال موسى حين قتل الرجل : (هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) ثم قال (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) الأخبار ، فأتى فرعون ، فقيل له : إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون ، فخُذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك ، فقال : ابغونى قاتله ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بيّنة ولا ثبت ، فطلبوا له ذلك ؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثَبَتا ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلى يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه الإسرائيلى على الفرعونى ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذى رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونى ، فقال للإسرائيلى لما فعل بالأمس واليوم (إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) فنظر الإسرائيلى موسى بعد ما قال ، فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذى قتل فيه الفرعونى ، فخاف أن يكون بعد ما قال له (إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) أن يكون إياه أراد ، ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرعونى ؛ فخاف الإسرائيلى ، فحاجز الفرعونى فقال (يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا ؛ فانطلق الفرعونى إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى من الخبر حين يقول : أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس ؟ فأرسل فرعون الذباحين ، فسلك

موسى الطريق الأعظم ، فطلبوه وهم لايخافون أن يفوتهم . وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر ، وذلك من الفتون يا ابن جُبير .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (فُتُونا) قال : بلاء إلقاؤه فى التابوت ، ثم فى البحر ، ثم التقاط آل فرعون إياه ، ثم خروجه خائفا .

قال محمد بن عمرو ، وقال أبوعاصم : خائفا ، أوجائعا « شكّ أبوعاصم » ، وقال الحارث : خائفا يترقب ، ولم يشكّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله (وَقال : (خَائِفا يَتَرَقَّبُ) ، ولم يشكّ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونا) يقول : ابتليناك بلاء

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معُاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَفَتَنَّاكَ فُتُونا) هو البلاء على إثر البلاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : أخلصناك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَفَتَنَّاكَ فُتُونا) أخلصناك إخلاصا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، قال : سمعت سعيد ابن جُبير ، يفسّرهذا الحرف (وَفَتَنَّاكَ فُتُونا) قال : أخلصناك إخلاصا .

قال أبوجعفر : وقد بيّنا فيا مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة ، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المُغنية عن الإعادة فى هذا الموضع .

وقوله (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف . ومعنى الكلام : وفتناك فتونا ، فخرجت خائفا إلى أهل مدين ، فلبثت سنين فيهم .

وقوله (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى) يقول جلّ ثناؤه : ثم جئت للوقت الذى أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولمقداره .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى) يقول : لقد جئت لميقات ياموسى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن مجاهد ، قال (عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى) قال : موعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : على ذى موعد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (عَلَى قَدَرٍ يا مُوسَى) قال : قدر الرسالة والنبوّة . والعرب تقول : جاء فلان على قدر : إذا جاء لميقات الحاجة إليه ؛ ومنه قول الشاعر :

نالَ الخلافَةَ أوْ كانَتْ لَهُ قَدَراً كَمَا أتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ[1]

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ۝ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝﴾

يقول تعالى ذكره : (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) أنعمت عليك ياموسى هذه النعم ، ومننت عليك هذه المنن ، اجتباء منى لك ، واختيارا لرسالتى والبلاغ عنى ، والقيام بأمرى ونهيى (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ) هارون (بِآياتى) يقول : بأدلتى وحججى ، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد فى ضلاله وغيه ، فأبلغاه رسالاتى (وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِى) يقول : ولا تضعفا فى أن تذكرانى فيما أمرتكما ونهيتكما ، فإن ذكركما إيَّاى يقوّى عزائمكما ، ويثبت أقدامكما ، لأنكما إذا ذكرتمانى ، ذكرتما مِنِّى عليكما نعما جمَّة ، ومِننا لاتحصى كثرة . يقال منه : وَنى فلان فى هذا الأمر ، وعن هذا الأمر : إذا ضعف ، وهو يَنِي وَنْى ، كما قال العجاج :

فَمَا وَنى مُحَمَّدٌ مُذْ أنْ غَفَرْ لَهُ الإلهُ ما مَضَى وَمَا غَبَرْ[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَنِيا) يقول : لا تبطئا .

---

(١) هذا البيت لجرير ، من قصيدة عدة أبياتها تسعة وعشرون بيتا فى ديوانه (طبعة الصاوى بالقاهرة ٢٧٤ – ٢٧٦) والرواية فيه : « نال الخلافة » كرواية المؤلف . وفى بعض كتب الشواهد : « جاء الخلافة » . وفى هامش الديوان : ويروى : « عز الخلافة » البيت . ومحل الشاهد فى البيت ، قوله : « على قدر » فإن معناه : القضاء الموافق . قال فى (اللسان : قدر) : يقال : قدر الإله كذا تقديرا ؛ وإذا وافق الشىء الشىء قلت جاء قدره . وقال ابن سيده : القدر والقدر (بسكون الدال وتحريكها) : القضاء والحكم ، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ، ويحكم به من الأمور .

(٢) هذان بيتان من مشطور الرجز (١٤ ، ١٥) من أرجوزة للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) والونا ، كما فى (اللسان : ونى) الفترة فى الأعمال والأمور ، وقد ونى يني ونيا وونيا (على فعول) . أى ضعف . وتوانى فى حاجته قصر . وفى حديث عائشة تصف أباها ، رضى الله عنهما : « سبق إذ ونيتم » : أى قصرتم وفترتم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : ولا تضعفا في ذكري .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) قال : لا تضعفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (تَنِيَا) تضعفا .

حدثنا بِشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : لا تضعفا في ذكري .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) قال : لا تضعفا .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) يقول : لا تضعفا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي) قال : الواني : هو الغافل المفرط ذلك الواني .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون : فقولا لفرعون قولا ليِّنا ، ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له ، هو أن يكنياه .

حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق ، قال : ثنا سعيد بن محمد الثقفي ، قال : ثنا عليّ بن صالح ، عن السديّ (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) قال : كنياه .

وقوله (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) اختلف في معنى قوله (لَعَلَّهُ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام ، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : فقولا له قولا لينا ، فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) يقول : هل يتذكر أو يخشى .

وقال آخرون : معنى لعلّ ههنا كي . ووجّهوا معنى الكلام إلى (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى ، كما يقول القائل : اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك ، بمعنى : لتأخذ أجرك ، وافرغ

من عملك لعلنا نتغدّى، بمعنى : لنتغدى ، أو حتّى نتغدى ، ولكلا هذين القولين وجه حسن ، ومذهب صحيح .

وقوله:(قالا رَبَّنا إنَّنا نَخافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهارون : ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه ، أن يعجل علينا بالعقوبة ، وهو من قولهم : فرط منى إلى فلان أمر : إذا سبق منه ذلك إليه ، ومنه : فارط القوم وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز : قَدْ فَرَطَ العِلْجُ عَلَيْنا وَعَجِلْ[١]

وأما الإفراط : فهو الإسراف والإشطاط والتعدّى . يقال منه : أفرطت فى قولك : إذا أسرف فيه وتعدّى .

وأما التفريط : فإنه التوانى. يقال منه : فرطت فى هذا الأمر حتّى فات : إذا توانى فيه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا) قال : عقوبة منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله(إنَّنا نَخافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا ، أوْ أنْ يَطْغَى) قال : نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك ، يفرط ويعجل . وقرأ (لا تَخافا إنَّنِى مَعَكُما أسْمَعُ وأرَى) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾

يقول الله تعالى ذكره : قال الله لموسى وهارون (لا تَخافا) فرعون (إنَّنِى مَعَكُما) أعينكما عليه ، وأبصركما (أسْمَعُ) ما يجرى بينكما وبينه . فأفهمكما ما تحاورانه به (وأرَى) ما تفعلان ويفعل ، لا يخفى علىّ من ذلك شىء (فَأْتِياهُ فَقُولا) له (إنَّا رَسُولا رَبِّكَ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج (قالَ لا تَخافا إنَّنِى مَعَكُما أسْمَعُ وأرَى) ما يحاوركما ، فأوحى إليكما فتجاوبانه .

---

(١) فى (اللسان : فرط) عليه يفرط : عجل عليه وعدا وآذاه . وقال الفراء فى قوله تعالى : « إننا نخاف أن يفرط علينا » قال : يعجل إلى عقوبتنا . والعلج : الرجل القوى الضخم . ولم أعرف قائل الرجز .

وقوله (فَأْتِياهُ فَقُولا إنّا رَسُولا رَبِّكَ) أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بنى إسرائيل ، فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة (قَدْ جِئْناكَ بآيَةٍ) معجزة (مِنْ رَبِّكَ) على أنه أرسلنا إليك بذلك ، إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها ،(والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى) يقول : والسلامة لمن اتبع هدى الله ، وهو بيانه ، يقال : السلام على من اتبع الهدى ، ولمن اتبع بمعنى واحد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون : قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذى لانفاد له ، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته ، وإجابة رسله (وَتَوَلَّى) يقول : وأدبر مُعرضا عما جئناه به من الحقّ .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أنَّ العَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى)كذّب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

وقوله (قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسَى) فى هذا الكلام متروك ، ترك ذكره استغناء بدلالة ماذكر عليه عنه ، وهوقوله (فَأْتِياهُ) فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته ، فقال فرعون لهما (فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسَى) فخاطب موسى وحده بقوله : يا موسى ، وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لامن الجميع ، وذلك نظير قوله (نَسِيا حُوتَهُما) وكان الذى يحمل الحوت واحد ، وهو فتى موسى ، يدلّ على ذلك قوله (إنّى نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاَّ الشَّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ)

وقوله (قالَ رَبُّنا الَّذِى أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول تعالى ذكره : قال موسى له مجيبا : ربنا الذى أعطى كلّ شىء خلقه ، يعنى : نظير خلقه فى الصورة والهيئة كالذكور من بنى آدم ، أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا ، وكالذكور من للبهائم ، أعطاها نظير خلقها ، وفى صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا ، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه ، فيزوّجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هداهم للمأتى الذى منه النسل والنماء كيف يأتيه ، ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك .

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : بنحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله (أعْطَى

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول : خلق لكلّ شيء زوجة ، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ رَبُّنا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يقول : أعطى كلّ دابة خلقها زوجا ، ثم هدى للنكاح .

وقال آخرون : معنى قوله (ثُمَّ هَدَى) أنه هداهم إلى الأُلفة والاجتماع والمناكحة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) يعنى : هدى بعضهم إلى بعض ، ألّف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضا .

وقال آخرون : معنى ذلك : أعطى كلّ شىء صورته ، وهى خلقه الذى خلقه به ، ثم هداه لما يُصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : أعطى كلّ شيء صورته ثم هدى كلّ شيء إلى معيشته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : سوّى خلق كلّ دابة ، ثم هداها لما يُصلحها ، فعلّمها إياه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (رَبُّنا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : سوّى خلق كلّ دابة ثم هداها لما يُصلحها وعلّمها إياه ، ولم يجعل الناس فى خلق البهائم ، ولا خلق البهائم فى خلق الناس ، ولكن خلق كلّ شىء فقدّره تقديرا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حميد عن مجاهد (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) قال : هداه إلى حيلته ومعيشته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعطى كلّ شىء ما يُصلحه ، ثم هداه له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) قال : أعطى كلّ شىء ما يُصلحه . ثم هداه له .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى تأويل ذلك ، لأنه جلّ ثناؤه أخبر أنه أعطى كلّ شىء خلقه ، ولا يعطى المعطى نفسه ، بل إنما يعطى ما هو غيره ، لأن العطية تقتضى المعطى المُعطَى والعطية ، ولا تكون العطية هى المعْطَى ، وإذا لم تكن هى هو ، وكانت غيره ، وكانت صورة كلّ خلق بعض أجزائه ، كان معلوما أنه إذا قيل : أعطى الإنسان صورته ، إنما يعنى أنه أعطى بعض المعانى التى به مع

غيره دعى إنسانا ، فكأن قائله قال : أعطى كلّ خلق نفسه ، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معانى العطية ، وإن كان قد يحتمله الكلام . فإذا كان ذلك كذلك ، فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شىء أعطاه ربه مثل خلقه ، فزوّجه به ، ثم هداه لما بيّنا ، ثم ترك ذكر مثل ، وقيل (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) كما يقال : عبد الله مثل الأسد ، ثم يحذف مثل ، فيقول : عبد الله الأسد

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لموسى ، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان ، وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول ، ولم تصدّق بما تدعو إليه ، ولم تخلص له العبادة ، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ، إن كان الأمر على ماتصف من أن الأشياء كلها خلقه ، وأنها فى نِعمه تتقلّب ، وفى مِننه تتصرف ، فأجابه موسى فقال : علم هذه الأمم التى مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك ، عند ربى فى كتاب : يعنى فى أمّ الكتاب ، لاعلم لى بأمرها ، وما كان سبب ضلال من ضلّ منهم فذهب عن دين الله (لايَضِلُّ رَبِّى) يقول : لايخطئ ربى فى تدبيره وأفعاله ، فإن كان عذّب تلك القرون فى عاجل ، وعجل هلاكها ، فالصواب ما فعل ، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة ، فالحقّ ما فعل ، هو أعلم بما يفعل ، لايخطئ ربى (وَلا يَنْسَى) فيترك فعل مافعْله حكمة وصواب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فِي كِتابٍ لايَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) يقول : لايخطئ ربى ولا ينسى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَمَا بالُ القُرُونِ الأُولى) يقول فما أعمى القرون الأولى ، فوكلها نبى الله موكلا فقال : (عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي) . . . الآية يقول : أى أعمارها وآجالها .

وقال آخرون : معنى قوله (لايَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لايَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) قال : هما شىء واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

والعرب تقول : ضلّ فلان منزله : إذا أخطأه ، يضله بغير ألف ، وكذلك ذلك فى كلّ ما كان من

شيء ثابت لايبرح ، فأخطأه مريده ، فإنها تقول : أضله ، فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب، فإنها تقول : أضلّ فلان بعيره أوشاته أو ناقته يُضِله بالألف .وقد بيّنا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله (مَهْدًا) فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة (الّذي جعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مِهادًا) بكسر الميم من المِهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء ، وكذلك عملهم ذلك في كلّ القرآن . وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك ، أنه إنما اختاره من أجل أن المِهاد : اسم الموضع ، وأن المهد الفعل ؛ قال: وهو مثل الفرش والفراش . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (مَهْدًا) بمعنى : الذي مهد لكم الأرض مهدا .

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار مشهورتان ، فبأيّهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها .

وقوله (وَسَلَكَ لَكُمْ فيها سُبُلًا) يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا ، والهاء في قوله فيها : من ذكر الأرض .

كما حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا) : أي طرقا .

وقوله (وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً) يقول : وأنزل من السماء مطرا (فأخرجنا به أزْوَاجا مِنْ نَباتٍ شَتَّى) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه ، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله ، يقول جلّ ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا ، يعني ألوانا من نبات شتّى ، يعني مختلفة الطعوم ، والأراييح والمنظر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (مِنْ نَباتٍ شَتَّى) يقول : مختلف .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾

* يقول تعالى ذكره : كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذى أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه ، وما هو من أقواتكم وغذائكم ، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم (إنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) يقول : إن فيما وصفت فى هذه الآية من قدرة ربكم ، وعظيم سلطانه لآيات : يعنى لدلالات وعلامات تدلّ على وحدانية ربكم ، وأن لا إله لكم غيره (لِأُولِي النُّهَى) يعنى : أهل الحجى والعقول . والنهى : جمع نُهية ، كما الكُشَى : جمع كُشْية .

قال أبوجعفر : والكُشَى : شحمة تكون فى جوف الضبّ ، شبيهة بالسرّة ، وخصّ تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولى النُّهَى ، لأنهم أهل التفكّر والاعتبار ، وأهل التدبر والاتعاظ .

القول في تأويل قوله تعالى :

* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

* يقول تعالى ذكره : من الأرض خلقناكم أيها الناس ، فأنشأناكم أجساما ناطقة (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) يقول : وفى الأرض نعيدكم بعد مماتكم ، فنصيركم ترابا ، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) يقول : ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء ، فننشئكم منها ، كما أنشأناكم أوّل مرّة . . وقوله (تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرّة أخرى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) يقول : مرّة أخرى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (تَارَةً أُخْرَى) قال : مرّة أخرى الخلق الآخر .

قال أبو جعفر : فتأويل الكلام إذن : من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا ، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرّة أخرى ، كما أخرجناكم منها أوّل مرّة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾

* يقول تعالى ذكره : ولقد رأينا فرعون آياتنا ، يعنى أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا ، موسى وهارون إليه كلها (فَكَذَّبَ وَأَبَى) أن يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحقّ استكبارا وعتوّا .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى . أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ . فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لا نتعداه . لنجيء بسحر مثل الذي جئت به . فننظر أينا يغلب صاحبه . لا نخلف ذلك الموعد (نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكانًا سُوًى) يقول : بمكان عدل بيننا وبينك ونصف .

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين (مَكانًا سِوًى) بكسر السين . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (مَكانًا سُوًى) بضمها .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا . أنهما لغتان ، أعني الكسر والضم في السين من « سوى » مشهورتان في العرب . وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، مع اتفاق معنييهما ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح . كما قال جلّ ثناؤه (تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ) وإذا فتح السين منه مدّ . وإذا كسرت أو ضمت قصر ، كما قال الشاعر :

فإنَّ أبانا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سُوًى بينَ قَيْسٍ قيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[1]

ونظير ذلك من الأسماء : طُوًى . وطِوًى . وثُنًى وثِنًى ، وعَدًى ، وعُدًى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك . قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مَكانًا سُوًى) قال : منصفا بينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قَتادة (مَكانًا سوًى) : أي عادلا بيننا وبينك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قَتادة ، قوله (مَكانًا سُوًى) قال : نصفا بيننا وبينك .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، في قوله (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكانًا سُوًى) قال : يقول : عدلا .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (مَكانًا سُوًى) قال : مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه ، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى .

---

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفي (اللسان : سوى) قال : قال الأخفش : سوى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضممت السين أو كسرت قصرت فيهما جميعا ، وإن فتحت مددت . تقول : مكان سوى وسوى وسواء : أي عدل ووسط بين الفريقين ، قال موسى بن جابر : « وجدنا أبانا . . . البيت » . والفزر : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون ، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع : موعدكم للاجتماع (يَوْمُ الزِّينَةِ) يعني يوم عيد كان لهم ، أو سوق كانوا يتزيّنون فيه (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يقول وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية (ضُحًى) فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ ، وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (قال مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) قال : يوم زينة لهم ، ويوم عيد لهم (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) إلى عيد لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد (يَوْمُ الزِّينَةِ) قال : يوم السوق .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَوْمُ الزِّينَةِ) موعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قال : موسى « مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى » وذلك يوم عيد لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) يوم عيد كان لهم . وقوله (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) يجتمعون لذلك الميعاد الذى وعدوه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) قال : يوم العيد ، يوم يتفرّغ الناس من الأعمال ، ويشهدون ويحضُرون ويرون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةُ) يوم عيد كان فرعون يخرج له (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) حتى يحضروا أمرى وأمرك . وأنْ من قوله (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) رفع بالعطف على قوله (يَوْمُ الزِّينَةِ) .

وذُكر عن أبى نهيك فى ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقول : (وأنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضحًى) يعنى فرعون يحشر قومه .

وقوله (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) يقول تعالى ذكره : فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق (فجَمَعَ كَيْدَهُ) يقول : فجمع مكره ، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه ، (ثُمَّ أَتَى) يقول ، ثم جاء للموعد الذى وعده موسى ، وجاء بسحرته .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : (قَالَ مُوسَى) للسحرة لما جاء بهم فرعون (وَيْلَكُمْ لاتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً) يقول : لاتختلقوا على الله كذبا ، ولا تتقولوه (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم . وللعرب فيه لغتان : سَحَت ، وأسحت . وسَحَت ، أكثر من أسحت ؛ يقال منه : سحت الدهر ، وأسحت مال فلان : إذا أهلكه فهو يَسْحَتَه سحتا ، وأسحته يُسْحِته إسحاتا . ومن الإسحات قول الفرزدق :

وَعَضُّ زَمانٍ يا بْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاَّ مُسْحَتا أوْ مُجَلَّفُ[1]

ويُروى : إلا مسحت أو مجلف .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ) يقول : فيهلككم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) يقول : يستأصلكم بعذاب.

حدثنا الحسن : قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) قال : فيستأصلكم بعذاب فيهلككم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) قال : يهلككم هلاكا ليس فيه بقيَّة ، قال : والذى يسحت ليس فيه بقية .

(١) هذا البيت للفرزدق من نقيضته التى مطلعها * عزفت بأعشاش وما كدت تعزف * وقبل بيت الشاهد قوله (انظر ديوانه طبعة الصاوى ص ٥٦٥) :

إلَيْكَ أمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنا هُمُومُ المُنَى والهَوْجَلُ المُتَعَسِّفُ

ورواية الشاهد عند المؤلف موافقة لرواية (اللسان : جلف) . قال : قال أبوالغوث : المسحت : الملك . والمجلف : الذى بقيت منه بقية ، أو هو الذى أخذ من جوانبه . والمجلف أيضا : الرجل الذى جلفته السنون ؛ أى أذهبت أمواله . وفى (اللسان : سحت) وقوله عز وجل « فيسحتكم بعذاب » : قرىء : فيسحتكم بعذاب ؛ ويسحتكم . بفتح الياء والحاء ، ويسحت (بضم الياء) أكثر . فيسحتكم (بفتح الياء والحاء) : يقشركم . ويسحتكم (بضم الياء) يستأصلكم ، وأسحت ماله : استأصله وأفسده ، قال الفرزدق : * وعض زمان . . . أو مجلف * . أما رفع مجلف ، فهو على تقدير ضمير مبتدأ ، كأنه قال : أو هو مجلف . والبيت شاهد عند الطبرى ، على أن معنى قوله تعالى : فيسحتكم : يستأصلكم .

حدثنا موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ) يقول يهلككم بعذاب.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (فَيَسْحَتَكُمْ) بفتح الياء من سحت يَسحت. وقرأته عامة قرّاء الكوفة (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء من أسحت يُسْحِت.

قال أبو جعفر: والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيّتهما قرأ القارئ فمصيب، غير أن الفتح فيها أعجب إلىّ لأنها لغة أهل العالية. وهى أفصح، والأخرى وهى الضمّ فى نجد.

وقوله (وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) يقول: ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله، بكذبه ذلك، بحاجته التى طلبها به، ورجا إدراكها به.

القول فى تأويل قوله تعالى:

فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۝ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۝

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم.

وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) قال: السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون: بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب بن منبه، قال: جمع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون فى مجلسه، معه أشراف أهل مملكته، قد استكفّ له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ، وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

وقوله (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) يقول تعالى ذكره: وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم فى السِّرار الذى أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا.

وقال آخرون فى ذلك، ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حُدثت عن وهب ابن منبه، قال: أشار بعضهم إلى بعض بتناج (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا).

حدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا

النَّجْوَى) من دون موسى وهارون ، قالوا فى نجواهم : (إِنْ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قالوا : إن هذان لساحران، يعنون بقولهم: إن هذان موسى وهارون ، لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا) موسى وهارون صلى الله عليهما .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فقرأته عامة قرّاء الأمصار (إِنَّ هَذَانِ) بتشديد إن وبالألف فى هذان ، وقالوا : قرأنا ذلك كذلك . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: « إن » خفيفة فى معنى ثقيلة ، وهى لغة لقوم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التى تكون فى معنى ما . وقال بعض نحويّ الكوفة : ذلك على وجهين : أحدهما على لغة بنى الحارث بن كعب ومن جاورهم ، يجعلون الاثنين فى رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف . وقد أنشدنى رجل من الأسد عن بعض بنى الحارث ابن كعب :

فأطْرَقَ إطْرَاقَ الشُّجاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغا لِنَاباهُ الشُّجاعُ لَصَمَّما[1]

قال : وحكى عنه أيضا : هذا خط يدا أخى أعرفه، قال : وذلك وإن كان قليلا أقيس ، لأن العرب قالوا: مسلمون ، فجعلوا الواو تابعة للضمة ، لأنها لاتعرب ، ثم قالوا : رأيت المسلمين ، فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم؛ قالوا : فلما رأوا الياء من الاثنين لايمكنهم كسر ما قبلها ، وثبت مفتوحا ، تركوا الألف تتبعه، فقالوا : رجلان فى كلّ حال . قال : وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف فى كلا الرجلين ، فى الرفع والنصب والخفض ، وهما اثنان ، إلا بنى كنانة ، فإنهم يقولون : رأيت كِلَىِ الرجلين ، ومررت بكلى الرجلين ، وهى قبيحة قليلة مَضَوا على القياس . قال : والوجه الآخر أن تقول : وجدت الألف من هذا دعامة ، وليست بلام «فعلَى»؛ فلما بنيت زدت عليها نونا ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لاتزول بكلّ حال ، كما قالت العرب الذى ، ثم زادوا نونا تدلّ على الجمع ، فقالوا : الذين فى رفعهم ونصبهم

---

(١) البيت للمتلمس : جرير بن عبد العزى ، وقيل جرير بن عبد المسيح ، من كلمة له رواها ابن الشجرى (انظر كتاب الأشمونى فى النحو بشرح الأستاذ محيى الدين عبد الحميد طبعة الحلبى ١ : ٤٧) . قال: أطرق : سكت فلم يتكلم وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض . والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها . أو هو الحية العظيمة تثب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها ، وربما بلغت رأس الفارس ، وتكون فى الصحارى . ومساغا : اسم مكان من ساغ يسوغ : إذا دخل ونفذ . وصمم عض ونيب . والبيت جار على لغة بنى الحارث بن كعب ومن لف لفهم ، والشاهد فيه أن قوله لناباه مثنى مجرور باللام ، وقد جاء بالألف ، وهى لغة بنى الحارث بن كعب وبنى العنبر وبنى الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل ، وزبيد وخثعم وهمدان وعذرة . ويخرج بعض النحويين على هذه اللغة قوله تعالى : « إن هذان لساحران » وقوله صلى الله عليه وسلم « لا وتران فى ليلة » . قال الفراء فى معانى القرآن (الورقة ١٩٨ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩) فقراءتنا بتشديد إن ، وبالألف على جهتين : إحدهما على لغة بنى الحارث بن كعب يجعلون الاثنين فى رفعهما وخفضهما بالألف ، أنشدنى رجل من الأسد عنهم « فأطرق إطراق الشجاع » . . . . البيت . وحكى هذا الرجل عنهم : هذا خط يدا أخى ، أعرفه بعينه . وذلك وإن كان قليلا أقيس . (وساق المؤلف كلام الفراء إلى آخره) .

وخفضهم ، كما تركوا هذان فى رفعه ونصبه وخفضه . قال : وكان القياس أن يقولوا : الّذُون . وقال آخر منهم : ذلك من الجزم المرسل ، ولو نصب لخرج إلى الانبساط .

وحُدِّثت عن أبى عُبيدة معمر بن المثنى ، قال : قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس : إن هذين لساحران فى اللفظ ، وكتب « هذان » كما يريدون الكتاب ، واللفظ صواب . قال : وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بنى كنانة وغيرهم ، يرفعون الاثنين فى موضع الجرّ والنصب . قال : وقال بشر بن هلال : إن بمعنى الابتداء والإيجاب . ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ، ولا تعمل فيما بعد الذى بعدها ، فترفع الخبر ولا تنصبه ، كما نصبت الاسم ، فكان مجاز « إن هذان لساحران » ، مجاز كلامين ، مَخْرَجه : إنه : إى نَعَم ، ثم قلت : هذان ساحران . ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ :

فَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فإنِّى وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ[1]

وقوله :

إنَّ السُّيُوفَ غُدُوَّها وَرَوَاحَها ... تَرَكَتْ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأعْضَبِ[2]

قال : ويقول بعضهم : إن الله وملائكتُهُ يصلون على النبىّ ، فيرفعون على شركة الابتداء ، ولا يعملون فيه إنَّ . قال : وقد سمعت الفصحاء من المُحْرِمين يقولون : إن الحمدَ والنعمةُ لك والملكُ ، لاشريك لك . قال : وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها . قال : ويجوز ؛ لأنهم قد أدخلوا اللام فى الابتداء وهى فصل ، قال :

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ[3]

(١) البيت لضابئ بن الحارث البرجمى ، وهو أول أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة ، فى زمن عثمان بن عفان . وبعده ثلاثة أبيات أنشدها أبو العباس المبرد فى الكامل (خزانة الأدب للبغدادى ٤ : ٣٢٣ – ٣٢٨) واستشهد به النحاة على أن قوله (قيار) مبتدأ حذف خبره ، والجملة اعتراضية بين اسم إن وخبرها ، والتقدير : فإنى ، وقيار كذلك لغريب . وإنما لم يجعل الخبر لقيار ، ويكون خبر إن محذوفا ؛ لأن اللام لاتدخل فى خبر المبتدأ حتى يقدم ، نحو لقائم زيد . وهذا تخريج له خلاف مذهب سيبويه ، فإن الجملة عنده فى نية التأخير ، وهى معطوفة لا معترضة . وزعم الكسائى والفراء أن نصب إن ضعيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، قال الزجاج : وهذا غلط ، لأن إن قد عملت عملين : الرفع والنصب ، وليس فى العربية ناصب ليس معه مرفوع ، لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل ، إلا فيما لم يسم فاعله . وكيف يكون نصب إن ضعيفا وهى تتخطى الظروف وتنصب ما بعدها ، نحو « إن فيها قوما جبارين » ، ونصب إن من أقوى المنصوبات . ا هـ .

(٢) البيت للأخطل (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٣٧٢) من قصيدة له ستة عشر بيتا مدح بها العباس بن محمد بن عبد الله بن العباس والبيت شاهد عند النحاة على أنه قد يعتبر الأول فى اللفظ دون الثانى ، أى يعتبر المبدل منه فى اللفظ ، دون البدل ، فإن قوله « غدوها » بدل من السيوف ، قال المبرد فى الكامل : هو بدل اشتمال ، وقد روعى المبدل منه فى اللفظ ، بإرجاع الضمير إليه من الخبر ، ولم يراع البدل ولو روعى لقيل « تركا » بالتثنية . وهوازن : أبو قبيلة ، وهو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر . والأعضب : الذى انكسر أحد قرنيه . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أنهم قد يرفعون المشترك ، أى المعطوف على اسم إن ، وليس فى البيت عطف على اسم إن ، وإنما هو إبدال من المنصوب كما قرره المبرد وأبو على الفارسى فى إيضاح الشعر .

(٣) هذا بيت من مشطور الرجز نسبه الصاغانى فى العباب إلى عنترة بن عروس بالشين فى آخره ، وقيل بالسين ، مولى ثقيف .(خزانة الأدب الكبرى للبغدادى ٤ : ٣٢٨ – ٣٣٠) . وهو شاهد على أنه شذ دخول اللام على خبر المبتدأ المؤخر ، مجردا من إن . وقدر بعضهم : لهى عجوز ، لتكون فى التقدير داخلة على المبتدأ . قال ابن السراج فى الأصول : قال أبو عثمان : وقرأ سعيد بن جبير (إلا أنهم ليأكلون الطعام) : فتح أن ، وجعل اللام زائدة كما زيدت فى قوله :

أم الحليس لعجوز شهربه ... ترضى من اللحم بعظم الرقبه

قال : وزعم قوم أنه لايجوز . لأنه إذا خفف نوّن « إن » فلا بدّ له من أن يدخل « إلا » فيقول : إن هذا إلا ساحران .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا (إنّ) بتشديد نونها . وهذان بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه . وأنه كذلك هو فى خطّ المصحف . ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذى النون . وأقرّ فى جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة . فكذلك (إنّ هَـٰذَانِ) زيدت على هذا نون وأقرّ فى جميع أحوال الإعراب على حال واحدة . وهى لغة بلحرث بن كعب . وخثعم . وزبيد ، ومن وليهم من قبائل اليمن .

وقوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) يقول : ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم . يقال : هو طريقة قومه ونظورة قومه ، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه . يقال ذلك للواحد والجمع ، وربما جمعوا ، فقالوا : هؤلاء طرائق قومهم ؛ ومنه قول الله تبارك وتعالى (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) وهؤلاء نظائر قومهم . وأما قوله (الْمُثْلَى) فإنها تأنيث الأمثل . يقال للمؤنث : خذ المثلى منهما . وفى المذكر : خذ الأمثل منهما ، ووحدت المثلى ، وهى صفة ونعت للجماعة ، كما قيل (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) ، وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة .

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله (بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) يقول : أمثلكم وهم بنو إسرائيل .

حدثنى محمد بن عمرو . قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال : أولى العقل والشرف والأنساب .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، فى قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال : أولى العقول والأشراف والأنساب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب . قالا : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) وطريقتهم المُثلى يومئذ كانت بنو إسرائيل ، وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا . قال عدوّ الله : إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما .

حدثنا الحسن بن يحيى . قال : أخبرنا عبدالرزاق . قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله (بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال : ببنى إسرائيل .

= انتهى . وعند ابن جنى غير زائدة ، لكنها فى البيت ضرورة . قال فى سر الصناعة : وأما الضرورة التى تدخلها اللام فى غير خبر إن فن ضرورات الشعر ، ولا يقاس عليها ؛ والوجه أن يقال : لأم الحليس عجوز شهربة ، كما يقال لزيد قائم . وأورد المؤلف البيت شاهدا على أن اللام فى « وقيارها لغريب » هى لام ابتداء أخرجت إلى الخبر ، كما فى قول الراجز : أم الحليس لعجوز ، وأصله : لأم الحليس عجوز .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) يقول : يذهبا بأشراف قومكم .

وقال آخرون : معنى ذلك : ويغيرا سنتكم ودينكم الذى أنتم عليه ، من قولهم : فلان حسن الطريقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) قال : يذهبا بالذى أنتم عليه ، يغير ما أنتم عليه . وقرأ (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ، أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) قال : هذا قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) وقال : يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة ، فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة .

ورُوى عن علىّ فى معنى قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق ، عن القاسم ، عن علىّ بن أبى طالب ، قال : يصرفان وجوه الناس إليهما .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى قوله (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) وإن كان قولا له وجه يحتمله الكلام ، فإن تأويل أهل التأويل خلافه ، فلا أستجيز لذلك القول به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) بهمز الألف من (فَأَجْمِعُوا) ، ووجّهوا معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه ، من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ؛ ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ ... هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ (١)

يعنى بقوله : « مجمع » : قد أحكم وعزم عليه ؛ ومنه قول النبىّ صلى الله عليه وسلم « مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ » .

(١) البيت فى (اللسان : جمع) ولم ينسبه . قال : وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه : عزم عليه ، كأنه جمع نفسه له ، والأمر مجمع . ويقال أيضا : أجمع أمرك ولا تدعه منتشرا . . . . وقال آخر : « ياليت شعرى . . . البيت » . وقوله تعالى : « فأجمعوا أمركم وشركاءكم) أى : وادعوا شركاءكم . قال : وكذلك هى فى قراءة عبد الله ؛ لأنه لا يقال : أجمعت شركائى ، إنما يقال : جمعت . وقال الفراء : الإجماع : الإعداد والعزيمة على الأمر . قال : ونصب شركائى بفعل مضمر ، كأنك قلت : فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم . قال أبو إسحاق : الذى قاله الفراء غلط فى إضماره : « وادعوا شركاءكم » ، لأن الكلام لا فائدة له ، لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأن يجمعوا أمرهم . قال : والمعنى : فأجمعوا أمركم مع شركائكم ؛ وإذا كان الدعاء لغير شىء فلا فائدة فيه . قالوا : والواو : بمعنى مع ، كقولك : « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها » . المعنى : لو تركت الناقة مع فصيلها . قال ومن قرأ : « فاجمعوا أمركم وشركاءكم » بألف موصولة ، فإنه يعطف شركاءكم على أمركم . قال : ويجوز : فاجمعوا أمركم مع شركائكم .

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة (فاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ) بوصل الألف ، وترك همزها ، من جمعت الشيء . كأنه وجّهه إلى معنى : فلا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به . وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتلّ فيما ذُكر لى لقراءته ذلك كذلك بقوله (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ) .

قال أبو جعفر : والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع ، لإجماع الحجة من القرّاء عليه ، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين ، فلا وجه لأن يقال لهم : اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون ، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده ، ولم يكن ذلك يوم تزيد فى علمهم بما كانوا يعملونه من السحر ، بل كان يوم إظهاره . أو كان متفرّقا مما هو عنده ، بعضه إلى بعض ، ولم يكن السحر متفرّقا عندهم فيجمعونه . وأما قوله (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) فغير شبيه المعنى بقوله (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا ، فقيل : فتولى فرعون فجمع كيده .

وقوله (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) يقول : احضروا وجيئوا صفا ؛ والصفّ ههنا مصدر ، ولذلك وحد ، ومعناه : ثم ائتوا صفوفا ، وللصفّ فى كلام العرب موضع آخر ، وهوقول العرب : أتيت الصفّ اليوم يعنى به المصلى الذى يصلى فيه .

وقوله (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) يقول : قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حُدثت عن وهب بن منبه ، قال : جمع فرعون الناس لذلك الجمع ، ثم أمر السحرة فقال : (ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) أى قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : فأجمعت السحرة كيدهم ، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى : (يا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه .

واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا ، فقال بعضهم : كانوا سبعين ألف ساحر ، مع كلّ ساحر منهم حبل وعصا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام الدستوائى ، قال : ثنا القاسم بن أبى بزّة ، قال : جمع فرعون سبعين ألف ساحر ، فألقوا سبعين ألف حبل ، وسبعين ألف عصا ، فألقى موسى عصاه ، فإذا هى ثعبان مبين فاغر به فاه ، فابتلع حبالهم وعصيهم ، (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) عند ذلك ،

فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما، فعند ذلك (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ).

وقال آخرون: بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قال: (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى): ألقوا، فألقوا حبالهم وعصيهم، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا.

وقال آخرون: بل كانوا خمسة عشر ألفا.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثت عن وهب بن منبه، قال: صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه.

وقال آخرون: كانوا تسع مئة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قال: كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون فى ثلاث مئة من الإسكندرية؛ فقالوا لموسى: إما أن تلقى ما معك قبلنا، وإما أن نلقى ما معنا قبلك، وذلك قوله (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) وأنّ فى قوله (إِمَّا أَنْ) فى موضع نصب، وذلك أن معنى الكلام: اختر ياموسى أحد هذين الأمرين: إما أن تأتى قبلنا، وإما أن نكون أوّل من أتى، ولو قال قائل: هو رفع كان مذهبا، كأنه وجّهه إلى أنه خبر كقول القائل:

فَسِيرَا فإمَّا حاجَةٌ تَقْضِيانِها ... وإمَّا مَقِيلٌ صَالِحٌ وصَـدِيقُ[1]

وقوله (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلى.

وقوله (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)، وفى هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الحبال والعصىّ، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه. وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيل حينئذ إلى موسى أنها تسعى.

(١) البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (مصورة الجامعة، الورقة ١٩٨) قال: وقوله «إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى»: أن وأن: فى موضع نصب، والمعنى: اختر إحدى هاتين؛ ولو رفع إذ لم يظهر الفعل، كان صوابا، كأنه خبر، كقول الشاعر: «فسيرا ... البيت». ولو رفع «فإما منا بعد وإما فداء» كان أيضا صوابا. ومذهبه كمذهب قوله: «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» والنصب فى قوله «إما أن تلقى» وفى قوله «فإما منا بعد وإما فداء»: أجود من الرفع، لأنه شىء ليس بعام، مثل ما ترى من معنى قوله «فإمساك» و «فصيام ثلاثة أيام» لما كان المعنى يعم الناس فى الإمساك بالمعروف وفى صيام الثلاثة الأيام فى كفارة اليمين، كان كالجزاء، فرفع لذلك، والاختيار إنما هى فعلة واحدة.

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حُدثت عن وهب بن منبه ، قال : قالوا يا موسى (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ ، وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصى والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا .

واختلفت القراءة في قراءة قوله (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ) فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ) بالياء بمعنى : يخيل إليهم سعيها . وإذا قرئ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع رفع . ورُوي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (تُخَيَّلُ) بالتاء ، بمعنى : تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى . ومن قرأ ذلك كذلك ، كانت « أن » في موضع نصب لتعلق تخيل بها . وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه (تُخَيِّلُ إِلَيْهِ) بمعنى : تتخيل إليه . وإذا قرئ ذلك كذلك أيضا فـ « أن » في موضع نصب بمعنى : تتخيل بالسعي لهم .

والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها (يُخَيَّلُ) بالياء ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾

يعني تعالى ذكره بقوله : فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده . وقوله (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) يقول تعالى ذكره : قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) على هؤلاء السحرة ، وعلى فرعون وجنده ، والقاهر لهم (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا) يقول : وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى .

وقوله (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) اختلفت القرّاء في قراءة قوله ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى : إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ) برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة ، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر ، ومكر السحر وخدعته : تخيله إلى المسحور ، على خلاف ما هو به في حقيقته ، فالساحر كائد بالسحر ، والسحر كائد بالتخييل ، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب . وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ (كَيْدَ سِحْرٍ) بنصب كيد . ومن قرأ ذلك كذلك ، جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها .

وقوله (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) يقول : ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان .

وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : معنى ذلك : أن الساحر يُقتل حيث وُجد . وذكر بعض نحويى البصرة ، أن ذلك فى حرف ابن مسعود (وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى) وقال : العرب تقول : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم . وقال غيره من أهل العربية الأول : جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال : وأما قول العرب : جئتك من حيث لا تعلم ، ومن أين لا تعلم ، فإنما هو جواب لم يفهم ، فاستفهم كما قالوا : أين الماء والعشب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝

وفى هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو : فألقى موسى عصاه ، فتلقفت ما صنعوا (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسَى) وذكر أن موسى لما ألقى ما فى يده تحوّل ثعبانا ، فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصىّ .

ذكر الرواية عمن قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما اجتمعوا وألقوا ما فى أيديهم من السحر ، (خيل إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى . وأَلْقِ مافِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا) فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين قال : فتحت فما لها مثل الدحل ، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر ، ثم استوعبت كلّ شيء ألقوه من السحر ، ثم جاء إليها فقبض عليها ، فإذا هى عصا ، فخرّ السحرة سجدا (قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَمُوسَى . قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ، فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ) قال : فكان أوّل من قطع الأيدى والأرجل من خلاف فرعون (وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) قال : فكان أوّل من صلب فى جذوع النخل فرعون.

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) فأوحى الله إليه (لا تَخَفْ - وأَلْقِ مافِي يَمِينِكَ - تَلْقَفْ ما يأفِكُونَ - فَأَلْقَى عَصاهُ) فأكلت كلّ حية لهم ، فلما رأوا ذلك سجدوا و(قالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ ، رَبِّ هارُونَ وَمُوسَى) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حُدثت عن وهب بن منبه (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصىّ وخيل إليه أنها تسعى ، وقال : والله إن كانت لعصيا فى أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاى هذه ، أو كما حدّث نفسه ، فأوحى الله

إليه أن (أَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) وفرح موسى فألقى عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم ، وهى حيات فى عين فرعون وأعين الناس تسعى ، فجعلت تلقفها ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى بالوادى قليل ولا كثير مما ألقوا . ثم أخذها موسى فإذا هى عصا فى يده كما كانت ، ووقع السحرة سجدا، قالوا : آمنا برب هارون وموسى : لو كان هذا سحرا ما غلبنا .

وقوله (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) يقول جل ثناؤه : وقال فرعون للسحرة : أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ) يقول : إن موسى لعظيمكم (الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) .

كما حدثنا ابن حميد . قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . قال : حُدثت عن وهب بن منبه ، قال : لما قالت السحرة : (آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) قال لهم فرعون . وأسف ورأى الغلبة والبينة : (آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) : أى لعظيم السحار الذى علمكم . وقوله (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) يقول : فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين ، أو يسرى اليدين ، ويمنى الرجلين ، فيكون ذلك قطعا من خلاف ، وكان فيما ذُكر أول من فعل ذلك فرعون ، وقد ذكرنا الرواية بذلك . وقوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ) يقول : ولأصلبنكم على جذوع النخل ، كما قال الشاعر :

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِىَّ فِى جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا[1]

يعنى على جذع نخلة ، وإنما قيل : فى جذوع ، لأن المصلوب على الخشبة يرفع فى طولها ، ثم يصير عليها ، فيقال : صلب عليها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ) لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا ، وآمنوا عند ذلك ، قال عدو الله : (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) . . . الآية .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، ، قال فرعون : (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ . وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ) فقتلهم وقطعهم ، كما قال عبدالله بن عباس حين قالوا : (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) وقال كانوا فى أول النهار سحرة ، وفى آخر النهار شهداء .

(١) البيت لسويد بن أبى كاهل اليشكرى (اللسان : عبد) قال : قال سيبويه : النسبة إلى عبد القيس عبدى ، وهو من القسم الذى أضيف فيه الأول ، لأنهم لو قالوا : قيسى ، لا لتبس بالمضاف إلى قيس عيلان ونحوه ، قال سويد بن أبى كاهل : « وهم صلبوا . . . البيت » . قال ابن برى : قوله بأجدعا ، أى بأنف أجدع ، فحذف الموصوف ، وأقام صفته مكانه . واستشهد المؤلف بقوله : صلبوا العبدى فى جذع نخلة أى على جذع نخلة ، كقول القرآن : « و لأصلبنكم فى جذوع النخل » . وإنما ذلك على الاستعارة التبعية فى الحرف (فى) بتشبيه الاستعلاء بالظرفية ، بجامع التمكن فى كل منهما .

وقوله (وَلَتَعْلَمُنَّ أيُّنا أشدُّ عَذَابا وأبْقَى) يقول : ولتعلمنّ أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم ، وأدوم ، أنا أو موسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾

❁ يقول تعالى ذكره : قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعّدهم به (لَنْ نُؤْثِرَكَ) فنتبعك ونكذّب من أجلك موسى (عَلَى ماجاءَنا مِنَ البَيِّناتِ) يعنى من الحجج والأدلة على حقيقة مادعاهم إليه موسى . (وَالَّذِى فَطَرَنا) يقول : قالوا لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ، وعلى الذى فطرنا ، ويعنى بقوله (فَطَرَنا) خلقنا ، فالذى من قوله (وَالَّذِى فَطَرَنا) خفض على قوله (ما جاءَنا) ، وقد يحتمل أن يكون قوله (وَالَّذِى فَطَرَنا) خفضا على القسم ، فيكون معنى الكلام : لن نؤثرك على ماجاءنا من البيّنات والله . وقوله (فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ) يقول : فاصنع ما أنت صانع ، واعمل بنا ما بدا لك (إنما تَقْضِي هَذِهِ الحَياةَ الدُّنْيا) يقول : إنما تقدر أن تعذّبنا فى هذه الحياة الدنيا التى تفنى ، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حُدثت عن وهب بن منبه (لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءَنا مِنَ البَيِّناتِ وَالَّذِى فَطَرَنا) أى على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة (فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ) : أى اصنع ما بدا لك (إنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيا) أى ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لاسلطان لك بعده .

وقوله (إنَّا آمَنَّا بِرَبِّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطَايانا) يقول تعالى ذكره : إنا أقررنا بتوحيد ربنا ، وصدقنا بوعده ووعيده . وأن ما جاء به موسى حقّ (لِيَغْفِرَ لَنا خَطَايانا) يقول : ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا (وَما أكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) يقول : ليغفر لنا ذنوبنا ، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر ، وعملنا به الذى أكرهتنا على تعلّمه والعمل به . وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى بن سهل ، قال : ثنا نعيم بن حماد ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن أبى سعيد ، عن

عكرمة . عن ابن عباس . فى قول الله تبارك وتعالى (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة : تعلمهم السحر بالفَرَما .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : أمرهم بتعلم السحر . قال : تركوا كتاب الله ، وأمروا قومهم بتعليم السحر .

(وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) قال : أمرتنا أن نتعلمه .

وقوله (وَاللهُ خَيْرٌ وأَبْقَى) يقول : والله خير منك يافرعون جزاء لمن أطاعه ، وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق (وَاللهُ خَيْرٌ وأَبْقَى) : خير منك ثوابا ، وأبقى عذابا .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب ، ومحمد بن قيس فى قول الله (وَاللهُ خَيْرٌ وأَبْقَى) قالا : خيرا منك أن أُطيع ، وأبقى منك عذابا إن عُصى .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون : (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبه) من خلقه (مُجْرِما) يقول مكتسبا الكفر به (فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ) يقول : فإن له جهنم مأوى ومسكنا ، جزاء له على كفره (لا يَمُوتُ فِيها) فتخرج نفسه (وَلا يَحْيا) فتستقرّ نفسه فى مقرّها فتطمئنّ ، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنا) موحدا لايُشرك به (قَدْ عَمِلَ الصَّالحاتِ) يقول : قد عمل ما أمره به ربه ، وانتهى عما نهاه عنه (فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى) يقول : فأولئك الذين لهم درجات الجنة العُلَى .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنا قَدْ عَمِلَ الصَّالحاتِ فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى) . ثم بين تلك الدرجات العلى ما هى ، فقال : هن (جَنَّاتُ عَدْنٍ) يعنى : جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء (تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار (خالِدِينَ فيها) يقول : ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة ؛ فالجنات من قوله (جَنَّاتُ عَدْنٍ) مرفوعة بالردّ على الدرجات :

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنا قَدْ عَمِلَ الصَّالحاتِ ، فأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلى) قال : عَدْن .

وقوله (وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) يقول : وهذه الدرجات العلى التى هى جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى ، يعنى : من تطهر من الذنوب ، فأطاع الله فيما أمره ، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى) نبينا (مُوسَى) إذ تابعنا له الحجج على فرعون ، فأبى أن يستجيب لأمر ربه ، وطغى وتمادى فى طغيانه (أَنْ أَسْرِ) ليلا (بِعِبَادِي) يعنى بعبادى من بنى إسرائيل (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) يقول : فاتخذ لهم فى البحر طريقا يابسا . واليَبَس واليَبْس : يجمع أيباس ، تقول : وقفوا فى أيباس من الأرض . واليَبْس المخفف : يجمع يبوس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَبَسًا) قال : يابسا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وأما قوله (لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) فإنه يعنى : لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، فى قوله (لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) يقول : (لا تخافُ) من آل فرعون (دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) مِنَ الْبَحْرِ غرقا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) يقول : لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا ، وهذا البحر قد غشينا ، فأنزل الله (لَا تَخَافُ دَرَكًا) أصحاب فرعون (وَلَا تَخْشَى) من البحر وحلا .

حدثنى أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن بعض أصحابه ، فى قوله (لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) قال : الوحل .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (لا تخافُ دَرَكا) فقرأته عامة قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة : (لا تخافُ دَرَكا) على الاستئناف بلا كما قال (وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسألُكَ رِزْقا) فرفع ، وأكثر ما جاء فى هذا الأمر الجواب مع « لا » . وقرأ ذلك الأعمش وحمزة (لا تَخَفْ دَرَكا) فجزما لاتخاف على الجزاء ، ورفعا (وَلا تَخْشَى) على الاستئناف ، كما قال جل ثناؤه (يُوَلُّوكُمُ الأدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) فاستأنف بثم ، ولو نوى بقوله (وَلا تَخْشَى) الجزم . وفيه الياء كان جائزا . كما قال الراجز :

هُزّى إليْكِ الجِذْعَ يَجْنيكِ الجَنى

وأعجب القراءتين إلى أن أقرأبها (لاتخافُ) على وجه الرفع ، لأن ذلك أفصح اللغتين ، وإن كانت الأخرى جائزة. وكان بعض نحويى البصرة يقول : معنى قوله (لا تخافُ دَرَكا) اضرب لهم طريقا لا تخاف فيه دركا ، قال : وحذف فيه كما تقول : زيد أكرمت وأنت تريد أكرمته، وكما تقول (وَاتَّقُوا يَوْما لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئا) أى لاتجزى فيه . وأما نحويو الكوفة فإنهم ينكرون حذف فيه إلا فى المواقيت ، لأنه يصلح فيها أن يقال : قمت اليوم وفى اليوم، ولا يجيزون ذلك فى الأسماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره : فسرى موسى ببنى إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم ، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر ، فغشى فرعون وجنده من اليم ما غشيهم ، فغرقوا جميعا (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى) يقول جل ثناؤه : وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة ، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله ، وتكذيب رسله (وَمَا هَدَى) يقول : وما سلك بهم الطريق المستقيم ، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى ، والتصديق به ، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك ، ولم يهتدوا باتباعهم إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى

يقول تعالى ذكره : فلما نجا موسى بقومه من البحر ،وغشِي فرعون قومه من اليم ما غشيهم ، قلنا لقوم موسى (يا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى) وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن . وقد بيَّنا المنّ والسلوى باختلاف المختلفين فيهما ،وذكرنا الشواهد على الصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ) فكانت عامة قرّاء المدينة والبصرة يقرءونه (قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ) بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك ، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (قَدْ أَنْجَيْتُكُمْ) بالتاء ، وكذلك سائر الحروف الأخر ، إلا قوله (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى) فإنهم وافقوا الآخرين فى ذلك وقرءوه بالنون والألف .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فمصيب .

وقوله (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ) يقول تعالى ذكره لهم : كلوا يا بنى إسرائيل من شهيات رزقنا الذى رزقناكم ، وحلاله الذى طيبناه لكم (وَلا تَطْغَوْا فِيهِ) يقول : ولا تعتدوا فيه ،ولا يظلم فيه بعضكم بعضا .

كما حدثنا علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (وَلا تَطْغَوْا فِيهِ) يقول : ولا تظلموا .

وقوله (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى) يقول : فينزل عليكم عقوبتى .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى) يقول : فينزل عليكم غضبى .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (فَيَحِلَّ عليكُمْ) بكسر الحاء (وَمَنْ يَحْلِلْ) بكسر اللام . ووجهوا معناه إلى : فيجب عليكم غضبى . وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة (فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ) بضم الحاء ، ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم غضبى .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بنى إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه ، وخوَّفهم وجوبه لهم ، فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب ، لأنهم كانوا قد خوّفوا المعنيين كليهما .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۝ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يجب عليه غضبي ، فينزل به . فقد هوى ، يقول فقد تردّى فشقى .

كما حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَقَدْ هَوَى) يقول : فقد شقي.

وقوله (وإنّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ) يقول : وإنى لذو غفر لمن تاب من شركه ، فرجع منه إلى الإيمان لى وآمن ، يقول : وأخلص لى الألوهة ، ولم يشرك فى عبادته إياى غيرى . (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : وأدّى فرائضى التى افترضتها عليه ، واجتنب معاصيّ . (ثُمَّ اهْتَدَى) يقول : ثم لزم ذلك ، فاستقام ولم يضيع شيئا منه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وإنّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وإنّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ) من الشرك (وآمَنَ) يقول : وحّد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يقول : أدّى فرائضى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وإنّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ) من ذنبه (وآمَنَ) به (وَعَمِلَ صَالِحًا) فيما بينه وبين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازيّ ، عن الربيع (وإنّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ) من الشرك (وآمَنَ) يقول : وأخلص لله ، وعمل فى إخلاصه .

واختلفوا فى معنى قوله (ثُمَّ اهْتَدَى) فقال بعضهم : معناه : لم يشكُك فى إيمانه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ اهْتَدَى) يقول : لم يشكُك .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم لزم الإيمان والعمل الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ اهْتَدَى) يقول : ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم استقام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازىّ ، عن الربيع بن أنس (ثُمَّ اهْتَدَى) قال : أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل معناه : أصاب العمل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال : أصاب العمل .

وقال آخرون : معنى ذلك : عرف أمر مُثيبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الكلبىّ (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ) من الذنب (وَآمَنَ) من الشرك (وَعَمِلَ صَالِحًا) أدّى ما افترضت عليه (ثُمَّ اهْتَدَى) عرف مثيبه إن خيرا فخيرا ، وإن شرّا فشرّا .

وقال آخرون بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزارىّ ، قال : أخبرنا عمر بن شاكر ، قال : سمعت ثابتا البُنانىّ يقول فى قوله (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) قال : إلى ولاية أهل بيت النبىّ صلى الله عليه وسلم .

❁ قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذى اخترنا فى ذلك ، من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة ، فمن فعل ذلك وثبت عليه ، فلا شكّ فى اهتدائه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۞

❁ يقول تعالى ذكره : وما أعجلك ؟ وأىّ شىء أعجلك عن قومك ياموسى ، فتقدمتهم وخلّفتهم وراءك ، ولم تكن معهم ؟ (قَالَ : هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِى) يقول : قومى على أثرى يلحقون بى . (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) يقول : وعجلت أنا فسبقتهم ربّ ، كيما ترضى عنى .

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى : ما أعجلك عن قومك ؟ لأنه جلّ ثناؤه فيما بلغنا ، حين نجاه وبنى إسرائيل من فرعون وقومه ، وقطع بهم البحر ، وعدهم جانب الطور الأيمن ، فتعجّل موسى إلى ربه ؛ وأقام هارون فى بنى إسرائيل ، يسير بهم على أثر موسى :

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وعد الله موسى حين أهلك فرعون

وقومه ونجاه وقومه . ثلاثين ليلة ، ثم أتمها بعشر ، فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ، تلقاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون فى بنى إسرائيل ، ومعه السامرىّ ، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به ، فلما كلم الله موسى ، قال له (وما أعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ ياموسَى . قالَ هُمْ أُولاءِ عَلى أثَرِى وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) قال : لأرضيك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى : فإنا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى .ويعنى بقوله (مِنْ بَعْدِكَ) : من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى (وأضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ) وكان إضلال السامرىّ إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل .

وقوله (فَرَجَعَ مُوسَى إلى قومه) يقول : فانصرف موسى إلى قومه من بنى إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة (غَضْبانَ أسِفا) متغيظا على قومه ، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله .

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (غَضْبانَ أسِفا) يقول : حزينا. وقال فى الزخرف (فَلَمَّا آسَفُونا) يقول : أغضبونا، والأسف على وجهين : الغضب ، والحزن .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (غَضْبانَ أسِفا) يقول : حزينا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا) : أى حزينا على ما صنع قومه من بعده .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أسِفا) قال : حزينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله (قالَ ياقَوْمِ ألَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) يقول : ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، ويعدكم جانب الطور الأيمن ، وينزل عليكم المنّ والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بنى إسرائيل الذى قال لهم موسى : ألم يعدكموه ربكم . وقوله (أفَطالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ ، أمْ أرَدْتُمْ

أنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : أفطال عليكم العهد بى ، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم : يقول : أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل ، وكفركم بالله ، فأخلفتم موعدى ، وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل ، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذى كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل ، ودعاهم إلى السير معه فى أثر موسى (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسَى).

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : قال قوم موسى لموسى : ما أخلفنا موعدك يعنون بموعده عهده الذى كان عهده إليهم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثنا الحارث، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَوْعِدِى) قال : عهدى، وذلك العهد والموعد هو ما بيَّناه قبل .

وقوله (بِمِلْكِنا) يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا : إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا فى الذى وقعنا فيه من الفتنة .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة (بِمَلْكِنا) بفتح الميم . وقرأته عامة قرّاء الكوفة (بِمُلْكِنا) بضم الميم . وقرأه بعض أهل البصرة (بِمِلْكِنا) بالكسر. فأما الفتح والضمّ فهما بمعنى واحد ، وهما بقدرتنا وطاقتنا، غير أن أحدهما مصدر ، والآخر اسم . وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشىء وكونه للمالك .

واختلف أيضا أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما أخلفنا موعدك بأمرنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ عن ابن عباس ، قوله (ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا)يقول : بأمرنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (بِمَلْكِنا) قال : بأمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معناه : بطاقتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) : أى بطاقتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) يقول : بطاقتنا .

وقال آخرون : معناه : ما أخلفنا موعدك بهوانا ، ولكنا لم نملك أنفسنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) قال : يقول بهوانا ، قال ولكنه جاءت ثلاثة ؛ قال ومعهم حلىّ استعاروه من آل فرعون ، وثياب :

قال أبوجعفر : وكلّ هذه الأقوال الثلاثة فى ذلك متقاربات المعنى ، لأن من لم يهلك نفسه ، لغلبة هواه على ما أمر ، فإنه لا يمتنع فى اللغة أن يقول : فعل فلان هذا الأمر ، وهو لا يملك نفسه وفعله ، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه . فإذا كان ذلك كذلك ، فسواء بأىّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ ؛ وذلك أن من كسر الميم من الملك : فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك ، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه ؛ وجعله من قول القائل : هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات ، وأن من فتحها ، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك ، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل : ملكت الشىء أملكه ملكا وملكة ، كما يقال : غلبت فلانا أغلبه غَلَبا وغَلَبة ، وأن من ضمها فانه وجّه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا ، أى ونحن نقدر أن نمتنع منه ، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه . وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضمّ ، فقال : أىّ ملك كان يومئذ لبنى إسرائيل ؛ وإنما كانوا بمصر مستضعفين ، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا ، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذى ظنه هذا المنكر عليهم ذلك ، وإنما قصدوا إلى أن معناه : ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردّها عما أتت ، لأن هواها غالبنا على إخلافك الموعد .

وقوله (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) يقول : ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم يعنون من حلىّ آل فرعون ، وذلك أن بنى إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك ، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم ، وقال إن الله مغنمكم ذلك ، ففعلوا ، واستعاروا من حلىّ نسائهم وأمتعتهم ، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ، أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي . قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ، وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال ، ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَـكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) فهوما كان مع بنى إسرائيل من حلىّ آل فرعون ، يقول : خطئونا بما أصبنا من حلىّ عدوّنا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (أَوْزَارًا) قال : أثقالا . وقوله (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : هى الحلىّ التى استعاروا من آل فرعون ، فهى الأثقال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَـكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا) قال : أثقالا (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : حليهم .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَـكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) يقول : من حلىّ القبط .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَـكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) قال : الحلىّ الذى استعاروه والثياب ليست من الذنوب فى شىء ، أو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها ، فليست من الذنوب فى شىء .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين (حُمِّلْنَا) بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك . وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض المكيين (حَمَلْنَا) بتخفيف الحاء والميم وفتحهما ، بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد .

قال أبوجعفر : والقول عندى فى تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأن القوم حملوا ، وأن موسى قد أمرهم بحمله ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

وقوله (فَقَذَفْنَاهَا) يقول : فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم فى الحفرة (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) يقول : فكما قذفنا نحن تلك الأثقال ، فكذلك ألقى السامرىّ ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قوله (فَقَذَفْنَاهَا) قال : فألقيناها (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) : كذلك صنع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَذَفْنَاهَا) قال : فألقيناها (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) فكذلك صنع .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَقَذَفْنَاهَا) : أى فنبذناها .

وقوله (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ) يقول: فأخرج لهم السامرىّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار ، ويعنى بالخوار : الصوت ، وهو صوت البقر.

ثم اختلف أهل العلم فى كيفية إخراج السامرىّ العجل، فقال بعضهم : صاغه صياغة ، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل فى فمه فخار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) قال : كان الله وقّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر؛ فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامرى : إنما أصابكم الذى أصابكم عقوبة بالحلىّ الذى كان معكم ، فهلموا وكانت حليا تعيروها[1] من آل فرعون ، فساروا وهى معهم ، فقذفوها إليه ، فصوّرها صورة بقرة، وكان قد صرّ فى عمامته أو فى ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل، فقذفها مع الحلىّ والصورة (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ) فجعل يخور خوار البقر ، فقال (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،عن قتادة، قال : لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامرىّ : إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحلىّ ، وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامرىّ فصاغ منه عجلا ، ثم أخذ القبضه التى قبض من أثر الفرس فرس الملك فنبذها فى جوفه ، فاذا هو عجل جسد له خوار ، قالوا : هذا إلهكم وإله موسى ، ولكن موسى نسى ربه عندكم.

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ، قال أخذ السامرىّ من تربة الحافر ، حافر فرس جبرئيل ؛ فانطلق موسى واستخلف هارون على بنى إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة ، فأتمها الله بعشر ، قال لهم هارون : يابنى إسرائيل إن الغنيمة لاتحلّ لكم، وإن حلىّ القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعا ، فاحفروا لها حفرة فادفنوها ، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه فجمعا ذلك الحلىّ فى تلك الحفرة فجاء السامرىّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلىّ عجلا جسدا له خوار ، وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوما ، واليوم يوما ؛ فلما كان لعشرين خرج لهم العجل؛ فلما رأوه قال لهم السامرىّ (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) فعكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشى (فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ذلك حين قال لهم هارون : احفروا لهذا الحلىّ حفرة واطرحوه فيها ، فطرحوه ، فقذف السامرىّ تربته. وقوله (فَقَالَ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) يقول : فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى. وقوله (فَنَسِيَ) يقول : فضلّ وترك .

ثم اختلف أهل التأويل فى قوله (فَنَسِيَ) من قائله ومن الذى وصف به وما معناه ، فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامرىّ، والسامرىّ هو الموصوف به، وقالوا: معناه : أنه ترك الدين الذى بعث الله به موسى وهو الإسلام .

(١) لعله : تعوروها : أى استعاروها ، كما أورده فى اللسان فى قصة العجل من حديث ابن عباس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جُبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : يقول الله (فَنَسِيَ) : أى ترك ما كان عليه من الإسلام ، يعنى السامرى.

وقال آخرون : بل هذا خبر من الله عن السامرىّ، أنه قال لبنى إسرائيل، وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه ، فأضلّ موضعه ، وهو هذا العجل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس (فَقَذَفْنَاهَا) يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرىّ لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار (فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى) الذى انطلق يطلبه (فَنَسِيَ) يعنى: نسى موسى ، ضلّ عنه فلم يهتد له .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (فَنَسِيَ) يقول : طلب هذا موسى فخالفه الطريق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمر ، عن قتادة (فَنَسِيَ) يقول : قال السامرىّ : موسى نسى ربه عندكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، قوله (فَنَسِيَ) موسى ، قال : هم يقولونه: أخطأ الربّ العجل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَنَسِيَ) قال : نسى موسى أخطأ الربّ العجل قوم موسى يقولونه .

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَنَسِيَ) يقول : ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) قال : يقول : فنسى حيث وعده ربه ههنا ، ولكنه نسى .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) يقول: نسى موسى ربه فأخطأه ، وهذا العجل إله موسى .

⁂ قال أبو جعفر : والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامرىّ أنه وصف موسى بأنه نسى ربه، وأن ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه السامرىّ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى ، وهو أن يكون خبرا من السامرىّ عنه بذلك أشبه من غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره موبخا عَبَدة العجل، والقائلين له (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) ، وعابهم بذلك ، وسفَّه أحلامهم بما فعلوا ونالوا منه : أفلا يرون أن العجل الذى زعموا أنه إلههم وإله موسى لايكلمهم . وإن كلَّموه لم يردّ عليهم جوابا . ولا يقدر على ضرّ ولا نفع ، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم . قال : ثنا عيسى « ح » ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لايَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً) العجل .

حدّثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد (أفَلا يَرَوْنَ ألاَّ يَرجِعُ إلَيْهِمْ قَوْلاً) قال : العجل .

حدثنا بِشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال الله (أفَلا يَرَوْنَ ألاَّ يَرْجِعُ إلَيْهِمْ) ذلك العجل الذى اتخذوه (قَوْلاً ، وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعا) .

وقوله (وَلَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ مِنْ قَبْلُ) : يقول : لقد قال لعبدة العجل من بنى إسرائيل هارون ، من قبل رجوع موسى إليهم ، وقيله لهم ماقال ، مما أخبر الله عنه (إنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ) يقول : إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل ، الذىأحدث فيهم الخوار ، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المر يض القلب ، الشاكّ فى دينه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال لهم هارون (إنَّما فُتِنْتُمْ بِهِ) يقول : إنما ابتليتم به ، يقول : بالعجل .

وقوله (وَإنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فاتَّبِعُونِي وأطِيعُوا أمْرِي) : يقول : وإن ربكم الرحمن الذى يعمّ جميع الخلق نعمه ، فاتّبعونى على ما آمركم به من عبادة الله ، وترك عبادة العجل ، وأطيعوا أمرى فيما آمركم به من طاعة الله ، وإخلاص العبادة له . وقوله (قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ) يقول : قال عَبَدة العجل من قوم موسى : لن نزال على العجل مقيمين نعبده ، حتى يرجع إلينا موسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾

⁂ يقول تعالى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعته إياهم على ما كان من خطأ فعالهم: يا هارون أيّ شيء منعك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم، فكفروا بالله وعبدوا العجل ألا تتبعنى.

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عذله على تركه السير بمن أطاعه فى أثره على ما كان عهد إليه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال، لما قال القوم (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسَى) أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفتتن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى (فَرَّقْتَ بينَ بَنى إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلى) وكان له هائبا مطيعا

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قوله (ما مَنَعَكَ إِذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ) قال: تدعهم.

وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله (ما مَنَعَكَ إِذْ رأيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّ تَتَّبِعَنِ) قال: أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله (أَنْ لاتَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى) بذلك، وقوله (قالَ يا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلا بِرأْسِى) وفى هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه، فقال هارون (يابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلا بِرأْسِى).

وقوله (إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بينَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلى) فاختلف أهل العلم فى صفة التفريق بينهم، الذى خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه فى أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد (قالُوا) له (لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حَتى يَرْجِعَ إِلَيْنا مُوسَى) فيقول له موسى (فَرَّقْتَ بينَ بَنِى إِسْرائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلى) بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، فى قول الله تعالى (ما مَنَعَكَ إِذْ

رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى) قال (خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى) قال : خشيت أن يتبعنى بعضهم ويتخلف بعضهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (إنى خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولى)قال : كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى .

قال أبوجعفر : وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، القول الذى قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان ، فقال له هارون : إنى خشيت أن تقول ، فرقت بين جماعتهم ، فتركت بعضهم وراءك ، وجئت ببعضهم ، وذلك بيّن فى قول هارون للقوم (يا قوم إنما فتنتم به . وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى) وفى جواب القوم له وقيلهم (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) .

وقوله (ولم ترقب قولى) يقول : ولم تنظر قولى وتحفظه . من مراقبة الرجل الشىء ، وهى مناظرته بحفظه .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (ولم ترقب قولى) قال : لم تحفظ قولى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (فما خطبك يا سامرى) قال موسى للسامرى : فما شأنك ياسامرى ، وما الذى دعاك إلى ما فعلته .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فما خطبك ياسامرى) قال : ماأمرك ؟ ما شأنك ؟ ما هذا الذى أدخلك فيما دخلت فيه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (قال فما خطبك يا سامرى) قال : مالك يا سامرى .

وقوله (بصرت بما لم يبصروا به) يقول : قال السامرى : علمت ما لم يعلموه ، وهو فعلت من البصيرة : أى صرت بما عملت بصيرا عالما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما قتل فرعون الولدان

قالت أمّ السامرىّ : لو نحيته عنى حتى لا أراه ، ولا أدرى قتله ، فجعلته فى غار ، فأتى جبرئيل ، فجعل كفّ نفسه فى فيه ، فجعل يُرضعه العسل واللبن ، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه ، فمن ثم معرفته إياه حين قال (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) .

وقال آخرون : هى بمعنى : أبصرت ما لم يبصروه ، وقالوا : يقال : بصرت بالشىء وأبصرته ، كما يقال : أسرعت وسرعت ما شئت .

ذكر من قال : هو بمعنى أبصرت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) يعنى فرس جبرئيل عليه السلام .

وقوله (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) يقول : قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون فى النار ، وتكسرت ورأى السامرىّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام ، فأخذ ترابا من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها ، وقال : كن عجلا جسدا له خوار ، فكان للبلاء والفتنة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال قبض قبضة منه من أثر جبرئيل ، فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار . فقال : هذا إلهكم وإله موسى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، جميعا عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا) قال : من تحت حافر فرس جبرئيل نبذه السامرىّ على حلية بنى إسرائيل ، فانسبك عجلا جسدا له خوار ، حفيف الريح فيه فهو خواره ، والعجل : ولد البقرة .

واختلف القرّاء فى قراءة هذين الحرفين ، فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء ، بمعنى : قال السامرىّ : بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) بالتاء على وجه المخاطبة لموسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بمعنى : قال السامرىّ لموسى : بصرت بما لم تبصر به أنت وأصحابك .

والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء مع صحة معنى كل واحدة منهما ، وذلك أنه جائز أن يكون السامرىّ رأى جبرئيل ، فكان عنده ما كان بأن حدثته نفسه بذلك ، أو بغير ذلك من الأسباب ، أن تراب حافر فرسه الذى كان عليه يصلح لما حدث عنه حين نبذه

فى جوف العجل . ولم يكن علم ذلك عند موسى ، ولا عند أصحابه من بنى إسرائيل، فلذلك قال لموسى : (بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ) : أى علمت بما لم تعلموا به . وأما إذا قرئ (بَصُرْتُ بما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء . فلا مؤنة فيه ، لأنه معلوم أن بنى إسرائيل لم يعلموا ما الذى يصلح له ذلك التراب .

وأما قوله (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ) فإن قرّاء الأمصار على قراءته بالضاد ، بمعنى : فأخذت بكفى ترابا من تراب أثر فرس الرسول .

وروى عن الحسن البصرى وقتادة ما حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن عوف ، عن الحسن أنه قرأها (فَقَبَصْتُ قَبْصَةً) بالصاد .

وحدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد ، عن قتادة مثل ذلك بالصاد . بمعنى : أخذت بأصابعى من تراب أثر فرس الرسول ، والقبضة عند العرب : الأخذ بالكفّ كلها ، والقبصة : الأخذ بأطراف الأصابع .

وقوله (فَنَبَذْتُهَا) يقول : فألقيتها (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِي) يقول : وكما فعلت من إلقائى القبضة التى قبضت من أثر الفرس على الحلية التى أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار . (سَوَّلَتْ لِى نَفْسِي) يقول : زينت لى نفسى أنه يكون ذلك كذلك .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِي) قال : كذلك حدثتنى نفسى .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

✲ يقول تعالى ذكره : قال موسى للسامرىّ : فاذهب فإن لك فى أيام حياتك أن تقول : لامساس : أى لاأمسّ ، ولا أُمَسّ .. وذُكر أن موسى أمر بنى إسرائيل أن لايؤاكلوه ، ولا يخالطوه ، ولا يبايعوه ، فلذلك قال له : إن لك فى الحياة أن تقول لامساس ، فبقى ذلك فيما ذكر فى قبيلته .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان والله السامرىّ عظيما من عظماء بنى إسرائيل ، من قبيلة يقال لها سامرة ، ولكن عدوّ الله نافق بعد ما قطع البحر مع بنى إسرائيل . قوله (فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ) فبقاياهم اليوم يقولون لامساس .

وقوله (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ) اختلفت القرّاء فى قراءته ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (لَنْ تُخْلَفَهُ) بضم التاء وفتح اللام بمعنى : وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك على مافعلت من

إضلالك قومى حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن يخلفكه الله ، ولكن يذيقكه . وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نهيك (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ) بضم التاء وكسر اللام ، بمعنى : وإن لك موعدا لن تخلفه أنت ياسامرىّ ، وتأوّلوه بمعنى : لن تغيب عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، قال : سمعت أبا نهيك يقرأ (لَنْ تُخْلِفَهُ أَنْتَ) يقول : لن تغيب عنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ) يقول لن تغيب عنه .

قال أبو جعفر : والقول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، لأنه لاشكّ أن الله موف وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب ، وأن الخلق موافون ذلك اليوم ، فلا الله مخلفهم ذلك ، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك .

وقوله (وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يقول : وانظر إلى معبودك الذى ظلت عليه مقيما تعبده .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله : (ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) الذى أقمت عليه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال له موسى (انْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا) يقول : الذى أقمت عليه . وللعرب فى ظلت : لغتان : الفتح فى الظاء ، وبها قرأ قرّاء الأمصار والكسر فيها ، وكأن الذين كسروا نقلوا حركة اللام التى هى عين الفعل من ظللت إليها ، ومن فتحها أقرّ حركتها التى كانت لها قبل أن يحذف منها شىء ، والعرب تفعل فى الحروف التى فيها التضعيف ذاك ، فيقولون فى مَسِسْتُ مَسْتُ ومِسْتُ وفى هممت بذلك : همت به ، وهل أحست فلانا وأحسسته ، كما قال الشاعر :

خَلَا أَنَّ العِتَاقَ مِنَ المَطَايَا أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ (١)

---

(١) البيت لأبى زبيد الطائى (اللسان : حسس) . ورواية الشطر الثانى فيه : « حسين به فهن إليه شوس » . قال : حس بالشىء يحس (كيقتل) حسا (بالفتح) وحسا (بالكسر) وحسيسا ، وأحس به ، وأحسه : شعر به . وأما قولهم « أحست بالشىء » فعلى الحذف كراهية التقاء المثلين . قال سيبويه : وكذلك يفعل فى كل بناء يبنى اللام من الفعل منه على السكون ، ولا تصل إليه الحركة ، شبهوها بأقمت . الأزهرى : ويقال : هل أحست : بمعنى أحسست . ويقال : حست بالشىء إذا علمته وعرفته . قال : ويقال : أحسست الخبر وأحسته وحسيت وحست : إذا عرفت منه طرفا وتقول ما أحسست بالخبر وما أحست وماحسيت وما حست : أى لم أعرف منه شيئا ... وربما قالوا : حسيت بالخبر ، وأحسيت به ، يبدلون من السين ياء ، قال أبو زبيد : «خلا أن . . . البيت » . قال الجوهرى وأبو عبيدة يروى بيت أبى زبيد ؛ « أحسن به فهن إليه شوس » . وأصله أحسسن . اه . ويقال فى ظل وما أشبهه من كل مضعف مكسور العين فى الماضى : ظللت أفعل كذا ، بلامين ، وظلت أفعل كذا بحذف اللام الأولى ، وبفتح الفاء . وظلت أفعل كذا ، بحذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء .

وقوله (لَنُحَرِّقَنَّهُ) اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك . فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وتشديد الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار قطعة قطعة. ورُوى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك (لَنُحْرِقَنَّهُ) بضم النون ، وتخفيف الراء ، بمعنى : لنحرقنه بالنار إحراقة واحدة ، وقرأه أبو جعفر القارئ (لَنَحْرُقَنَّهُ) بفتح النون وضم الراء بمعنى : لنبردنه بالمبارد من حرقته أحرقه وأحرّقه ، كما قال الشاعر :

بِذِى فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ نُيُوبَهُمُ عَلَيْنَا يَحْرُقُونا[1]

والصواب فى ذلك عندنا من القراءة (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بضم النون وتشديد الراء ، من الإحراق بالنار.

كما حدثنى علىّ قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس، قوله : (لَنُحَرِّقَنَّهُ) يقول : بالنار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس (لَنُحَرِّقَنَّهُ) فحرّقه ثم ذراه فى اليم ، وإنما اخترت هذه القراءة لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وأما أبو جعفر ، فانى أحسبه ذهب إلى ما حدثنا به موسى بن هارون، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ(وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً) ثم أخذه فذبحه ، ثم حرقه بالمبرد ، ثم ذراه فى اليم ، فلم يبق بحر يومئذ إلا وقع فيه شيء منه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة(وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً) قال : وفى بعض القراءة لنذبحنه ثم لنحرقنه، ثم لننسفنه فى اليمّ نسفا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى حرف ابن مسعود (وَانْظُرْ إلى إلهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفاً ، لَنَذْبَحَنَّهُ ثُمَّ لَنُحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليم نَسْفاً).

وقوله(ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً) يقول : ثم لنذرّينه فى البحر تذرية، يقال منه : نسف فلان الطعام بالمنسف : إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت أنشده المفضل الضبى ونسبه لعامر بن شقيق (اللسان : حرق، ومعجم ما استعجم للبكرى ٢١٠) وذو فرقين -أو ذات فريقين كما فى معجم ما استعجم : هضبة ببلاد بنى تميم ، بين طريق البصرة والكوفة ، وهى إلى البصرة أقرب . اه . وفى شرح الحماسة للتبريزى (٢ : ٦٧) نسب القصيدة لعامر بن شقيق من بنى كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك . وقبل البيت :

فإنك لو رأيت ولن تريه أكف القوم تخرق بالقنينا

قال : وذو فرقين : هضبة فى بلاد بنى أسد ، من ناحية الفرات . وقوله « بذى فرقين » : يجوز أن يتعلق بقوله : « لو رأيت » ، ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا . وكذلك قوله « يوم بنى حبيب » : ويجوز أن يكون ظرفا لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان : أحدهما للزمان والآخر للمكان ، وأضاف اليوم إلى الجملة التى بعده . لأن الأزمنة تضاف إلى الجمل ، من الابتداء والخبر ، والفعل والفاعل ، تبيينا لها . ويقال : هو يحرق أنيابه : إذا حك بعضها ببعض تهديدا ، ويقال : هو يحرق عليه الأرم ، أى يصرف بأنيابه تغيظا . ويقال : حرقه بالمبرد : إذا برده . وحكى أبو حاتم : فلان يحرق نابه على ، برفع الباء ، لأن هو الذى يحرق . وقال أبو العلاء قوله «بذى فرقين» : أراد : ذات فرقين ، فذكر على معنى الموضع أو الجبل وهى التى ذكرها عبيد فى قوله * فذات فرقين فالقليب * قيل : هى ثنية كسنام الفالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) يقول : لنذرينه فى البحر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال . ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : ذراه فى اليمّ ، واليمّ : البحر .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : ذراه فى اليم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة فى اليمّ ، قال : فى البحر .

وقوله (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) يقول : ما لكم أيها القوم معبود ، إلا الذى له عبادة جميع الخلق لاتصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغى أن تكون إلا له (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : أحاط بكل شىء علما فعلمه ، فلا يخفى عليه منه شىء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك ، يقال منه : فلان يسع لهذا الأمر : إذا أطاقه وقوى عليه ، ولا يسع له : إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه .

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) يقول : ملأ كلّ شىء علما تبارك وتعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : كما قصصنا عليك يامحمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بنى إسرائيل مع موسى (كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ) يقول : كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التى قد سبقت من قبلك ، فلم تشاهدها ولم تعاينها . وقوله (وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا) يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم : وقد آتيناك يامحمد من عندنا ذكرا يتذكر به ، ويتعظ به أهل العقل والفهم ، وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه ، فجعله ذكرى للعالمين . وقوله (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) يقول تعالى ذكره : من ولى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ ، (فإنه يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) يقول : فإنه يأتى ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا ، وذلك الإثم العظيم .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) قال : إثما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره : خالدين فى وزرهم، فأخرج الخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره فى الدنيا أنهم خالدون فى أوزارهم ، والمعنى : أنهم خالدون فى النار بأوزارهم، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفى بما ذكر عما لم يذكر .

وقوله (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَة حملا) يقول تعالى ذكره : وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا ، وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك ، وقد أوردهم مهلكة لامنجى منها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً) يقول : بئسما حملوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال: ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَة حِمْلاً) يعنى بذلك : ذنوبهم .

وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة ، يوم ينفخ فى الصور، فقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) ردّ على يوم القيامة. وقد بيَّنا معنى النفخ فى الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين فى معنى الصور، والصحيح فى ذلك من القول عندى بشواهده المغنية عن إعادته فى هذا الموضع قبل.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) بالياء وضمها على مالم يسمّ فاعله ، بمعنى : يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ فى الصور وكان أبوعمرو بن العلاء يقرأ ذلك(يَوْمَ نَنْفُخُ فِى الصُّورِ) بالنون بمعنى : يوم ننفخ نحن فى الصور ، كأن الذى دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) إذ كان لاخلاف بين القرّاء فى نحشر أنها بالنون .

قال أبوجعفر : والذى أختار فى ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسمّ فاعله ، لأن ذلك هو القراءة التى عليها قرّاء الأمصار وإن كان للذى قرأ أبوعمرو وجه غير فاسد .

وقوله (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقا)يقول تعالى ذكره : ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا ، فقيل : عنى بالزرق فى هذا الموضع: ما يظهر فى أعينهم من شدة العطش الذى يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق. وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذى قال الله(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيا) . وقوله (يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً

يقول تعالى ذكره : يتهامسون بينهم ، ويسرّ بعضهم إلى بعض : إن لبثتم فى الدنيا ، يعنى أنهم يقول بعضهم لبعض : ما لبثتم فى الدنيا إلا عشرا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) يقول : يتسارُّون بينهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) : أى يتسارُّون بينهم (إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ ١٠٤

يقول تعالى ذكره : نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم (إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْرًا) بما يقولون لا يخفى علينا مما يتسارّونه بينهم شىء (إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ يَوْماً) يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا ، وأعلمهم فيهم : إن لبثتم فى الدنيا إلا يوما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، فى قوله (إذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً) أوفاهم عقلا . وإنما عنى جلّ ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة ، وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه فى الدنيا من النعيم واللذّات ، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان ، حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم ، وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾ ١٠٥ ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ ١٠٦ ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ ١٠٧

يقول تعالى ذكره : ويسألك يا محمد قومك عن الجبال ، فقل لهم : يذريها ربى تذرية ، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ، ودكّ بعضها على بعض ، وتصييره إياها هباء منبثا (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) يقول تعالى ذكره : فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا ، قاعا : يعنى : أرضا ملساء ، صفصفا : يعنى مستويا لا نبات فيه ، ولا نشز ، ولا ارتفاع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (قاعا صَفْصَفا) يقول : مستويا لانبات فيه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَيَذَرُها قاعا صَفْصَفا) قال : مستويا ، الصفصف : المستوى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا عبدالله بن يوسف ، قال : ثنا عبدالله بن لهيعة ، قال : ثنا أبوالأسود ، عن عروة ، قال : كنا قعودا عند عبدالملك حين قال كعب : إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة ، فقال : كذب كعب ، إنما الصخرة جبل من الجبال ، إن الله يقول (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبّى نَسْفا) فسكت عبد الملك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (صَفْصَفا) قال : مستويا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال أبو جعفر : وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول : القاع : مستنقع الماء ، والصفصف : الذى لانبات فيه .

وقوله (لاتَرَى فيها عِوَجا وَلا أمْتا) يقول : لاترى فى الأرض عوجا ولا أمتا .

واختلف أهل التأويل فى معنى العوج والأمت ، فقال بعضهم : عنى بالعوج فى هذا الموضع : الأودية ، وبالأمت : الروابى والنشوز .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لاتَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا) يقول : واديا ، ولا أمتا : يقول : رابية .

حدثنى محمد بن عبد الله المخرمى ، قال : ثنا أبوعامر العقدى ، عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان ، قال : سمعت عكرمة ، قال : سئل ابن عباس ، عن قوله (لاتَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا) قال : هى الأرض البيضاء ، أو قال : الملساء التى ليس فيها لبنة مرتفعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا) قال : ارتفاعا ، ولا انخفاضا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لاتَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا) قال : لاتعادى ، الأمت : التعادى .

وقال آخرون : بل عنى بالعوج فى هذا الموضع : الصدوع ، و بالأمت : الارتفاع من الآكام وأشباهها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) قال : صدعا (وَلَا أَمْتًا) يقول : ولا أكمة .

وقال آخرون : عنى بالعوج : الميل ، وبالأمت : الأثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا) يقول : لا ترى فيها ميلا ، والأمت : الأثر مثل الشراك .

وقال آخرون : الأمت : المحانى والأحداب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : الأمت : الحدب .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى بالعوج : الميل ، وذلك أن ذلك هو المعروف فى كلام العرب .

فإن قال قائل : وهل فى الأرض اليوم من عوج ، فيقال : لا ترى فيها يومئذ عوجا . قيل : إن معنى ذلك : ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة ، كما يحتاج اليوم من أخذ فى بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا ، وأحيانا شمالا ، لما فيها من الجبال والأودية والبحار . وأما الأمت فإنه عند العرب : الانثناء والضعف ، مسموع منهم ، مدّ حبله حتى ماترك فيه أمتا : أى انثناء ؛ وملأ سقاءه حتى ماترك فيه أمتا ؛ ومنه قول الراجز :

ما فِي انْجِذَابِ سَيْرِهِ مِنْ أَمْتِ (١)

يعنى : من وهن وضعف ، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال فى تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض ، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ، ولا ارتفاعا ، ولا انخفاضا ، ولكنها مستوية ملساء ، كما قال جلّ ثناؤه (قاعا صَفْصَفًا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

(١) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما فى (اللسان : أمت) والرواية فيه : * مافى انطلاق ركبه من أمت * قال : وفى حديث أبى سعيد الخدرى : « أن النبى صلى الله عليه وسلم حرم الخمر ، فلا أمت فيها ، وأنا أنهى عن السكر والمسكر » . قال أبو منصور : معنى قول أبى سعيد عن النبى : أراد أنه حرمها تحريما لاهوادة فيه ولا لين ، لكنه شدد فى تحريمها ؛ وهو من قولك : سرت سيرا لا أمت فيه : أى لا وهن فيه ولا ضعف . وجائز أن يكون المعنى أنه حرمها تحريما لاشك فيه . وأصله من الأمت بمعنى الحزر والتقدير ، لأن الشك يدخلها . قال العجاج * ما فى انطلاق ركبه من أمت * أى من فتور واسترخاء . اهـ .

يقول تعالى ذكره : يومئذ يتبع الناس صوت داعى الله الذى يدعوهم إلى موقف القيامة ، فيحشرهم إليه (لاعِوَجَ لَهُ) يقول : لاعوج لهم عنه ولا انحراف . ولكنهم سراعا إليه ينحشرون . وقيل : لاعوج له . والمعنى : لاعوج لهم عنه . لأن معنى الكلام ماذكرنا من أنه لايعوجون له ولا عنه . ولكنهم يؤمونه ويأتونه . كما يقال فى الكلام : دعانى فلان دعوة لاعوج لى عنها : أى لاأعوج عنها . وقوله (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) يقول تعالى ذكره : وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع . والمعنى لأهلها إنهم خُضَّع جميعهم لربهم . فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن .

كما حدثنى علىّ . قال : ثنا أبو صالح . قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) يقول : سكنت .

وقوله (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يقول : إنه وطء الأقدام إلى المحشر . وأصله : الصوت الخفىّ ، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه ؛ ومنه قول الراجز :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إِنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا(١)

يعنى بالهمس : صوت أخفاف الإبل فى سيرها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب . قال : ثنا علىّ بن عابس . عن عطاء . عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قال : وطء الأقدام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى . قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قوله (وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يعنى : همس الأقدام ، وهو الوطء .

حدثنى علىّ . قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) يقول : الصوت الخفىّ .

حدثنا إسماعيل بن موسى السدىّ . قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الرحمن بن الأصبهانى ، عن عكرمة (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قال : وطء الأقدام .

حدثنا ابن بشار . قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا حماد ، عن حميد ، عن الحسن (فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) قال : همس الأقدام .

(١) البيت مما أنشده ابن عباس ، وقد نقله عنه السيوطى فى الإتقان وكثير من المفسرين ، ومنهم المؤلف ، ونقل صاحب (اللسان همس) شطره الأول . وهو « وهن يمشين بنا هميسا » قال : وهو صوت نقل أخفاف الإبل . اهـ . وقال فى أول المادة : الهمس : الخفى من الصوت والوطء والأكل . وفى التنزيل : « فلا تسمع إلا همسا » . فى التهذيب : يعنى به والله أعلم : خفق الأقدام على الأرض . وقال الفراء : يقال إنه نقل الأقدام إلى المحشر . ويقال : الصوت الخفى . وروى عن ابن عباس أنه تمثل فأنشد : « وهن يمشين بنا هميسا .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا) قال قتادة : كان الحسن يقول : وقع أقدام القوم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا) قال : تهافتا ، وقال : تخافت الكلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَمْسًا) قال : خفض الصوت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، قال : خفض الصوت ، قال : وأخبرنى عبدالله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفتيه ولسانه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله (فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا) يقول : لا تسمع إلا مشيا ، قال : المشي الهمس : وطء الأقدام .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ) شفاعة (مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) وأدخل فى الكلام له دليلا على إضافة القول إلى كناية « مَنْ » وذلك كقول القائل الآخر : رضيت لك عملك ، ورضيته منك ، وموضع مَن من قوله (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ) نصب لأنه خلاف الشفاعة .

وقوله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول تعالى ذكره : يعلم ربك يا محمد ما بين أيدى هؤلاء الذين يتبعون الداعى من أمر القيامة ، وما الذى يصيرون إليه من الثواب والعقاب (وَمَا خَلْفَهُمْ) يقول : ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الساعة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الدنيا .

وقوله (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) يقول تعالى ذكره : ولا يحيط خلقه به علما . ومعنى الكلام : أنه محيط بعباده علما ، ولا يحيط عباده به علما . وقد زعم بعضهم : أن معنى ذلك : أن الله يعلم ما بين أيدى ملائكته وما خلفهم ، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدى أنفسهم وما خلفهم ، وقال : إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة ، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها ، موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك ، فكيف يعبد ، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۞ ﴾

يقول تعالى ذكره : استأسرت وجوه الخلق ، واستسلمت للحىّ الذى لا يموت ، القيوم على خلقه

بتدبيره إياهم ، وتصريفهم لما شاءوا . وأصل العنو الذلّ يقال منه : عنا وجهه لربه يعنو عنوا، يعني خضع له وذلّ ، وكذلك قيل للأسير : عان لذلة الأسر . فأما قولهم : أخذت الشيء عنوة ، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة ، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة ، كما قال الشاعر :

هَلْ أنْتَ مُطِيعِي أيُّها القَلْبُ عَنْوَةً وَلَمْ تَلْحَ نَفْسٌ لم تلم فى اخْتِيالِهَا[1]

وقال آخر :

فَمَا أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ وَلَكِنْ بِحَدِّ المَشْرَفِيِّ اسْتَقالَهَا[2]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ) يقول : ذلت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ) يعني بعنت : استسلموا لي .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَعَنَتِ الوُجُوهُ) قال : خشعت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ) أي ذلَّت الوجوه للحيّ القيوم .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ) قال : ذلت الوجوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال طلق : إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه ، أو قال : عنا .

---

(١) لم أقف على قائل البيت . وعنوة : قال فى اللسان (عنو) فى حديث الفتح أنه دخل مكة عنوة : أى قهرا وغلبة . قال ابن الأثير : هو من عنا يعنو : إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل . وأخذت البلاد عنوة : بالقهر والإذلال . ابن الأعرابي : عنا يعنو : إذا أخذ الشيء قهرا . وعنا يعنو عنوة : إذا أخذ الشيء صلحا ، بإكرام ورفق . والعنوة أيضا المودة . قال الأزهري : أخذت الشيء عنوة : يكون غلبة ، ويكون عن تسليم وطاعة ممن يؤخذ منه الشيء . وأنشد الفراء لكثير :

فَمَا أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ وَلَكِنَّ ضَرْبَ المَشْرَفِيِّ اسْتَقالَهَا

فهذا على معنى التسليم والطاعة بلا قتال . وقال الأخفش فى قوله تعالى : « وعنت الوجوه » : استأسرت . قال : والعاني : الأسير . وقال أبو الهيثم : العاني : الخاضع .

(٢) البيت لكثير عزة ، كما فى (اللسان : عنا) وقد تقدم القول فى معناه فى الشاهد السابق عليه . والمشرفي : السيف منسوب إلى قرية يقال لها مشارف بالشام أو باليمن . واستقالها : أخذها وانتزعها .

حدثنى أبو حُصَين عبد الله بن أحمد ، قال : ثنا عبثر ، قال : ثنا حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب ، فى هذه الآية (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه .

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ليث ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب فى قوله (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك فى السجود .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب فى قوله (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : وضع الجبهة والأنف على الأرض .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن عمرو بن مرّة ، عن طلق بن حبيب ، فى قوله (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) قال : استأسرت الوجوه للحيّ القيوم ، صاروا أسارى كلهم له ، قال : والعانى : الأسير . وقد بيّنا معنى الحيّ القيوم فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) يقول تعالى ذكره : ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيامة شركا بالله ، وكفرا به ، وعملا بمعصيته .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) قال : من حمل شركا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) قال : من حمل شركا ، الظلم هاهنا : الشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه : ومن يعمل من صالحات الأعمال ، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التى فرضها على عباده (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) يقول : وهو مصدّق بالله ، وأنه مجازٍ أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) يقول : فلا يخاف من الله أن يظلمه ، فيحمل عليه سيئات غيره ، فيعاقبه عليها (وَلَا هَضْمًا) يقول : لا يخاف أن يهضمه حسناته ، فينقصه ثوابها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ) قال : زعموا أنها الفرائض .

ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا)

حدثنا أبو كريب وسليمان بن عبد الجبار ، قالا : ثنا ابن عطية ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (لَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : هضما : غصبا .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال : (لَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً) قال : لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم ، فيزاد عليه في سيئاته ، ولا يظلم فيهضم في حسناته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) يقول : أنا قاهركم اليوم ، آخذكم بقوّتي وشدّتي ، وأنا قادر على قهركم وهضمكم ، فإنما بيني وبينكم العدل ، وذلك يوم القيامة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا مُعاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) أما هضما فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوّته ، يقول الله يوم القيامة : لا آخذكم بقوّتي وشدتي ، ولكن العدل بيني وبينكم ، ولا ظلم عليكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (هَضْمًا) قال : انتقاص شيء من حقّ عمله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مِسْعر ، قال : سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله (وَلَا هَضْمًا) قال : الهضم : الانتقاص .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : ظلما أن يزاد في سيئاته ، ولا يُهْضَم من حسناته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : لا يخاف أن يظلم ، فلا يجزى بعمله ، ولا يخاف أن ينتقص من حقه ، فلا يوفى عمله .

حدثنا الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، عن ميمون بن سِياه ، عن الحسن ، في قول الله تعالى (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) قال : لا ينتقص الله من حسناته شيئا ، ولا يحمل عليه ذنب مسيء . وأصل الهضم : النقص ، يقال : هضمني فلان حقي ، ومنه امرأة هضيم : أي ضامرة البطن ، ومنه قولهم : قد هضم الطعام : إذا ذهب . وهَضَمْتُ لك من حقك : أي حططتك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

يقول تعالى ذكره: كما رغبنا أهل الإيمان فى صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا. فأنزلنا هذا القرآن عربيا، إذ كانوا عربا (وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ) فبيناه: يقول: وخوّفناهم فيه بضروب من الوعيد (لعلّهم يتّقون) يقول: كى يتقونا، بتصريفنا ماصرّفنا فيه من الوعيد (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التى كذّبت الرسل قبلها، وينزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرآنا عَرَبِيًّا. وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ماحُذّروا به من أمر الله وعقابه، ووقائعه بالأمم قبلهم (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ) القرآن (ذِكْرًا): أى جِدّا وورعا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) قال: جِدا وورعا. وقد قال بعضهم فى (أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) أن معناه: أو يحدث لهم شرفا، بإيمانهم به.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾

يقول تعالى ذكره: فارتفع الذى له العبادة من جميع خلقه، الملك الذى قهر سلطانه كلّ ملك وجبار. الحقّ عما يصفه به المشركون من خلقه (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ): يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولاتعجل يامحمد بالقرآن، فتقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم. من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه مَنْ كان يُكْتبه ذلك، من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لاتتله على أحد، ولا تملِه عليه، حتى تبينه لك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ) قال : لاتتله على أحد حتى نبينه لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : يقول : لاتتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم : حتى نتمه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ) يعني : لاتعجل حتى نبينه لك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ) : أي بيانه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلا تَعْجَلْ بالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ) قال : تبيانه .

حدثنا ابن المثنى وابن بشار ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَيْكَ وَحْيُهُ) من قبل أن يبين لك بيانه .

وقوله (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْما) يقول تعالى ذكره : وقل يامحمد : ربّ زدنى علما إلى ماعلمتنى ، أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لايعلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

يقول تعالى ذكره : وإن يضيع يامحمد هؤلاء الذين نصرّف لهم فى هذا القرآن من الوعيد عهدى ، ويخالفوا أمرى ، ويتركوا طاعتى ، ويتبعوا أمر عدوّهم إبليس ، ويطيعوه فى خلاف أمرى ، فقديما مّا فعل ذلك أبوهم آدم (وَلَقَدْ عَهِدْنا إلَيْهِ) يقول : ولقد وصينا آدم وقلنا له : (إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ) فوسوس إليه الشيطان فأطاعه ، وخالف أمرى ، فحلّ به من عقوبتى ما حلّ .

وعنى جلّ ثناؤه بقوله (مِنْ قَبْلِ) هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد فى هذا القرآن ، وقوله (فَنَسِيَ) يقول : فترك عهدى .

كما حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ) يقول : فترك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (فَنَسِيَ) قال : ترك أمر ربه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ

مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ ، وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : قال له (يا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ . فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى) فقرأ حتى بلغ (لاتَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى) ، وقرأ حتى بلغ (وَمُلْكٍ لايَبْلَى) قال : فنسى ما عهد إليه فى ذلك ، قال : وهذا عهد الله إليه . قال : ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذى حسده ، وأبى أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبليس ، وعصى الله الذى كرّمه وشرّفه ، وأمر ملائكته فسجدوا له :

حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، وعبد الرحمن ، ومؤمل ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : إنما سمى الإنسان لأنه عهد إليه فنسى .

وقوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) اختلف أهل التأويل فى معنى العزم هاهنا ، فقال بعضهم : معناه الصبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) أى صبرا.

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال: ثنا شعبة ، عن قتادة (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) ، قال : صبرا .

حدثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، قال : ثنا أبوالنضر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : بل معناه : الحفظ ، قالوا : ومعناه : ولم نجد له حفظا لما عهدنا إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى أبوالسائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا لما أمرته .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، فى قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا .

حدثنا عباد بن محمد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، فى قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : حفظا لما أمرته به .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال . ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) . يقول : لم نجد له حفظا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) قال : العزم : المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه ، والتمسك به .

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) يقول : لم نجعل له عزما .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبى أمامة

قال : لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة . ووضعت فى كفة ميزان ، ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى ، لرجح حلمه بأحلامهم ، وقد قال الله تعالى (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما) .

قال أبو جعفر : وأصل العزم : اعتقاد القلب على الشئ ؛ يقال منه : عزم فلان على كذا : إذا اعتقد عليه ونواه ؛ ومن اعتقاد القلب : حفظ الشئ . ومنه الصبر على الشئ ، لأنه لايجزع جازع إلا من خوّر قلبه وضعفه . فإذا كان ذلك كذلك ، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى ؛ وهو قوله (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما) فيكون تأويله : ولم نجد له عزم قلب ، على الوفاء لله بعهده ؛ ولا على حفظ ما عهد إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ما كان من تضييع آدم عهده ، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا فى ذلك على منهاجه : إلا من عصمه الله منهم ، واذكر يا محمد (إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى) أن يسجد له (فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هَذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ) ولذلك من شنآنه لم يسجد لك ، وخالف أمرى فى ذلك وعصانى ، فلا تطيعاه فيما يأمركما به ، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما ، وطاعتكما له (مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى) يقول : فيكون عيشك من كدّ يدك ، فذلك شقاؤه الذى حذّره ربه .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد : قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق من جبينه ، فهو الذى قال الله تعالى ذكره (فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى) فكان ذلك شقاءه ، وقال تعالى ذكره (فَتَشْقَى) ولم يقل : فتشقيا ، وقد قال : (فَلا يُخْرِجَنَّكُما) لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام ، فكان فى إعلامه العقوبة على معصيته إياه ، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة ، الكفاية من ذكر المرأة ، إذ كان معلوما أن حكمها فى ذلك حكمه ، كما قال (عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ) اجتزئ بمعرفة السامعين معناه ، من ذكر فعل صاحبه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة : (إِنَّ لَكَ) يا آدم (أَنْ لا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرَى) . و « أن » فى قوله (ألا تَجُوعَ فِيها) فى موضع نصب بإن التى فى قوله (إِنَّ لَكَ) .

وقوله (وأنَّكَ لاتَظْمَأُ فيها) اختلفت القرّاء فى قراءتها ، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة بالكسر ، وإنك على العطف على قوله (إنَّ لكَ) . وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة والبصرة وأنك بفتح ألفها عطفا بها على « أن » التى فى قوله (أنْ لا تَجُوعَ فيها) . ووجّهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا ، فهذه القراءة أعجب القراءتين إلىّ ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة ، فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لاتجوع أولى من أن يكون خبر مبتدإ ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب . وعنى بقوله (لاتَظْمَأُ فيها) لاتعطش فى الجنة مادمت فيها (وَلا تَضْحَى)، يقول : لاتظهر للشمس فيؤذيك حرّها ، كما قال ابن أبى ربيعة :

رأتْ رَجُلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ فَيَضْحَى وأمَّا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّكَ لاتَظْمَأُ فيها وَلا تَضْحَى) يقول : لايصيبك فيها عطش ولا حرّ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وأنَّكَ لاتَظْمَأُ فيها وَلا تَضْحَى) يقول : لايصيبك حرّ ولا أذى .

حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : ثنى أبى ، عن خصيف عن سعيد بن جُبير (لاتَظْمَأُ فيها وَلا تَضْحَى) قال : لاتصيبك الشمس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَضْحَى) قال : لاتصيبك الشمس ، وقوله (فَوَسْوَسَ إلَيْهِ الشَّيْطانُ) يقول : فألقى إلى آدم الشّيطان وحدّثه (فَقالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ) يقول : قال له : هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت ، وملكت ملكا لاينقضى فيبلى .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلَى) إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله ٧ (أوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ) فلا تموتان أبدا .

---

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة القرشى المخزومى . وقد أورده صاحب اللسان فى (ضحا) ولم ينسبه . قال : وضحا الرجل ضحوا (على فعل) وضحوا (على فعول) وضحيا : برز للشمس وضحى بكسر الحاء يضحى فى اللغتين معه ضحوا وضحيا : أصابته الشمس قال الله تعالى : « وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » قال : لا يؤذيك حر الشمس . وقال الفراء : لاتضحى : لاتصيبك شمس مؤذية . قال : وفى بعض التفسير : ولا تضحى : لاتعرق . قال الأزهرى : والأول أشبه بالصواب ، وأنشد : « رأت رجلا .... البيت ». اه . وقوله « يخصر » : هو من الخصر بالتحريك ، وهو البرد يجده الإنسان فى أطرافه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره : فأكل آدم وحوّاء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها ، وأطاعا أمر إبليس ، وخالفا أمر ربهما (فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما) يقول : فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورة عن أعينهما .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : إنما أراد ، يعنى إبليس بقوله (هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلَى) ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما ، بهتك لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سَوْءَةً لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظفر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حوّاء ، فأكلت ثم قالت : يا آدم كل، فإنى قد أكلت، فلم يضرّنى ، فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما .

وقوله (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) يقول : أقبلا يشدّان عليهما من ورق الجنة .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط ، عن السدى (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) يقول : أقبلا يغطيان عليهما بورق التين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) يقول : يوصلان عليهما من ورق الجنة .

وقوله (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) يقول : وخالف أمر ربه ، فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه ، من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها . وقوله (ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ ، فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) يقول : اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى مايرضى عنه ، والعمل بطاعته ، وذلك هو كانت توبته التى تابها عليه . وقوله (وَهَدَى) يقول : وهداه للتوبة ، فوفّقه لها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ ﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله تعالى لآدم وحوّاء (اهْبِطا جَمِيعا) إلى الأرض (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) يقول : أنتما عدوّ إبليس وذرّيته ، وإبليس عدوّكما وعدوّ ذرّيتكما .

وقوله (فإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى) يقول : فإن يأتكم يا آدم وحوّاء وإبليس منى هدى : يقول : بيان لسبيلى ، وما أختاره لخلقى من دين (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) يقول : فمن اتبع بيانى ذلك وعمل به ، ولم

يزغ عنه (فَلا يَضِلُّ) يقول : فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد فى الدنيا ويهتدى (وَلا يَشْقَى) فى الآخرة بعقاب الله ، لأن الله يدخله الجنة ، وينجيه من عذابه .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمرو بن قيس الملائى ، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن ، واتبع ما فيه أن لا يضلّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم تلا هذه الآية (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) .

حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى، قال: ثنا حكام الرازىّ، عن أيوب بن موسى ، عن مرو ثنا الملائى عن ابن عباس أنه قال : إن الله قد ضمن ... فذكر نحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب٧ بن يسار أبى عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس ، عن رجل عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا علىّ بن سهل الرملى ، قال : ثنا أحمد بن محمد النسائى ، عن أبى سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ، ووقاه ، أطنه أنا قال : من هول يوم القيامة ، وذلك أنه قال (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) فى الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) الذى أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ، ولم يتعظ به فينزجر عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) يقول : فإن له معيشة ضيقة . والضنك من المنازل والأماكن والمعايش : الشديد . يقال : هذا منزل ضنك : إذا كان ضيقا ، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد ؛ ومنه قول عنترة :

وإنْ نَزَلُوا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) هذا جزء من عجز بيت لعنترة بن عمرو بن شداد العبسى (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى شرح مصطفى السقا ص ٣٨٨) والبيت بتمامه هو :

إنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدْ وإنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنْزِلِ

وفى (اللسان : ضنك) : الضنك : الضيق من كل شىء ، الذكر والأنثى فيه سواء . ومعيشة ضنك : ضيقة . وفى التنزيل « فإن له معيشته ضنكا » أى غير حلال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) يقول : الشقاء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ضَنْكا) قال : ضيقة .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : الضنك : الضيق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (فانّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) يقول : ضيقة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، عن مجاهد ، مثله .

واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك ، والحال التى جعلهم فيها ، فقال بعضهم : جعل ذلك لهم فى الآخرة فى جهنم ، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو بن علىّ بن مقدم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن ، فى قوله (فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : فى جهنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) فقرأ حتى بلغ (وَلَمْ يُؤْمِنْ بآياتِ رَبِّهِ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، قال : ومعيشة ضنكا فى النار شوك من نار وزقوم وغسلين ، والضريع : شوك من نار ، وليس فى القبر ولا فى الدنيا معيشة ، ما المعيشة والحياة إلا فى الآخرة ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ (يا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَياتِى) قال : لمعيشتى ؛ قال : والغسلين والزقوم : شىء لا يعرفه أهل الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (فانّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : فى النار

وقال آخرون : بل عنى بذلك : فإن له معيشة فى الدنيا حراما قال : ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بالضنك ، لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة فى قوله (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : هى المعيشة التى أوسع الله عليه من الحرام .

حدثنى داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة ، قال : ثنا عمرو بن جرير البجلى ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم فى قول الله (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : رزقا فى معصيته .

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال : ثنا يعلى بن عبيد، قال : ثنا أبو بسطام ، عن الضحاك (فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : الكسب الخبيث .

حدثني محمد بن إسماعيل الصرارى، قال : ثنا محمد بن سوار، قال : ثنا أبواليقظان عمار بن محمد، عن هارون بن محمد التيمى ، عن الضحاك، فى قوله (فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : العمل الخبيث، والرزق السيئ .

وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك فى الدنيا، إنما قيل لها ضنك وإن كانت واسعة ، لأنهم ينفقون ماينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله، وإياس من فضل الله، وسوء ظنّ منهم بربهم ، فتشتدّ لذلك عليهم معيشتهم وتضيق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) يقول : كلّ مال أعطيته عبدا من عبادى قلّ أوكثر ، لايتقينى فيه ، لاخير فيه، وهوالضنك فى المعيشة . ويقال : إن قوما ضُلّالا أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين ، فكانت معيشتهم ضنكا ، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزّ وجل ليس بمخلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله ، والتكذيب به ، فإذاكان العبد يكذّب بالله، ويسيئ الظنّ به ، اشتدّت عليه معيشته ، فذلك الضنك .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : أن ذلك لهم فى البرزخ ، وهو عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يزيد بن مخلد الواسطى ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبى حازم عن النعمان بن أبى عياش ، عن أبى سعيد الخدرىّ ،قال فى قول الله (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : عذاب القبر .

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل، قال : ثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن أبى حازم ، عن النعمان بن أبى عياش ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : إن المعيشة الضنك ، التى قال الله: عذاب القبر .

حدثني حوثرة بن محمدالمنقرى، قال : ثناسفيان، عن أبى حازم، عن أبى سلمة، عن أبى سعيد الخُدرىّ (فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه .

حدثني محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبى وشعيب بن الليث، عن الليث ، قال : ثنا خالد ابن زيد ، عن ابن أبى هلال ، عن أبى حازم ، عن أبى سعيد، أنه كان يقول : المعيشة الضنك : عذاب القبر ، إنه يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يُبعث. وكان يقال : لو أن تننا منها نفخ الأرض لم تنبت زرعا .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال: ثنا محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ،

قال : يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، وهى المعيشة الضنك التى قال الله (مَعِيشَةً ضَنْكا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى) .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح والسدىّ فى قوله (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : عذاب القبر .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : عذاب القبر .

حدثنى عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو عُمَيس ، عن عبد الله بن مخارق عن أبيه ، عن عبد الله ، فى قوله (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : عذاب القبر .

حدثنى عبدالرحيم البرقىّ ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبى حازم ، قالا : ثنا أبوحازم ، عن النعمان بن أبى عياش ، عن أبى سعيد الخدرىّ (مَعِيشَةً ضَنْكا) قال : عذاب القبر .

❊ قال أبوجعفر : وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال : هو عذاب القبر الذى حدثنا به أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن ابن حُجَيرة عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتَدْرُونَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى) أتَدْرُونَ ما المَعِيشَةُ الضَّنْكُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عَذَابُ الكافِرِ فى قَبْرِهِ ، والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، إنَّه لَيُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّينا ، أتَدْرُونَ ما التِّنِّينُ : تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً ، لكلّ حَيَّة سَبْعَةُ رُءُوسٍ ، يَنْفُخُونَ فى جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » . وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وأبْقَى) فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التى جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة ، لأن ذلك لو كان فى الآخرة لم يكن لقوله : (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وأبْقَى) معنى مفهوم ، لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة ، حتى يكون الذى فى الآخرة أشدّ منه ، بطل معنى قوله (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدُّ وأبْقَى) ، فإذ كان ذلك كذلك ، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التى جعلها الله لهم من أن تكون لهم فى حياتهم الدنيا ، أو فى قبورهم قبل البعث ، إذ كان لا وجه لأن تكون فى الآخرة لما قد بيّنا ، فإن كانت لهم فى حياتهم الدنيا ، فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار ، فإن معيشته فيها ضنك ، وفى وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى ، القائلين له المؤمنين فى ذلك ، ما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك ، وإذ خلا القول فى ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث ، وهو أن ذلك فى البرزخ .

وقوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى) اختلف أهل التأويل فى صفة العمى الذى ذكر الله فى هذه الآية ، أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به ، فقال بعضهم : ذلك عمى عن الحجة ، لا عمى عن البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال : ليس له حجة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) قال : عن الحجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقيل : يحشر أعمى البصر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك ما قال الله تعالى ذكره ، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جل ثناؤه ، فعم ولم يخصص .

وقوله (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك . فقال بعضهم فى ذلك ، ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى) لا حجة لى .

وقوله (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : وقد كنت بصيرا بحجتى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) قال : عالما بحجتى .

وقال آخرون : بل معناه : وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) فى الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) قال : كان بعيد البصر ، قصير النظر ، أعمى عن الحق .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن الله عز شأنه ، وجل ثناؤه ، عم بالخبر عنه بوصفه نفسه بالبصر ، ولم يخصص منه معنى دون معنى ، فذلك على ما عمه ، فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية ، قال : رب لم حشرتنى أعمى عن حجتى ورؤية الأشياء ، وقد كنت فى الدنيا ذا بصر بذلك كله .

فإن قال قائل : وكيف قال هذا لربه (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى) مع معاينته عظيم سلطانه ، أجهل فى ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء ، أم ما وجه ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه مسألة لربه يعرفه الجرم الذى

استحقّ به ذلك ، إذ كان قد جهله ، وظنّ أن لا جرم له ، استحق ذلك به منه ، فقال : ربّ لأىّ ذنب ولأىّ جرم حشرتنى أعمى ، وقد كنت من قبل فى الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون مايستحق منك من العقاب .

وقوله (قالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آياتنا فَنَسِيتَها) يقول تعالى ذكره ، قال الله حينئذ للقائل له : (لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) فعلت ذلك بك ، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتى وهى حججه وأدلته وبيانه الذى بيّنه فى كتابه ، فنسيتها : يقول : فتركتها وأعرضت عنها ، ولم تؤمن بها ، ولم تعمل . وعنى بقوله (كَذَلِكَ أَتَتْكَ) هكذا أتتك . وقوله (وكَذلكَ اليَوْمَ تُنْسَى) يقول : فكما نسيت آياتنا فى الدنيا ، فتركتها وأعرضت عنها ، فكذلك اليوم ننساك ، فنتركك فى النار .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى) فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن إسماعيل ابن أبى خالد ، عن أبى صالح ، فى قوله (وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى) قال : فى النار .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (كَذَلكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها) قال : فتركتها (وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى) وكذلك اليوم تترك فى النار .

ورُوى عن قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قالَ كَذَلكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى) قال : نسى من الخير ، ولم ينس من الشرّ . وهذا القول الذى قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد ، لأن تركه إياهم فى النار أعظم الشرّ لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ ١٢٧

يقول تعالى ذكره : وهكذا نجزى : أى نثيب من أسرف فعصى ربه ، ولم يؤمن برسله وكتبه ، فنجعل له معيشة ضنكا فى البرزخ كما قد بيّنا قبل (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقَى) يقول جلّ ثناؤه : ولعذاب فى الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم فى القبر من المعيشة الضنك وأبقى : يقول : وأدوم منها ، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ ١٢٨

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التى سلكت قبلها التى يمشون فى مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التى أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينيبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما صابهم.

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ) لأن قريشا كانت تتجر إلى الشأم، فتمرّ بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم مايرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون. وكان الفرّاء يقول: لايجوز فى كم فى هذا الموضع أن يكون إلا نصبا بأهلكنا، وكان يقول: وهو وإن لم يكن إلا نصبا، فان جملة الكلام رفع بقوله (يَهْدِ لَهُمْ) ويقول: ذلك مثل قول القائل: قد تبين لى أقام عمرو أم زيد فى الاستفهام، وكقوله (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) ويزعم أن فيه شيئا يرفع سواء لايظهر مع الاستفهام، قال: ولو قلت: سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذى فى الجملة، وليس الذى قال الفرّاء من ذلك، كما قال: لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل فى هذا الموضع للاستفهام، بل هى واقعة موقع الأسماء الموصوفة. ومعنى الكلام ماقد ذكرنا قبل وهو: أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التى يمشون فى مساكنهم، أو أفلم تهدهم القرون الهالكة. وقد ذُكر أن ذلك فى قراءة عبدالله (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنْ أَهْلَكْنَا) فكم واقعة موقع من فى قراءة عبد الله، هى فى موضع رفع بقوله (يَهْدِ لَهُمْ) وهو أظهر وجوهه، وأصحّ معانيه، وإن كان الذى قاله وجه ومذهب على بعد.

وقوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذّبة رسلها قبلهم، وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله (لَآيَاتٍ) يقول: لدلالات وعبرا وعظات (لِأُولِي النُّهَى) يعنى: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة مايضره.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ، عن ابن عباس، قوله (لِأُولِي النُّهَى) يقول: التقى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) أهل الورع.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

ﷺ يقول تعالى ذكره (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) يامحمد أن كلّ من قضى له أجلا فإنه لايخترمه قبل بلوغه أجله (وأجلٌ مسمًّى) يقول : ووقت مسمى عند ربك سماه لهم فى أمّ الكتاب وخطه فيه : هم بالغوه ومستوفوه (لَكانَ لِزاما) يقول : للازمهم الهلاك عاجلا ، وهو مصدر من قول القائل : لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما : إذا لم يفارقه ، وقدّم قوله (لَكانَ لِزاما) قبل قوله (وأجَلٌ مُسَمًّى) ومعنى الكلام : ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما ، فاصبر على مايقولون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاما وأجَلٌ مُسَمًّى) الأجل المسمى : الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاما وأجَلٌ مُسَمًّى) وهذه من مقاديم الكلام ، يقول : لولا كلمة سبقت من ربك إلى[1] أجل مسمى كان لزاما ، والأجل المسمى : الساعة ، لأن الله تعالى يقول (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، والسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاما وأجَلٌ مُسَمًّى) قال : هذا مقدّم ومؤخر ، ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (لَكانَ لِزاما) فقال بعضهم : معناه : لكان موتا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى علىّ قال : ثنى أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (لَكانَ لِزاما) يقول : موتا .

وقال آخرون : معناه لكان قتلا .

(١) لعله يريد : لولا أن الله سبقت كلمته بتأخير عذابهم إلى أجل مسمى . ويجوز أن تكون « إلى » وضعت فى موضع واو العطف سهوا من الناسخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (لَكَانَ لِزَامًا) واللزام : القتل .

وقوله (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه : فاصبر يامحمد على مايقول هؤلاء المكذّبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر ، وإنك مجنون وشاعر ونحوذلك من القول (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) يقول : وصل بثنائك على ربك ، وقال : بحمد ربك . والمعنى : بحمد ربك ، كما تقول : أعجبنى ضرب زيد ، والمعنى : ضربى زيدا . وقوله (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) وذلك صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) وهى العصر (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) وهى ساعات الليل ، واحدها : إنى ، على تقدير حمل ؛ ومنه قول المنخل السعدى :

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُهُ ... فِي كُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ[1]

ويعنى بقوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) صلاة العشاء الآخرة ، لأنها تصلى بعد مضىّ آناء من الليل. وقوله (وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) : يعنى صلاة الظهر والمغرب ؛ وقيل : أطراف النهار ؛ والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا ، لأن صلاة الظهر فى آخر طرف النهار الأوّل ، وفى أوّل طرف النهار الآخر ، فهى فى طرفين منه ، والطرف الثالث : غروب الشمس ، وعند ذلك تصلى المغرب ، فلذلك قيل أطراف ، وقد يحمل أن يقال : أريد به طرفا النهار . وقيل : أطراف ، كما قيل (صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) فجمع ، والمراد : قلبان ، فيكون ذلك أوّل طرف النهار الآخر ، وآخر طرفه الأول[2] .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبى زيد ، عن ابن عباس (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال : الصلاة المكتوبة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى القمر ليلة البدر فقال : « إِنَّكُمْ رَاءُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ تَلا (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) » .

(١) فى (اللسان : أنى) لأنى : واحد آناء الليل ، وهى ساعاته ، وفى التنزيل العزيز : « ومن آناء الليل » . قال أهل اللغة : منهم الزجاج : آناء الليل : ساعاته ، واحدها : إنى وإنى ؛ فمن قال : إنى ، فهو مثل نحى وأنحاء ؛ ومن قال : إنى فهو مثل معى وأمعاء ؛ قال الهذلى المتنخل :

السَّالِكُ الثَّغْرَ مَخْشِيًّا مَوَارِدُهُ ... بِكُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ

قال الأزهرى : كذا رواه ابن الأنبارى ، وأنشد الجوهرى : « حلو ومر . . . البيت » و أيضا المتنخل ؛ فإما أن يكون هو البيت بعينه ، أو آخر من قصيدة أخرى .

(٢) فى الأصل : الآخر ؟ وهو سهو من الكاتب ، كما تبين من عبارة المؤلف .

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال ابن جريج : العصر . وأطراف النهار قال : المكتوبة .

حدثنا الحسن . قال : أخبرنا عبد الرزاق . عن معمر . عن قتادة فى قوله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) قال : هى صلاة الفجر (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) قال : صلاة العصر . (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : صلاة المغرب والعشاء . (وأَطْرَافَ النَّهَارِ) قال : صلاة الظهر .

حدثنى يونس . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد . فى قوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وأَطْرَافَ النَّهَارِ) : قال : من آناء الليل : العتمة . وأطراف النهار : المغرب والصبح . ونصب قوله (وأَطْرَافَ النهار) عطفا على قوله (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) ، لأن معنى ذلك : فسبح بحمد ربك آخر الليل ، وأطراف النهار .

وبنحو الذى قلنا فى معنى (آنَاءِ اللَّيْلِ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج ، قال : قال ابن عباس (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : المصلى من الليل كله .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، عن أبى رجاء ، قال : سمعت الحسن قرأ (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) قال : من أوّله ، وأوسطه ، وآخره .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فى قوله (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) قال : آناء الليل : جوف الليل .

وقوله (لَعَلَّكَ تَرْضَى) يقول : كى ترضى .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة والعراق (لَعَلَّكَ تَرْضَى) بفتح التاء . وكان عاصم والكسائى يقرآن ذلك (لَعَلَّكَ تُرْضَى) بضم التاء ، ورُوى ذلك عن أبى عبد الرحمن السُّلَمِىّ ، وكأنّ الذين قرءوا ذلك بالفتح ، ذهبوا إلى معنى : إن الله يعطيك ، حتى ترضى عطيّته وثوابه إياك ؛ وكذلك تأوّله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (لَعَلَّكَ تَرْضَى) قال : الثواب ، ترضى بما يثيبك الله على ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (لَعَلَّكَ تُرْضَى) قال : بما تُعْطَى . وكأن الذين قرءوا ذلك بالضم ، وجهوا معنى الكلام إلى لعلّ الله يرضيك من عبادتك إياه ، وطاعتك له.

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء ، وهما قراءتان مستفيضتان فى قَرَأَة الأمصار ، متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ؛ وذلك أن الله تعالى ذكره إذا أرضاه ،

فلا شك أنه يرضى ، وأنه إذا رضى فقد أرضاه الله ، فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تنظر إلى ماجعلنا لضُرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم ، متْعة فى حياتهم الدنيا ، يتمتعون بها ، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) يقول : لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ، ونبتليهم ، فإن ذلك فان زائل ، وغرور وخدع تضمحل (وَرِزْقُ رَبِّكَ) الذى وعدك أن يرزقكه فى الآخرة حتى ترضى ، وهو ثوابه إياه (خَيْرٌ) لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا . (وأبْقَى) يقول : وأدوم ، لأنه لا انقطاع له ولا نفاد ، وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى يهودى يستسلف منه طعاما ، فأبى أن يُسلفه إلا برهن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبى رافع ، قال : « أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودى يستسلفه ، فأبى أن يعطيه إلا برهن ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْوَاجا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن أبى رافع ، قال : « نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف ، فأرسلنى إلى يهودى بالمدينة يستسلفه ، فأتيته ، فقال : لا أسلفه إلا برهن ، فأخبرته بذلك ، فقال : إنى لأمينٌ فى أهْلِ السَّماءِ وفى أهْلِ الأرْضِ ، فاحْمِلْ دِرْعِي إليْهِ ـ فنزلت (وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعا مِنَ المَثانِي والقُرآنَ العَظِيمِ) . وقوله (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا) إلى قوله (وَالعاقِبَةُ للتَّقْوَى) » ويعنى بقوله (أزْوَاجا مِنْهُمْ) رجالا منهم أشكالا ، وبزهرة الحياة الدنيا : زينة الحياة الدنيا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا) : أى زينة الحياة الدنيا ، ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التى فى قوله به من (مَتَّعْنا بِهِ) كما يقال : مررت به الشريف الكريم ، فنصب الشريف الكريم على فعل مررت ، وكذلك قوله (إلى

ما متَّعْنا بهِ أزْوَاجا منْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنيا) تنصب على الفعل بمعنى : متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة لهم فيها . وذكر الفراء أن بعض بني فقعس أنشده :

أبَعْدَ الَّذِي بالسَّفْحِ سَفْحِ كُوَاكِبٍ رَهِينَةَ رَمْسٍ مِنْ تُرابٍ وَجَنْدَلِ [1]

فنصب رهينة على الفعل من قوله : « أبعد الذي بالسفح » ، وهذا لاشكَّ أنه أضعف في العمل نصبا من قوله (مَتَّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ) لأن العامل في الاسم وهو رهينة ، حرف خافض لا ناصب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) قال : لنبتليهم فيه (وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأبقَى) مما متَّعنا به هؤلاء من هذه الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (وأْمُرْ) يا محمد (أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها) يقول : واصطبر على القيام بها ، وأدائها بحدودها أنت ، (لا نَسْئَلُكَ رِزْقا) يقول : لانسئلك مالا ، بل نكلفك عملا ببدنك ، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا (نَحْنُ نَرْزُقُكَ) يقول : نحن نعطيك المال ونكسبكه ، ولا نسألكه . وقوله (والعاقبةُ للتَّقْوَى) يقول : والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ، ولا يرجو له ثوابا .

وبنحو الذي قلنا في قوله (وأْمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة ، قال : كان عروة إذا رأى

---

(١) البيت من شواهد الفراء عن بعض بني فقعس ، كما قال المؤلف . وكواكب ، بضم الكاف : جبل بعينه . ورهينة الرمس الذي نزل واستقر به لا يبرحه . والرمس : القبر . أو التراب والصخور يوارى بها الميت في لحده . والجندل : الصخر . والشاهد في البيت : نصب رهينة على الخروج كما قال المؤلف ، كما نصبت « زهرة الحياة الدنيا » . قال صاحب تاج العروس : والخروج عند أئمة النحو : هو النصب على المفعولية ، وهو عبارة البصريين ، لأنهم يقولون في المفعول : هو منصوب على الخروج : أي خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته ، وهو كقولهم له (فضلة) . اهـ . أراد المؤلف أن رهينة منصوب على البدل من محل المجرور وهو قوله (بالسفح) ، لأنه محله النصب على المفعولية . وقد بين أبو البقاء العكبري في « إعراب القرآن » وجوه نصب « زهرة الحياة » قال (٢ : ٦٨) في نصبه أوجه : (أحدها) أن يكون منصوبا بفعل محذوف ، دل عليه « متعنا » . أي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا . (والثاني) : أن يكون بدلا من موضع (به) . و(الثالث) أن يكون بدلا من أزواج . والتقدير : ذوى زهرة ؛ فحذف المضاف . ويجوز أن يكون جعل الأزواج زهرة على المبالغة . ولا يجوز أن يكون صفة ، لأنه معرفة ، وأزواجا : نكرة . و (الرابع) : أن يكون على الذم ، أي أذم أو أعني . و (الخامس) : أن يكون بدلا من (ما) . اختاره بعضهم . وقال آخرون : لا يجوز ؛ لأن قوله تعالى « لنفتنهم » من صلة « متعنا » ، فيلزم منه الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي . و(السادس) : أن يكون حالا من الهاء ، أو من (ما) ، وحذف التنوين لا لتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البدل . وممن اختاره مكي (لعله أبو الحرم مكي بن ريان الماكسيني الضرير) ، وفيه نظر . و (السابع) : أنه تمييز لما ، أو للهاء في (به) ، حكى عن الفراء ، وهو غلط ، لأنه معرفة . اهـ .

ما عند السلاطين دخل داره، فقال (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا، لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا، نَحْنُ نَرْزُقُكَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) ثم ينادى: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

حدثنا أبو كريب قال: ثنا عثام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه كان إذا رأى شيئا من الدنيا جاء إلى أهله، فقال الصلاة (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا).

حدثنا العباس بن عبد العظيم، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أخبرنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ويرفا، وكانت له من الليل ساعة يصليها، فاذا قانا لا يقوم من الليل كان قياما[1]، وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) . . . الآية.

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنى هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم فى الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جل ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما فى الكتب التى قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التى أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثنى الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) قال: التوراة والإنجيل.

حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) الكتب التى خلت من الأمم التى يمشون فى مساكنهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾

(١) لعله يريد: كان يقوم قياما، أى قياما طويلا، والضمير فى كان راجع إلى «عمر» رضى الله عنه.

يقول تعالى ذكره : ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذّبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى مافرضناعليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله ، لقالوا يوم القيامة إذ وردوا علينا ، فأردنا عقابهم : ربناهلا أرسلت إلينارسولا يدعونا إلى طاعتك، فنتبع آياتك : يقول : فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به .

كما حدثني الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا أبوقتيبة سلم بن قتيبة ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخُدرىّ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « يَحْتَجُّ عَلَى اللهِ يَوْمَ القيامَةِ ثَلاثَةٌ : الهَالِكُ فِى الفَتْرَةِ ، والمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ ، والصَّبِىُّ الصَّغِيرُ، فَيَقُولُ المَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ لَمْ تَجْعَلْ لى عَقْلاً أنْتَفِـعُ بِهِ ، وَيَقُولُ الهَالِكُ فِى الفَتْرَةِ : لَمْ يأْتِنِى رَسُولٌ وَلا نَبِىٌّ ، وَلَوْ أتانِى لَكَ رَسُولٌ أوْ نَبِىٌّ لَكُنْتُ أطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ وقرأ (لَوْلا أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسُولا) وَيَقُولُ الصَّبِىُّ الصَّغِيرُ : كُنْتُ صَغِيرًا لا أعْقِلُ ؛ قالَ : فَتُرْفَعُ لَهُمْ نارٌ وَيُقالُ لَهُمْ : رِدُوها قالَ : فَيَرِدُها مَنْ كانَ فِى عِلْمِ اللهِ أنَّهُ سَعِيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْها مَنْ كانَ فِى عِلْمِ اللهِ أنَّهُ شَقِىٌّ ، فَيَقُولُ : إيَّاىَ عَصَيْتُمْ ، فَكَيْفَ بِرُسُلِى لَوْ أتَتْكُمْ ؟ » .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ ١٣٥

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص : يقول : منتظر لمن يكون الفلاح ، وإلى ما يئول أمرى وأمركم متوقف ينتظردوائر الزمان ، فتربصوا : يقول : فترقبوا وانتظروا ، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذى لااعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة ، أنحن أم أنتم ؟ ومن اهتدى : يقول : وستعلمون حينئذ من المهتدى الذى هو على سنن الطريق القاصد غيرالجائر عن قصده منا ومنكم . وفى « مَن » من قوله (فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أصْحابُ الصِّراطِ السَّوِىِّ) ، والثانية من قوله(وَمَنِ اهْتَدَى وَجهان) الرفع ، وترك أعمال تعلمون فيهما ، كما قال جلّ ثناؤه (لِنَعْلَمَ أىُّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى) والنصب على إعمال تعلمون فيهما ، كما قال جلّ ثناؤه (وَاللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ) .

تمّ الجزء السادس عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى ،

ويليه الجزء السابع عشر

وأوله : سورة الأنبياء